



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



اصبهان  
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

شكراً  
تذکرہ  
الشیخ  
العلیہ السلام

السید عباس علی موسوی

جزء الأول

دارالحدیث البیتاء

دارالحدیث البیتاء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# شرح نهج البلاغة (موسوى)

كاتب:

عباس على موسى

نشرت في الطباعة:

دار الرسول الاكرم (صلي الله عليه وآله)

رقمي الناشر:

مركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

5	الفهرس
28	شرح نهج البلاغة (موسوى) المجلد 1
28	هوية الكتاب
28	اشارة
32	كلمة سريعة
36	خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) و شرحها
40	1 - و من خطبة له عليه السلام
40	اشارة
40	حمد الله
40	اشارة
41	اللغة
45	الشرح
50	خلق العالم
50	اشارة
51	اللغة
54	الشرح
59	خلق الملائكة
59	اشارة
59	اللغة
61	الشرح
61	اشارة
64	بحث مختصر في الملائكة
67	صفة خلق ادم عليه السلام

67	اشارة
68	اللغة
70	الشرح
75	اختيار الانبياء
75	اشارة
75	اللغة
76	الشرح
81	مبعث النبي
81	اشارة
81	اللغة
82	الشرح
84	القرآن و الاحكام الشرعية
84	اشارة
84	اللغة
85	الشرح
87	ومنها في ذكر الحج
87	اشارة
87	اللغة
88	الشرح
91	2 - و من خطبة له عليه السلام
91	اشارة
91	حال الناس قبل البعثة
91	اشارة
92	اللغة
95	الشرح

95	.....	اشارة
96	.....	مع كلامه الشريف:
105	.....	ومنها يعني ال النبي عليه الصلاة والسلام
105	.....	اشارة
105	.....	اللغة
105	.....	الشرح
106	.....	ومنها يعني قوما آخرين
106	.....	اشارة
107	.....	اللغة
107	.....	الشرح
110	.....	3 - ومن خطبة له عليه السلام
110	.....	اشارة
110	.....	ترجيح الصبر
110	.....	اشارة
111	.....	اللغة
115	.....	الشرح
115	.....	اشارة
117	.....	الخلافة والسقيفة وبيعة أبي بكر:
117	.....	لابدية الخلافة:
117	.....	على هو الخليفة:
118	.....	النبي يهيب الأجرء لعلي:
120	.....	وفاة رسول اللّٰه:
120	.....	حديث السقيفة:
121	.....	عمر و أبو بكر في السقيفة:
123	.....	ملاحظات:

125	ترجمة أبي بكر:
127	خلافة عمر:
128	ملاحظات:
129	ترجمة عمر بن الخطاب:
133	الشورى العمرية:
138	ملاحظات:
140	المرشحون للخلافة في رأي عمر:
143	مخالفات عثمان:
148	أراء الصحابة في عثمان:
149	مقتل عثمان:
153	ترجمة عثمان:
154	مبايعة علي:
154	اشارة
155	اللغة
157	الشرح
157	اشارة
157	بيعة الإمام:
162	4 - و من خطبة له عليه السلام
162	اشارة
162	اللغة
165	الشرح
165	اشارة
166	ما العمرة تريدان:
169	5 - و من خطبة له عليه السلام
169	اشارة



169	..... النهي عن الفتنة .
169	..... خلقه وعلمه .
170	..... اللغة .
172	..... الشرح .
172	..... اشارة .
174	..... ملاحظة:
176	..... 6 - و من كلام له عليه السلام .
176	..... اشارة .
176	..... اللغة .
176	..... الشرح .
178	..... 7 - و من خطبه له عليه السلام .
178	..... اشارة .
178	..... اللغة .
178	..... الشرح .
180	..... 8 - و من كلام له عليه السلام .
180	..... اشارة .
180	..... اللغة .
180	..... الشرح .
180	..... اشارة .
181	..... ترجمة الزبير:
182	..... 9 - و من كلام له عليه السلام .
182	..... اشارة .
182	..... اللغة .
182	..... الشرح .
183	..... 10 - و من خطبه له عليه السلام .

183	.....	اشارة
183	.....	اللغة
183	.....	الشرح
185	.....	11 - ومن كلام له عليه السلام ..
185	.....	اشارة
185	.....	اللغة
185	.....	الشرح
185	.....	اشارة
186	.....	ترجمة محمد بن الحنفية: ..
188	.....	12 - ومن كلام له عليه السلام ..
188	.....	اشارة
188	.....	اللغة
188	.....	الشرح
188	.....	اشارة
189	.....	إنما يجمع الناس السخط و الرضا: ..
191	.....	13 - ومن كلام له عليه السلام ..
191	.....	اشارة
192	.....	اللغة
193	.....	الشرح
197	.....	14 - ومن كلام له عليه السلام ..
197	.....	اشارة
197	.....	اللغة
197	.....	الشرح
199	.....	15 - ومن كلام له عليه السلام ..
199	.....	اشارة

199	اللغة
199	الشرح
201	16 - ومن كلام له عليه السلام ..
201	اشارة
202	اللغة
204	الشرح
206	ومن هذه الخطبة وفيها يقسم الناس إلى ثلاثة أصناف ..
206	اشارة
206	اللغة
208	الشرح
211	17 - ومن كلام له عليه السلام ..
211	اشارة
212	اللغة
214	الشرح
222	18 - ومن كلام له عليه السلام ..
222	اشارة
222	ذم أهل الرأي ..
222	الحكم للقرآن
223	اللغة
223	الشرح
223	اشارة
225	أصحاب الرأي:
227	19 - ومن كلام له عليه السلام ..
227	اشارة
227	اللغة

228	الشرح
228	اشارة
230	ترجمة الأشعث بن قيس:
232	20 - و من كلام له عليه السلام
232	اشارة
232	اللغة
232	الشرح
235	21 - و من خطبه له عليه السلام
235	اشارة
235	اللغة
235	الشرح
237	22 - و من خطبه له عليه السلام
237	اشارة
237	ذم الناكثين
237	دم عثمان
237	التهديد بالحرب
238	اللغة
239	الشرح
243	23 - و من خطبة له عليه السلام
243	اشارة
243	تهذيب الفقراء
244	تأديب الأغنياء
244	اللغة
247	الشرح
247	اشارة

249	..... العمل الخالص لله: .....
252	..... 24 - ومن خطبه له عليه السلام .....
252	..... اشارة .....
252	..... اللغة .....
253	..... الشرح .....
253	..... اشارة .....
253	..... علي و قتال المخالفين: .....
255	..... 25 - ومن خطبة له عليه السلام .....
255	..... اشارة .....
256	..... اللغة .....
258	..... الشرح .....
258	..... اشارة .....
260	..... من سنن التاريخ: .....
262	..... ترجمة بسر بن أرطأة: .....
264	..... 26 - ومن خطبه له عليه السلام .....
264	..... اشارة .....
264	..... العرب قبل البعثة .....
264	..... ومنها صفته قبل البيعة له .....
265	..... اللغة .....
267	..... الشرح .....
267	..... اشارة .....
269	..... صفقة التجار بين معاوية وعمرو بن العاص: .....
273	..... 27 - ومن خطبه له عليه السلام .....
273	..... اشارة .....
273	..... فضل الجهاد .....

273	استنهاض الناس ..
274	البرم بالناس ..
275	اللغة ..
279	الشرح ..
279	اشارة ..
281	جولة سريعة في الجهاد:
281	الجهاد في الكتاب:
282	الجهاد في السنة:
282	غاية الجهاد:
283	الجهاد على أقسام:
283	اشارة ..
283	جهاد المشركين ابتداء:
284	شروط المجاهد:
284	الجهاد الدفاعي:
284	الدفاع عن النفس:
284	جهاد البغاة:
291	28 - و من خطبة له عليه السلام ..
291	اشارة ..
292	اللغة ..
294	الشرح ..
294	اشارة ..
295	الإيمان الصحيح:
297	إتباع الهوى و طول الأمل:
299	29 - و من خطبه له عليه السلام ..
299	اشارة ..

299	..... اللغة
302	..... الشرح
306	..... 30 - ومن كلام له عليه السلام ..
306	..... اشارة
306	..... اللغة
306	..... الشرح
308	..... 31 - ومن كلام له عليه السلام ..
308	..... اشارة
308	..... اللغة
309	..... الشرح
311	..... 32 - ومن خطبه له عليه السلام ..
311	..... اشارة
311	..... معنى جور الزمان
311	..... أصناف المسيئين
312	..... الراغبون في الله
312	..... التزهيد في الدنيا
313	..... اللغة
316	..... الشرح
322	..... 33 - ومن خطبه له عليه السلام ..
322	..... اشارة
322	..... حكمة بعثة النبي
322	..... فضل علي
322	..... توبيخ الخارجين عليه
323	..... اللغة
325	..... الشرح

328	..... ومن خطبة له عليه السلام
328	..... اشارة
329	..... طريق السداد
329	..... اللغة
331	..... الشرح
337	..... ومن خطبة له عليه السلام
337	..... اشارة
337	..... الحمد على البلاء
337	..... سبب البلوى
338	..... اللغة
339	..... الشرح
339	..... اشارة
341	..... تاريخ و موقف:
347	..... ومن خطبة له عليه السلام
347	..... اشارة
347	..... اللغة
348	..... الشرح
348	..... اشارة
349	..... الخوارج:
349	..... اشارة
350	..... إخبار النبي (صلى الله عليه وآله) عنهم:
351	..... قصة الخوارج:
352	..... اعتزال الخوارج عليا:
355	..... الخوارج والإفساد في الأرض:
358	..... الخلاصة:



360	..... ومن كلام له عليه السلام .....
360	..... اشارة .....
360	..... اللغة .....
361	..... الشرح .....
366	..... 38 - ومن كلام له عليه السلام .....
366	..... اشارة .....
366	..... اللغة .....
366	..... الشرح .....
369	..... 39 - ومن خطبة له عليه السلام .....
369	..... اشارة .....
369	..... اللغة .....
370	..... الشرح .....
370	..... اشارة .....
373	..... ترجمة النعمان بن بشير:
377	..... 40 - ومن كلام له عليه السلام .....
377	..... اشارة .....
377	..... اللغة .....
378	..... الشرح .....
381	..... 41 - ومن خطبة له عليه السلام .....
381	..... اشارة .....
381	..... اللغة .....
382	..... الشرح .....
382	..... اشارة .....
382	..... الوفاء:
383	..... الحاجز هو تقوى الله:

385 ..... 42 - ومن كلام له عليه السلام .....

385 ..... اشارة

385 ..... اللغة

386 ..... الشرح

389 ..... 43 - ومن كلام له عليه السلام .....

389 ..... اشارة

389 ..... اللغة

390 ..... الشرح

390 ..... اشارة

392 ..... ترجمة جرير بن عبد الله البجلي:

393 ..... 44 - ومن كلام له عليه السلام .....

393 ..... اشارة

393 ..... اللغة

393 ..... الشرح

393 ..... اشارة

395 ..... ترجمة مصقلة بن هبيرة الشيباني:

396 ..... 45 - ومن خطبة له عليه السلام .....

396 ..... اشارة

396 ..... حمد الله

396 ..... ذم الدنيا

396 ..... اللغة

397 ..... الشرح

400 ..... 46 - ومن كلام له عليه السلام .....

400 ..... اشارة

400 ..... اللغة

400	..... الشرح
402	..... 47 - ومن كلام له عليه السلام ..
402	..... اشارة
402	..... اللغة
402	..... الشرح
402	..... اشارة
403	..... الكوفة:
405	..... 48 - ومن خطبة له عليه السلام ..
405	..... اشارة
405	..... اللغة
406	..... الشرح
409	..... 49 - ومن كلام له عليه السلام ..
409	..... اشارة
409	..... اللغة
410	..... الشرح
413	..... 50 - ومن كلام له عليه السلام ..
413	..... اشارة
413	..... اللغة
414	..... الشرح
416	..... 51 - ومن خطبة له عليه السلام ..
416	..... اشارة
416	..... اللغة
417	..... الشرح
417	..... اشارة
417	..... وهذا فارق آخر بين على ومعاوية:

418 ..... نشيد الأحرار:

420 ..... 52 - ومن خطبة له عليه السلام .

420 ..... اشارة

420 ..... التزهيد في الدنيا

420 ..... ثواب الزهاد

421 ..... نعم الله

421 ..... اللغة

423 ..... الشرح

428 ..... 53 - ومن خطبة له عليه السلام .

428 ..... اشارة

428 ..... اللغة

428 ..... الشرح

430 ..... 54 - ومن خطبة له عليه السلام .

430 ..... اشارة

430 ..... اللغة

431 ..... الشرح

431 ..... اشارة

431 ..... الناس وبيعة علي:

433 ..... 55 - ومن كلام له عليه السلام .

433 ..... اشارة

433 ..... اللغة

433 ..... الشرح

435 ..... 56 - ومن كلام له عليه السلام .

435 ..... اشارة

435 ..... اللغة

436	الشرح
438	57 - ومن كلام له عليه السلام
438	اشارة
438	اللغة
438	الشرح
438	اشارة
439	معاوية ودعاء النبي عليه:
441	58 - ومن كلام له عليه السلام
441	اشارة
441	اللغة
442	الشرح
444	59 - وقال عليه السلام
444	اشارة
444	اللغة
444	الشرح
444	اشارة
444	أخبار علي بالغيب:
446	60 - وقال عليه السلام
446	اشارة
446	اللغة
446	الشرح
448	61 - وقال عليه السلام
448	اشارة
448	اللغة
448	الشرح

450 ..... 62 - ومن كلام له عليه السلام .....

450 ..... اشارة .....

450 ..... اللغة .....

450 ..... الشرح .....

452 ..... 63 - ومن خطبة له عليه السلام .....

452 ..... اشارة .....

452 ..... اللغة .....

452 ..... الشرح .....

455 ..... 64 - ومن خطبة له عليه السلام .....

455 ..... اشارة .....

456 ..... اللغة .....

458 ..... الشرح .....

462 ..... 65 - ومن خطبة له عليه السلام .....

462 ..... اشارة .....

463 ..... اللغة .....

463 ..... الشرح .....

469 ..... 66 - ومن كلام له عليه السلام .....

469 ..... اشارة .....

469 ..... اللغة .....

472 ..... الشرح .....

475 ..... 67 - ومن كلام له عليه السلام .....

475 ..... اشارة .....

475 ..... اللغة .....

476 ..... الشرح .....

478 ..... 68 - ومن كلام له عليه السلام .....

478	.....	اشارة
478	.....	اللغة
478	.....	الشرح
478	.....	اشارة
479	.....	ترجمة محمد بن أبي بكر:
481	.....	ترجمة هاشم بن عتبة:
482	.....	69 - و من كلام له عليه السلام ..
482	.....	اشارة
482	.....	اللغة
483	.....	الشرح
483	.....	اشارة
485	.....	علي عارف بما يصلح الناس:
488	.....	70 - وقال عليه السلام في سحرة اليوم الذي ضرب فيه ..
488	.....	اشارة
488	.....	اللغة
488	.....	الشرح
490	.....	71 - و من خطبة له عليه السلام ..
490	.....	اشارة
490	.....	اللغة
491	.....	الشرح
493	.....	72 - و من خطبة له عليه السلام ..
493	.....	اشارة
493	.....	صفات الله
493	.....	صفة النبي
494	.....	الدعاء للنبي

494	اللغة
498	الشرح
503	73 - ومن كلام له عليه السلام ..
503	اشارة
503	اللغة
503	الشرح
503	اشارة
505	ترجمة الحكم بن أبي العاص:
506	ترجمة مروان بن الحكم:
508	74 - ومن خطبة له عليه السلام ..
508	اشارة
508	اللغة
508	الشرح
508	اشارة
508	الوحدة قبل حق علي:
511	75 - ومن كلام له عليه السلام ..
511	اشارة
511	اللغة
511	الشرح
514	76 - ومن خطبة له عليه السلام ..
514	اشارة
514	اللغة
515	الشرح
518	77 - ومن كلام له عليه السلام ..
518	اشارة



518	اللغة
518	الشرح
520	78 - ومن دعاء له عليه السلام
520	اشارة
520	اللغة
520	الشرح
522	79 - ومن كلام له عليه السلام
522	اشارة
522	اللغة
523	الشرح
526	80 - ومن خطبة له عليه السلام
526	اشارة
526	اللغة
527	الشرح
529	81 - ومن كلام له عليه السلام
529	اشارة
529	اللغة
529	الشرح
531	82 - ومن كلام له عليه السلام
531	اشارة
531	اللغة
532	الشرح
534	83 - ومن خطبة له عليه السلام
534	اشارة
534	صفته جل شأنه

534	.....	اشارة
534	.....	اللغة
535	.....	الشرح
536	.....	الوصية بالتقوى
536	.....	اشارة
537	.....	اللغة
538	.....	الشرح
540	.....	التفكير من الدنيا
540	.....	اشارة
540	.....	اللغة
543	.....	الشرح
545	.....	بعد الموت البعث
545	.....	اشارة
545	.....	اللغة
547	.....	الشرح
549	.....	تبيينه الخلق
549	.....	اشارة
549	.....	اللغة
551	.....	الشرح
553	.....	فضل التذكير
553	.....	اشارة
554	.....	اللغة
556	.....	الشرح
558	.....	التذكير بضرور النعم
558	.....	اشارة

559	اللغة
564	الشرح
569	التحذير من هول الصراط
569	اشارة
570	اللغة
572	الشرح
576	الوصية بالتقوى و ذكر خلق الإنسان
576	اشارة
578	اللغة
586	الشرح
586	اشارة
593	القبر وسؤاله:
600	84 - و من خطبة له عليه السلام
600	اشارة
600	اللغة
601	الشرح
601	اشارة
604	ترجمة عمرو بن العاص:
604	اشارة
605	إسلامه:
607	الفهرس
619	تعريف مركز

## شرح نهج البلاغة (موسوى) المجلد 1

### هوية الكتاب

شرح نهج البلاغة (موسوى)

شارح: موسوى، عباس على

جامع: شريف الرضى، محمد بن حسين

كاتب: على بن ابى طالب (ع)، امام اول

لغة: العربية

الناشر: دار الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم - بيروت لبنان

سنة النشر: 1418 هجرى قمرى 1998 ميلادى

قانون الكونجرس: / م 8 BP 38/02

مكان النشر: بيروت - لبنان

سال نشر: 1377 ش

موضوع: على بن ابى طالب (ع)، امام اول، 23 قبل الهجرة - 40ق. - خطب

على بن ابى طالب (ع)، امام اول، 23 قبل الهجرة - 40ق. - حروف

على بن ابى طالب (ع)، امام اول، 23 قبل الهجرة - 40ق. - الأمثال

على بن ابى طالب (ع)، امام اول، 23 قبل الهجرة - 40ق. نهج البلاغة - نقد و تفسير

لغة: العربية

عدد المجلدات: 5

ص: 1

اشارة

شرح نهج البلاغة (موسوی)

ص: 2

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 3

شرح نهج البلاغة (موسوى)

دار الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم - دارالمحجة البيضاء

ص: 4

نهج البلاغة هذه المجموعة الثمينة من خطب الإمام علي و رسائله و كلماته يقف الإنسان أمامها بخشوع و خضوع و إجلال و إكبار... إنها كلمات تحكي حياة شعب و ترسم الصورة الحقيقية لمجتمع عاش فيه الإمام و كان له و من أجله هذا العطاء... كنت و منذ صغري أحمل فكرة كبيرة عن نهج البلاغة تكاد تأتي تالية لكتاب الله و كنت أحفظ بعض الخطب المعجب بها و أرددها بشوق و لهفة كخطبة الجهاد على وجه الخصوص... و بعد أن كبرت و أصبحت رجلاً لم تمح صورة نهج البلاغة من ذهني و لم يغب ما كنت أحفظه.. كنت أعود إلى النهج كلما جفت من نفسي روحانيتها فأقرأ فيه بعض خطب الإمام و مواعظه فتحيا الروح من جديد و تنتعش الآمال و تهون أمامي كل مشاكل الدنيا و أحداثها...

كنت أقرأ علياً «الشخصية القدوة لي» في خطبه فأشعر بعمق جراحه التي يعيشها و عمق المعاناة التي يعانيتها..

كنت أقرأه في مواعظه فيرق قلبي و يشف و تعزف نفسي عن الدنيا و ما فيها..

كنت أقرأ علياً في مبادئه الرسالية و عقيدته الإلهية فأتزود شحنة أحس معها أنني من رواد الإسلام الأوائل و طلائع المؤمنين العقائدين..

كنت أقرأ علياً في رسائله و مواقفه.. و كنت أقرأه في شجاعته و سخائه..

كنت و كنت و لكن بالرغم من جميع قراءاتي له لم أشف قلبي كما أريد و لذا وجدت أن ارتوائي من معين علي لن يكون إلا أن أتعاطى مع النهج من أوله إلى آخره فعمدت إلى مراجعته و أخذت على نفسي أن أقرأه فقرأته أكثر من مرة مع أكثر من شرح له و قد كنت أسف كما أسف كثير من شراحه و كنت أخل و أقتضب كما هو



عادة آخرين.. و بعد تجوال طويل و مراجعة رأيت أن أسد بعض الثغرات التي وقعت عند شرح النهج فعمدت إلى الأمور التالية.

1 - إنني استوعبت المعنى اللغوي بتمامه و كماله و يصح أن يسمى قاموس نهج البلاغة فقد بلغت الكلمات اللغوية أكثر من عشرة آلاف كلمة في حين أن أعظم شرح النهج لم تزد كلماتهم اللغوية عن الخمسة آلاف إلا قليلا و قد أردت من وراء ذلك أن أوفر على قراء النهج من أدباء و مثقفين ما كنت أحس بضرورته من حيث أنهم ربما فهموا من المعنى اللغوي إذا توفر لهم ما لم يفهمه أي شارح للنهج و بذلك ربما تتحرك العقول في الوصول إلى شيء جديد قد غاب عن الأولين..

2 - إنني عمدت إلى كل فقرة فشرحتها و لم أتناول الخطبة أو الرسالة أو الكلمة بشكل مجمل و عام فإن ذلك لا يفي بالعرض و لا يؤدي المطلوب...

3 - عمدت اللغة السهلة التي تتوافق و أذواق الناس بدون تطويل أو أطناب بل أدت المعنى بما يتناسب و الفهم العام..

4 - تجنبت ما وقع فيه بعض شراح النهج من التطويل الممل و الدخول في مباحث عقلية و أدبية و عقائدية و غيرها بحيث قد استوعبت من بعضهم مجلدا كاملا و تحول شرح النهج إلى كتاب أدب و تاريخ و عقيدة و خرج عن موضوعه الأصيل..

5 - ترجمت كل من توفر لي ترجمته من شخصيات مرت في النهج و لكن بصورة مختصرة تتناسب و هذا الشرح لئلا نخرج عن الموضوع إلى غيره.

أقول: لهذه الاعتبارات مجتمعة كان شرح نهج البلاغة و أفيا كافيا سهلا يسيرا فمن أراد المعنى اللغوي أدركه بسهولة و من أراد المعنى التفسيري حصل عليه بأبسط ما يكون و من أراد معرفة شخصية من شخصيات النهج وقف عليها بدون عناء...

إنها محاولة لسد الثغرات التي وقعت عند غيري.. أسأل الله أن يوفقنا جميعا و يجعل عملي هذا قربة لوجهه الكريم وأن يجزيني عليه بأحسن الجزاء و ينفعني به يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم و الحمد لله رب العالمين.

لبنان - النبي شيث عباس علي الموسوي (أبو علي) في 5، 1، 1992

ص: 7



## خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) وشرحها

ص: 9



باب المختار من خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) وأوامره ويدخل في ذلك المختار من كلامه الجاري مجرى الخطب في المقامات  
المحضورة، والمواقف المذكورة، والخطوب الواردة

ص: 11



إشارة

يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض، و خلق آدم، وفيها ذكر الحج و تحتوي على حمد الله، و خلق العالم، و خلق الملائكة، و اختيار الأنبياء، و مبعث النبي، و القرآن، و الأحكام الشرعية

حمد الله

إشارة

الحمد (1) لله الذي لا يبلغ (2) مدحته (3) القائلون (4)، و لا يحصي (5) نعماءه (6) العادون (7)، و لا يؤدي (8) حقه (9) المجتهدون (10)، الذي لا يدركه (11) بعد (12) الهمم (13)، و لا يناله (14) غوص (15) الفطن (16)، الذي ليس لصفته (17) حدّ (18) محدود، و لا نعت موجود، و لا وقت معدود، و لا أجل (19) ممدود (20). فطر (21) الخلائق (22) بقدرته، و نشر (23) الرياح (24) برحمته، و وتّد (25) بالصّخور (26) ميدان (27) أرضه.

أولّ الدين (28) معرفته، و كمال (29) معرفته التصديق به، و كمال التصديق به توحيده، و كمال توحيده الإخلاص له، و كمال الإخلاص له نفي (30) الصفات عنه، لشهادة (31) كلّ صفة أنّها غير الموصوف، و شهادة كلّ موصوف أنّه غير الصّفة: فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه (32)، و من قرنه فقد ثناه (33)، و من ثناه فقد جزّاه (34)، و من جزّاه فقد جهله (35)، و من جهله فقد أشار (36) إليه، و من أشار إليه فقد حدّه، و من حدّه فقد عدّه، و من قال «فيم» (37) فقد ضمّنه (38)، و من قال «علام؟» (39) فقد أخلى (40) منه. كائن لا



عن حدث (41)، موجود لا عن عدم (42). مع كلّ شيء لا بمقارنة (43)، وغير كلّ شيء لا بمزايلة (44)، فاعل لا بمعنى الحركات (45) و الآلة (46)، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه، متوحد (47) إذ لا سكن (48) يستأنس (49) به و لا يستوحش (50) لفقده (51).

## اللغة

- 1 - الحمد: المدح.
- 2 - بلغ المكان: وصل إليه و انتهى، أو شارفه.
- 3 - المدحة: بكسر الميم الهيئة التي يكون عليها المدح.
- 4 - القائلون: من القول و هو ما ينطق به الانسان من الكلمات.
- 5 - لا يحصى: من الإحصاء و هو العدّ.
- 6 - النعماء: جمعها أنعم، الصنيعة، المنة، اليد البيضاء الصالحة.
- 7 - العادون: المحصون و الحاسبون.
- 8 - أدى الشيء: بلّغه و أوصله.
- 9 - الحق: خلاف الباطل، ما لزم القيام به.
- 10 - المجتهدون: من اجتهد في الأمر إذا بذل وسعه و طاقته.
- 11 - أدرك الشيء: بلغ وقته و أدرك المسألة فهمها.
- 12 - البعد: يقال فلان بعيد الهمة إذا كان نظره إلى عليات الأمور، و البعد ضد القرب.
- 13 - الهمم: جمع الهمة و هو العزم الشديد.
- 14 - لا يناله: النيل الإصابة.
- 15 - الغوص: النزول تحت الماء و الغطس.
- 16 - الفطن: جمع فطنة جودة الذهن.
- 17 - الصفة: النعت.
- 18 - الحد: المنتهى للشيء.

19 - الأجل: المدة المضروبة للشيء فأجل الدين مدته المضروبة لاستيفائه.

20 - ممدود: مبسوط.

21 - فطر: خلق وابتدع.

ص: 14

- 22 - الخلائق: جمع خليفة، المخلوق، والطبيعة.
- 23 - نشر: النشر هو البسط وهو خلاف الطي.
- 24 - الرياح: جمع ريح وهو الهواء إذا اشتد وقوي وفي القرآن الرياح جمعاً للرحمة والريح أفراداً للعذاب.
- 25 - وتّد: ثبتّ وهو من الوتد.
- 26 - الصخور: الحجارة العظيمة.
- 27 - الميدان: التحرك والاضطراب.
- 28 - الدين: هو الشريعة المنزلة من الله والطاعة، الجزاء.
- 29 - الكمال: التمام وعدم النقصان.
- 30 - نفي: ضد الإيجاب، السلب.
- 31 - الشهادة: المعاينة، الرؤية، الحضور.
- 32 - قرن الشيء: جمعه إلى غيره والقرن الجمع.
- 33 - ثبت الشيء: جعلته إثنين.
- 34 - جزأته: قسمته وجعلته أجزاء.
- 35 - الجهل: عدم العلم والمعرفة.
- 36 - أشار إلى الشيء: دل عليه بإصبعه ونحوها.
- 37 - فيم: أصلها في مع ما الاستفهامية يسأل فيها عن الظرفية.
- 38 - ضمّنه: تضمنه واشتمل عليه.
- 39 - علام: أصلها على مع ما الاستفهامية يسأل فيها عن الظرفية.
- 40 - أخلى المكان: تركه فارغاً.
- 41 - الحدث: تجدد الشيء وجوده بعد إن لم يكن.
- 42 - العدم: ضد الوجود.

43 - المقارنة: الاجتماع.

44 - المزايلة: المفارقة والمباينة.

45 - الحركات: جمع حركة وهي ضد السكون.

46 - الآلة: الوسيلة.

47 - المتوحد: المنفرد وتوحد بالأمر تفرد به.

48 - السكن: الخلود إلى الشيء والاطمئنان إليه.

49 - استأنس: به وفيه، استراح، إليه و مال طبعه إليه ولم ينفر منه.

50 - استوحش: ضد استأنس.

51 - لفقده: فقد الشيء - عدم وجوده و حضوره.

ص: 15

(الحمد لله) هذا على العادة في الخطابة وافتتاح الكلام حيث جرت الأمور أن يبدأ الكلام بالحمد لله و الثناء عليه.. و الحمد يجب أن يكون بالأقوال و الأفعال و القلوب و قد روي عن الصادق عليه السلام كما في الكافي للكليني أنه قال: ما أنعم الله على عبده بنعمة صغرت أو كبرت فقال: الحمد لله، إلا أدى شكرها..

(الذي لا يبلغ مدحته القائلون) هذا إقرار بالعجز و أنه مهما أثنى على الله و مدحه بمختلف المدح فإن ذلك يبقى عصاره قصوره و ما يملك من تصور بشري محدود دون ما يستحق الله و ما هو أهله..

(و لا يحصى نعماءه العادون): نعم الله لا تعد و لا تحصى و هذا مأخوذ من قوله تعالى «وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» (1)...

و قد أنعم الله على هذا الانسان بنعم ظاهرة و أخرى باطنة قال تعالى: (2)

«وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً» و الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة و الباطنة ما لا يعلم إلا بدليل أو لا يعلم أصلاً.

(و لا يؤدي حقه المجتهدون) فمهما تفرغ الانسان و بذل طاقته و جد و اجتهد فإنه لن يؤدي حق الله و ما وجب عليه نحوه لأنه متفضل متكرم، منعم ابتداء و من ابتدأ بالنعم لا تستطاع مكافأته و أداء حقه.

(الذي لا- يدركه بعد الهمم) فمهما كانت العزائم كبيرة و الأفكار عالية و عميقة في إدراكها فلن تدرك كنه الله أو تصل إلى شيء من خصائص الواقعية.

(و لا يناله غوص الفطن) لا تصل إليه أو تدركه دقة الذهن و جودته مهما سبحت في بحار المعرفة و اغترفت من العلم لأنها لا تستطيع الوصول إلا إلى ما تتصوره و ترسمه في ذهنها من خلال الحس أو التخيل و الله سبحانه منزه عن ذلك و في الحديث عن الباقر عليه السلام «و هل سمي عالماً قادراً إلا- لأنه وهب العلم للعلماء و القدرة للقادرين فكل ما يميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم و الباري تعالى و اهب الحياة و مقدر الموت و لعل النمل الصغار تتوهم أن لله تعالى زبانيين فيها كما لها

ص: 16

1- سورة النحل، آية، 18.

2- سورة لقمان آية، 28.

فإنها تتصور أن عدمهما نقصان لمن لا يكونان له وهكذا الانسان يتصور ربه بما يملك من تصور قاصر عاجز..

(الذي ليس لصفته حد محدود) فصفاته الذاتية من العلم والقدرة والحياة وغيرها من الصفات ليس لها غاية أو حد تقف عنده، فلا نستطيع أن نحدد قدرته بحدود معينة ولا علمه ولا حياته.

(ولا نعت موجود) وهذه العبارة قريبة المعنى من قوله ليس لصفته حد محدود إن لم نقل أن المعنى واحد فإن النعت هو الوصف بأكمل الصفات وأجملها ولا نستطيع أن ننتع الله بأي صفة موجودة نعرفها لقصورها لأنها تحكي عن الخارج أو ما في الذهن والله منزه عن أن يحيط به الانسان أو يحسه..

(ولا وقت معدود ولا أجل ممدود) فلا يقال كم له من الزمن؟ وكم مضى له؟ وإلى كم يبقى ويدوم؟ لأنه أزلي أبدي سرمدي ليس له ابتداء ولا انتهاء وكيف توّقت له وهو خالق الوقت والزمان؟!..

وفي الحديث عن أبي عبد الله (ع) قال: جاء خبر من الأحبار إلى أمير المؤمنين (ع) فقال: يا أمير المؤمنين: متى كان ربك؟ فقال: ثكلتك أمك و متى لم يكن حتى يقال متى كان، كان ربنا قبل القبل بلا قبل وبعد البعد بلا بعد ولا غاية ولا منتهى لغاية انقطعت الغايات عنده فهو منتهى كل غاية.

فقال: يا أمير المؤمنين أفنبي أنت؟.

فقال: و يلك إنما أنا عبد من عبيد محمد (صلى الله عليه وآله).

(فطر الخلائق بقدرته) بعد أن انتهى من نفي الصفات السلبية لله ثنى بها ذكر الصفات الثبوتية فلعظيم قدرته التي لا تحدّ خلق الخلائق كلها و ابتدئها من اللاشيء وإنما قال لها كوني فكانت و هذا من قوله تعالى(1)«الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ» .

(و نشر الرياح برحمته) أي وزعها في الكون و على الأحياء ليحيا بها الوجود فإن منافعها لا تعد و لا تحصى و هذا من قوله تعالى(2)«وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ» و ما جاءت في القرآن جمعا إلا للرحمة بينما لم تأت في الأفراد إلا للعذاب.7.

ص: 17

1- سورة الإسراء، آية - 51.

2- سورة الأعراف، آية - 57.

قال تعالى «وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ» (1) فأفردتها بينما قال في الرحمة «يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ» (2) فجمعها...

(و وتد بالصخور ميدان أرضه) جعل الجبال الضخمة أو تادا للأرض كي تثبت مكانها فلا تضطرب أو تهتز هزات تمتنع الحياة معها و هذا من قوله تعالى «وَأَلْجِبَالَ أُوْتَادًا» (3).

(أول الدين معرفته) أول واجب لمن يريد السير في طريق الله و الالتزام بأمره أن يعرف الله لأن الطاعة تقتضي معرفة المطاع و امتثال الأمر يقتضي معرفة الامر و إلا كيف يطاع الأمر مع مجهولية الأمر؟ و في الحديث أن حبرا سأل أمير المؤمنين بقوله: هل رأيت ربك حين عبدته؟ أجاب بقوله: وملك ما كنت أعبد ربا لم أره؟ قال: و كيف؟ قال:

وملك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار و لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان.

ثم لما كانت هذه المعرفة تختلف بحسب مراتبها أشار إلى أعظمها.

(و كمال معرفته التصديق به) المعرفة الكاملة هي تلك التي يتيقن الانسان من خلالها بوجود الله يقينا لا يتزلزل أو يضطرب أو يعرض له شك و هذه أيضا لها مراتب أعلى منها أشار عليه السلام إليها بقوله:

(و كمال التصديق به توحيده) إذ ربما آمن الانسان بوجود إله واجب الوجود و لكن أشرك معه غيره كالنصارى و اليهود فتكون معرفته غير كاملة فعند ما ينفي عنه الشريك و يوحد في الذات و يفرد في الصفات يكون إيمانه أكمل و أعظم..

و هناك مرتبة من المعرفة أعظم من هذه أيضا أشار إليها بقوله:

(و كمال توحيده الإخلاص له) و الإخلاص له يعني جعله خالصا من كل عيب و نقص و يتحقق ذلك بنفي الجسمية و العرضية و لوازمهما و هذا الإخلاص له مرتبة عظمى أشار إليها بقوله:

(و كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه) فلا يصفه سبحانه بصفات مغايرة لذاته أو ناقصة في ذاتها كأن يصفه بالظلم و العجز و غيرها من الصفات التي تنزه عنها.7.

ص: 18

1- سورة الحاقة، آية - 6.

2- سورة الروم، آية - 46.

3- سورة النبأ، آية - 7.

و يتلخص من ذلك بحسب الترتيب السابق أن كمال المعرفة إنما يكون بنفي الصفات غير اللائقة بذات الله أو المنفصلة عنه التي هي غير عين الذات ثم أنه عليه السلام برهن على نفي هذه الصفات و تنزه الله عنها و أنها لا تليق به و لا يمكن أن يتصف بها بقوله:

(لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف و شهادة كل موصوف أنه غير الصفة) فإن العقلاء و أصحاب الفكر يعرفون أن الصفة غير الموصوف، و الموصوف غير الصفة، فالكرم غير زيد، و زيد غير الكرم، فهما متغايران، و الذات متقدمة على الصفة و منفصلة عنها و لا تقوم الصفة مستقلة برأسها بدون ذات، و من يصف الله بغير ما هو أهل له من الصفات فقد وقع في الشرك و كان إيمانه مشوبا بكثير من الأوهام الباطلة و لذا أراد عليه السلام أن ينفي هذا التوهم الفاسد و يصحح الرؤية على الوجه السليم فقال:

(فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه) من وصف الله بغير صفاته الذاتية أو جعل صفاته مغايرة له فقد قرنه إلى غيره و جمعه معه و الله منزه عن القرين.

(و من قرنه فقد ثناه) من قرنه بغيره فقد جعله ثاني إثنين و الله واحد لا شريك له و لا نَدَّ يساويه أو يضاده.

(و من ثناه فقد جزأه) من جعله ثاني إثنين فقد جزأه و قسّمه بحيث جعله بما يشترك فيه مع غيره و بما يفترق فيه عن غيره و هذه تجزئة له..

(و من جزأه فقد جهله) و هذه نتيجة طبيعية للتجزئة و دليل على عدم المعرفة و أن من جزأه لم يعرفه معرفة كاملة لأن معرفة الله تقتضي توحيد بالذات و توحيد أيضا بالصفات. و ينشأ من هذا الجهل أمور كثيرة تضل الانسان و تحرفه عن الاستقامة في التفكير و النظر و أشار إليها الإمام بقوله:

(و من جهله فقد أشار إليه) من جهل الله و لم يعرفه معرفة كاملة توهمه في ذلك و تخيل له صورة معينة و هذا التوهم و التخيل يشار إليه معنويا أو حسيا.

(و من أشار إليه فقد حده) جعله جسما محدودا مؤظرا بالأبعاد الجسمية من الطول و العرض و الارتفاع و العمق و هذا هو مقتضى الإشارة فلا بد و أن يكون المشار إليه محدودا بجهة و له مشخصات تعيّنه..

(و من حده فقد عدّه) من حده بحدود الزمان و المكان فقد أحصاه و حصره في رقم معين لأن كل محدود معدود.



(و من قال فيم فقد ضمّنه و من قال علام فقد أخلى منه) و هذا زجر و منع عن الاستفهام بهاتين الصيغتين لأن الاستفهام - بفيم - سؤال عن وجوده في زمان أو مكان معين يتضمّنه و يضمه و يحتويه و باعتبار امتناع المكان و الزمان عليه - و هو خالق الزمان و المكان - امتنع السؤال عنه - بفيم - .

و أما سؤال الاستفهام - بعلام - فباعتبار أنه يسأل فيها عن العلو و المكانة المرتفعة فعند ما يستفهم هل الله على العرش أو الكرسي فقد أخلى منه سائر الأمكنة الأخرى و الله في كل مكان و في كل زمان فلا يصح الاستفهام عن وجوده في جهة معينة لأنها تستلزم خلوه من الجهات الأخرى..

(كائن لا عن حدث) الحادث هو الموجود بعد إن لم يكن و الله منزّه عن ذلك فهو منذ الأزل بدون حدوث لأن الحادث عرضة للتقلبات و أيضا محتاج إلى محدث و الله غني بذاته منزّه عن ذلك.

(موجود لا عن عدم) فهو موجود دون أن يسبقه عدم ليس على مستوى الموجودات فإنها كلها لم تكن ثم وجدت و الله منزّه عن ذلك لأنه الغني و من طرأ عليه عدم احتاج إلى الوجود فهو ممكن و الله موجود دون أن يسبق بالعدم..

(مع كل شيء لا بمقارنة) يعلم كل شيء من أصغر الأمور إلى أكبرها و من أحقرها إلى أعظمها و هو مع كل شيء مصاحب له شاهد عليه و في التنزيل (و هو معكم أينما كنتم) و يصف قربه من الانسان بقوله تعالى «و نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» و في الحديث أن ابن أبي العوجاء سأل الصادق في محاورته قال: ذكرت الله فأحلت على غائب..

فقال الصادق (ع): و بلك كيف يكون غائبا من هو مع خلقه شاهد و إليهم أقرب من حبل الوريد يسمع كلامهم و يرى أشخاصهم و يعلم أسرارهم.

فقال ابن أبي العوجاء: أهو في كل مكان؟ أليس إذا كان في السماء كيف يكون في الأرض، و إذا كان في الأرض كيف يكون في السماء؟!.

فقال أبو عبد الله (ع): إنما وصفت المخلوق الذي إذا انتقل عن مكان اشتغل به مكان و خلا منه مكان فلا يدري في المكان الذي صار إليه ما حدث في المكان الذي كان فيه، فأما الله العظيم الشأن الملك الديان فلا يخلو منه مكان و لا يشتغل به مكان و لا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان.

(وغير كل شيء لا بمزايلة) فهو غير الأشياء لأن كل ما عداه سبحانه حادث بعد العدم و أما هو فهو المنزه عن ذلك، هو الصانع و الخالق؟ و مزايلته لها أي مفارقتها لهذه المصنوعات ليس على حد مفارقتها لبعضها و كون وجود أحدها ينفي الآخر و يعانده - لأنه سبحانه خالق الأشياء و محدثها فلا تقف في طريقه أو تعانده.

(فاعل لا بمعنى الحركات و الآلة) إذا أراد أمرا يتحقق المراد فوراً «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه الناس من يد و جارحة و آلة يستعين بها لتحقيق ما يريد و فعل ما يطلب.

(بصير إذ لا منظور إليه من خلقه) فهو يعلم كل شيء و ما سيكون و يجري قبل وقوعه و حدوثه، يعلم ما يخلق قبل خلقه الخلق.

(متوحد إذ لا سكن يستأنس به و لا يستوحش لفقده) فالله متوحد في سلطانه لا يشاركه في ملكه أحد لا يحتاج إلى من يستأنس به و يرتاح إليه كما أنه لا يستوحش لفقد أحد و غيابه لأن هذه الأمور من احتياجات الممكنات و حالاتها و الله غني بالذات لا يقاس بالناس..

## خلق العالم

### إشارة

أنشأ الخلق إنشاءً، و ابتدأه ابتداءً، بلا رويّة (1) أجالها (2)، و لا تجربة استفادها، و لا حركة أحدثها، و لا همامة (3) نفس اضطرب فيها. أحال (4) الأشياء لأوقاتها، و لأم (5) بين مختلفاتها، و غرّز (6) غرائزها (7)، و ألزمها أشباحها (8)، عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها و انتهائها، عارفاً بقرائنها (9) و أحنائها (10). ثمّ أنشأ - سبحانه - فتق (11) الأجواء (12)، و شقّ الأرجاء (13)، و سكّانك (14) الهواء، فأجرى فيها ماء متلاطماً (15) تيّاره (16)، متراكماً (17) زخّاره (18). حمّله على متن (19) الرّيح العاصفة، و الرّعزع (20)

القاصفة، فأمرها برده، و سلطها على شدة (21)، وقرنها إلى حدّه. الهواء من تحتها فتيق (22)، و الماء من فوقها دفيق (23). ثم أنشأ سبحانه ريحا اعتقم (24) مهبتها (25)، و أدام مربها (26)، و أعصف (27) مجراها، و أبعد منشأها، فأمرها بتصفيق (28) الماء الزّخار، و إثارة موج البحار، فمخضته (29) مخض السّقاء (30)، و عصفت به عصفها بالفضاء. تردّ أوله إلى آخره، و ساجيه (31) إلى مائره (32)، حتّى عبّ (33) عبابه (34)، و رمى بالزّبد (35) ركامه (36)، فرفعه في هواء منفتق (37)، و جوّ منفتق (38)، فسوّى منه سبع سموات، جعل سفلاهنّ موجا (39) مكفوفاً (40)، و علياهنّ سقفا (41) محفوظا، و سمكا (42) مرفوعا، بغير عمد (43) يدعمها (44)، و لا دسار (45) ينظمها (46). ثمّ زينها (47) بزينة الكواكب، و ضياء الثّواقب (48)، و أجرى فيها سراجا (49) مستطيرا (50)، و قمرا منيرا: في فلك دائر، و سقف سائر، و رقيم (51) مائر (52).

## اللغة

- 1 - الروية: الفكر و التدبر.
- 2 - أجالها: أدارها و ردها.
- 3 - همامة النفس: الاهتمام، التردد.
- 4 - الاحالة: التحويل و التغيير من حال إلى حال.
- 5 - لأم: جمع و قرن.
- 6 - غرزها: جعلها غراتز.
- 7 - الغريزة: الطبيعة.
- 8 - الأشباح: الأشخاص.
- 9 - القرائن: جمع القرينة و هي النفس الناطقة أو من القرونة بمعنى الضعف و الفساد.
- 10 - الاحناء: جمع حنو الجوانب.

- 11 - فتق: الفتق ضد الرتق و هو الشق.
- 12 - الأجواء: ما بين السماء والأرض، الفضاء الواسع.
- 13 - الأرجاء: النواحي والجوانب.
- 14 - السكائك: جمع سكاكة الهواء الملاقي عنان السماء، أعلى الفضاء.
- 15 - المتلاطم: من اللطم و هو الضرب بباطن اليد على الوجه و المتلاطم المتضارب.
- 16 - التيار: الموج، و شدة جري الماء في ناحية.
- 17 - المتراكم: كل شيء بعضه فوق بعض فهو متراكم.
- 18 - زخّاره: الزخّار مبالغة في الزاخر و هو الممتلئ.
- 19 - المتن: الظهر.
- 20 - الزعزع: من الزعزعة و هي تحريك الشيء و جعله متخلخلا غير متماسك، أو الشديدة الهبوب.
- 21 - الشد: الوثاق و منع الحركة.
- 22 - فتيق: المفتوق، المنبسط.
- 23 - الدفيق: المدفوق، المسفوح.
- 24 - أعقم: من العقم و هي علة تمنع الإنجاب و الثمر.
- 25 - المهب: وقت هبوبها أو مكانه.
- 26 - مرّبها: من أربّ بالمكان إذا لزم و أقام به.
- 27 - أعصف: جعلها عاصفة ذات صوت شديد يقال عصفت الريح.
- 28 - تصفيق: و هو الضرب الذي له صوت.
- 29 - مخضّة: من المخض و هو التحريك و مخضت اللبن إذا حركته لاستخراج زبدته.
- 30 - السقاء: الوعاء يوضع فيه الماء كالقربة.
- 31 - الساجي: الساكن.

32 - المائر: من مار الشيء إذا تحرك بسرعة.

33 - عب: ارتفع.

34 - العباب: كثرة الماء و طغيانه.

35 - الزبد: ما يعلو الماء من جراء الجري أو الحركة.

36 - ركامه: من الركام و هو الشيء المجمع بعضه فوق بعض.

37 - منفتق: مشقوق.

38 - منفتق: مفتوح واسع.

39 - الموج: جمعه أمواج ما ارتفع من الماء على سطحه.

ص: 23

40 - المكفوف: الممنوع من السقوط والسيلان.

41 - السقف: من البيت أعلاه مقابلاً لأرضه.

42 - السمك: السقف، و السموك و الارتفاع.

43 - العمد: جمع عمود.

44 - يدعمها: دعامة البيت عموده و ما يدعمه و يمنعه عن السقوط.

45 - الدسار: المسمار.

46 - ينظمها: يؤلفها و يجمعها.

47 - الزينة: الاسم من تزين ما يتزين به.

48 - الثواقب: المنيرة المشرقة.

49 - السراج: إناء يجعل فيه زيت و نحوه ثم يشعل فيضيء.

50 - المستطير: المنتشر.

51 - الرقيم: من الرقم و هو الكتابة و النقش سمي الفلك بذلك لأنه مرقوم بالكواكب.

52 - المائر: المتحرك.

## الشرح

(ثم أنشأ الخلق إنشاءً و ابتداءً ابتداءً) أراد عليه السلام أن يذكر عظمة الله و بديع صنعه و كيف يتجلى ذلك في خلق العالم، أنه خلقه خلقاً بديعاً لا نظير له و لا مثيل بقوله كَرَّ فَكان، أنه خلقه من لا شيء و بدون نظير أو شبيه تقدم عليه.

(بلا روية أجالها) فلم يعمل فكره و يشغل نظره و لا احتاج في خلقه إلى إدارة عجلة العقل بين المعلوم و المجهول للحصول على المراد كما هي عادة البشر و فاعلية مسيرة المخترعين و الصنّاع.

(و لا تجربة استفادها) لم يكرّر فعله و يصحّح ما وقع منه من خطأ على طريقة البشر في تجاربهم حيث يجرون ذلك و يكررونه ليصلوا إلى الحقائق فالله منزّه عن ذلك لغناه الذاتي.

(و لا حركة أحدثها) و الحركة من خواصّ الأجسام و طبيعتها و الله منزّه عن الجسمية.

(ولا همامة نفس اضطرب فيها) ليس عنده اهتمام نفسي يأخذه كما يأخذ الناس الاهتمام لأهمية القضية التي يفكرون فيها وبكلمة جامعة أن هذه الأمور الأربعة - الروية والتجربة والحركة وهمامة النفس - أنها كلها تجري على البشر والله منزه عنها...

(أحال الأشياء لأوقاتها) جعل الأشياء تحل في أوقاتها المناسبة فلما كان هذا في المكان الفلاني ولما ذا وجد الآن ولم يوجد من قبل، فهذا للحكمة يعلمها الله؛ وجد في هذا الزمان فالمصلحة اقتضت إيجاده في وقته المناسب اللائق.

(ولأم بين مختلفاتها) فلقدرة الله العظيمة جعل سبحانه تلاؤما وانسجاما بين العناصر المختلفة كما هو الحال في البدن والروح مع اختلافهما وتنافرهما من حيث أن أحدهما مادة والأخرى لا مادة.

(وغرّز غرائزها) ركّز في جبلة كل شيء وتكوينه طبيعة ذاتية تحركه للحفاظ على حياته وامتداده من بعده فلكل طبيعته فالأسد من طبعه الشجاعة والثعلب المكر والأرنب الجبن..

(وألزمها أشباحها) جعل هذه الغرائز ملازمة لاشخاصها وأشياءها كما قلنا من حيث أن الحمار طبيعته البلادة والقرود الذكاء وحسن التمثيل والأداء والانسان قوة الفكر والإرادة وهكذا لكل مخلوق غريزة خاصة به...

(عالما بها قبل ابتدائها) قبل إيجاده لها يعلمها ويعلم خصوصياتها وأنه متى يوجد لها وإلى متى ستدوم وفي أي وقت تنتهي وعلمه قبل إيجادها كعلمه بها بعد إيجادها لأنه العالم المطلق والكمال المطلق.

- وفي التوحيد عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول:

«كان الله ولا شيء غيره ولم يزل عالما بما كونه، فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد ما كونه».

- وعن ابن مسكان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الله تبارك وتعالى أكان يعلم المكان قبل أن يخلق المكان أو علمه عند ما خلقه وبعد ما خلقه؟ فقال: تعالى الله بل لم يزل عالما بالمكان قبل تكوينه كعلمه به بعد كونه وكذلك علمه بجميع الأشياء كعلمه بالمكان.

(محيطا بحدودها وانتهاؤها) إحاطته سبحانه هو علمه بأطراف الأشياء وحدودها وما تنتهي إليه وما تقف عنده.

(عارفا بقرائنها و أحنائها) فإنه سبحانه يعلم بنفوس هذه الغرائز التي ألزمها أشباحها و عارف بجهاتها و سائر أحوالها المتعلقة بها و الصادرة عنها.

(ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء و شق الأرجاء و سكائك الهواء) و هذا تفصيل لمخلوقات الله و أن هذا الكون خلقه الله و ابتدأه من لا شيء و قد أشار بعضهم إلى أن هذه العبارات تشير إلى معنى واحد.

و هو الفضاء و أن لهذا الفراغ أبعادا ثلاثة علوا و أوما الإمام إليه بالأجواء و أطرافا و هي مراده من الأرجاء و طبقات و عبر عنها بالسكانك..

(فأجرى فيها ماء متلاطما تياره متراكما زخاره) إنه سبحانه أجرى في أبعاد الكون الثلاثة المتقدمة ماء يضرب بعضه البعض و يعلو بعضه فوق بعض لشدة حركته فهو ليس ساكنا بل هائجا مضطربا..

(حملة على متن الريح العاصفة و الزعزع القاصفة) ثم حمل الماء على الريح الشديدة القوية هذه الريح لشدتها تززع الأشياء عن أماكنها و تقصف الأشياء لشدتها فالماء على تلك الريح الهوج العاصفة.

(فأمرها برده و سلطها على شده و قرننها إلى حده) و الله سبحانه أمر الريح أمرا تكوينيا بقوله «كن»، أمرها أن ترد الماء فلا يسيل أو يسقط و جعل لها القوة و السلطان في أن تشده إليها و توثقه فلا يهبط كما جعل هذه الريح محيطية بجوانب الماء و أطرافه..

(الهواء من تحتها فتيق و الماء من فوقها دفيق) فالهواء منبسط لا شيء تحته يحمله بينما الماء ينصب و يتدفق من فوقها.

قال العلامة المجلسي: و الغرض أنه سبحانه بقدرته ضبط الماء المصبوب بالريح الحاملة له كما ضبط الريح بالهواء المنبسط و هو موضع العجب.

(ثم أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها) أي أنشأ و خلق فوق ذلك الماء ريحا عقيما لا تعطي ماء..

(و أدام مربها) جعلها ملازمة لتحريك الماء.

(و أعصف مجراها) أي جعل جريانها و هو حركتها شديدة قوية.

(و أبعد منشأها) جعلها بعيدة المدى و المكان بحيث لا يعرف ثم سلطها على ذلك الماء.



(فأمرها بتصفيق الماء الزخار وإثارة موج البحار) فمهمة هذه الرياح أن تضرب الماء الكثير ببعضه ببعض تضربه بشدة وقوة و تحرك أمواج البحار و تنقله من مكان إلى آخر.

(فمخضته مخض السقاء و عصفت به عصفتها بالفضاء) حركته كما يحرك الوعاء الذي يستعمل في استخراج الزبدة من اللبن فيحرك بكثرة و عجلة و هذه الرياح لشدتها و قوتها كأنها في الفضاء الذي ليس فيه مانع يمنعها فهي تتحرك بقوة و شدة و من شدتها و قوتها أنها:

(ترد أوله إلى آخره) فتقل الأول إلى الآخر و تخلطه ببعضه.

(و ساجيه إلى مائه) فتضع ساكنه على متحركه و هادئه على مندفعه.

(حتى عب عبابه و رمى بالزبد ركامه) فمن شدة هذه الحركة ارتفع معظمه و غالبه و ما تراكم منه وقع زبدا متراكما.

(فرفعه في هواء منفتح و جو منفتح) و هذا الزبد المتراكم من شدة الحركة قد رفعه الله بخارا محمولا على الهواء و في الفضاء المتسع.

(فسوى منه سبع سموات جعل سفلاهن موجا مكفوها) فمن ذلك الزبد المتراكم الذي ارتفع في الفضاء خلق الله منه سبع سماوات و جعل أسفلهن ماء محفوظا من السقوط و السيلان و للشرائح و جوه كثيرة فبعضها:

أن كون السماء السفلى موجا أما بعنوان الحقيقة حسبما اختاره قوم مستدلا بمشاهدة حركة الكواكب المتحيرة و كونها مرتعدة مضطربة في مرئى العين.

و قال آخر هي للتشبيه شبه السماء الدنيا بالموج لصفائها و ارتفاعها أو أراد أنها كانت موجا ثم عقدها.

و قال ثالث: استعار لفظ الموج للسماء لما بينهما من المشابهة في العلو و الارتفاع و ما يتوهم من اللون..

(و عليها سقفا محفوظا و سمكا مرفوعا بغير عمد يدعمها و لا دسار ينظمها) جعل السماء العليا سقفا لغيرها لأنها أعلى من الجميع و جعل هذا السقف الذي هو السماء العليا لا يهدم و لا يخرق و يحفظ ما تحته من التأثير و للشرائح مناهج شتى في هذه العبارة.

فمنهم من قال: أنها محفوظة من الشياطين و بعضهم رد على هذا بأنه لو كان المراد

بالحفظ هو حفظها من الشياطين فإنه لا يناسب العليا بل السفلى و جاء آخر فردّ على هذا الرد بأن محفوظة السفلى إنما كان بعد ولادة النبي وهكذا... و باعتبار أنه صلوات الله عليه يتكلم عن الأمور التكوينية و خلق العالم فالأقرب ما ذكرناه..

و هذه السماوات ارتفعت و وقفت كما ترى بدون عمد تعتمد عليها أو تستند إليها كما هو المشاهد فإن الله سبحانه هو الذي أمسكها أن تقع و جعل لها نوايس و قوانين طبيعية تحفظها من السقوط و هذا القول من الإمام مستمد من قوله تعالى «اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا» (1). فبدون عمد و بدون مسامير تثبتها و تنظمها و تحفظها بالشكل الصحيح كما هو المشاهد عند من يرفع سقفا أو يريد أن ينصب راية في الأعالي..

(ثم زينها بزينة الكواكب و ضياء الثواقب) فإنه سبحانه قال: «إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ» (2) و ما أجمله من منظر بديع حيث تترأى للناس أنوار الكواكب من بعيد بعيد في صورة ربانية كريمة حيث تجد السماء قد رصّعت بالنجوم و هناك بعض الكواكب التي تنفرد من حيث تثقب بأنوارها ظلّمت الليل و سواده..

(و أجرى فيها سراجا مستطيرا) و هو الشمس فإنها سراج يضيء في الدنيا و ينتشر ضوؤها في كل مكان كما قال تعالى «وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا» (3).

(و قمرا منيرا) ينير الدنيا و يزيدها بهجة و سرورا فما أجمل الليالي المقمرة حيث يطيب السمر مع الأحباب و الخلان. قال تعالى: (4) «وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا» .

(في فلك دائر و سقف سائر و رقيم مائر) فالفلك يتحرك و السماء تتحرك و الرقيم و هو اللوح سمي الفلك بذلك لأنه يترأى مسطحا كاللوح.. و هذه كلها تتحرك و لا تتنافى مع حركة الكواكب نفسها..1.

ص: 28

1- سورة الرعد، آية - 2.

2- سورة الصافات، آية - 6.

3- سورة نوح، آية - 16.

4- سورة الفرقان، آية 61.

إشارة

ثم فتق (1) ما بين السموات العلا، فملاًهنّ (2) أطوارا (3) من ملائكته (4)، منهم سجود (5) لا-يركعون، وركوع لا ينتصبون (6)، و صافّون (7) لا-يتزايلون (8)، و مسبّحون (9) لا-يسأمون (10)، لا يغشاهم (11) نوم العيون، و لا سهو (12) العقول، و لا-فترة (13) الأبدان، و لا غفلة التسيان (14). و منهم أمناء (15) على وحيه (16)، و ألسنة إلى رسله، و مختلفون (17) بقضائه و أمره، و منهم الحفظة لعباده، و السدنة (18) لأبواب جنانه. و منهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم، و المارقة (19) من السماء العليا أعناقهم (20)، و الخارجة من الأقطار (21) أركانهم، و المناسبة لقوائم (22) العرش أكتافهم (23) ناكسة (24) دونه أبصارهم، متلفعون (25) تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم و بين من دونهم حجب (26) العزة، و أستار القدرة. لا يتوهّمون ربّهم بالتصوير، و لا يجرون (27) عليه صفات المصنوعين، و لا يحدّونه (28) بالأماكن، و لا يشيرون إليه بالتظائر (29).

اللغة

1 - الفتق: الشق و هو ضد الرثق.

2 - ملاً الشيء: وضع فيه قدر ما يسع فامتلاً.

3 - أطوارا: أصنافا.

4 - الملائكة: أجسام روحانية لا ترى.

5 - السجود: وضع الجبهة على الأرض.

6 - الانتصاب: القيام.

7 - صافون: منتظمون إذا صفت الشيء و نظمته.

ص: 29

- 8 - لا يتزايلون: لا يتفارقون و المزايلة المفارقة.
- 9 - مسبحون: من التسيح و هو التنزيه.
- 10 - لا يسأمون: لا يملون و يضجرون.
- 11 - لا يغشاهم: لا يصيبهم و لا يأتيهم و غشاه غطاه.
- 12 - السهو: الغفلة، إذا غاب الشيء عن فكر الإنسان و باله.
- 13 - الفترة: الانكسار و الضعف.
- 14 - النسيان: ضد الحفظ.
- 15 - أمناء: جمع أمين و هو الحافظ لما كلف به الذي لا يخون.
- 16 - الوحي: كلام الله إلى الأنبياء.
- 17 - اختلف: إليه تمرد عليه.
- 18 - السدنة: جمع سادن و هو الخادم.
- 19 - مرق السهم: نفذ و خرج.
- 20 - الأعناق: جمع عنق ما بين الرأس و البدن.
- 21 - الأقطار: الأطراف.
- 22 - القوائم: رجلي الدابة و يديها و تطلق على ما يقوم عليه السير.
- 23 - الأكتاف: جمع كتف عظم عريض خلف المنكب (مؤنث).
- 24 - نكس رأسه: طأطأه إلى الأرض.
- 25 - متلفعون: تلفع بالشوب التحف به.
- 26 - الحجب: جمع حجاب الستر و كل ما يحجب.
- 27 - لا يجرون: لا يوقعون و لا يصفون.
- 28 - لا يحدونه: لا يميزونه و لا يعرفونه أو لا يحصرونه بالأماكن.

## الشرح

## إشارة

البحث في الملائكة و حقيقتهم و أنواعهم و أدوارهم لا موجب له بعد أن كانت من الأمور الغيبية و لولا الرسل و الأنبياء و ما أخبروا به عن الله لما كنا ملزمين بالإيمان بوجودهم و سنمر في نهاية هذا الفصل على بعض ما ورد من الأحاديث عنهم. و الإمام هنا يذكر الملائكة و بعض أصنافهم و أدوارهم ترغيباً للعباد بالعبادة و التوجه إلى الله و أخذ العبرة من عظمة الله و قدرته.

ص: 30

(ثم فتق ما بين السموات العلا فملاهن أطوارا من ملائكته) ثم إنه سبحانه شق ما بين السموات العلا أماكن للملائكة فملاها بهم أشكالا مختلفة...

وقد قسم الإمام الملائكة إلى أربعة أصناف.

الأول: أهل العبادة وهؤلاء أيضا أصناف وكل صنف اتخذ نوعا من العبادة لله توجه بها إليه.

(منهم سجد لا يركعون) فعبادتهم الدائمة وسجودهم الدائم لله بحيث لا يخرجون عنه إلى غيره.

(وركوع لا ينتصبون) عبادتهم لله الركوع له على الدوام بحيث لا يخرجون عنه معتدلين ليخرجوا عن العبادة المرسومة لهم...

(وصافون لا يتزايلون) وصنف منتظمون في الصلاة صفوفًا لا يفارقون أماكنهم ولا يخرجون منها..

(ومسبحون لا يسأمون) وصنف عبادتهم تنزيه الله عن كل نقص بدون ملل أو ضجر.

(لا يغشاهم نوم العيون) لا يأتيهم النوم كما يأتي الناس بل هم يحيون الليل ويصلونه بالنهار فدوامهم ليلا نهارا.

(ولا سهو العقول ولا فترة الأبدان ولا غفلة النسيان) فإن هذه الحالات تطرأ على مزاج الإنسان الخاضع لعوامل التأثيرات والملائكة ليست كذلك فلا تتعرض عقولها للسهو ولا أبدانها للتعب والكسل ولا ينتابها غفلة من نسيان كما يتعرض لذلك الإنسان.

الثاني: من أقسام الملائكة: هم السفراء الموكلون بنقل ما أراد الله إلى الرسل والأنبياء.

(و منهم أمناء على وحيه وألسنة إلى رسله) فمن الملائكة قسم أئمتهم الله على وحيه وما يريد إبلاغه لأنبيائه وهؤلاء هم ألسنة الصدق الذين يفصحون عن مراد الله إلى الرسل فلا يزيدون فيما كلفوا به ولا ينقصون منه شيئا بل يؤدونه إلى الأنبياء كاملا تاما غير منقوص.

(و مختلفون بقضائه وأمره) يترددون على الرسل بما كتبه الله على خلقه وقدره عليهم وبما أراد بتبليغه للناس من أمر ونهي وما يسنه من تشريع...

الثالث: وهذا ثالث الأقسام من الملائكة.

(و منهم الحفظة لعباده و السدنة لأبواب جنانه) و هؤلاء هم الذين يحفظون العباد من التردى و الوقوع فى الهلكات كما قال تعالى «لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِّنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ» (1).

و عن الإمام الباقر:

و سدنة أبواب الجنة هم خدمة الجنة الموكلون بفتح أبوابها لأهلها قال تعالى:

«و سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ» (2).

الرابع: و هذا رابع الأقسام من الملائكة و هذه صفتهم.

(و منهم الثابتة فى الأرضين السفلى أقدامهم و المارقة من السماء العليا أعناقهم) و من كان طوله بهذا الشكل الرهيب يجب أن يعتد به و خصوصا إذا انضم إليه العرض الذى أشار إليه بقوله:

(و الخارجة من الأقطار أركانهم و المناسبة لقوائم العرش أكتافهم) قال بعضهم يشبه أن يكون المقصود بهم من خلال هذه الأوصاف هم حملة العرش و لكن مع هذا الطول و هذه الضخامة هم فى غاية الذل و الضراعة لله و من خضوعهم و خوفهم و اشفاقهم لا- يرفعون رؤوسهم و إنما هى:

(ناكسة دونه أبصارهم) لا يرفعون طرفهم نحوه خجلا و حياء من حضرته و خوفا و فرقا من هيئته.

(متلفعون تحته بأجنحتهم) و للملائكة أجنحة قال تعالى:

«أُولَىٰ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعًا» (3) و قد أشار الإمام إلى أنهم حياء من الله يلقون أجسادهم بأجنحتهم و هم قيام تحت العرش..

(مضروبة بينهم و بين من دونهم حجب العزة و أستار القدرة) فبينهم و بين أصناف الملائكة الأخرى الذين دون مرتبتهم أو بينهم و بين البشر موانع تحجبهم عنهم و تمنعهم 1.

ص: 32

1- سورة الرعد، آية - 11.

2- سورة الزمر، آية - 13.

3- سورة فاطر آية، - 1.

عن الوصول إليهم لما لهم من العز باتصالهم بالله وقربهم منه و لما لهم من قدرة أعطاها الله لهم، فلما لهم من العز و لما أعطاهم الله من القدرة كانوا في حجب و موانع من الاتصال بغيره ممن هم دونهم...

(لا- يتوهمون ربهم بالتصوير) فهم لصفاء أذهانهم و طهارة نفوسهم و كونهم في مراتب عليا من القرب منه لا يتصورون الله من خلال ما يتوهمون و يتخيلون و هذا مقام رفيع حيث أنهم تنزهوا عن ذلك و ارتفعوا عما يجري بين بعض الناس...

(و لا يجرون عليه صفات المصنوعين) فما يجري على المخلوقات من العجز و الفقر و التركيب و التأليف و الإمكان فإنهم لا يجرونه على الله و لا يقولون إنه مثلهم في الفقر و الحاجة..

(و لا يحدونه بالأماكن) لا يحصرون الله في مكان سواء كان سماء أو أرضا أو جهة معينة لأن ذلك يجعله محدودا مؤظرا و مشار إليه و الله سبحانه منزه عن ذلك...

(و لا- يشيرون إليه بالنظائر) فلا- يقولون إنه شبيهه فلان و مثل الشيء الفلاني لأن هذه أوها م بشرية قاصرة و تخيلات إنسانية عاجزة ينزه الملائكة الكبار عن مثل هذا القول...

### بحث مختصر في الملائكة

الملائكة حقيقة قرآنية إيمانية بل عقيدة جميع الأديان السماوية و قد أجمعت الأمة الإسلامية على ذلك و قد امتازوا بخصائص أهمها ما يلي:

1 - إنهم منزهون في وجودهم عن الوجود المادي الذي يعرض عليه الفساد و الفناء.

قال المجلسي في بحاره: أعلم أنه أجمعت الإمامية بل جميع المسلمين إلا من شذ منهم - من المتفلسفين الذين أدخلوا أنفسهم بين المسلمين لتخريب أصولهم و تضييع عقائدهم - على وجود الملائكة و أنهم أجسام نورانية...

2 - إنهم وسطاء بين الله و بين موجوداته ينقلون مراده إليهم كما هو الحال في الأنبياء و الرسل أو يديرون شؤون عبادته من سائر مخلوقاته.

قال تعالى: «جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا» .

و قال تعالى: «لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» .



وقال تعالى: «وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا وَالتَّائِبَاتِ نَشْطًا وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا فَالْمُدَبِّرَاتِ» .

3- إنهم لا يعصون الله فيما أمر و هم بأمره يعملون، قال تعالى: «لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ» ... «وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ» .

4- هم على مراتب متفاوتة قال تعالى: «وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ» .

قال الرازي في تفسيره بتلخيص و اختصار منا:

اعلم أن الله ذكر في القرآن أصنافهم و أوصافهم:

أما الأصناف: فأحدها حملة العرش قال تعالى: «يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ» .

و ثانيها: الحافون حول العرش قال تعالى: «وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ» ..

و ثالثها: أكابر الملائكة فمنهم جبرائيل و ميكائيل لقوله: «وَجِبْرِيَلُ وَمِيكَالُ» :

و رابعها: ملائكة الجنة قال تعالى: «وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ» .

و خامسها: ملائكة النار قال تعالى: «عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشْرَ» و قوله: «وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً» و رئيسهم مالك و أسماء جملتهم الزبانية.

و سادسها: الموكلون ببني آدم لقوله تعالى: «عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» و قوله: «يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً» .

و سابعها: الموكلون بأحوال هذا العالم لقوله: «وَ الصَّافَّاتِ صَفًّا» و قوله:

«فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا» .

و أما أوصاف الملائكة:

فأحدها: إنهم رسل الله «جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا» .

و ثانيها: قربهم من الله بالشرف لقوله تعالى «بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ» .

و ثالثها: وصف طاعاتهم لقوله تعالى حكاية عنهم و مقدا لهم:

«وَ إِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ» .

رابعها: وصف قدراتهم و إنهم يحملون العرش.

خامسها: وصف خوفهم قال تعالى: «يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ» .

ص: 34

ثم جمع سبحانه من حزن (1) الأرض و سهلها (2)، و عذبها (3) و سبخها (4)، تربة سنّها (5) بالماء حتّى خلصت (6)، و لاطها (7)، بالبلّة (8) حتّى لزبت (9)، فجبيل منها صورة ذات أحناء (10)، و وصول (11)، و أعضاء (12) و فصول (13): أجمدها (14) حتّى استمسكت (15)، و أصلدها (16) حتّى صلصلت (17)، لوقت معدود، و أمد (18) معلوم؛ ثم نفخ (19) فيها من روحه فمثلت (20) إنسانا ذا أذهان يجيلها (21)، و فكر يتصرّف بها، و جوارح يستخدمها (22)، و أدوات (23) يقلّبها، و معرفة يفرق بها بين الحقّ و الباطل، و الأذواق و المشامّ (24)، و الألوان و الأجناس، معجونا (25) بطينة الألوان المختلفة، و الأشباه المؤتلفة، و الأضداد المتعادية، و الأخلاط المتباينة، من الحرّ و البرد، و البلّة و الجمود، و استأدى (26) الله سبحانه الملائكة و ديعته لديهم، و عهد وصيّته إليهم، في الإذعان (27) بالسّجود له، و الخنوع (28) لتكرمه، فقال سبحانه: «أَسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ» اعترته (29) الحميّة (30)، و غلبت عليه الشّقوة (31)، و تعزّز (32) بخلقة التّار، و استوهن (33) خلق الصّلصال (34)، فأعطاه الله التّظرة (35) استحقاقا للسّخطة (36)، و استتماما للبلية (37)، و إنجازا (38) للعدة، (39)، فقال: إنك «مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» . ثمّ أسكن سبحانه آدم دارا أرغد (40) فيها عيشه، و آمن فيها محلّته، و حدّره (41) إبليس و عداوته، فاغترّه (42) عدوّه نفاسة (43) عليه بدار المقام، و مرافقة الأبرار، فباع اليقين بشكّه، و العزيمة (44) بوهنه، و استبدل بالجدل (45) و جلا (46)، و بالاغترار ندما. ثمّ بسط الله سبحانه له في توبته، و لقّاه كلمة رحمته، و وعده المرّد إلى جنّته، و أهبطه إلى دار البليّة (47)، و تناسل (48) الذرّيّة (49).

- 1 - حزن: الحزن من الأرض ما غلظ منها.
- 2 - السهل: هو المنبسط من الأرض، خلاف الحزن.
- 3 - العذب: ما طاب من الأرض و صلح للانتفاع به.
- 4 - السبخ: الأرض المالحة.
- 5 - سنها: صبها.
- 6 - خلصت: صفت وتقت.
- 7 - لاطها: مزجها.
- 8 - البلة: من البلل وهي الرطوبة.
- 9 - لزب: التصق وثبت.
- 10 - أحناء: جمع حنو بكسر الحاء الجوانب.
- 11 - وصول: الوصول كل ملتمى عظيمين في الجسد.
- 12 - الأعضاء: جمع عضو، كل لحم فيه عظم كاليد والرجل.
- 13 - وفصول: المفاصل.
- 14 - أجملها: جعلها جامدة غير رخوة.
- 15 - استمسك: تعلّق.
- 16 - أصلدها: من الصلد وهو الجامد المتين.
- 17 - صالصلت: يبست.
- 18 - الأمد: الوقت.
- 19 - نفخ بفمه: أخرج منه الريح.
- 20 - مثلت: تصورت.

21 - يجيلها: يحركها.

22 - يخدمها: يجعلها تخدمه.

23 - الأدوات: الآلات.

24 - المشام: ما يشم.

25 - معجوننا: مخمرا.

26 - استأدى: طلب أدائها وإيصالها.

27 - الإذعان: الاعتراف والاعتقاد.

28 - الخنوع: الخضوع.

29 - اعترته: أصابته.

ص: 36

- 30 - الحمية: الانفة.
- 31 - الشقوة: بالكسر الشقاوة.
- 32 - تعزز: تكبر و طلب العزة.
- 33 - استوهن: من الوهن و هو الضعف.
- 34 - الصلصال: الطين اليابس قبل طبخه و قيل الممتن.
- 35 - النظرة: الإمهال.
- 36 - السخطة: من السخط و هو الغضب.
- 37 - البلية: الامتحان.
- 38 - إنجازا: من أنجز وعده إذا وفى به.
- 39 - العدة: الوعد.
- 40 - أرغد: من الرغد و هو السعة في العيش.
- 41 - حذره: خوؤه.
- 42 - اغتر: من الغرة و هي الغفلة.
- 43 - نفاسة: نفس بالشيء بخل به.
- 44 - العزيمة: الاهتمام بالشيء.
- 45 - الجذل: الفرح.
- 46 - الوجل: الخوف.
- 47 - البلية: البلاء و هو الامتحان و الاختبار.
- 48 - التناسل: التوالد.
- 49 - الذرية: النسل و هم الأولاد.

ثم إنه عليه السلام وصف خلق هذا الإنسان و ما تركب منه و كيف أن إبليس تكبر و امتنع عن تنفيذ أمر الله و كيف كانت عاقبته و نتيجة تمردة درساً لنا في عدم الخروج عن إرادة الله و عبرة لكل إنسان في أن يكون عند أمر الله و نهيه...

(ثم جمع سبحانه من حزن الأرض و سهلها و عذبها و سبخها تربة سنها بالماء حتى خلصت و لاطها بالبلبة حتى لزبت). فمن هذه المواد كانت تركيبية هذا الإنسان الأول، إنه سبحانه جمع هذه العناصر من الأرض، و أنه جمع منها ما هو غليظ قاس و ما هولين

ص: 37

سهل طري جمع من التربة الناعمة الصالحة للغطاء و المالحة التي لا ينبت فيها نبات، لقد جمع سبحانه هذه العناصر ثم صب عليها الماء و مزجها مزجا جيدا كما يجب حتى اشتدت و استمسكت و لم تعد تتفتت.. و إنما خلقها من هذه العناصر ليكون فيه الاستعداد للخير و الشر و الحسن و القبح كما يقول بعض الشراح..

(فجبل منها صورة ذات أحناء و وصول و أعضاء و فصول أجمدها حتى استمسكت و أصلدها حتى صلصلت لوقت معدود و أمد معلوم) جعل من تلك الطينة صورة آدم و مادته و هي مكونة من جوانب طولية و عرضية و مفاصل و أعضاء من يدين و رجلين ثم جعلها صلبة قوية حتى أصبحت كالفخار اليابس و بقيت هكذا مدة معدودة و زمنا محدودا و إلى هذا أشار الذكر الحكيم بقوله: «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً» (ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنسانا ذا أذهان يجيلها و فكر يتصرف بها) ثم إن هذه الصورة بعد أن اكتملت بهذا الشكل البديع أفاض الله عليها الحياة و إضافة روح آدم إليه تعالى تكرامة لآدم و تشريف و هي إضافة الملك، و بهذه النفخة المباركة صارت إنسانا يحمل فكرا يحلل الأمور و عقلا يميز الضار من النافع و الحسن من القبيح.

(و جوارح يخدمها و أدوات يقلبها) و تحركت جوارحه من يدين و لسان و رجلين يستعملها في خدمته و من أجل منفعته كما إن هذه الأدوات التي هي الأعضاء يستعملها في قضاء حاجاته و حركة حياته.

(و معرفة يفرق بها بين الحق و الباطل و الأذواق و المشام و الألوان و الأجناس) بهذه النفخة أعطاه الله سر المعرفة و جعله من خلالها يطالع على الأمور و يميز بين الحق الذي يجب الإيمان به و أتباعه و مسانده و الدفاع عنه و بين الباطل الذي يجب أن يكفر به و يحاربه و يحارب فاعله، و خلق سبحانه له الأذواق التي يعرف بها مرّ الأشياء من حلوها و جيدها من فاسدها و كذلك جعل له المشام التي تنعش القلوب من التي تؤذيها كما جعله يعرف الألوان على اختلافها و ما يميزها و الأجناس على تعددها و تمايزها...

(معجوننا بطينة الألوان المختلفة و الأشباه المؤتلفة و الأضداد المتعادية و الأخلط المتباينة من الحرّ و البرد و البلة و الجمود) ثم إنه عليه السلام بيّن طبيعة هذا الإنسان و إنه مركب من أمور متعددة مختلفة، جعله مركبا من شحم أبيض و لحم أحمر و شعر أسود و عظام قاسية و مواد رخوة كما جعله مركبا من أمور مؤتلفة متفقة ينسجم بعضها مع بعض و تلتقي في وحدة متكاملة كالأسنان و العظام و الجلد و اللحم، و كما جعله مجمعا للأموار



المتضادة المتعادية فجعل فيه الحرارة والبرودة فداخله حار و خارجه بارد نسبة إلى الداخل كما جعل فيه الرطوبة واليبوسة هذا إذا حمل المعنى على المعنى المادي و أما إذا قصد به الأمور المعنوية فإن الإنسان مركب من أمور متباينة مختلفة فهو يحمل الفرح والحزن والحب والبغض والإيثار والاستئثار ويحمل الخوف والشجاعة وهكذا..

(و استأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم و عهد وصيته إليهم في الإذعان بالسجود له و الخنوع لتكريمه فقال سبحانه: «أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ» اعترته الحمية و غلبت عليه الشقوة و تعزز بخلقه النار و استوهن خلق الصلصال) عهد الله إلى الملائكة أنه سيخلق آدم و استفهمت يومها بقولها: أ تجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و أجابهم الله بقوله: «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» و قدم لهم أنه إذا خلقه لا بد لهم من السجود له فعند ما خلقه طلب منهم أن يؤدوا الوديعة التي عهدها إليهم من الخضوع و الخشوع و السجود تكريماً لآدم و امثالاً - لأمر الله بقوله لهم: «أَسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ» فإنه المخلوق العاصي المتمرد الذي احتج على السجود و رفض أمر المعبود... لقد أخذته الانفة و سنّها لمن بعده فأصبح صاحب مدرسة يخرج منها القوافل و القادة و غلب عليه الشقاء فخسر السعادة، إنه رأى نفسه متعالية متكبرة رآها أعظم من آدم حيث أعظم خلق النار و حقر خلق الصلصال الذي هو الطين الذي خلق منه آدم قال تعالى حاكياً مقولته مفضلاً نفسه على آدم مبيناً علة ذلك «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» (1)..

(فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة و استتماماً للبلية و إنجازاً للعدة فقال: إنك «مِنَ الْمُنتَظِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» .

بعد أن رفض إبليس السجود لآدم و تمرد على أمر الله استحق غضبه و عقابه و لما عرف ذلك المصير و تلك النهاية التعيسة التي سيصل إليها طلب من الله أن يمهلها و يؤخر أخذها و عذابه قائلاً - للباري «فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» (2) فاستجاب الله له فقال له: إِنَّكَ «مِنَ الْمُنتَظِرِينَ» - الممهلين - «إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» - يوم القيامة و إنما كان ذلك لكي يستحق العقاب و العذاب و يكون الامتحان كاملاً تاماً إنه عذاب يفوق عذاب جميع المتمردين و العاصين...

(ثم أسكن سبحانه آدم داراً أرغد فيها عيشه و آمن فيها محلته و حذره إبليس 6.

ص: 39

1- سورة الأعراف، آية - 12.

2- سورة الحجر، آية - 36.

وعداوته) و بعد أن خلق الله آدم أسكنه الجنة و جعل حياته فيها طيبة هائلة كريمة كما قال تعالى: (1) «وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا»، و مضافا إلى هذه الجهة ازداد عليه تفضلا حينما حذره من إبليس و إغوائه و نهاه عن إطاعته و خوفه عداوته المتملكة من نفسه لنلا يضلّه حيث قال لآدم: (2) «فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِرَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى» ..

(فاغتره عدوه نفاسة عليه بدار المقام و مرافقة الأبرار فباع اليقين بشكّه و العزيمة بوهنه و استبدل بالجدل و جلا و بالاغترار ندما) و بعد هذا التحذير الشديد و التنبيه الأكيد..

و بعد الإنذار و التخويف لآدم من إبليس وقع آدم ضحية المفاجأة التي أخذها إبليس عليه.. عز على إبليس أن يكون آدم في دار النعيم مقيما دائما في خير دار فدخل عليه و اقتحم الأسوار المنيعة التي ضربها الله عليه من حيث تحذيره له أن لا يركن إليه، و لكن إبليس حلف لآدم أنه يدّله على شجرة الخلد و ملك لا يبلى فأكل منها في ساعة الغفلة فراح اليقين منه بالشك الذي وسوسه إليه إبليس و بهذا الإغواء تغيرت الأمور و تبدلت فانقلب الفرح و السرور الذي في الجنة إلى خوف و حزن في دار الدنيا و انقلب هذا الاغترار الذي غره به إبليس حسرة و ندما و ألما..

(ثم بسط الله سبحانه له في توبته و لقاءه كلمة رحمته و وعده المرد إلى جنته و أهبطه إلى دار البلية و تناسل الذرية) بعد أن ارتكب آدم خلاف الأولى أدرك موقعه فتدارك ذلك بالتوبة و ندم على فعله و عرف أن الشيطان قد غرّه فعاد إلى الله فعاد الله عليه بالتوبة كما قال تعالى: (3) «فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» ثم وعده بأنه سيعود إلى الجنة.

و ذكر الإمام أن آدم بعد أن فعل فعلته أنزله الله إلى الأرض و جعلها دار البلاء و الاختبار فالمطيع إلى الجنة و العاصي إلى النار و جعلها محل أولاد آدم و ذريته.7.

ص: 40

1- سورة البقرة، آية - 35.

2- سورة طه، آية - 117.

3- سورة البقرة آية، - 27.

و اصطفي سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم (2)، و على تبليغ الرّسالة (3) أمانتهم، لمّا بدّل (4) أكثر خلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقّه، و اتّخذوا الأنداد (5) معه، و اجتالتهم (6) الشّياطين عن معرفته، و اقتطعتهم (7) عن عبادته، فبعث فيهم رسله، و واطر (8) إليهم أنبيائه، ليستأدوهم (9) ميثاق فطرته، و يذكروهم منسيّ نعمته، و يحتجّوا عليهم بالتبليغ، و يثيروا (10) لهم دفائن (11) العقول، و يروهم آيات المقدرة: من سقف فوقهم مرفوع، و مهاد (12) تحتهم موضوع، و معايش (13) تحييههم، و آجال تقنيههم، و أوصاب (14) تهرمهم (15)، و أحداث (16) تتابع عليهم؛ و لم يخل (17) الله سبحانه خلقه من نبيّ مرسل، أو كتاب منزل، أو حجّة (18) لازمة، أو محبّة (19) قائمة: رسل لا تقصّر بهم قلة عددهم، و لا كثرة المكذّبين لهم:

من سابق سمّي له من بعده، أو غابر (20) عزّفه من قبله: على ذلك نسلت (21) القرون، و مضت الدّهور، و سلفت (22) الآباء، و خلفت الأبناء.

### اللغة

1 - اصطفي: استخلص 2 - ميثاقهم: من الميثاق و هو العهد.

3 - بلّغ الرّسالة: أداها و أوصلها.

4 - بدّل: غيّر.

5 - الأنداد: الأمثال و الأشباه.

6 - اجتالتهم: أدارتهم، صرّفتهم.

7 - اقتطعتهم: فصلتهم و منعتهم.

8 - واطر: تابع واحدا بعد واحد.

9 - ليستأدوهم: ليطلبوا منهم الأداء.

10 - يثيروا: يحركوا ويفكروا.

11 - دفائن: الأرض ما اختفى فيها ودفن واستتر.

12 - مهاد: فراش و منه المههد لفراش الصبي الصغير.

13 - معاش: جمع معاش ما يعاش به من المطعم والمشرب.

14 - أوصاب: متاعب، أمراض.

15 - تهر مهم: من الهرم وهو الكبر في العمر، الضعف.

16 - أحداث: وهي الأمور الجديدة، النوائب والمصائب.

17 - يخلي: من خلا الإناء إذا فرغ و هنا لم يترك عباده بدون رسل.

18 - حجة: الحججة بالضم ما يحجج به الإنسان غيره أي يغلبه به.

19 - محجة: المحجة: الطريق الواضح.

20 - غابر: الغابر هو الباقي، و الماضي و هو من الأضداد.

21 - نسلت: مضت متتابعة.

22 - سلفت: تقدمت.

## الشرح

(و اصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم) بعد أن هبط آدم إلى الأرض و تكاثرت ذريته دب الفساد و الانحراف فيهم فاحتاج الأمر في إصلاحهم إلى الأنبياء فمن هنا اختار الله سبحانه من خلقه أصفى بريته لكمالهم و طهارتهم و عفة أنفسهم... فقد أطلع سبحانه - وهو العالم بهم - على ذرية آدم فوجد بعض النفوس في قمة الكمال فاخترهم أنبياء إلى خلقه أخذ عليهم العهود أن يؤدوا الوحي المنزل عليهم إلى الناس بكماله و تمامه في الأصول و الفروع كما أخذ أمانتهم على أن ينشروا الرسالة بين الناس و يبلغوها كما هي.

وقد بين عليه السلام سبب إرسال الرسل و علة بعث الأنبياء بقوله:

(لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ فَجَهِلُوا حَقَّهُ وَ اتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ وَ اجْتَالَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَ اقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ) غَيَّرَ النَّاسَ عَهْدَهُمُ الَّذِي قَطَعُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَ هُوَ مَا فَطَرَ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهِ الْمَشَارَإِلِيَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ» (1).



فحق الله أن يؤمنوا به ولا يشركوا به شيئاً ولكن الشياطين أضلتهم وحرقتهم عن ذلك فجهلوا حقه بعد المعرفة.. وكفروا به بعد أن أقرؤا و  
اعترفوا.. وجعلوا له أشباهاً ونظراءً تصوره كما شاءوا وكما تخيلوا وصرفتهم الشياطين عن معرفته الحقيقية ومالت بهم عن الإيمان  
الصحيح وصرفتهم عن عبادته إلى عبادة غيره من أصنام وأوثان وميول وأهواء وقد تقنن هذا الإنسان في الانحراف حتى بلغ به الإسفاف  
إلى البقر عباده التي بل إلى أخط من ذلك وأحقر..

(فبعث فيهم رسله واطر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته و يذكرهم منسي نعمته و يحتجوا عليهم بالتبليغ و يثيروا لهم دفائن العقول و  
يروهم آيات المقدره) وهذه علة بعث الرسل عند ما انتشر الفساد و ضل الناس أرسل الله لهم رسله و جعلهم واحداً إثر واحد تتصل  
دعوتهم و تقوم حجتهم كما قال تعالى(1): «ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ  
فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ» و مهمة الرسل و دعوتهم ليجعلوا الناس يؤدون عهد الفطرة الذي أعطوه لربهم من الإيمان به و التوجه إليه و  
يذكروهم ما نسوا من نعمه التي لا تعد و لا تحصى فإن الإنسان ينسى بل يبطل و يكفر بالنعمة فيأتي الرسل ليعيدوا هذا الإنسان إلى رشده و  
يذكروه ما نسي من نعمة الله و كذلك من أسباب بعث الرسل أن تصل الحجة إلى الناس و يعرف كل واحد تكليفه الواجب عليه القيام به  
فلا يكون له عذر يوم القيامة إن قصّر في الأداء و رفض الأمر و تمرد على الحكم و كما قال تعالى: «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ  
حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ» (2).

و كذلك من أسباب بعث الرسل إثارة ما أودعه الله في عقول بني آدم فإن الأنبياء كانوا يحركون عقول الناس و يطلقونها من عقالها، كانوا  
يقولون للناس فكروا في خلق السموات و الأرض و فكروا في أنفسكم... فكروا في مخلوقات الله و في تركيبها و دقة صنعها... فكروا  
بعقولكم و ليس بعقول غيركم و عاداتهم و تقاليدهم. فإنه يدرك أنه لا بد لكل معلول من علة و لكل حادث من محدث و لكل مسبب من  
سبب و هذا قانون يدركه العقل بالبدهة و الفطرة أودع الله فيه ذلك ليستدل من خلاله على وجود سبب أول للعالم هو الخالق له و الموجد  
لكل ما فيه و لذا لم يأت نبي يقول للناس عطلوا عقولكم ثم اتبعوني بل قال لهم: «إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ» (3) قال لهم: من لا عقل له لا  
دين له...9.

ص: 43

1- سورة المؤمنون، آية - 44.

2- سورة الأنفال، آية - 42.

3- سورة الرعد، آية - 19.

و كذلك كانت بعثة الأنبياء من أجل أن يبصر الناس علامات القدرة الإلهية التي تتجسد في خلق السماوات والأرض و ما فيهما و ما بينهما فإن الإنسان يرى كل هذه الآيات و هي تحت نظره ولكنه يغفل عن التفكير فيها و عن عظيم دقة صنعها.. ثم ذكر ست آيات من آيات عظمة قدرته..

(من سقف فوقهم مرفوع) و هذه أولى الآيات.. إنها هذه السماء التي نراها و هي فوقنا بما فيها من كواكب و سيارات و نجوم.. إنها مرفوعة فوقنا لا يمسكها إلا الله بحسب ما وضع لها من قوانين و نظم و قد أقسم الله بقوله: «وَأَلَسَّنَفِ الْمَرْفُوعِ» (1).

(و مهاد تحتهم موضوع) و هذه ثانية الآيات و سميت الأرض مهادا لأنها صالحة لاستقرار الإنسان عليها فهي مبسطة بشكل تقبل أن يعيش الإنسان عليها و يستمر في حياته فيها و قد منّ الله على الإنسان بهذه النعمة في قوله: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا» (2).

(و معاش تحييمهم) و هذه ثالثة الآيات إنها أرزاق العباد و ما به قوامهم و استمراريتهم بما خلق الله لهم من خضار و فواكه و نعم و خيرات.. إن الله وفر لهذا الإنسان مادة حياته و بقاءه بما أعطاه من حبوب و ثمار و هداه إليها و وفرها له...

(و آجال تقنيهم) و هذه رابعة الآيات.. إذا نظر الإنسان إليها اعتبر و اتعظ، فإن هذا العمر إذا انتهى مات الإنسان.. فأيامه معدودة و أوقاته محدودة متى استوفاهم توفاه الله و نقله من عالم إلى آخر و كم في هذه من العبرة و بما أن هذا الإنسان سيصل إلى أجله فليعد العدة له.

(و أوصاب تهرمهم) و هذه خامسة الآيات و هي ما ينتاب هذا الإنسان من الأتعب و الآلام و الأمراض و ما أكثرها و أي إنسان لا يمرض و أي إنسان لا يتعب أو لا يمر في حالة من الألم.. إنها كلها تزيل شباب الإنسان و تدنوبه من الهاوية..

(و أحداث تتابع عليهم) و أحداث الدهر و مصائبه كثيرة و في المثل العامي «مصائب الدهر أكثر من نبات الأرض» و أي بيت لم تدخله التعاسة و أي إنسان لم يمر في حادثة بل أحداث تشوش عليه أفكاره و تنغصص عليه حياته. إنها متوالية.. متتالية منذ أول ولادته و إلى خاتمة حياته و ولد في شدة و يموت في شدة و يحيا فيما بين الولادة و الوفاة في شدائد متتابعة.6.

ص: 44

1- سورة الطور، آية - 5.

2- سورة النبأ، آية - 6.

(و لم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل أو كتاب منزل أو حجة لازمة أو محجة قائمة) سبقت الهداية الناس فكان آدم نبيا و لم يكن معه أحد ثم كثرت ذريته و استمرت الحجة قائمة إلى يومنا هذا، فتارة تكون الحجة نبيا يرسله الله و يبعثه إلى الخلق يهديهم و يعلمهم و يرشدهم و يوجههم نحو الخير و أخرى تكون كتابا منزلا من السماء كما لو مات النبي و بقي الكتاب بين أيدي أتباعه فإنه حجة عليهم و نور يهديهم إلى مستقيم الطريق..

أو يكون هناك حجة لازمة و قد فسرها بعضهم بالعقل فإنه لازم لهذا الإنسان يوضح له السبيل و يهديه إلى الله.. و قد فسره المحققون بأنه الإمام الذي لا يخلو منه زمان و بهذا وردت الأخبار بل تواترت.

ففي الحديث عن أبي جعفر قال: و الله (1) ما ترك الله أرضا منذ قبض الله آدم إلا فيها إمام يهتدى به إلى الله و هو حجة على عباده و لا تبقى الأرض بغير إمام حجة لله على عباده.. أو تكون الحجة سنة واضحة دلّ عليها الأنبياء و تمسك بها بعض الحنفاء و هي المحجة القائمة...

(رسل لا تقصّر بهم قلة عددهم و لا كثرة المكذبين لهم) بل أن الأنبياء على قلتهم نسبة إلى البشر فإنهم كافون في البلاغ و افون في البيان، إنهم على قلتهم مشاعل في طريق الهداية و منارات يهدون الناس إلى الخير و مهما كذبهم المكذبون فإنهم عاجزون عن إطفاء نورهم و قاصرون عن إخماد شوكتهم... و ما المكذبون لهم إلا شهود زور يفضحهم الواقع و تفضحهم الحقيقة، فإنهم يسقطون و ينتصر الرسل و تنتشر دعوتهم و يؤمن بها الناس...

(من سابق سمي له من بعده أو غابر عرفه من قبله على ذلك نسلت القرون و مضت الدهور و سلفت الآباء و خلفت الأبناء) و هذه طريقة الله و سنته فإنه سبحانه عند ما يرسل رسولا و تنتهي مدته كان يسمي له من يأتي من بعده كما هي قصة عيسى مع نبينا عليه السلام حيث كان يبشر به و يعطي لأتباعه علامات ظهوره و قد كان اليهود يترقبون طلعتة و يوعدون به من يعاديهم فكان الله هو الذي يتولى تعريف النبي اللاحق و قد يكون النبي حاضرا و قد بشر به من تقدم عليه و على هذه الطريقة من حيث أن الأرض لا تخلو من حجة؛ انقضت القرون و مضت الأزمان و الدهور و عليه مضى السلف و انقضت أيامهم و على هذا جاءت من بعدهم الأبناء فالسيرة واحدة في الآباء و الأبناء و الحجة قائمة على الجميع...ي.

ص: 45

1- الكافي.



إلى أن بعث الله سبحانه محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لإنجاز (1) عدته (2)، وإتمام نبوته، مأخوذا على التبيين ميثاقه (3)، مشهورة سماته (4)، كريما ميلاده. وأهل الأرض يومئذ ملل (5) متفرقة، وأهواء منتشرة، وطرائق (6) متشتتة، بين مشبه لله بخلقه، أو ملحد (7) في اسمه، أو مشير إلى غيره، فهداهم به من الضلالة، وأنقذهم (8) بمكانه من الجهالة. ثم اختار سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلم لقاءه، ورضي له ما عنده، وأكرمه عن دار الدنيا، ورغب به (9) عن مقام البلوى (10)، فقبضه (11) إليه كريما صلى الله عليه وآله، وخلف فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها، إذ لم يتركوهم هملا (12)، بغير طريق واضح، ولا علم قائم.

اللغة

1 - أنجز الأمر: أتمه وأكمله.

2 - العدة: الوعد.

3 - الميثاق: العهد.

4 - السمات: جمع السمة وهي العلامة.

5 - الملل: جمع ملة الشريعة والدين.

6 - طرائق: مفردة طريقة وهي السيرة، المذهب.

7 - ملحد: الذي يعدل عن الطريق المستقيم.

8 - أنقذه: نجاه وخلصه.

9 - رغب به: أراده و مال إليه وإذا عدى بعن فقليل رغب عنه يعني أعرض عنه.

10 - البلوى: البلاء.

11 - قبضه: أخذه بقبضة يده، تسلمه.

12 - تركه هملا: الهمل الذي لا راعي له ولا مدبر لشؤنه..

(إلى أن بعث الله سبحانه محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لإنجاز عدته وإتمام نبوته مأخوذا على النبيين ميثاقه مشهورة سماته كريما ميلاده) وهكذا بقيت الحال والأنبياء تترى لهداية الناس وإرشادهم وتسديد مسيرتهم إلى أن من الله على البشرية ببعثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان تحقيقا لما وعد الله به من أنه سيرسل رسولا إلى الناس يهديهم السبيل وهو أفضل الرسل وأقربهم إليه وتكون نبوته تامة كاملة مهيمنة على كل النبوات يجب على كل الناس اتباعه والتدين بدينه والتزام شريعته وقد أخذ الله على النبيين عهده أن يبشروا به ويهيئوا لظهوره حتى إذا جاء استقبلته البشرية بشوق ولهفة وفي الحديث عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: لم يبعث الله نبيا آدم ومن بعده إلا أخذ عليه العهد لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولينصرننه وأمره بأن أخذ العهد بذلك على قوله..

وقد بين الله في الكتب المتقدمة علامات النبي وصفاته المشهورة بحيث لا تخفي أوصافه على أحد كما قال تعالى (1): «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ» .

وكان مولد رسول الله أشرف مولد؛ وأكرم ساعة كانت تلك الساعات التي ولد فيها رسول الله الذي حطّم الأصنام وأقام العدل وقلب موازين العالم بأسرها وبنهاها على أسس سليمة وموازن صحيحة..

(وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة وأهواء منتشرة وطرائق متشتتة) عند ما بعث الله نبيه كانت البشرية تعيش الفوضى على كل المستويات وفي جميع شئون الحياة، كانوا على أديان شتى موزعة مختلفة فيما بينها.. كان هناك يهود لا يعترفون بالنصارى وهناك نصارى يكفرون باليهودية وهناك مجوس وصابئة؛ وكانوا في أهواء موزعة كل يعبد ما يراه مفيدا له ونافعا حتى الحجر يعبدونه ويقدسونه فإذا احتاجوا إليه وضعوه تحت قدرهم ليطيبخوا طعامهم.. إنهم كانوا أصحاب مذاهب شتى لا يربطهم رباط ولا يجمعهم جامع يوحدهم... وقد بين بعض تلك الانحرافات بقوله:

(بين مشبه لله بخلقه أو ملحد في اسمه أو مشير إلى غيره) فهناك المشبهة الذين - شبهوا الله بخلقه كما هو الحال في النصارى الذين شبهوه بعيسى ضلالا وانحرافا وهناك من ألحد في اسمه أي عدل عن طريق الصواب في تسمية الله واصفا إياه بغير وصفه

الحقيقي كما هو الحال من جعل له ولدا وجعله أباً.

ومنهم من أطلق لفظ الله وأشار به إلى غيره فيطلق لفظة الله ويريد بعض مخلوقاته كما هي الحال عند بعض الكفار.. وفي هذا الجو من الاختلاف والانحراف بعث الله محمداً.

(فهداهم به من الضلالة وأنقذهم بمكانه من الجهالة) فقد كانت البشرية تعيش ضالة منحرفة لا تعرف ربها ولا تعرف ما يريد بها ومنها... تعيش الكفر والبعد عن كل نافع ومفيد... كان القوي يأكل الضعيف والكبير يظلم الصغير والجور يخنق العدل فبعث الله محمداً فهداهم إلى الحق والعدل وارتفع الظلم وعم العدل وأنقذهم بوجوده من الجهل إلى نور المعرفة والإيمان.

(ثم اختار سبحانه لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لقاءه ورضي له ما عنده وأكرمه عن دار الدنيا ورغب به عن مقام البلوى فقبضه إليه كريماً صلى الله عليه وآله وسلم) بعد جهاد مرير وتعب وكفاح.. وبعد أن بلغ الناس رسالة الله وأدى إليهم ما أراد سبحانه اختار له لقائه فقد اختار النبي ما اختار الله له من قربه وجواره ولذا كان رسول الله عند الوفاة بعد أن خيّر بين الدنيا وما فيها وبين لقاء الله اختار لقاء ربه لأن المحب اشتاق إلى حبيبه وقد رضي الله له ما عنده من الثواب والنعيم والقرب وأكرمه عن دار الدنيا الدنية وما فيها من شوائب ونواقص وما تتضمن من أحداث ومشاكل وأراد أن يبعده عن دار الابتلاء والاختبار فقبضه الله إليه كريماً لم تدنسه الدنيا ولم تغيّر من نفسه الطاهرة شيئاً بل جاء إلى الحياة فشرّفها.

(وخلف فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها إذ لم يتركوهم هملاً بغير طريق واضح ولا علم قائم) وهذه طريقة الأنبياء وسيرتهم ولم يختلف عنهم محمد ولم يخالفهم فيها.. إن الأنبياء يتركون بعدهم في أممهم وشعوبهم ما يمنعهم من الفرقة والتشتت ومن التنازع والاختلاف.. إنهم يجعلون لهم جنناً واقية من الانهيار والانحراف فكانت الكتب وكان الأوصياء ورسول الله قد وضع لأمته معالم النجاح وقوارب النجاة... لقد رسم لهم الدرب وبيّن لهم طريق الرشد وهداهم إلى ما فيه نجاتهم وصلاحهم وقال في الحديث المتواتر المتسالم على صحته: «تركت فيكم ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي..»

كتاب الله وعترتي أهل بيتي.. وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض..».

وقد نص على ولادة الأمر من بعده وعيّنهم بأسمائهم وأسماء آبائهم فكانوا أئمة أهل البيت لا تخلو منهم الأرض وهم الحجج على الخلق وبهم ينزل الله المطر وبهم يقام الحق والعدل ولكن بسفه الأمة وظلمها لنفسها تنكبت عنهم وانحرفت إلى غيرهم فكان الظلم وكان الضلال وما وصلنا إليه من تأخر وتقهقر..

### اشارة

كتاب ربكم فيكم: مبيّن حلاله (1) و حرامه (2)، و فرائضه (3) و فضائله، و ناسخه (4) و منسوخه، و رخصه (5) و عزائمه (6)، و خاصّه و عامّه، و عبره (7) و أمثاله، و مرسله (8) و محدوده، و محكمه (9) و متشابهه (10)، مفسّرا مجمله (11)، و مبيّن غوامضه (12)، بين مأخوذ ميثاق علمه، و موسّع على العباد في جهله، و بين مثبت في الكتاب فرضه، و معلوم في السنّة نسخه، و واجب في السنّة أخذه، و مرخص في الكتاب تركه، و بين واجب بوقته، و زائل في مستقبله. و مباين بين محارمه، من كبير أوعد عليه نيرانه، أو صغير أرصد له (13) غفرانه، و بين مقبول في أدناه، موسّع في أقصاه.

### اللغة

- 1 - الحلال: الجائز فعله.
- 2 - الحرام: الممنوع، الذي لا يجوز فعله.
- 3 - الفرائض: الواجبات.
- 4 - الناسخ: النسخ هو الإزالة لما كان ثابتا.
- 5 - الرخصة: التخفيف و التسهيل.
- 6 - العزائم: جمع عزيمة و هي الفريضة.
- 7 - عبر: مفردة عبرة و هي العظة.
- 8 - المرسل: المطلق و هو ضد المقيّد.
- 9 - المحكم: الذي لا يقبل من اللفظ إلا معنى واحدا واضحا.
- 10 - المتشابه: خلاف المحكم ما احتمال فيه أكثر من معنى.
- 11 - المجمل: ما لم تتضح دلالاته.
- 12 - الغوامض: المبهمات يقال غمض الكلام إذا خفي مأخذه و معناه.
- 13 - أرصد له: أعد له.

(كتاب ربكم فيكم مبينا حلاله و حرامه و فرائضه و فضائله) و هذا مما تركه النبي، ترك الثقلين العترة و الكتاب و قد أوصى بهما كثيرا و أمر بالتمسك بهما فألزموا كتاب الله فقد بين صلوات الله عليه حلاله من حرامه.. أحل لنا الطيبات و حرم علينا الخبائث و بين لنا فرائضه من ميراث و حدود و ديات.. و فضائله من حيث أجر من يقرأه و يتلوه و يحفظه و يعلمه و يتعلمه.

(و ناسخه و منسوخه) فهناك آيات جاءت لوقت محدود كانت صلاحيتها في هذه المدة ثم ارتفع حكمها و بطل مفعولها فقد أنزل الله قوله (1): «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ» و لم يعمل بها غير علي ثم خفف الله عن الأمة فرفعها عنهم و أصبح من يريد الحديث معه يستطيع ذلك بدون أن يتصدق..

(و رخصه و عزائمه) فقد بين صلوات الله عليه موارد يجوز للمكلف أن يرتكبها في حال الاضطرار كأكل الميتة و شرب النجس كما بين العزائم التي لا يجوز ارتكابها تحت أي عذر أو مبرر كحرمة قتل المؤمن التي لا يسمح بها الشارع بحال..

(و خاصه و عامه) و الخاص هو الخطاب الذي تناول بعض الجزئيات كالأمر بإقامة الصلاة و إيتاء الزكاة و هناك خطاب عام كقوله كل من عليها فإن..

(و عبره و أمثاله) و العبر هي التي فيها عظة كما هو الحال في نقل أخبار الأمم السالفة من عاد و ثمود و ما نال العصاة مثل فرعون و قارون و كيف أخذهم الله جميعا ليعتبر المؤمن بهم و يحذر من بطش الله و انتقامه.

و أما أمثاله تعالى فقد ضربها ترغيبا و تحذيرا كما في قوله تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ» (2). و كقوله (3): «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْلُبْنَاهُمْ الذُّبَابَ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ» .

ص: 50

1- سورة المجادلة، آية - 12.

2- سورة البقرة، آية - 261.

3- سورة الحج آية، - 73.

(و مرسله و محدوده) و كذلك توضحت الأوامر المرسله كما في قوله تعالى: «أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ» فهو مطلق من جميع القيود و أما المحدود فهو المقيد بقيود تحدده و تمنع إرساله كما في قوله تعالى: «فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ» فإن الرقبة مقيدة بالإيمان..

(و محكمه و متشابهه) و المحكم هو الذي لا- يحتمل إلا- معنى واحدا ظاهرا بينا كما في قوله تعالى: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» فهو محكم في وحدانية الله.

و أما المتشابه فهو الذي يحتمل فيه اللفظ أكثر من معنى كما في لفظ اليد في قوله:

«السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا» من حيث أن اليد تطلق و يراد بها الأصابع و تطلق و يراد بها من الأصابع إلى الزندين و الثالثة تطلق و يراد بها من الأصابع إلى المرفقين.

(مفسرا مجمله و مبينا غوامضه) فقد فسر صلوات الله عليه المجمل - و هو ما لم يتضح دلالة كما في القرء المررد بين الطهر و الحيض.

و مبينا غوامضه فما هو غامض لم يتضح معناه قد بينه النبي و أوضحه للناس.

(بين مأخوذ ميثاق علمه و موسع على العباد في جهله) ففي الكتاب أمور لا يجوز جهلها بل لا بد من معرفتها قد أخذ الله على الناس العهد أن يعلموها كما هو الحال في العقائد المتضمنة لأصول الدين فإن على كل واحد أن يعرف ربه فيوحده و لا يشرك به شيئا و يعبده و يتوجه إليه و من الأمور ما لا- يجب على العباد معرفته فلو جهلوه لا- يسألهم الله عنه ك بعض صفات الباري و خصوصيات بعض الصفات و كفياتها مما لا يهتدي إليها إلا العباقرة و الفلاسفة و أهل الفكر و البحث..

(و بين مثبت في الكتاب فرضه و معلوم في السنة نسخته و واجب في السنة أخذه و مرخص في الكتاب تركه) و هذه إشارة بل بيان واضح إلى أن السنة يمكن أن تنسخ الكتاب و الكتاب يمكن أن ينسخ السنة و قد أشار إلى أنه ربما ورد الحكم في الكتاب و هو حكم إلزامي و مع ذلك تأتي السنة فترفعه و قد تأتي السنة بحكم إلزامي فيرد القرآن بأية ترفع حكم ما شرعته السنة...

(و بين واجب في وقته و زائل في مستقبله) فهناك تكاليف تجب في أوقاتها و تزول بعد زوال وقتها كما هو الحال في صيام شهر رمضان فهو واجب في هذا الشهر فإذا انسلخ الشهر فات الشهر و لم يعد واجبا.

(و مبين بين محارمه من كبير أوعد عليه نيرانه أو صغير أرصد له غفرانه و بين مقبول في أدناه موسع في أقصاه) و ذكر صلوات الله عليه أن ما حرمه الله في كتابه مختلف متنوع

فهناك حرام جرمه عظيم وهو خطير وهو ما أعد الله عليه النار كالزنا وقتل النفس المحترمة ومنه ما هو ذنب صغير يغفره الله له ولا يحاسبه عليه كما في الكلمة القاسية تصدر نحو إنسان بريء.. وبعض الأمور مقبولة في أقلها كما في صلاة الليل فإن بعضها مقبول وكلها غير مطلوبة و موسع في تركها وكذلك قراءة القرآن فقراءة قليلة مقبولة و ترك القراءة بالكلية موسع فيه ولا إثم على تاركها.

## ومنها في ذكر الحج

### إشارة

وفرض عليكم حج بيته الحرام، الذي جعله قبلة (1) للأنام (2)، يردونه ورود (3) الأنعام (4)، و يألّهون (5) إليه ولوه الحمام، وجعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته، وإذعانهم لعزّته (7)، واختار من خلقه سمّاعا أجابوا إليه دعوته، و صدّقوا كلمته، و وقفوا مواقف أنبيائه، و تشبّهوا بملائكته المطيفين بعرشه. يحرزون (8) الأرباح في متجر عبادته، و يتبادرون عنده موعد مغفرته، جعله سبحانه و تعالى للإسلام علما، و للعائدين (9) حرما، فرض حجّه، و أوجب حجّه، و كتب عليكم وفادته (10)، فقال سبحانه: «وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» .

### اللغة

1 - القبلة: الجهة، الكعبة المشرفة، يتوجه نحوها المصلي.

2 - الأنام: الخلق.

3 - الورود: القدوم، ورد الماء صار إليه وهو خلاف الصدور.

4 - الأنعام: الإبل و تطلق على البقر و الغنم و سميت بذلك لما فيها من الخير و النعمة.

ص: 52

5 - يألّهون: من الوله و هي شدة الوجد.

6 - الإذعان: الإقرار و الانقياد.

7 - العزة: الغلبة، و العز خلاف الذل.

8 - يحرزون: يصيبون، النصيب.

9 - العاندين: جمع عائد المستجير و المعتصم.

10 - الوفادة: القدوم و الورد طلبا للفضل.

## الشرح

(و فرض عليكم حج بيته الحرام) و الحج من أعظم فرائض الله و قد استجمع بذل المال و تعب الأبدان و قد أجمعت الأمة على وجوبه و من أنكر ذلك فقد كفر و من أخره عن وقته بدون عذر شرعي فقد فسق و قد دل على وجوبه قوله تعالى: (1) «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا. وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» و قال الصادق عليه السلام: من مات و لم يحج (2) حجة الإسلام لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به أو مرض لا يطيق فيه الحج أو سلطان يمنعه فليمت يهوديا أو نصرانيا. و عن الإمام علي بن الحسين: حجوا و اعتمروا تصح أبدانكم و تتسع (3) أرزاقكم و تكفون مؤنات عيالكم و قال: الحاج مغفور له و موجب له الجنة و مستأنف له العمل و محفوظ في أهله و ماله..

فمن اجتمعت فيه الشرائط من القدرة المالية و البدنية و لم يكن له مانع من سلطان جور يجب عليه أن يحج..

(الذي جعله قبلة للأنام) وصفه عليه السلام بهذه البركة التي شرفه الله بها فإنه لكرامته عنده قد أوجب على كل مصل أن يتوجه إليه في صلاته تشريفا و تكريما قال تعالى: (4) «قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» فيجب التوجه إليه في الصلاة و في الذبح و عند الاحتضار و غير ذلك..

ص: 53

1- سورة آل عمران، آية - 97.

2- الوسائل كتاب الحج باب 1 من أبواب وجوبه حديث 7.

3- الوسائل كتاب الحج باب 1 من أبواب وجوبه حديث 7.

4- سورة البقرة، آية - 144.



(يردونه وروود الأنعام و يألّهون إليه ولوه الحمام) و هذه صورة واقعية و رسم إلهي فمن رأى حجاج بيت الله الحرام عند ما يدخلون مكة يقف أمام صورة تدهش العقول..

إنهم جميعا يتوجهون إلى بيت الله يتزاحمون للبركة منه و التزود من تلك البقاع المباركة و لو رأيتهم كيف يخشعون و يتضرعون و يبكون و يناجون ربهم بقلوب مملوءة بالحب له و الرجاء لرأيت مشهدا عجيبا يضطرك لمشاركتهم و مماشاتهم قهرا عنك فصورة مادية ترسم و أخرى معنوية؛ الأولى ترسم الشكل و الثانية ترسم المضمون و يلتقيان في وحدة تشكّل هذا الحاج المتسك المتعبد.. إنهم كالأنعام تزدهم على مورد الشرب و هم في شوق إليه و حنين أشد من حنين الحمام لألفه كناية عن شدة شوق المسلم إلى تلك الربوع و حنيه إليها..

(و جعله سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته و إذعانهم لعزته) و هذا البيت الحرام جعله الله علامة يعرف به المطيع لله المتواضع لعظمته من العاصي الشقي المتكبر و هو ميزان الإقرار لله بالكبرياء ممن يتكبر على الله فإن من يخرج من بيته قاصدا ذلك البيت تاركا أهله و وطنه و أولاده و أمواله متعرضا للأخطار فإنما يخرج تواضعا لله و امتثال أمره و إقرارا بعزته و كبريائه..

(و اختار من خلقه سماعا أجابوا إليه دعوته و صدقوا كلمته و وقفوا مواقف انبيائه و تشبهوا بملائكته المطيفين بعرشه يحرزون الأرباح في متجر عبادته و يتبادرون عنده موعد مغفرته) في الرواية عن علي بن إبراهيم: و لما فرغ إبراهيم من بناء البيت أمره الله أن يؤذّن في الناس بالحج فقال: يا رب و ما يبلغ صوتي فقال: أذن عليك الأذان و عليّ البلاغ و ارتفع على المقام و هو يومئذ ملصق بالبيت فارتفع به المقام حتى كان أطول من الجبال فنأدى و أدخل إصبعيه في أذنيه و أقبل بوجهه شرقا و غربا يقول: أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فأجيبوا ربكم فأجابوه من تحت البحور السبعة و من بين المشرق و المغرب إلى منقطع التراب من أطراف الأرض كلها من أصلاب الرجال من أرحام النساء بالتلبية «لبيك اللهم لبيك..».

وورد الأمر الإلهي إلى خليل الرحمن بقوله له(1): «وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» و قد استجاب لنداء الخليل قوم و لبوا دعوته و بادروا إلى امتثالها و وقفوا مواقف أنبيائه و قد تشرفت بحج بيت الله الحرام في سنة 1971 و قد كنت أعيش روحانية عظيمة شعرت و أنا في مكة كان رسول الله7.

ص: 54

يتحرك...، في كل حبة تراب حديث عن قصة النبي و جهاده و في كل موقف عبرة و استحضر لمراحل الجهاد المحمدي..

و إن في تلك المواقف تشبيها بالملائكة الذين يطوفون بعرش الله و يكونون في تهليل و تكبير و دعاء و تسييح.. إنهم يشبهون الملائكة بخشوعهم و خضوعهم و توجههم إلى الله و انقطاعهم إليه.

إنهم يدركون الأرباح الكبيرة من خلال هذه التجارة العبادية و أي تجارة أعظم ربها من حاج يعود مغفور الذنوب مستور العيوب.. إن كل واحد يبادر إلى ما وعده الله من المغفرة لخطاياها و هو لسان جملة من الأحاديث التي تقول: إن من وقف في عرفة عاد كيوم ولدته أمه - أي غفرت سيئاته و تاب الله عليه..

(جعلته سبحانه و تعالى للإسلام علما و للعائدين حرما فرض حقه و أوجب حجه و كتب عليكم وفادته فقال سبحانه: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ » ) فهذا البيت بمثابة العلم الذي يهتدي به الضالون و يأمن من خلاله التائهون فهو علامة العز للإسلام و الرفعة و العلو و من دخله كان آمنا لا يجوز إخراجه منه أو إيذائه فيه.

و في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام و قد سئل عن قول الله «وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» قال من دخل الحرم مستنجرا به فهو آمن من سخط الله و ما دخل من الوحش و الطير كان آمنا من أن يهاج أو يؤذى حتى يخرج من الحرم و من هنا فقد فرض الله له حقا و هو أن لا يهتك بأمر مشين بل يجب على الناس تعظيمه و احترامه و قد أوجب الله على الناس حجه و كتب عليهم زيارته فقال سبحانه «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ » ..

إشارة

بعد انصرافه من صفين وفيها حال الناس قبل البعثة و صفة آل النبي ثم صفة قوم آخرين

حال الناس قبل البعثة

إشارة

أحمدته استتماما (1) لنعمته، و استسلاما (2) لعزّته، و استعصاما (3) من معصيته. و أستعينه فاقا (4) إلى كفايته (5)؛ إنّه لا- يضلّ من هداة، و لا يئث (6) من عاداه، و لا يفتقر من كفاه؛ فإنّه أرجح ما وزن، و أفضل ما خزن (7).

و أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، شهادة ممتحنا إخلاصها، معتقدا مصاصها (8)، نتمسك بها أبدا ما أبقانا، و ندّخرها لأهاويل (9) ما يلقانا، فإنّها عزيزة (10) الإيمان، و فاتحة الإحسان، و مرضاة الرّحمن، و مدحرة الشّيطان. و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله، أرسله بالدين المشهور، و العلم (12) المأثور (13)، و الكتاب المسطور (14)، و التّور السّاطع (15)، و الضّيء اللّامع، و الأمر الصّادع (16)، إزاحة (17) للشّبهات (18)، و احتجاجا بالبيّنات، و تحذيرا بالآيات، و تخويفا بالمثلات (19)، و النّاس في فتن انجذم (20) فيها حبل الدّين، و تزعزعت (21) سوارى (22) اليقين، و اختلف النّجر (23)، و تشتّت الأمر (24)، و ضاق المخرج، و عمى المصدر، فالهدى خامل (25)، و العمى شامل. عصي الرّحمن، و نصر الشّيطان، و خذل (26) الإيمان، فانهارت (27) دعائمه (28)، و تنكّرت (29) معالمه (30)، و درست (31) سبله، و عفت (32) شركه (33). أطاعوا الشّيطان فسلخوا مسالكه (34)، و وردوا

مناهله (35)، بهم سارت أعلامه، وقام لواؤه (36)، في فتن داستهم (37) بأخفافها (38)، ووطئتهم (39) بأظلافها (40)، وقامت على سنابكها (41)، فهم فيها تائهون (42) حائرون جاهلون مفتونون، في خير دار، وشرّ جيران. نومهم سهود (43)، و كحلهم (44) دموع، بأرض عالمها ملجم (45)، و جاهلها مكرم.

## اللغة

- 1 - الاستتمام: طلب التمام.
- 2 - الاستسلام: الانقياد.
- 3 - الاستعصام: طلبا للعصمة وهي المنعة.
- 4 - الفاقة: الحاجة.
- 5 - الكفاية: ما يحصل به الاستغناء عن غيره.
- 6 - لا ينل: من وأل ينل نجا.
- 7 - الخزن: الادخار.
- 8 - المصاص: الخالص من كل شيء.
- 9 - الأهاويل: الأمور المفزعة.
- 10 - العزيمة: العقيدة والجد والاجتهاد.
- 11 - المدحرة: المبعدة والدحر هو الطرد والإبعاد.
- 12 - العلم: ما يهتدى به.
- 13 - المأثور: المختار، المنقول يقال حديث مأثور أي ينقله خلف عن سلف.
- 14 - المسطور: المكتوب.
- 15 - الساطع: اللامع.
- 16 - الصادع: من الصدع وهو الشق وهنا بمعنى الظاهر أو الحاكم.
- 17 - الإزاحة: الإزالة.

18 - الشبهات: جمع شبهة وسميت بذلك لأنها تشبه الحق.

19 - المثلات: العقوبات.

20 - انجذم: انقطع 21 - تزعزت: يقال زعزعت الريح الشجر إذا حركته و تزعزع إذا تخلخل و تضعضع.

22 - السواري: جمع سارية وهي الأستوانة، العمود، الدعامة.

ص: 57

- 23 - النجر: الأصل.
- 24 - تشتت الأمر: توزع و افترق.
- 25 - الخامل: الساقط من أعين الناس الذي لا ينتبه إليه.
- 26 - خذله: ترك نصرته، ولم يعنه.
- 27 - انهار السقف: سقط.
- 28 - الدعائم: الأركان.
- 29 - تنكر: تغيّر.
- 30 - المعالم: مفردھا معلم، ما يستدل به على الطريق.
- 31 - درست سبله: طمست، طرقة.
- 32 - عفت: انطمست، و اندرست.
- 33 - شركة: طرقة جمع شركاء الطريق.
- 34 - سلك مسلكه: دخل مدخله.
- 35 - المناهل: المشارب، و هو جمع منهل.
- 36 - اللواء: جمع ألوية العلم و هو دون الراية.
- 37 - داسه: من الدوس و هو الوطىء بالرجل.
- 38 - الأخفاف: جمع خف و هو للبعير كالتقدم للإنسان.
- 39 - وطأ الشيء: داسه برجله.
- 40 - الأظلاف: جمع ظلف بالكسر و هو للبقرة و الشاء و شبههما كالتقدم للإنسان.
- 41 - السنابك: جمع سنبك طرف الحافر.
- 42 - تائهون: جمع تائه و هو الضال.
- 43 - السهود: و السهاد، قليل النوم، الأرق.

44 - الكحل: الإثمد، و هو حجر يطحن و يذر في العين لشفائها...

45 - ملجم: من اللجام و هو ما يجعل في فم الفرس من الحديد يمنعها من العض و يساعد على ضبطها..

## الشرح

## إشارة

(أحمدته استتماماً لنعمته و استسلاماً لعزته و استعصاماً من معصيته و استعينه فاقّة إلى كفايته).

الحمد لله:

الحمد ليس كلمة على الشفاه يتردد بدون معنى بل هو أعمق من ذلك إنه إقرار في

ص: 58

داخل النفس بعظمة الله وعطائه وبما أغدق على هذا الإنسان من الخيرات والبركات...

الحمد وقفه شكر لله أمام كل نعمة، وقفه اعتراف وإقرار بعجز هذا الإنسان عن أداء شكر الله...

1 - وفي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام وقد سأله محمد بن مروان عن أحب الأعمال إلى الله عز(1) و جل فقال: أن تحمده.

2 - وفي الحديث أيضا عن أبي عبد الله قال: من قال أربع مرات إذا أصبح:

الحمد لله رب(2) العالمين فقد أدى شكر يومه و من قالها إذا أمسى فقد أدى شكر ليلته.

3 - وفي الحديث عن أبي عبد الله قال: من(3) قال الحمد لله كما هو أهله شغل كتاب السماء.

قلت (الراوي): وكيف يشغل كتاب السماء.

قال الإمام: يقولون اللهم إنا لا نعلم الغيب.

فيقول: اكتبوها كما قالها عبدي وعليّ ثوابها ويستحب حمد لله عند تكاثر النعم و ظهورها.

4 - في الحديث عن رسول الله قال: من تظاهرت عليه النعم(4) فليكثر الحمد لله.

5 - وفي الحديث الآخر عن رسول الله قال: لا إله(5) إلا الله نصف الميزان و الحمد لله يملؤه..

### مع كلامه الشريف:

أحمد الله طلبا لتمام نعمته فأنا أحمد الله حالة كوني أطلب نعمته بتمامها كاملة و من جميع الجهات فالحمد يؤدي إلى زيادتها و تماميتها لقول الله تعالى: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» (6) و أحمدته انقيادا لعظمته و منعته فأنا أحمده من أجل ما هو فيه من المنعة و العزة خوفا من عقابه.. و كذلك أحمدته طالبا أن يمنعني من معصيته و يحجبني عن خطيئته.

ص: 59

1- وسائل الشيعة كتاب الصلاة باب الدعاء.

2- وسائل الشيعة كتاب الصلاة باب الدعاء.

3- وسائل الشيعة كتاب الصلاة باب الدعاء.

4- وسائل الشيعة كتاب الصلاة باب الدعاء.

5- وسائل الشيعة كتاب الصلاة باب الدعاء.

6- سورة إبراهيم، آية - 7.



و استعينه و أنا الضعيف فأنا المحتاج حاجة شديدة و فقرا مدقعا أستعينه فأنا بحاجة إلى عطاياه لا أستغني عن نواله و منحه قال تعالى (1):  
«يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» .

(إنه لا- يضل من هداه و لا يئل من عاداه و لا يفتقر من كفاه فإنه أرجح ما وزن و أفضل ما خزن) قال تعالى: (2) «وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ» فالهداية بيد الله و ليس معنى أنها بيده أن يحمل الإنسان عليها فهرا عنه و يجبره على الهدى فإن ذلك مما يتنافى و التكليف و هو على مستوى حملة على المعصية في المنع و الرفض بل هدايته سبحانه أن يفتح أمام الإنسان أبوابها و يرشده إليها و يوفر له سبلها كأن يخلقه من أبوين مسلمين و يوفر له تربية صحيحة على أيدي أهله و يريه بعين البصيرة منازل المهتمدين و درجاتهم فتفتح له من خلال ذلك أبواب الهداية و نوافذ السعادة كما أن إضلاله تعالى لعبده إنما يكون إذا تخلى عنه و تركه و شأنه فإن الشيطان يستولي عليه و يسيطر على عقله و يحرفه نحو الشر و الرذيلة...

و من يهدي الله فلا مضل له فهو إذا تولى عبده هداه و لا يضل بعد هداه..

- و لا ينجو أبدا من عذاب الله من عاداه و كيف ينجو هذا المخلوق الضعيف الحقير من الرب العظيم الكبير؟! كيف يتخلص من عذاب الله إنسان و لا ملجأ له إلا هو و لا مهرب منه إلا إليه؟... و كل مخلوق ضعيف يكفيه هم نفسه.

- و من كفاه الله و أعطاه حاجته فلا يحتاج و لا يفتقر و الله هو الغني المطلق متى يعطي فردا فلا يصيبه الفقر أبدا.

قال الإمام زين العابدين في صحيفته السجادية: فمن حاول سدّ خلته من عندك و رام صرف الفقر عن نفسه بك فقد طلب حاجته في مظانها و أتى طلبته من وجهها و من توجه بحاجته إلى أحد من خلقك أو جعله سبب نجاحها دونك فقد تعرض للحرمان و استحق من عندك فوت الإحسان..

فإنه أرجح ما وزن و أفضل ما خزن و الضمير في «إنه» قالوا إنه يرجع إلى الله و من اتخذ الله إلى جانبه و معه فإنه الناجح في حياته و السعيد في آخرته.. و قالوا و هو الأرجح إنه راجع إلى الحمد الذي دل عليه الحمد في مطلع الخطبة و حمد الله أرجح شيء إذا 7.

ص: 60

1- سورة فاطر، آية - 15.

2- سورة الزمر آية - 37.

وزن به وأفضل ما يدخره الإنسان لوقت حاجته.

(وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ممتحن إخلاصها معتقدا مصاصها متمسك بها أبدا ما أبقانا وندخرها لأهويل ما يلقانا فإنها عزيمة الإيمان و فاتحة الإحسان و مرضاة الرحمن و مدحرة الشيطان) قرن الإمام شهادة أن لا إله إلا الله بحمد الله و نفي الشريك عنه لما في نفيه من التنزيه لله عن النقص و الحاجة و قد أراها منا أن تكون ذات مواصفات عالية بها يتحقق مضمونها و هذه المواصفات هي:

أولاً: أن تكون شهادة ممتحن إخلاصها أي شهادة يتوافق فيها اللسان مع الجنان اختبر نفسه فيها فكانت النتيجة الاعتقاد بها خالصا من الشرك و الشرك.

ثانياً: معتقدا مصاصها أي عاقدا قلبه على حقيقتها و عمقها و ما تطوي عليه فكان اللسان يحكي عما في الضمير الخالص..

ثالثاً: دعا إلى التمسك بها مدة بقائنا في الحياة فإن بها عز الدنيا و سعادتها، و ما تمسك بها أحد في الدنيا إلا عاش عزيزا كريما حقق لنفسه و أمته أرفع درجات الكرامة و كذلك يعدّها إلى شدائد القيامة و عظائمها فإن في تلك الوقفات أموراً رهيبية و عقبات شديدة لا يزيلها أو يذللها إلا هذه الكلمة فإنها هي التي تفتح باب الجنة أمام طلابها و ترفع العذاب و العقاب.. و المسلم تبقى كلمة لا إله إلا الله في قلبه و على لسانه طيلة بقائه في دار الدنيا و أيضا هي عدته يوم القيامة أو بها نجاته من النار...

رابعاً: فإن شهادة لا إله إلا الله هي عقيدة الإيمان و أساسه و كل الأمور الأخرى تتفرع عنها و تأتي بعدها و قد كانت هذه الكلمة تدخل الناس في الإيمان و ترفع عنهم السيف كما إن من رفضها و لم يقبلها كان في عداد الكفار و لاحقته سيف الإسلام أينما كان..

خامساً: إنها فاتحة الإحسان لأن الإنسان بمجرد أن ينطق بها دخل في جملة المؤمنين بالله و هذا يدفعه إلى البحث عن الرسول و هذا بنفسه يدخله في عالم الخير و البركة و كل ما فيه نفع لنفسه و لغيره..

سادساً: وهي أيضا مرضاة للرحمن لأن فيها إقراراً بالله و اعترافاً بوجوده في طرفها الإيجابي كما إن فيها طرداً للشيطان و قهراً له و إذلالاً لمقامه من جهة طرفها السلبي و أي إذلال أشد للشيطان من أن ترفع الآلهة و تنفيها من الوجود و تجعل لله وحده كل الوجود و كل موجود...

كلمة لا إله إلا الله:

«لا إله إلا الله» أخصر شعار لأعمق مضمون وأشمل معنى.. إنها الكلمة التي قضت على الآلهة كلها سواء كانت بشرية أو صنمية أو معنوية... قضت على الأهواء والشهوات والنزوات..

«لا إله» نفي مطلق لكل إله تصطنعه خيالات الناس و تصوراتهم... نفي مطلق لمن فرض نفسه إلهًا يتحكم في رقاب الناس ويمارس عليهم الربوبية بدون حق أو استحقاق...

وفي المقابل تجد الإثبات في أروع محل وأعظمه «إلا الله» فالله وحده هو الإله..

لا إله إلا الله حررت الإنسان من الظلم والعبودية وحققت له إنسانيته وجعلته عظيمًا وكبيرًا...

وهذه الكلمة قد بيّنت الأحاديث أهميتها ونحن ننقل عينات من ذلك.

1 - ورد عن النبي بأسانيد جملة (1) عن جبرئيل عن الله عز وجل قال: لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي.

2 - قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

لا إله إلا الله نصف (2) الميزان والحمد لله تملأه.

3 - قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

ما قلت ولا قال القائلون (3) قبلي مثل «لا إله إلا الله».

4 - عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

من قال: لا إله إلا الله مخلصًا (4) دخل الجنة وإخلاصه أن يحجزه لا إله إلا الله عما حرم الله عز وجل.

5 - عن الصادق عليه السلام عن آباه (5) أن رسول الله قال:

لقنوا موتاكم لا إله إلا الله فإن من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة.

(و أشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله بالدين المشهور والعلم المأثور، والكتاب.

ص: 62

1- البحار ج 90 كتاب الدعاء.

2- البحار ج 90 كتاب الدعاء.

3- البحار ج 90 كتاب الدعاء.

4- البحار ج 90 كتاب الدعاء.

5- البحار ج 90 كتاب الدعاء.

بعد أن شهد الله بالوحدانية شهد لمحمد بالرسالة وهذه الشهادة هي مفتاح تلك وبابها ولا تقبل الأولى بدون الثانية ولا يكون لها معنى بدونها لأن معرفة الله تستدعي معرفة الطريق إليه ومعرفة الطريق إليه لا تتأتى إلا عن طريق معرفة رسوله الذي يتلقى مرادته ويبلغها للناس.. فالرسول واسطة بين الله وبين هذا الإنسان وعن طريقه يصل الإنسان إلى الله ويتعرف على أحكامه وما يريد منه.. وقد وصفه بالعبودية لأنها أشرف صفة تحريرية.. فمن كان عبدا لله تحرر من عبودية غيره سواء كان ذلك الغير صنما أو وثنا أو هوى النفس أو العشيرة أو الحزب أو التنظيم أو أي إطار آخر وعنوان آخر.. ثم ذكر بعض خصوصيات ما جاء به الرسول فقد أرسله الله بالدين الظاهر البين الواضح..

والعلم الماثور أي الدين الذي يهتدي به الناس لسموه وعظمته والمختار من قبل الله والمهيمن على الأديان كلها وأراد بالكتاب المسطور القرآن المكتوب في اللوح المحفوظ المنزل على الرسول والمحفوظ في نفوس الناس وقلوبهم والنور الساطع الذي يهدي إليه التائه ويرد الضال والضياء اللامع الذي يبرق فينير الدرب للسالكين والأمر الصادع هو الكاشف للحق المبين له والمظهر لحقائقه.

(إزاحة للشبهات) وهذه بعض علل البعثة وإحدى دواعيها إنها كانت لرفع الشبهات التي كانت تسري في ذلك الوقت بين المجتمع وكان السماسرة والدجالون يموهون على الناس ويلبسون الحق بالباطل ليضلوا البشرية ويحرفوها عن عبادة الله إلى عبادة غيره من طواغيت الأرض وفراعنة الزمن... ببركة البعثة النبوية ارتفعت الشبهات التي كان يثيرها أصحاب الامتيازات من حكام وزعماء مدنيين ودينيين.

(و احتجاجا بالبينات) فإن رسول الله قد جاء بأوضح البراهين وأظهر البينات.. إنه لم يقل للناس عطلوا عقولكم واتبعوني ولا أغمضوا عيونكم وقلدوني.. بل قال لهم هذه براهين الصديق على ما أدعي.. لقد توضحت الحقيقة أمام أنظار قريش بل العالم كله وقد أثبتت الشريعة الإسلامية صدق رسول الله بعد هذه الفترة الطويلة من عمر الإنسان وقد دخل كثير من العلماء والأدباء والفلاسفة في دين الإسلام بعد تطواف طويل في عالم الأديان والمذاهب وبعد دراسة امتدت عقودا من أعمارهم... بعد ذلك أدركوا أن أحكام الإسلام و تعاليمه هي التي يجب اتباعها والأحق بالإيمان بها.. فإن عقيدة تنزه الله عن حالات الإمكان البشري وتجعل الأنبياء طاهرين مقدسين وتأتي بالإسلام شريعة متكاملة تنظم حياة الفرد والمجتمع أقول أن عقيدة وشريعة بهذه المثابة لجدير بكل

صاحب عقل قد تنزه عن الهوى والغرض أن يؤمن بها ويتبعها ويدعو إليها..

(و تحذيرا بالآيات) فإن تخويف الناس من عذاب الله وعقابه لكي يرتدعوا عن الباطل ويؤمنوا بالحق كانت إحدى الوسائل التي يتبعها الداعون إلى الله إذ ربما رغب الإنسان عن المنفعة وأعرض عنها ولكنه لن يترك عوامل الخوف تسيطر عليه وتقهره فلذا كان دفع الضرر و الخوف أولى من جلب المنفعة وأقوى على تحريك الإنسان نحو تحقيق المراد وقد كان التخويف بالنار و ما أعدده الله من العذاب على مستوى الترغيب بالجنة و ما فيها من نعيم و قوله عليه السلام من قوله تعالى(1): «وَمَا تُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا» .

(و تخويفا بالمثلات) فقد كان النبي يخوف قريشا بل العرب و الناس جميعا أن يصيبهم ما أصاب الأمم السابقة حيث أخذهم الله تارة بالطوفان و أخرى بالصاعقة و ثلاثة بالقحط و الجوع و رابعة أرسل عليهم القمل و الضفادع و خامسة أرسل عليهم الصيحة و هكذا فكان يخوفهم أن لم يؤمنوا به و يصدقوه أن يصيبهم ما أصاب السابقين.

(و الناس في فتن انجذم فيها حبل الدين) بعد أن ذكر عليه السلام دواعي البعثة و أسبابها ذكر حال الناس و ما كانوا عليه من ضلال و فساد فقد كانوا يعيشون الاختلاف و التشتت و البدع الباطلة و ليس للدين أثر أو وجود.. كان هناك زخرفة الكهان و عقد السحرة و بدع المشعوذين و أما الدين فقد انقطعت علاقاتهم به و تنكروا له و لأحكامه..

(و تزعزت سوازي اليقين) اضطربت أسس الدين عندهم فتزلزلت عقيدتهم بالله و يقينهم به و بكتبه و رسله فكانوا يعبدون الأصنام يتوجهون إليها بالدعاء و طلب الحاجات تاركين الله معرضين عنه و قد كانت مواقفهم العدائية للنبي من الأدلة على اضطراب عقائدهم و تشتت أمرهم و انحراف طريقهم.

(و اختلف النجر و تشتت الأمر) اختلفوا في أصل العقيدة التي هي الإيمان بالله و توحيده و عبادته فمنهم من أنكر وجوده و منهم من شبهه بخلقه و منهم من أشرك معه غيره فتوزع الناس و اختلفوا فيما بينهم و لم يعد لهم وحدة جامعة تؤلف بينهم و تجمع شملهم..

(و ضاق المخرج و عمي المصدر) فهذه الفتن و الضلالات قد استحكمت بين الناس و أحاطت بهم حتى أصبح الخروج منها متعسرا.. لقد أضحت دينا يصعب الخروج منها9.

ص: 64

بل من فُكّر في الخروج منها لم يهتد إلى أبواب السلام وقوارب النجاة... لأن الجاهلية أحكمت قواعدها وأحاطت المجتمع من جميع جوانبه ولم تترك لهذا الإنسان منفذا يرى منه النور الذي يهتدي به إلى الله ويقوى به على الخروج من هذا السور المضروب حوله.

(فالهدى شامل والعمى شامل) فالهدى المتمثل بقواعد الحق والعدل من التوحيد والإيمان والالتزام بالواجب لا وجود لكل ذلك ولا يحكم شيئا من سلوكيات الناس وحركة حياتهم بينما الباطل المتمثل بالكفر والإلحاد والبعد عن الله والفوضى والانحلال كل ذلك عام شامل قد بسط جناحين على الناس واستولى على حياتهم ومجتمعهم.

(عصي الرحمن ونصر الشيطان) ويا له من مجتمع أحمق ضال منحرف فاسد يعصى الرحمن فلا يطاع له أمر وكل أوامره لصالح هذا الإنسان وسعادته بينما انتصر الشيطان بأعدائه الجاهليين الذين اتبعوه في مفسده وذنائله وكل انحرافاته من قتل النفس المحترمة ونشر الزنا والسعي في فساد البيئة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وجمع وجوه الحياة...

(وخذل الإيمان فانهارت دعائمه) عند ما لا ينتصر للإيمان ولا يدافع عنه ويتخلى كل فرد عن مهمته ومسئولياته في حمل راية الحق والدعوة له عندها تسقط أركان هذا الإيمان وتتداعى بنيته ولا يتماسك بنيانه.. ولو لا تهاون المؤمنين في تحمل مسئوليتهم لم يجرؤ الباطل على أن يتولى الأمر ويحكم بين الناس ويسيطر ظله عليهم ولكن تقاعس المؤمنين فسح المجال أمام المبطلين وهذا أدى إلى انهيار أركان الإيمان ودعائمه..

(و تنكرت معالمه و درست سبله و عفت شركه) فمن تبعات خذل الإيمان أن تتغير أحكامه و ما كان ظاهرا منه و يتنا فيه و كذلك تمّحي الطرق الموصلة إليه، بموت العارفين فيه والأوصياء عليه و كذلك تنطمس طرقه المستقيمة و سبله الصحيحة..

(أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه و وردوا مناهله) و هذه طريقة أهل الجاهلية عند ما بعث الله نبيه لقد أطاعوا الشيطان في أوامره فهو المعلم و هم التلامذة اتبعوا أثره و ساروا دربه و قصدوا قصده و شربوا من ضلاله و انحرافه.

(بهم سارت أعلامه و قام لواؤه) بهؤلاء المشركين تحركت آمال الشيطان و ارتفعت فيهم المعاصي بحيث أنهم جسّدوا ما يريد و يطلبه فهم راياته الباطلة التي تتحرك و بهم استقام أمر الشيطان و قوي.

(في فتن داستهم بأخفافها و وطئتهم بأظلافها و قامت على سنانكها) و هذه صورة من

صورهم يتخيلها الإنسان فيتخوف منها لما فيها من الذل والضرر والبؤس ولما فيها من الشدة، فهذه الفتن التي كانوا فيها كأنها إبل قد داستهم بأخفافها وكم في هذه الصورة من الضعف، جمل على كبره يدوس إنسانا بخفه تعظيماً للفتنة والضلالة واحتقاراً وامتهاناً لهم أو بقرة تطأ إنساناً أو فرساً تقوم على أطراف حوافرها عليهم.. إنها فتنة شديدة.

(فهم فيها تائهون حائرون جاهلون مفتونون في خير دار و شر جيران) إنهم لا يدرون الحق من الباطل ولا يميزون الخير من الشر لا يهتدون إلى ما ينفعهم وهم في جهل وعمى لا علم ولا ثقافة ولا حضارة، إنهم منحرفون عن الحق والصواب و عما فيه خيرهم.. إنهم في خير دار وهي مكة المكرمة فإنها بلدة مقدسة يحترمها الجميع و يشدون إليها الرحال و لكنهم في شر جيران وهي قريش الظالمة المعتدية التي لم تستقم على الجادة و لم تعترف بالحق...

(نومهم سهود و كحلهم دموع بأرض عالمها ملجم و جاهلها مكرم) ما أجمل هذه العبارة و أروعها سبحانه من أعطاه البيان لقد جعلهم ينامون و لكن نومهم أرق و قلق و هو أشق من اليقظة و جعلهم يكتحلون و الكحل حجر ترتاح له العين و تشفى به و جعلهم يكتحلون بالدموع فهم في حالة بكاء مستمر.

و عند ما كنت أقرأ عبارته عليه السلام عالمها ملجم و جاهلها مكرم ضربت بطرفي نحو واقعنا المعاش فوجدته ينطبق عليه بدقة و كأننا في زمن الجاهلية فالعلماء و أصحاب الرأي لا يسمح لهم و لا يقبل منهم أنني أنظر إليهم في تيجانهم الكريمة و قد حوصروا في بيوتهم و منعوا من الحديث و ضربت عليهم العصابات أسواراً منيعة منعت من خلالها الناس أن يسمعو لهم أو يقتدوا بهم.. إنهم مراجع و قادة و لهم الأمر و النهي قد منعوا من الكلام و إن تكلموا فلا- أحد يسمع لهم بينما ارتفعت أصوات الجاهلين الذين لا يعرفون أحكام الخلوة و الطهارة.. لقد تصدروا الواجهة و صاروا أصحاب الرأي و بيدهم الأمر و النهي و قد نجح الاستعمار في هذا السبيل عند ما أبعد عن الساحة أهلها و أصحابها و أتى بمن ليس أهلاً لها و لا معرفة له بها..



## اشارة

هم موضع (1) سرّه (2)، و لجأ أمره (3)، و عيبة (4) علمه، و موئل (5) حكمه، و كهوف (6) كتبه، و جبال دينه، بهم أقام انحناء (7) ظهره، و أذهب ارتعاد (8) فرائضه (9).

## اللغة

- 1 - موضع: مكان، محل.
- 2 - السرّ: ما يكتمه الإنسان في نفسه.
- 3 - لجأ: اللجأ هو الملاذ و المعتصم.
- 4 - العيبة: الوعاء و فلان عيبة علمي أي موضعه.
- 5 - موئل: مرجع.
- 6 - الكهوف: المغارات.
- 7 - الانحناء: الاعوجاج.
- 8 - ارتعد: اضطرب و الارتعاد الاضطراب.
- 9 - الفرائض: جمع الفريضة، اللحمة بين الجنب و الكتف لا تزال ترتعد.

## الشرح

(موضع سره و لجأ أمره) و هذه بعض فضائل أهل البيت و خصائصهم إنهم آل محمد و ما أدراك ما آل محمد؟!.. صفوة البشرية و خيرة الله من البرية هم و الله موضع الأسرار النبوية و ما عندها من العلوم و الأمور الغيبية و هذا الاختصاص بهم لسر في طبائعهم المطهرة الطاهرة المستعدة لقبول هذا الفيض الرباني و إليهم يلجأ الخلق و يرجعون عند الاختلاف و النزاع لأن عندهم علم الدين و هم أدري الخلق فيه و في زيارة الجامعة الكبيرة.. ارتضاكم لغيبه و اختاركم لسره..

(و عيبة علمه) مستودع العلم الإلهي فكما تحفظ الأمور الثمينة في خزائنها و يحافظ

عليها فيها فلا تضيع أو تلتف فأهل البيت موضع العلم الذين لا ييخلون عن الناس به و لا يضيعونه أو يكتمونونه.. وفي زيارة الجامعة الكبيرة «و حفظة لسره و خزنة لعلمه و مستودعا لحكمته و تراجمة لوحيه».

(و موئل حكمه و كهوف كتبه و جبال دينه) فالأحكام الإلهية ترجع إليهم و تؤخذ منهم لأنهم أخبر الناس بها و أكثرهم وقفا عليها عندهم تحرز كتب السماء التي تمثلت بالقرآن و تعاليم الإسلام و من هنا كان الإمام يقول: و الله لو ثنيت لي الوسادة لأفتيت لأهل التوراة بتوراتهم و أهل الإنجيل بإنجيلهم و أهل الزبور بزبورهم و أهل القرآن بقرآنهم...

و بهم يستقر الدين و يثبت فلا يتزلزل أو يضطرب أو يتعرض لهزات تأتي عليه كما إن الجبال أوتاد للأرض.. و من هنا كان أئمة أهل البيت عليهم السلام يهتبون إلى الدفاع عن الإسلام و نصرته في كل موقف يشعرون فيه إنه في خطر أو يمكن أن يلحقه ضرر.

(بهم أقام انحناء ظهره و أذهب ارتعاد فرائضه) بهم اشتد الإسلام و قوي الدين فأذهب الله بهم ضعفه و وهنه و كانوا أركان المدافعين عنه لقد كان ضعيفا في ابتداء أمره اجتمعت العرب على حربه و القضاء عليه و كانت المحاولات تلو المحاولات من أجل أن ينتهوا منه و يتخلصوا من وجوده و قد شتوها حروبا دامية كان الإمام علي سيد المواقف فيها، أطاح برءوس الأبطال و قضى على الشجعان حتى قوي الاسلام و ثبت و ذهب عنه ما يخاف عليه منه و نظرة واحدة يلقيها الإنسان على معارك الإسلام و حروبه يجد أن بطلها كلها و المتفرد فيها هو الإمام علي عليه السلام...

**و منها يعني قوما آخرين**

**اشارة**

زرعوا الفجور (1)، و سقوه الغرور (2)، و حصدوا (3) الثبور (4)، لا يقاس بآل محمّد صلّى الله عليه و آله من هذه الأمة أحد، و لا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا: هم أساس الدّين، و عماد اليقين. إليهم يفىء (5) الغالي (6)، و بهم يلحق (7) التّالي (8). و لهم خصائص (9) حقّ الولاية، و فيهم الوصيّة و الوراثة، الآن إذ رجع الحقّ إلى أهله، و نقل إلى منتقله!

ص: 68

1 - الفجور: العدول عن الحق، الزنا، الاسترسال في المعاصي.

2 - الغرور: الخداع و الباطل.

3 - حصد: يقال حصد الزرع إذا قطعه.

4 - الثبور: الهلاك.

5 - يفيء: يرجع.

6 - الغالي: من الغلو و هو تجاوز الحد.

7 - لحق: أدرك، و لحقه أدركه.

8 - التالي: التابع.

9 - خصائص: جمع خصيصة أي خاصة به و مختصة.

## الشرح

(زرعوا الفجور و سقوه الغرور و حصدوا الثبور) بعد أن ذكر أهل البيت و بعض خصائصهم ذكر هنا بعض أوصاف أعدائهم و قد ذهب أكثر شراح النهج إلى أنه يريد الأمويين أعداء الإسلام و المسلمين و خصوصا معاوية رأس الفئة الباغية و طاغوتها الأعظم و لا شك أن هذه الأوصاف تنطبق عليهم و تحكي واقعهم و تصدق على مسيرتهم..

إنهم قوم زرعوا الفجور و هو المنكر و الرذيلة و سعوا في محاربة الحق و أهله و قتل الدين و المتدينين و قد عرف عن بني أمية ذلك فقد كانوا أهل فجور و كفر بينما كان بنو هاشم أهل عفة و ورع.

و هذا الزرع لكي يكبر و ينمو و يقوى لا بد له من ماء يسقى به و كل شيء له سقاية من نوعه و ما يلائمه و الفجور له ماء يسقى به و هو الغرور، و هذا الغرور هو الذي كان ينمي الفجور و يغذي الانحراف و كان بنو أمية يعيشون هذه الحالة القبيحة يتصورون الهاشميين أندادا لهم فيروحون في حركة غرورية تدفعهم إلى مجاراتهم بل ربما ادعوا التقدم عليهم و السبق لهم و لكن كان عاقبة هذا الزرع للفجور و السقي له بالغرور أن يحصد أصحابه الهالك و الدمار و هذه نتيجة طبيعية لمثل هذه المقدمات، و قد حصد بنو

أمية أسوأ النتائج وأبجها فلم يكادوا يحسون بلذة الدنيا حتى انقضَّ عليهم بنو العباس فأزالوهم عنها وقضوا عليهم ولم يبق منهم مخبر و حتى اليوم يخجل الفرد إذا نسبته إليهم بل ينكر ذلك و يتنكر له هذا في الدنيا و أما في الآخرة فإنه عذاب الله و عقابه الذي لا يقوى عليه بشر سيظالمهم و يحل بهم.

(لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه و آله من هذه الأمة أحد و لا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا) لكي يقاس شيء بشيء و يقارن به يجب أن يكون هناك وحدة تجمعهما و يلتقيان عندها و لذا لا يقاس الدر بالحجر و التبر بالتبن و الثريا بالثرى.. و آل محمد وحدة فريدة من نوعها.. طينة و عجينة و صنعا و تكويننا نظر الله إلى بني آدم نظرة فكان أهل البيت موضع اختياره و اجتهائه.. صفاهم من كل رذيلة و طهرهم من الرجس و حباهم بكل مكرمة فكانوا الرأس و القلب و ما عداهم سائر الجسد و لا يقاس بالرأس و القلب شيء من الأعضاء..

و كيف يساويهم من جرت نعمتهم عليه فعن أيديهم كانت الهداية و كانوا السبب في إيصال الخير إلى الناس و ما هذه النعم التي نتمتع بها و هذا التحرر الفكري و الإيمانى إلا ببركة آل رسول الله، فلو لا جهاد علي و صلح الحسن و شهادة الحسين و علم الأئمة لم يبق للإسلام أثر.. و اليد العليا خير من اليد السفلى و المنعم أشرف من المنعم عليه..

(هم أساس الدين و عماد اليقين) آل محمد عليهم يقوم الدين كما يقوم البناء على أساسه، و بمقدار ما يكون الأساس قويا محكما ثابتا يكون البناء راسخا شامخا قويا و آل محمد هم أساس هذا الدين فعن أيديهم كان، و هم أهله و رعاته و المدافعون عنه.. هم مبلغوه و ناشروه و هم الذين رسخت العقيدة في نفوسهم حتى قال علي عليه السلام كلمته ((و الله لو كشف لي الغطاء ما أزدت يقينا)) فكان التعبير عن نهاية الوصول إلى أرفع درجات الإيمان و العقيدة فكانوا هم عماد اليقين من هذه الجهة و من جهة أنهم يرفعون الشبهات و يزيلونها من أمام الناس و يعمقون العقيدة في قلوب الضعفاء حتى يقووا و يشتدوا..

(إليهم يفىء الغالي و بهم يلحق التالي) أهل البيت هم الميزان فمن أراد أن يعرف كفره من إيمانه و شكه من يقينه و عدله من ظلمه و حقه من باطله و صدقه من كذبه و خيره من شره فعليه أن ينظر إلى أهل البيت فإن كانت أفعاله كأفعالهم و أقواله كأقوالهم و سلوكه كسلوكهم و عقيدته كعقيدتهم فهو الصحيح السليم على الصراط المستقيم و إلا فعليه مراجعة حساباته و تصحيح مساره..

من تجاوز ما قالوا وما فعلوا يجب أن يرجع إليهم و من قصّر عن ذلك يجب أن يلتحق بهم. وفي زيارة الجامعة الكبيرة «فالراغب عنكم مارق و اللازم لكم لاحق و المقصر في حقكم زاهق و الحق معكم و فيكم و منكم و إليكم و أنتم أهله و معدنه»..

(و لهم خصائص حق الولاية) إن الشروط و المواصفات التي يجب أن تتوفر في ولي الأمر و المتولي لشئون الأمة، هذه الخصائص من مختصات أهل البيت لا يشاركهم فيها أحد و أخصّ تلك الخصائص أن يكون ولي الأمر معصوما و هذه الصفة اقتضت على أهل البيت بالخصوص و لم تتعد إلى غيرهم و لم يدعها أحد و قد ثبت للعيان و تناقلته الركبان ما تمتع به أهل البيت و ما اختصوا به من علم و حلم و زهد و شجاعة و جرأة و إقدام و غيرها من المناقب و الصفات التي عجز غيرهم عن اكتساب جزء منها فضلا عن أن يجمع أكثرها..

(و فيهم الوصية و الوراثة) فقد جعلهم النبي أوصيائه و قلدهم الأمر من بعده فقال في حق الإمام في حديث الدار في ابتداء الدعوة «إن هذا أخي و وصي و خليفتي فيكم»..

و قد نص النبي على أوصيائه الذين يتولون الأمر من بعده فكان علي و أولاده هم ولاة الأمر و لهم ميراث النبي لأنهم أولى الخلق به في كتاب الله و في منطق العقل و النقل..

(الآن إذ رجع الحق إلى أهله و نقل إلى منتقله) هذا الكلام منه يدل على ظلم من تقدمه و إنهم قد غضبوا حقه و سلبوه إرثه لأنه يقول قد رجع الحق و هي الخلافة - إلى أهله و أصحابه الشرعيين نقل من أيدي الظالمين إلى مكانه الشرعي الصحيح و محله الواقعي السليم.

إشارة

و هي المعروفة بالششقية<sup>(1)</sup> و تشتمل على الشكوى من أمر الخلافة ثم ترجيح صبره عنها ثم مبايعة الناس له أما و الله لقد تَمَّصها (2) فلان (ب) و إته ليعلم أن محلي منها محل القطب (3) من الرّحا (4). ينحدر عتي (5) السيل (6)، و لا يرقى (7) إلي الطير؛ فسدت (8) دونها ثوبا، و طويت (9) عنها كشحا (10). و طفقت (11) أرتي (12) بين أن أصول (13) بيد جدّاء (14)، أو أصبر على طخية (15) عمياء، يهرم (16) فيها الكبير، و يشيب (17) فيها الصّغير، و يكدح (18) فيها مؤمن حتّى يلقي ربّه!

ترجيح الصبر

إشارة

فرايت أن الصّبر على هاتا (19) أحجى (20)، فصبرت و في العين قذّي (21)، و في الحلق (22) شجا (23)، أرى تراثي (24) نهبا (25) حتّى مضى الأوّل لسبيله، فأدلى بها (26) إلى فلان بعده. ثم تمثل بقول الأعشى:

شّتان (27) ما يومي على كورها (28) \*\*\* و يوم حيان أخي جابر

فيا عجباً!! بينا هو يستقيها (29) في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته - لشدّ ما تشطّرا (30) ضرعيها (31)! - فصيرها في حوزة (32) خشناء (33) يغلظ (34) كلمها (35)، و يخشن مسّها (36)، و يكثر العثار (37) فيها، و الاعتذار (38) منها،

ص: 72

1- (ب) فلان كناية عن أبي بكر و في بعض النسخ تصريح بذلك.

فصاحبها كراكب الصَّعبة (39) إن أشنق (40) لها خرم (41)، وإن أسلس (42) لها تقحّم (43)، فمني (44) النَّاس - لعمر الله - بخبط (45) و شماس (46)، و تلّون و اعتراض (47)؛ فصبرت على طول المدّة، و شدّة المحنة (48)؛ حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم، فيا لله و للشورى! متى أعترض (49) الرّيب فيّ مع الأوّل منهم، حتّى صرت أقرن (51) إلى هذه التّظائر (52) لكثي أسففت (52) إذ أسفّوا، و طرت إذ طاروا، فصغا (54) رجل منهم لضغنه (55)، و مال الآخر لصهره (56)، مع هن و هن (57)، إلى أن قام ثالث القوم نافجا (58) حصنيه (59)، بين نثيله (60) و معتلفه (61)، و قام معه بنو أبيه يخضمون (62) مال الله خصمة الإبل نبتة الرّبيع، إلى أن انتكث (63) عليه فتله (64)، و أجهز (65) عليه عمله، و كبت (66) به بطنته (67)!

## اللغة

1 - الشقشقية: الشقشقة شيء يخرج البعير من فيه إذا هاج.

2 - تقمّصها: لبسها كالقميص.

3 - القطب: من الرحي مسمارها الذي عليه تدور.

4 - الرحي: مؤنثة جمعها أرحاء و أرحية، الطاحونة، الجاروش.

5 - انحدر عنه: نزل عنه و هبط مع السرعة.

6 - السيل: الماء الكثير السائر بسرعة.

7 - يرقى: يصعد.

8 - سدلت: الثوب أرخيته.

9 - طويت: ضد نشرت.

10 - كشحا: الكشح ما بين الخاصرة و الجنب.

11 - طفقت: جعلت.

12 - أرّتي: أفكر طلبا للرأي الأصح.

13 - أصول: صال يصول صولة وثب و حمل عليه.

- 14 - الجذاء: من اليد المقطوعة.
- 15 - الطخية: الظلمة.
- 16 - يهرم: هرم كفرح بلغ أقصى الكبر.
- 17 - يشيب: من الشيب وهو بياض الشعر.
- 18 - يكدح: يسعى.
- 19 - هاتا: هذه.
- 20 - أحجى: ألزم وأجدر بالعاقل.
- 21 - القذى: ما يقع في العين من تينة و ما يشبهه.
- 22 - الحلق: مجرى الطعام و الشراب.
- 23 - الشجى: ما يعترض في الحلق من عظم و نحوه.
- 24 - تراثي: ميراثي، ما يتركه الميت من المقتنيات.
- 25 - نهبا: من النهب و هو السلب، و الغنيمة.
- 26 - أدلى بها: ألقاها و دفعها.
- 27 - شتان: بعد و افترق.
- 28 - كورها: كور الناقة رحلها.
- 29 - يستقبلها: يطلب الإقالة منها أي التخلي عنها.
- 30 - تشطر الشيء: أخذ كل منهما شطرا.
- 31 - الضرع: للناقة كالثدي للمرأة.
- 32 - حوزة: طبيعة، ناحية.
- 33 - الخشناء: من الخشن و هو خلاف نعم و لان 34 - الغلظ: ضد الرقة و هي القساوة.
- 35 - كلمها: جرحها.



36 - المس: اللمس.

37 - العثار: الزلل.

38 - الاعتذار: تقديم كلام يرفع عنه اللوم.

39 - الصعبة: الناقة التي يصعب قيادها.

40 - أشنق: الناقة بالزمام إذا جذبها إليه بالزمام.

41 - أخرم: أنفها شقّه.

42 - أسلس: لها أرخى لها الزمام.

43 - تقحّم: هلك.

44 - مني الناس: ابتلوا.

45 - الخبط: السير على غير هدى.

ص: 74

- 46 - الشماس: الامتناع و النفار.
- 47 - الاعتراض: السير غير المستقيم ففي حال سيره طولا كأنه يسير عرضا.
- 48 - المحنة: جمعها محن ما يمتحن به الإنسان من بلية.
- 49 - اعترض: الشيء إذا صار عارضا كالخشبة المعترضة في النهر.
- 50 - الريب: الشك.
- 51 - أقرن: أجمع، و القرن هو الجمع بين الشئتين.
- 52 - النظائر: الأشباه و الأمثال.
- 53 - أسف: الطائر إذا دنا من الأرض.
- 54 - صغى: مال.
- 55 - الضغن: الحقد.
- 56 - الصهر: قيل هو أهل بيت المرأة و قال الأزهري الصهر يشتمل على قرابات النساء ذوي المحارم كالأبوين و الإخوة...
- 57 - مع هن و هن: مع عورات لا أريد ذكرها.
- 58 - نافجا: رافعا.
- 59 - الحضن: ما بين الإبط و الخاصرة.
- 60 - النثيل: الروث.
- 61 - المعتلف: موضع العلف.
- 62 - يخضمون: الخضم الأكل بكل الفم و ضده القضم.
- 63 - انتكث: انتقض.
- 64 - فتله: فتل الحبل لواه.
- 65 - أجهز: على الجريح أسرع في قتله و أتم قتله.
- 66 - كبت: الفرس سقط على وجهه.

## الشرح

## إشارة

في هذه الخطبة أعظم احتجاج من الإمام على من تقدمه من الخلفاء وفيها بيان تظلمه و تصبره و ما ناله من الأذى و لكن مع ذلك كان ينظر إلى مصلحة المسلمين و بقاء شملهم مجتمعاً موحداً ثم يذكر مبايعته يوم خلافته و يوم التقى الناس عليه كخليفة و قد تولى شرحها مستقلاً العديد من العلماء و الفضلاء و نالت حظها من التفصيل حتى بلغ

ص: 75

بعضهم التوسع أن أخذت كتابا مستقلا تجاوز الخمسمائة صفحة بالحجم المعتاد ونحن سنقتصر فيها على الضروري الذي لا بد منه سيرا مع ما التزمنا به في هذا الشرح.

(أما والله لقد تميمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي ينحدر عني السيل ولا يرقى إليّ الطير) نبتة بأما و أقسم بالله أن أبا بكر قد لبس الخلافة كما يلبس القميص لا ينزعها ولا يتخلى عنها وأكد على بطلان هذا التميمص بذكر فضائله وإنه كيف يتقدم المفضول على الفاضل.

فقال إن محله من الخلافة محل القطب من الرحي فكما أن الرحي لها مركز و قطب تدور عليه و هو في وسطها يصحح حركتها و تأخذ توازنا معتدلا في دورانها و لولاه لاختل التوازن و فسدت الحركة الصحيحة فإنه عليه السلام من الخلافة بتلك المنزلة إنه في صميمها و وسطها و قلبها و لا تستقيم أو تعادل و تؤتي ثمارها إلا بوجوده.

ثم أشار إلى منزلته الرفيعة و مقامه الكبير بأن السيل مهما كان متدفقا لا يستطيع أن يطال تلك الذات الطيبة و قيل أن قوله «ينحدر عني السيل» إشارة إلى علومه و حكمه الواصلة إلى العباد.

ثم ألحق هذا الوصف بوصف أرفع و أعلى منه و إنه لعلو منزلته لا يستطيع الطير أن يصل إليه كناية عن علوه و منزلته الرفيعة و قال بعضهم لعله أراد بعدم رقي الطير إليه عجز طائر الأوهام عن الوصول إلى مقاماته الجليلة و قصور العقول عن الإحاطة بمناقبه الجميلة من حيث عدم انتهائها بعد و عدم وقوفها إلى حد...

(فسدلت دونها ثوبا و طويت عنها كشحا) ثم بين عدم رغبته بالخلافة بعد أن اغتصبت منه فقال لقد وضعت بيني و بين الخلافة حاجزا و مانعا لئلا تكون هي المفككة لعري المسلمين المفارقة لوحدتهم و أعرضت عنها و هجرتها و لم يعد لنفسه طمع فيها.

(و طففت أرتي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير و يشيب فيها الصغير و يكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه) شرعت أفكر بعد أن بويع أبو بكر و أجيل الرأي ما ذا أفعل و كيف أتصرف و صرت بين محذورين أحلاهما مر هل أخوضها معركة دامية و حربا طاحنة و لكن لا ناصر و لا معين و لقللة الناصر و المعين إلا أهل بيتي و بعض أصحابي فلا أقدر على تحصيل المراد كاليد المقطوعة فكذلك هي حالي هذا هو الخيار الأول و هو لا جدوى فيه و الخيار الثاني أن أصبر على هذه البلية العظمى من غضب الخلافة و اختلاط الأمور و التباسها و هي محنة قاسية شديدة يرى الظلم و الاستبداد و الجور و الانحراف.. يرى حقه السليب يتصرف فيه غيره و هذه ظلمات شديدة يتيه

الناس فيها و لطول هذه المحنة و شدة قساوتها يهرم فيها الكبير فيبلغ من العمر عتيا و يشيب فيها الصغير و يسعى المؤمن فيها لتحصيل حقه و لكنه يلقي ربه قبل الوصول إليه و إدراكه.

(فرايت أن الصبر على هاتا أحجى) فعند الموازنة الدقيقة و المقارنة بين إعلان الحرب و الصبر على الظلم و غضب الخلافة رأيت أن الصبر أولى و أحسن باعتبار ما تخلفه الحرب من خطر على الإسلام و على وحدة المسلمين و خصوصا في تلك الظروف الصعبة و الإمام هو «أم الصبي» كما يقال فيجب عليه أن يحفظ الإسلام من الاندساس و الضياع و لذا كان مع إعلان تظلمه أمام الناس و بيان حقه و ذكر الغاصبين للخلافة كان يحرص على الإسلام و وحدة المسلمين..

و صبر على غضب حقه و لكن كيف كانت حالته أيام المحنة و كيف كان صبره؟!..

لقد كان صبورا تعجز الرجال عن تحمله و توء الجبال بثقله عبّر عنه بأشق و أصعب ما يصيب الإنسان فقال:

(فصبرت و في العين قذى و في الحلق شجا أرى تراثي نهبا) حالة الإنسان الذي وقع في عينه شيء يؤذيها أو علق في حلقه فهل مثل هذه يصفو له عيش و هل تروق له الحياة و هل يكون في حياته إلا معذبا متألما.

إن عليا يعيش المرارة في أعنف صورها حيث يرى ميراثه و هو الخلافة قد غضب قهرا عنه و لا- يقدر على دفع الغاصب أو استرجاع المغصوب.. صورة تنقل إلينا معاناته و قساوة الدهر عليه أشعر من خلالها بألم نفسي يتتابني و رعدة تهزني من أعماقي لمظلومية هذا الرجل العظيم..

## **الخلافة و السقيفة و بيعة أبي بكر:**

### **لابدية الخلافة:**

الخلافة عن النبي أمر لا بد منه لأن النبي إنسان لا بد أن يصيبه ما يصيب البشر من الموت الذي كتبه الله على خلقه و قد أوجب العقل و النقل وجود إمام يسوس الناس و يدير شؤونهم يحملهم على فعل الطاعات و يزرهم عن فعل المحرمات.

### **على هو الخليفة:**

و من هذا المنطلق العقلاني الذي يشكّل الرسول قطبه بل هو عقل العقلاء كان

يعرف أن أمته لن تخرج عن القاعدة الطبيعة التي تحكم البشر فكان لا بدّ له من أن يرسم لها طريق الخلافة بعده وهذا ما حصل بالفعل فقد عين عليا خليفة بعده ونص عليه في مواطن كثيرة.

ففي ابتداء الدعوة قال للناس: هذا أخي ووصي و خليفتي فيكم - أو من بعدي - فاسمعوا له وأطيعوا..

وعند ما خلفه على المدينة في غزوة تبوك قال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا إنه لا نبي بعدي».

ولما آخى بين المهاجرين والأنصار احتفظ به لنفسه وآخاه وقال عند ما بعث أبا بكر بسورة براءة ثم رده وأرسل عليا بها قال له: «إن عليا مني وأنا من علي، لا يؤدي عني إلا أنا أو علي...».

وقال في حديث الغدير المتواتر عند ما حج حجة الوداع بعد خطبة و مقدمة قال:

من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عادته و انصر من نصره و اخذل من خذله و أدر الحق معه حيثما دار.

ونزلت الآيات في حق أهل البيت فكان علي سيد القوم و رأسهم كما نزلت به بالخصوص آيات أخرى منها قوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ» .

فقد نص المفسرون على أنها نزلت في علي عند ما تصدق بخاتمه و هو قائم في صلاته.

و منها آية التطهير «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمُ تَطْهِيراً» .

و منها آية المباهلة «فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنفُسَنَا وَ أَنفُسَكُمْ» و من المتسالم عليه بين المفسرين و المحدثين أن النبي لم يدع إلا الإمام علي فكان بمثابة نفس النبي فأخذ حكمه ما عدا النبوة...

## النبي يهيب الأجراء لعلي:

مرض رسول الله و أحس من نفسه الفراق فخرج مع مولاه أبي مويهبة إلى البقيع

ليلة وقال له(1): إني أمرت أن استغفر لأهل البقيع فانطلقا حتى إذا وصلاه قال النبي:

ليهنكم ما أصبحتم فيه قد أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم.

ثم قال: قد أوتيت مفاتيح خزائن الأرض و الخلد بها ثم الجنة و خيّر بين ذلك و بين لقاء ربي فاخترت لقاء ربي ثم أستغفر لأهل البقيع و انصرف.

ثم ضرب النبي بعثا إلى الشام و أميرهم أسامة بن زيد مولاه و أمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء و الروم من أرض فلسطين و قد أوعب(2) معه المهاجرون الأولون و الأنصار بما فيهم أبو بكر و عمر و مشيخة المسلمين جميعا، جمعهم كلهم تحت أمرة أسامة الشاب الذي لم يتجاوز العشرين من العمر و قد طعن المنافقون في قيادته مما استدعى النبي أن يغضب من كلامهم فيزكي أسامة و يصصر على بعثه قائلا: «إن تطعنوا في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبل و أنه لخليق للإمارة و كان أبوه خليقا لها...».

و قد كان النبي يصصر على خروج جيش أسامة و لكن كانوا يتباطئون و يتأخرون حتى وصل به الأمر أن دعا على المتخلفين عنه قائلا «اللهم العن من تخلف عن جيش أسامة» و مع هذا بقي الصحابة في المدينة دون أن يخرجوا... بل عادوا إلى بيت النبي فوجدوه في أواخر ساعاته في دار الدنيا و قد وقف على تمردهم إنهم لن ينفذوا جيش أسامة و لن يكون هناك بعث..

إنه صلوات الله عليه كان يطلب من وراء إرسال هذا الجيش إبعاده عن المدينة حتى يخلو الجو أمام علي عند ما يتوفى النبي فقد وطأ له الأمور و هيا له كل ما من شأنه أن يوفر له أسباب الوصول إلى الخلافة و لكن القضية كانت تأتي على خلاف ما يرسم النبي لها من النجاح، لقد كان التمرد و العصيان على قدم و ساق لم يطيعوه فيما أمر و لم يسمعوا قوله فيما قال و لذا أراد أن يسلك سبيلا آخر يحفظ الخلافة من الانهيار و الاغتصاب أراد أن يوثقها و ثاقا متينا ثم يسلمها لأهلها فلعلها تسلم لهم و لذا قال لهم «إيتوني بدواة(3) و بياض أكتب لكم كتابا لا تضلون بعدي أبدا» و هنا تنازعوا فبعضهم يقول: قربوا لرسول الله يكتب كتابا لا تضلوا بعده و منهم يرفض ذلك و عمر يقول دعوه إن النبي ليهجر و يرى رسول الله الخلاف و يسمع النزاع فيتأثر لهذا المشهد الرهيب و هنا إن أصر على الكتابة سيسقط مفعولها بعد رميه بالحجر و بالتالي قد يشكل ذلك خطرا على كلام النبي بحملته0.

ص: 79

1- تاريخ ابن الأثير ج - 2 ص 318.

2- أوعب: خرج القوم و لم يبق منهم أحد.

3- تاريخ ابن الأثير ج - 2 ص 320.

وقد يؤدي إلى ارتداد جملة من الصحابة مما يفتح الباب أمام ردة جماعية تهدد الإسلام ولذا قال النبي لهم: قوموا ولا ينبغي عند نبي نزاع..

لقد أدرك عمر ما ذا يريد أن يكتب النبي فلذا حسم الأمر بهذا الأسلوب الظالم و سد أمام النبي الطريق عن كتابة الكتاب..

## وفاة رسول الله:

توفي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وكان أبو بكر بمنزله بالسنع خارج المدينة وعمر حاضر فخاف عمر من خطر مبايعة أحد من المسلمين في غياب أبي بكر فقال مقولة أذهلت الناس وشغلتهم فقد قال: «إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ توفي وأنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، والله ليرجعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه مات وبهذا التهديد والوعيد سكت الجميع واكتفوا بالأسى والحزن وبقوا كذلك حتى جاء أبو بكر فدخل على رسول الله وهو مسجى في ناحية البيت فكشف عن وجهه ثم قبله وأمر عمر بالسكوت فأقبل الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فالله حي لا يموت ثم تلا هذه الآية: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» و عندها عرف عمر موت رسول الله وكأنه استنفاق من غشيته..

هل صحيح أن عمر بن الخطاب كان يؤمن بما يقول؟!.. وأين ذكاؤه وفطنته؟! ألم يقرأ الآية التي تلاها أبو بكر؟! وهل كان الرسول على خلاف طبيعة البشر وما هو المعهود عليهم أما يشملهم قوله تعالى: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ» وقوله تعالى:

«إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ» وهل كانت الصدمة لعنفها وقوتها أثرت فيه فأذهلته وأضاعت لبه وهذا يجب أن يكون بعد صدق الخبر و تصديقه عن لسان أبي بكر وليس قبله؟!.. إنه عمر.. يرمي من وراء هذه المقولة إلى إشغال الناس وإرباكهم عن التفكير في أي معنى يمكن أن يؤثر على وضع الخلافة بعد الرسول.. إنه يريد أن يشغل الناس حتى يأتي زميله ورفيق دربه أبو بكر وقد كان له ما طلب وأدرك ما سعى إليه..

## حديث السقيفة:

توفي النبي و اشتغل بنو هاشم بجنازته الشريفة.. إنها مأساة مست المسلمين عامة ولكنها أصابت بني هاشم وآل بيت رسول الله بالأخص..



وبينما المسلمون حول الجسد الطاهر كان هناك اجتماع للأنصار في سقيفة بني ساعدة.. إنه اجتماع من أجل أن يعقدوا البيعة لأحدهم فيقطعون الطريق أمام كل من تحدّثه نفسه باعتلاء عرش الخلافة ويدرؤن عن أنفسهم ويلاّت و مصائب ما ينالهم فيما لو تولّاهم غيرهم ممن و تروهم و قتلوا رجالهم..

اجتمع الأنصار بجناحيهم الأوس و الخزرج و قام سعد بن عبادة فتكلّم و كان مريضاً فقال: يا معشر الأنصار لكم سابقة و فضيلة ليست لأحد من العرب، إن محمداً صلّى الله عليه و آله و سلّم لبث في قومه بضع عشر سنة يدعوهم فما آمن به إلا قليل، ما كانوا يقدرّون على منعه و لا- على إعزاز دينه و لا- على دفع ضيم حتى إذا أراد بكم الفضيلة ساق إليكم الكرامة و رزقكم الإيمان به و برسوله و المنع له و لأصحابه و الأعزاز له و لدينه و الجهاد لأعدائه فكنتم أشد الناس على عدوه حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً و كرهاً و أعطى البعيد المقادة فدانت بأسيافكم العرب و توفاه الله و هو عنكم راضٍ قرير العين استبدوا بهذا الأمر دون الناس فإنه لكم دونهم فأجابوه بأجمعهم: أن وفقّت و أصبت الرأي و نحن نوليك هذا الأمر فإنك مقنع و رضا للمؤمنين.

ثم إنهم ترادوا الكلام فقالوا: و إن أبا المهاجرون من قريش و قالوا: نحن المهاجرون و أصحابه الأولون و عشيرته و أولياؤه.

فقال طائفة منهم: فإننا نقول منا أمير و منكم أمير و لن نرضى بدون هذا أبداً.

فقال سعد: هذا أول الوهن.

### **عمر و أبو بكر في السقيفة:**

وصل إلى عمر نبأ اجتماع الأنصار في السقيفة، و إنهم يتداولون أمر الخلافة و بعض المصادر تذكر أن معن بن عدي و عويم بن ساعدة و كلاهما من الأوس و كان بينهما و بين سعد بن عبادة الخزرجي - المرشح للخلافة - موجدة قديمة هما اللذان نقلوا الخبر إلى عمر و لما سمع ذلك أتى منزل النبي صلّى الله عليه و آله و سلم و أبو بكر فيه فأرسل إليه أن أخرج إليّ .

فأرسل إليه: إني مشغول.

فقال عمر: قد حدث أمر لا بد لك من حضوره، فخرج إليه فأعلمه الخبر فمضيا مسرعين نحوهم و معهما أبو عبيدة قال عمر: فأتيناهم و قد كنت زوّرت كلاما أقوله لهم فلما دنوت أقول أسكتني أبو بكر و تكلم بكل ما أردت أن أقول و قال:

فحمد الله و قال: إن الله قد بعث فينا رسولا شهيدا على أمته ليعبده و يوحدوه و هم يعبدون من دونه آلهة شتى من حجر و خشب فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخصّ الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه و المواساة له و الصبر معه على شدة أذى قومهم لهم و تكذيبهم إياهم و كل الناس لهم مخالف زار عليهم فلم يستوحشوا لقلّة عددهم و شنّف الناس لهم فهم أول من عبد الله في هذه الأرض و آمن بالله و بالرسول و هم أولياؤه و عشيرته و أحق الناس بهذا الأمر من بعده لا ينازعهم إلا ظالم و أنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين و لا سابقتهم في الإسلام رضيكم الله أنصارا لدينه و رسوله و جعل إليكم هجرته فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم فتحن الأمراء و أنتم الوزراء لا تفاوتون بمشورة و لا تقضى دونكم الأمور فقام حباب بن المنذر بن الجموح فقال: يا معشر الأنصار أملكوا عليكم أمركم فإن الناس في ظلكم و لن يجترئ مجترئ على خلافكم و لا يصدرون إلا عن رأيكم، أنتم أهل العز و أولوا العدد و المنعة و ذوو البأس، و إنما ينظر الناس ما تصنعون و لا تختلفوا فيفسد عليكم أمركم فإن أبي هؤلاء فمنا أمير و منكم أمير.

فقال عمر: هيهات لا يجتمع إثنان في قرن، و الله لا ترضى العرب أن تؤمركم و نبها من غيركم، و لا تمتنع العرب أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم و لنا بذلك الحجة الظاهرة، من ينازعنا سلطان محمد و نحن أولياؤه و عشيرته.

فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار أملكوا على أيديكم الأمر و لا تسمعوا مقالة هذا و أصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبوا عليكم فاجلوهم عن هذه البلاد و تولوا عليهم هذه الأمور فأنتم و الله أحق بهذا الأمر منهم فإنه بأسيا فكم دان الناس لهذا الدين، أنا جدي لها المحكك و عذيقها المرجب أنا أبو شبل في عرينه الأسد و الله لئن شئت لنعيدنها جذعة و الله لا يرد أحد عليّ ما أقول إلا حطمت أنفه بالسيف فقال عمر: إذا ليقتلك الله.

فرد الحباب عليه: بل إياك يقتل.

و قال أبو عبيدة: يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر فلا تكونوا أول من بدّل و غير.

وفي هذه الأجواء المملوءة بالمهاترات يقف ابن عم سعد بن عبادة واسمه بشير بن سعد الخزرجي و كان ينفس على ابن عمه الإمارة و يرضن بها عليه قام فقال: يا معشر الأنصار إنا والله و إن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين و سابقة في الدين ما أردنا به إلا رضى ربنا و طاعة نبينا و الكدح لأنفسنا، فما ينبغي أن نستطيل على الناس بذلك و لا نبتغي به الدنيا، ألا إن محمدا صلى الله عليه و آله و سلم من قریش و قومه أولى به و أيم الله لا يراني الله أنزعهم هذا الأمر فاتقوا الله و لا تخالفوهم و لم يكذبوا بكر يسمع كلام بشير حتى هب يقول:

هذا عمر و أبو عبيدة قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فأيهما شئتم فبايعوا.

و لكن عمر بادره مسرعا ورد عليه «لا والله لا تتولى هذا الأمر عليك أوسط يدك نبايعك ثم أخذ يده ليبايعه فسبقه بشير بن سعد فوضع يده بيده و بايعه فناده الحباب بن المنذر: عقتك عقاق! انفتت على ابن عمك الإمارة.

فقال: لا والله و لكنني كرهت أن أنزع القوم حقهم و لما رأيت الأوس ما صنع بشير و ما تطلب الخزرج من تأمير سعد و قد كانت المخالفة من الخزرج نفسها و المعارضة من أقرب المقربين من سعد قال بعضهم لبعض و فيهم أسيد بن خضير و كان نقيبا و الله لئن وليتها الخزرج مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة و لا جعلوا لكم فيها نصيبا أبدا فقوموا فبايعوا أبا بكر فبايعوه، فانكسر على سعد و الخزرج ما أجمعوا عليه و أقبل الناس يبايعون أبا بكر من كل جانب و نسوا سعدا و هو مريض فكادوا يطنونه و يقتلونه ثم حمل إلى داره فبقي أياما و أرسل إليه ليبايع فأبى و قال: لا والله حتى أرميكم بما في كنانتي و أخضب سنان رمحي و أضرب بسيفي و أقاتلكم بأهل بيتي و من أطاعني و لو اجتمع معكم الجن و الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي فقال عمر لأبي بكر: لا تدعه حتى يبايع.

فقال بشير بن سعد: إنه قد لجج و أبى و لا يبايعكم حتى يقتل و ليس بمقتول حتى يقتل معه أهله و طائفة من عشيرته و لا يضركم تركه.. فتركوه..

## ملاحظات:

1 - كانت بيعة أبي بكر في نفس اليوم الذي توفي النبي فيه و لم يكن بعد قد دفن فقد خرج و معه الناس إلى المسجد يزفونه و في مقدمتهم عمر بن الخطاب يحث الناس على بيعته..

2 - لقد ترك أبو بكر و عمر و أصحابهما جنازة النبي الأكرم و أسرعوا إلى السقيفة منشغلين عنها و قد كان عمر قبل قليل قد أذهله المصاب و غاب عن الوعي فراح يردد

و يهدد و كيف ينسجم هذا مع تركه لرسول الله ميتا لم يدفن بعد..

3 - هذه السرعة العجيبة التي تمت فيها بيعة أبي بكر مما لم يعهد في تاريخ العالم و كيف استطاع عمر و أبو بكر سلبها من الأنصار و هذا ما استدعى عمر أن يقول عنها «إن بيعة أبي بكر كانت فلتة(1) فقد كانت كذلك غير أن الله وقى شرها...».

4 - لم يعلم بنو هاشم بخبر السقيفة و ما جرى فيها إلا بعد أن سمعوا القوم يزفون أبا بكر و أصواتهم تملو فيستفهمون عن سبب ذلك فيقال لهم: قد بويع أبو بكر.. إنهم كانوا في شغل يجهزون رسول الله.. و لما سمع الإمام التكبير وصل إليه ما احتج به المهاجرون على الأنصار قال: «احتجوا بالشجرة و أضاعوا الثمرة».

5 - لم يبايع علي أبا بكر احتجاجا عليه و طعنا في بيعته و بقي رافضا لها منكرًا عليه فعله و قد قدرت الروايات مدة احتجاجه بستة أشهر فإنه صاحب الحق الذي يراه قد غصب منه كما في خطبته التي نحن بصدددها حيث يقول: «فصبرت و في العين قذى و في الحلق شجى أرى تراثي نهبا».

6 - إن الأمام لو كان يملك القوة التي ينتصر بها ما تأخر و لا تباطأ في الأمر بل هو يقول عند ما يرى حقه يسلب يقول: و طفقت ارتني بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء.. فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى... فالأمر يدور بين أن يسكت على ما جرى و بين الحرب و في الثانية ذهابه و ذهاب أهل بيته و بالتالي الخطر الكبير على الإسلام.

7 - إن أبا سفيان جاء إلى الإمام بعد بيعة أبي بكر قائلا: ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش و الله لئن شئت لأملأنها عليه خيلا و رجالا و في رواية أخرى: و الله إنني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا الدم يا آل عبد مناف فيما أبو بكر من أموركم و قال للإمام: أبا حسن أبسط يدك حتى أبايعك فأبي عليه علي و زجره قائلا: و الله ما أردت بهذا إلا الفتنة و إنك و الله طالما بغيت للإسلام شرا لا حاجة لنا في نصيحتك..

8 - إن أبا بكر كان يعرف من نفسه أن هناك أكفأ منه و أشد تحملا لأعباء الخلافة فلذا اعتلى المنبر بعد البيعة - في اليوم التالي - فحمد الله و أثنى عليه و قال: أيها الناس:

قد وليت عليكم و لست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني و إنني أسأت فقوموني..

9 - إن عمر و زميليه أبا بكر و أبا عبيدة لم يحتج أحد منهم بنص و ارد عن النبي في 1.

ص: 84

1- الطبري ج - 2 حوادث سنة 11.

حق أحد.. ولو كان لكان الحججة البالغة بل تفويض الناس أن يختاروا عمر و أبي عبيدة و ردهما عليه بالبيعة له كان أقوى ما ينفي النص على أبي بكر من قبل النبي و المنصف العدل لا بد من أن يذهب إلى ذلك...

10 - بهذا الأسلوب الارتجالي كانت بيعة أبي بكر و قد تميمها ابن أبي قحافة و إنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي كما يقول الأمام.. إنها بيعة خارجة عن الموازين لم تتمتع بإجماع الأمة و اتفاقها و لذا بقي سعد بن عباد و جماعة من الأنصار دون أن يبايعوا و بقي بنو هاشم و سيدهم الإمام علي كذلك على رفض البيعة كما أنها لم تحكم بقانون شرعي و لا عرفي و إنما كانت تحكمها نزعة الارتجال و سرقة المواقف و استغلال الفرص و أخذ الناس على حين غيرة... إنها بيعة فريدة في نوعها لم نجد لها تدخل تحت أي عنوان قانوني قديم أو حديث.. كانت فلتة وقي الله المسلمين شرها على حد تعبير عمر..

### ترجمة أبي بكر:

(أبو بكر اسمه عبد الله) بن (عثمان و كنيته أبو قحافة) بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك.

و أمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ولد بعد عام الفيل بثلاثين سنة و مات و له ثلاث و ستون سنة في السنة الثالثة عشر للهجرة..

تولى الخلافة بعد النبي كما تقدم و قد غصبها من أهلها الشرعيين و كانت خلافته سنتين و ثلاثة أشهر و عشر ليال و قيل كانت سنتين و أربعة أشهر إلا أربع ليال.

تزوج في الجاهلية قتيلة بنت عبد العزى بن عامر بن لؤي فولدت له عبد الله و أسماء و تزوج أيضا أم رومان و اسمها دعد بنت عامر بن عميرة الكنانية فولدت له عبد الرحمن و عائشة.

و تزوج في الإسلام أسماء بنت عميس و كانت قبله عند جعفر بن أبي طالب فولدت له محمد بن أبي بكر و كذلك و ج حبيبة بنت خارجة بن زيد الأنصارية فولدت له بعد وفاته أم كلثوم..

(حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده ثم تمثل بقول الأعشى:

شтан ما يومى على كورها \*\*\* و يوم حيان أخي جابر

فيا عجباً بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدة ما تشظرا ضرعيها..) بقي الإمام صابراً محتسباً في أشد أذية وأقساها حتى مات الأول وهو أبو بكر وقبل أن تأتيه المنية منحها وقلدها إلى عمر من بعده فلم يكتف أنه تحملها حياً حتى تحملها ميتاً ثم استشهد عليه السلام بهذا البيت من الشعر للأعشى وأصل نظمه وأساس وضعه، حيان وجابر ابنا السمين بن عمر من بني حنيفة، وكان حيان صاحب الحصن باليمامة وكان سيداً مطاعاً يصله كسرى في كل سنة وكان في نعمة ورفاهية مصوناً من وثناء السفر لأنه لم يكن يسافر أبداً وكان الأعشى ينادمه في سرور وفرح فقال الأعشى أنه ما أبعد ما بين يومي، يومي على كور المطية أداب وأنصب في الهواجر وبين يومي منادماً حيان أخي جابر...

والإمام يريد بالاستشهاد أن يقول أنه فرق كبير وبعيد بين يومي المتعب المؤذي الذي أنا فيه حيث قامت قيامة الناكثين والقاسطين و المارقين وبين أيام خلافة السابقين حيث كان الهدوء والدعة وقال بعضهم فرق كبير بين يومي مع النبي في دعة ونعمة وبين يومي الذي أنا فيه من الحروب والمعارك ثم تعجب وعجبه في محله وأي عجب أعجب من إنسان يقول عند ما بويع بالخلافة.. «أقيلوني فلسنت بخيركم..» حيث يظهر كرهه وعدم أرائته لها ولكنه لم يلبث أن يقلدها لغيره ويمنحها لأبن الخطاب ينص عليه ويلزم المسلمين ببيعته». ومن كان كارهاً لأمر يتركه فإذا ألزم غيره به لوجه له كان ذلك نقضاً لقوله الماضي القاضي بعدم رغبته فيه..

ثم إنه عليه السلام شبه الخلافة بناقة حلوب ولها ضرعان وكل واحد من أبي بكر وعمر أخذ ضرعاً يحلبه لنفسه.. والمعنى أنه لأمر شديد أن يأخذ كل واحد منهما سهماً فيكون أحدهما أميراً والآخر وزيراً حتى إذا قضى الأمير خلفه الوزير وحل محله.. يقول ابن قتيبة في كتابه (1) الإمامة والسياسة دفع أبو بكر إلى عمر كتاباً وقال له: «خذ هذا الكتاب وأخرج به إلى الناس وأخبرهم أنه عهدي وسلهم عن سمعهم وطاعتهم فخرج عمر بالكتاب وأعلمهم فقالوا: سمعاً وطاعة فقال له رجل: ما في الكتاب يا أبا حفص قال: لا أدري ولكني أول من سمع وأطاع قال: لكني والله أدري ما فيه: أمرته عام أول وأمره العام..5.

ص: 86

لما نزل بأبي بكر الموت استدعى عبد الرحمن بن عوف فقال له: أخبرني عن عمر فقال: إنه أفضل في رأيك إلا أن فيه غلظة فقال أبو بكر: ذلك لأنه يراني رقيقا و لو أفضى الأمر إليه لترك كثيرا مما هو عليه وقد رفقتك فكنت إذا غضبت على رجل أراني الرضاء عنه و إذا لنت له أراني الشدة عليه و دعا عثمان بن عفان و قال له: أخبرني عن عمر فقال:

سريرته خير من علانيته و ليس فينا مثله. فقال أبو بكر لهما: لا تذكر ما قلت لكما شيئا و لو تركته ما عدوت عثمان و الخيرة له أن لا يلي من أموركم شيئا و لوددت أني كنت من أموركم خلوا و كنت فيمن مضى من سلفكم.

و دخل طلحة بن عبد الله على أبي بكر فقال: استخلفت على الناس عمر و قد رأيت ما يلقي الناس منه و أنت معه فكيف به إذا خلا بهم و أنت لاق ربك فسائلك عن رعيتك.

فقال أبو بكر: أجلسوني فأجلسوه.

فقال: أبالله تخوفني إذا لقيت ربي فسألني قلت: استخلفت على أهلك خير أهلك.

ثم إن أبا بكر أحضر عثمان بن عفان خاليا ليكتب عهد عمر فقال له: اكتب. بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين أما بعد: ثم أغمي عليه فكتب عثمان: أما بعد فإني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب و لم آلكم خيرا.

ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ عليّ :

فقرأ عليه فكبر أبو بكر.

و قال: أراك خفت أن يختلف الناس إن متّ في غشيتي.

قال نعم.

قال: جزاك الله خيرا عن الإسلام و أهله.

فلما كتب العهد أمر به أن يقرأ على الناس فجمعهم و أرسل الكتاب مع مولى له و معه عمر فكان عمر يقول للناس: أنصتوا و اسمعوا لخليفة رسول الله فإنه لم يالكم نصحا فسكن الناس فلما قريء عليهم الكتاب سمعوا و أطاعوا، و كان أبو بكر أشرف على الناس و قال: أترضون بمن استخلف عليكم فإني ما استخلفت عليكم ذا قرابة و إني قد استخلفت عليكم عمر فاسمعوا له و أطيعوا.. و في الإمامة و السياسة لابن قتيبة أن أبا بكر دفع الكتاب إلى عمر فقال له رجل: ما في الكتاب يا أبا حفص؟ قال: لا أدري قال:

لكني و الله أدري ما فيه: أمرته عام أول و أمرت العام..

بهذه الطريقة تمت بيعة عمر و بها أصبح خليفة بعد أبي بكر إنها طريقة الاستخلاف و الفرض القسري على الأمة و لنا هنا عدة ملاحظات:

1 - إن هذه الطريقة في الاستخلاف قد كانت مخالفة لطريقة انتخاب أبي بكر المتقدمة في سقيفة بني ساعدة.. و هنا نقول أي الطريقتين أجدى و أجدر بالاتباع و أي الطريقتين هو الشرعي المقبول عند الله و هل يبقى من ضابطة تضبط الخلافة و على أساسها تتمشى هذه الأمة؟!..

2 - هذه المشاورة المبتورة التي لم تصلح لشراء حمار أعرج أو جمل أجرب..

استشارة اثنين من الصحابة طعن أحدهما فيه و الآخر أثنى و الثالث تقدم من نفسه شاكيا باكيا معاتبًا زاريا...

3 - كيف يتم الكتاب من أبي بكر في حالة الإغماء و كيف يأخذ صفته الشرعية بإتمامه من عثمان ؟ و كيف لا يتحرك عمر و يقول لأبي بكر أنه يهجر كما قال للنبي ذلك عند ما طلب الكتف و الدواة ليكتب للمسلمين كتابا لن يضلوا بعده فرماه عمر بالهجر دون أبي بكر...

4 - و لنفرض أن أبا بكر قد مات في غشيته فكيف يتصرف عثمان و يعين الخليفة بعد أبي بكر فهل هناك أعظم جناية و أشد خيانة من هذا التصرف اللاشرعي..

5 - من أين استمد أبو بكر شرعية استخلافه لعمر هل من الكتاب أم من السنة و لا أظن أن أحدا من المسلمين يدعي ذلك فإنه بنفسه لم يدع ذلك و إن قلت أن ذلك كان منه رأي يرتئيه فقلنا ما هكذا تكون الأراء تكتب فيها الكتب و تنزل فيها الصكوك و تتلى على الأمة بشكل قرار حاسم جازم..

6 - لنا أن نقول أن عمر هو الذي أتم لأبي بكر عقد الخلافة في سقيفة بني ساعدة فهو الذي استدعاه على جناح السرعة و هو الذي قدمه و صفق على يديه و وطأ له الصعب و الذلول و مهد له كل السبل فأراد أبو بكر أن يرد له الجميل و يجزيه بالإحسان إحسانا فكان هذا العهد المكتوب و الممهور بخاتمه و لذا تصدق كلمة الإمام لعمر عند ما دعاه لبيعة أبي بكر فقال له: «احلب حلبا لك شطره أشدد له اليوم يرد عليك غدا» و قوله في هذه الخطبة «لشد ما تشطرا ضرعيها».



## ترجمة عمر بن الخطاب:

عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرظ بن رازح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر العدوي.

وكنيته أبو حفص، و أمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة المخزومية بنت عم خالد بن الوليد.

قتل في ذي الحجة سنة 23 و دُفن في هلال أول محرم سنة 24 و كان آدم طوالاً، أصلع، أعسر يسرا، يمشي كأنه راكب و كان يصفرّ لحيته و كان عمره عند ما قتل ثلاثاً و ستين سنة و قيل إحدى و ستين سنة و قيل خمسا و خمسين سنة و قيل مات ابن ستين قتله أبو لؤلؤة يقول ابن الأثير في تاريخه «خرج عمر بن الخطاب يطوف يوماً في السوق فلقبه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة و كان نصرانياً فقال: يا أمير المؤمنين أعني على المغيرة بن شعبة فإن عليّ خراجاً كثيراً.

قال: و كم خراجك.

قال: درهمان كل يوم.

قال: و ايش صناعتك؟

قال: نجار، نقاش، حداد.

قال: فما أرى خراجك كثيراً على ما تصنع من الأعمال قد بلغني أنك تقول: لو أردت أن أصنع رحي تطحن بالريح لفعلت.

قال نعم.

قال: فاعمل لي رحي.

قال: لئن سلمت لأعملن لك رحي يتحدث بها من بالمشرق و المغرب ثم انصرف فقال عمر: لقد أوعدني العبد الآن ثم بعد ذلك طعنه أبو لؤلؤة في خنجر له رأسان نصابه في وسطه ضربه ست ضربات إحداهن تحت سرته و هي التي قتلته.

- كانت خلافته عشر سنين و ستة أشهر و ثمانية أيام.

(فصيرها في حوزة خشناء) لقد ألقى أبو بكر الخلافة إلى عمر و نقلها إليه و قد كان صاحب طبيعه قاسية فظة و هذا ما يعرفه كل من درس حياة عمر و وقف على تصرفاته، لقد كان يواجه المسلمين بأقسى ما يكون على خلاف أخلاق الإسلام و تعاليمه و يكفي في ذلك ما واجه به النبي عند ما أراد أن يكتب للمسلمين كتاباً لن يضلوا بعده فقال: إن النبي

ليهجر حسبنا كتاب الله فقد جرحت هذه الكلمة قلب النبي و آذته حتى أمرهم بالانصراف عنه..

و كيف أغلظ على جبلة بن الأيهم الملك الغساني الذي أسلم حديثا فعاد عن الإسلام و عادت معه عشيرته.

و قال ابن أبي الحديد عند ما كان يوجه قوله عمر: «إن بيعة أبي بكر كانت فلتة» قال:

و اعلم إن هذه اللفظة من عمر مناسبة لألفاظ كثيرة كان يقولها بمقتضى ما جبله الله تعالى من غلظ الطينة و جفاء الطبيعة و لا حيلة له فيها لأنه مجبول عليها لا يستطيع تغييرها.. إلى أن يقول كما قدمنا قبل ذلك في اللفظة التي قالها في مرض رسول الله (صلى الله عليه و آله) و كالألفاظ التي قالها عام الحديبية و غير ذلك..

(يغلظ كلمها و يخشن مسها) و هذا تفسير لتلك الخشونة العمرية فإنها إذا واجهتك بالحديث آذتك و كان جرحها عميقا و أثره يبقى مدى الدهر و إذا اقتربت منها لحقك ضرر كبير و أذى شديد و قد نقل لنا التاريخ عينات من تلك الجروح الدامية يوم صلح الحديبية و يوم وفاة رسول الله.. قال ابن أبي الحديد و اعلم أن هذه اللفظة - كانت(1) بيعة أبي بكر فلتة و قى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه - قال: و اعلم أن هذه اللفظة من عمر مناسبة للفظات كثيرة كان يقولها بمقتضى ما جبله الله تعالى عليه من غلظ الطينة و جفاء الطبيعة و لا حيلة له فيها لأنه مجبول عليها لا- يستطيع تغييرها و لا ريب عندنا أنه كان يتعاطى أن يتلطف و أن يخرج ألفاظه مخارج حسنة لطيفة فينزع به الطبع الجاسي و الغريزة الغليظة إلى أمثال هذه اللفظات.. إلى آخره.

(و يكثر العثار فيها و الاعتذار منها) و هذه الحوزة العمرية ذات الغلظة و الشدة يكثر الخطأ منها و الزلل في مواقفها و بعد الزلل و الخطأ يكثر الاعتذار. و هذا بيان لكثرة ما وقع فيه الخليفة من الأخطاء و قد نقلوا عنه كثيرا من القضايا التي أفتى بها ثم نقضها و اعتذر عن تغييرها و هذه عينات من ذلك و نماذج منها..

1 - مر عمر يوما بشاب من فتیان الأنصار و هو ظمآن فاستسقاها فجدح(2) له ماء بعسل فلم يشربه و قال إن الله تعالى يقول: «أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا» فقال له الفتى: يا أمير المؤمنين، إنها ليست لك و لا لأحد من هذه القبيلة اقرأ ما قبلها «يَوْمَ»..

ص: 90

1- شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد ج/ 2 ص 27.

2- جدح مزج:..

«يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا» فقال عمر: كل الناس أفقه من عمر.

2 - وكان عمر يعس بالليل فسمع صوت رجل وامرأة في بيت فارتاب فتسور الحائط فوجد رجلا وامرأة وعندهما زق خمر.

فقال: يا عدو الله أكنت ترى أن الله يسترك وأنت على معصيته.

قال: يا أمير المؤمنين إن كنت أخطأت في واحدة فقد أخطأت في ثلاث قال الله تعالى: «وَلَا تَجَسَّسُوا» وقد تجسسست وقال: «وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا» وقد تسورت وقال: «فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا» وما سلّمت..

3 - قال ابن أبي الحديد في شرحه:

و كان عمر يفتي كثيرا بالحكم ثم ينقضه و يفتي (1) بضده و خلافه، قضى في الجدم مع الإخوة قضايا كثيرة مختلفة ثم خاف من الحكم في هذه المسألة فقال: من أراد أن يتقحم جرائم جهنم فليقل في الجدم برأيه.

(فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم و إن أسلس لها تقحم) فصاحب تلك الطبيعة الخشنة الغليظة كراكب الناقة التي لا تنقاد لعنادها فإن شد لها زمامها شق أنفها و أدماء و إن تركها على رسلها تسرح كما تشاء وقع في المهالك و المهاوي و المعنى أن طبيعة عمر كالناقة الصعبة إن حبس نفسه و منعها عن الجري على مقتضى طبيعتها شق عليها و آذاها لما في تغير الطبيعة من الصعوبة و القسوة على النفس و إن تركها على سجيتها و طبيعتها تتصرف كما هي في واقعها و كما طبعت عليه أوردته موارد الهلكة لانحرافها و عدم استقامتها فعمر بين محذورين أحلاهما مر و من كان بهذه الطبيعة كيف يمكن أن يمكن من رقاب الأمة و يتولى شؤونها؟!...

(فمني الناس لعمر الله بخبط و شماس و تلون و اعتراض فصبرت على طول المدة و شدة المحنة) ثم أقسم بالله و هو بار في قسمه إن الناس ابتلوا بطبيعة عمر القاسية صاحبة الأوصاف السابقة و ابتلوا بأمور غير مستقيمة و لا واضحة الصحة و الشرعية لعدم معرفة عمر بالإسلام من جهة و لغلظته و نفرة في طبيعته من جهة أخرى فكان يتبدل فيما يصدر منه من أحكام و سياسات حيث كان يتبدل الحكم عنده في القضية الواحدة فيفتي فيها 1.

ص: 91

1- شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج - 1 ص 181.

اليوم بشيء ثم يغير حكمه غداً وينتقل من الشيء إلى ضده فهو متغير الأحكام والمواقف حتى أنه لعدم استقامته كأنه معترض في الطريق لم يمش مستقيماً معتدلاً وأي مصيبة تحل بالأمة عند ما يكون ولي أموراً متلونا غير مستقيم؟!...

ولكن مع كل تلك المدة الطويلة كان يتذرع بالصبر إنها مدة حكم فيها الخلفاء وهي مدة طويلة حافلة بالتناقضات والانحرافات ومليئة بالظلم والمظالم إنها مع كونها محنة قاسية شديدة حيث تولى الأمر غير أهله مع ذلك كان من الصابرين المنتظرين.. (حتى إذا مضى لسبيله جعلها في ستة زعم أنني أحدهم في الله وللشورى متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر ولكنني أسففت إذا أسفوا وطرت إذا طاروا فصغى رجل منهم لضغنه و مال الآخر لصره مع هن و هن) يحكي الإمام ما جرى لعمر عند ما ضربه أبو لؤلؤة فقتله فإن عمر عند ما مات جعل الخلافة بين أيدي ستة من المسلمين كان الإمام أحدهم وهم علي وعثمان و طلحة والزبير و سعد بن أبي وقاص و عبد الرحمن بن عوف ثم أطلقها كلمة استغاث فيها.. إنها يالله كلمة تخرج من قلب مجروح مكوم.. يالله وللشورى التي وضعني عمر فيها و جعلني أحد أفرادها..

وأي شورى مشوهة ممسوخة تلك التي ضمت علياً وقرنته إلى غيره فمن يقاربه أو يساويه أو كان يحلم أن يقف معه في صف واحد و موقف واحد.. إن ظلم الحياة لا يطاق و لن تستطيع نفس عالية أن تتحمل إنزالها عن مكانتها و حطها عن مقامها و إدراجها مع غيرها ممن لا يماثلها أو يكافؤها أو يكون نظيراً لها.. ما أفسى الحياة عند ما تفرض على الشرفاء أن يتنازلوا ليسفوها مع السفهاء؟!...

ما أفسى الحياة و ما أشد مراراتها عند ما يسوى بين العالم و الجاهل و العابد و الفاسق و المؤمن و الكافر، و المحق و المبطل و النور و الظلمة...

يالله وللشورى الظالمة التي أنزلت علياً عن مكانته و حطته إلى درجة بلغت ذروتها فصار يقال علي أحد ستة.. و متى كان علي يساوي بأبي بكر حتى نزل سهمه فصار يساوي بهؤلاء.. علي أفضل من أبي بكر و لا يقبل أن يقارن به فكيف يقارن بهؤلاء و يساويهم؟!...

لا يشك مسلم في أفضلية علي على جميع الصحابة فكيف تصح مقارنته بهؤلاء النظائر.

ثم اعتذر عن نفسه في قبول هذا الوضع تمهيداً لما بعده و لما يأتي خلفه فيقول تصاغرت و تنازلت عن مقامي عند ما أنزلوني عنه و تابعتهم عند ما أرادوا مني ذلك من أجل

مصلحة الإسلام و المسلمين و لكن أبت الأحقاد و الأضغان و الانحراف و الضلال إلا أن تجرهم إلى هواهم و تقودهم إلى رداهم حيث اجتمع أصحاب الشورى العمريّة لاختيار الخليفة و كانت المظلمة الكبرى و الانحراف العظيم و الضلال البعيد عند ما مال رجل و هو سعد بن أبي وقاص إلى عثمان لحقده الذي يحمله على الإمام لأن أم سعد أموية و الإمام هو قاتل الأمويين فمال سعد إلى أخواله الذين منهم عثمان حقا على الإمام.

و مال الآخر و هو عبد الرحمن بن عوف لصهره و هو عثمان لأن أخت عثمان كانت تحت عبد الرحمن بن عوف مع هذا الانحراف كان هناك معايب و معايب غض عنها النظر..

### الشورى العمريّة:

سلك عمر في استخلافه مسيرة تخالف ما جرت عليه سقيفة بني ساعدة عند ما انتخب أبو بكر خليفة و كذلك كانت على خلاف مسيرة أبي بكر عند ما أوصى بها إلى عمر.. إنه طريق ثالث من طرق تعيين الخليفة يبتكره ابن الخطاب و يخطه للناس و يخالف به ما سنه هو و صاحبه الخليفة الأول و هذا ملخص شوراها التي سنها كما هي في أهم المصادر التاريخية.

إن عمر بن الخطاب لما طعن قيل له: يا أمير المؤمنين لو استخلفت فقال: لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته و قلت لربي إن سألتني: سمعت نبيك يقول: «إنه أمين هذه الأمة» و لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا لاستخلفته و قلت لربي إن سألتني: سمعت نبيك يقول: «إن سالما شديد الحب لله تعالى» فقال له رجل أدلك على عبد الله بن عمر.

فقال: قاتلك الله، و الله ما أردت الله بهذا و يحك كيف استخلف رجلا عجز عن طلاق امرأته؟ لا أرب لنا في أموركم فما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي، إن كان خيرا فقد أصبنا منه و إن كان شرا فقد صرف عنا بحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجل واحد و يسأل عن أمر أمة محمد أما لقد جهدت نفسي و حرمت أهلي و إن نجوت كفافا لا وزر و لا أجر إنني لسعيد، و انظر فإن استخلف فقد استخلف من هو خير مني و إن أترك فقد ترك من هو خير مني و لن يضيع الله دينه.

فخرجوا ثم راحوا فقالوا: يا أمير المؤمنين لو عهدت عهدا فقال: قد كنت أجمعت بعد مقاتلي أن انظر فأولي رجلا أمركم هو أحراركم أن يحملكم على الحق و أشار إلى علي فوهقتني غشية فرأيت رجلا دخل جنة فجعل يقطف كل غضة و يانعة فيضمه إليه و يصيره

تحتة فعلمت أن الله غالب على أمره فما أردت أن أتحملها حيا و ميتا عليكم هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: إنهم من أهل الجنة وهم علي و عثمان و عبد الرحمن و سعد و الزبير بن العوام و طلحة بن عبد الله فليختاروا منهم رجلا فإذا ولوا واليا فأحسنوا موازرته و أعينوه..

فخرجوا فقال العباس لعلي: لا تدخل معهم قال: إني أكره الخلاف قال: إذن ترى ما تكره فلما أصبح عمر دعا عليا و عثمان و سعدا و عبد الرحمن و الزبير فقال لهم: إني نظرت فوجدتكم رؤساء الناس و قاداتهم و لا يكون هذا الأمر إلا فيكم و قد قبض رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم و هو عنكم راض و إني لا أخاف الناس عليكم إن استقمتم و لكني أخافكم فيما بينكم فيختلف الناس فانهضوا إلى حجرة عائشة بأذنها فتشاوروا فيها و وضع رأسه و قد نزفه الدم.

فدخلوا فتناجوا حتى ارتفعت أصواتهم فقال عبد الله بن عمر: سبحان الله إن أمير المؤمنين لم يمت بعد فسمعه عمر فانتبه و قال: ألا أعرضوا عن هذا فإذا مت فتشاوروا ثلاثة أيام و ليصل بالناس صهيب و لا يأتين اليوم الرابع إلا و عليكم أمير منكم و يحضر عبد الله بن عمر مشيرا و لا شيء له من الأمر و طلحة شريككم في الأمر فإن قدم في الأيام الثلاثة فأحضره أمركم و إن مضت الأيام الثلاثة قبل قدمه فامضوا أمركم، و من لي بطلحة؟ فقال سعد بن أبي وقاص: أنا لك به و لا يخالف إن شاء الله تعالى.

فقال عمر: أرجو أن لا يخالف إن شاء الله تعالى و ما أظن يلي إلا أحد هذين الرجلين: علي و عثمان. فإن ولي عثمان فرجل فيه لين و إن ولي علي ففيه دعاية و أخرى به أن يحملهم على طريق الحق، و إن تولوا سعدا فأهله هو و إلا فليستعن به الوالي فإنني لم أعز له عن ضعف و لا خيانة و نعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف فاسمعوا منه و أطيعوا و قال لأبي طلحة الأنصاري: يا أبا طلحة إن الله طالما أعز بكم الإسلام فاختر خمسين رجلا من الأنصار فاستحث هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم.

و قال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتوني في حفرتي فأجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلا..

و قال لصهيب: صلّ بالناس ثلاثة أيام و أدخل هؤلاء الرهط بيتا و قم على رؤوسهم فإن اجتمع خمسة و أبي واحد فاشدخ رأسه بالسيف.

و إن اتفق أربعة و أبي إثنتان فاضرب رؤوسهما و إن رضي ثلاثة رجلا و ثلاثة رجلا فحكموا عبد الله بن عمر فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم

عبد الرحمن بن عوف و اقتلوا الباقيين إن رغبوا عما اجتمع فيه الناس.

فخرجوا فقال علي لقوم معه من بني هاشم: إن أطيع فيكم قومكم لم تؤمروا أبدا و تلقاه عمه العباس فقال: عدلت عنا.

فقال: و ما علمك؟

قال: قرن بي عثمان و قال: كونوا مع الأكثر فإن رضي رجلا رجلا و رجلا رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، فسعد لا يخالف ابن عمه و عبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون فيوليها أحدهما الآخر، فلو كان الآخرا معي لم ينفعاني.

فقال له العباس: لم أرفعك في شيء إلا رجعت إليّ مستأخرا لما أكره، أشرت عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أن تسأله فيمن هذا الأمر فأبيت، فأشرت عليك بعد وفاته أن تعاجل الأمر فأبيت و أشرت عليك حين سماك عمر في الشورى أن لا تدخل معهم فأبيت، احفظ عني واحدة، كلما عرض عليك القوم فقل: لا، إلا أن يولوك و احذر هؤلاء الرهط فإنهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم به لنا غيرنا و أيم الله لا يناله إلا بشر لا ينفع معه خير.

فقال علي: أما لئن بقي عثمان لأذكرنه ما أتى و لئن مات ليتداولنّها بينهم، و لئن فعلوا لتجدني حيث يكرهون ثم تمثل:

حلفت برب الراقصات عشية \*\*\* غدون خفافا فابتدرن المحصبا

ليختلين رهط بن يعمر قارنا \*\*\* نجيعا بنو الشداخ وردا مصلبا

و التفت فرأى أبا طلحة فكره مكانه..

فقال أبو طلحة: لن ترع أبو الحسن.

فلما مات عمر و أخرجت جنازته صلى عليه صهيب، فلما دفن عمر جمع المقداد أهل الشورى في بيت المسور بن مخرمة و قيل في بيت المال و قيل في حجرة عائشة بإذنها و طلحة غائب و أمروا أبا طلحة أن يحجبهم و جاء عمرو بن العاص و المغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحصبهما سعد و أقمهما و قال: تريدان أن تقولوا: حضرنا و كنا في أهل الشورى.

فتنافس القوم في الأمر و كثر فيهم الكلام.

فقال أبو طلحة: أنا كنت لأن تدفعوها أخوف مني لأن تنافسوها و الذي ذهب بنفس

عمر لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التي أمر ثم أجلس في بيتي فانظر ما تصنعون.

فقال عبد الرحمن: أيكم يخرج منها نفسه و يتقلدها على أن يوليها أفضلكم؟ فلم يجبه أحد.

فقال: فأنا أنخلع منها.

فقال عثمان: أنا أول من رضي.

فقال القوم: قد رضينا و علي ساكت.

فقال: ما تقول يا أبا الحسن؟.

قال: أعطني موثقا لتوثرن الحق و لا تتبع الهوى و لا تخصّ ذا رحم و لا تألو الأمة نصحا.

فقال: اعطوني موثيقكم على أن تكونوا معي على من بدّل و غير و أن ترضوا من اخترت لكم و عليّ ميثاق الله أن لا أخص ذا رحم لرحمه و لا آلو المسلمين فأخذ منهم ميثاقا و أعطاهم مثله.

فقال لعلي: تقول: إني أحق من حضر بهذا الأمر لقرابتك و سابقتك و حسن أثرك في الدين و لم تبعد و لكن رأيت لو صرف هذا الأمر عنك فلم تحضر من كنت ترى من هؤلاء الرهط أحق بها.

قال: عثمان.

و خلا بعثمان فقال: تقول شيخ من بني عبد مناف و صهر رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و ابن عمه ولي سابقة و فضل فأين يصرف هذا الأمر عني؟ و لكن لو لم تحضر أي هؤلاء الرهط تراه أحق به؟.

قال: علي.

و لقي علي سعدا فقال له: «اتقوا الله الذي تساءلون به و الأرحام» أسألك برحم ابني هذا من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و برحم عمي حمزة منك أن تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيرا و دار عبد الرحمن لياليه يلقى أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و من وافى المدينة من أمراء الأجناد و أشرف الناس يشاورهم حتى إذا كان الليلة التي صبيحتها يستكمل الأجل أتى منزل المسور بن مخرمة فأيقظه و قال له: لم أذق في هذه الليلة كبير غمض انطلق فادع الزبير و سعدا فدعاهما فبدأ بالزبير قال له:

خل بني عبد مناف و هذا الأمر.



قال: نصيبي لعلي.

وقال لسعد: اجعل نصيبك لي.

فقال: إن اخترت نفسك فنعم وإن اخترت عثمان فعلي أحب إليّ، أيها الرجل بايع لنفسك وأرحنا وارفع رؤوسنا.

فقال له: خلعت نفسي على أن أختار ولو لم أفعل لم أردّها، إني رأيت روضة خضراء كثيرة العشب فدخل فحل ما رأيت أكرم منه فمر كأنه سهم لم يلتفت إلى شيء منها حتى قطعها لم يعرج.

و دخل بعير يتلوه فاتبع أثره حتى خرج منها ثم دخل فحل عبقرى يجزّ خطامه و مضى قصد الأولين ثم دخل بعير رابع فرتع في الروضة، و لا والله لا أكون الرابع و لا يقوم مقام أبي بكر و عمر بعدهما أحد فيرضى الناس عنه.

قال: و أرسل المسور فاستدعى عليا فناهجه طويلا و هو لا يشك أنه صاحب الأمر، ثم نهض، ثم أرسل إلى عثمان فتناجيا حتى فرّق بينهما الصبح.

قال عمرو بن ميمون: قال لي عبد الله بن عمر: من أخبرك أنه يعلم ما كلف به عبد الرحمن بن عوف عليا و عثمان فقد قال بغير علم فوقع قضاء ربك على عثمان فلما صلوا الصبح جمع الرهط و بعث إلى من حضره من المهاجرين و أهل السابقة و الفضل من الأنصار و إلى أمراء الأجناد فاجتمعوا حتى التج المسجد بأهله.

فقال: أيها الناس، إن الناس قد أجمعوا أن يرجع أهل الأمصار إلى أمصارهم فأشيروا عليّ؟.

فقال عمار: إن أردت أن لا يختلف المسلمون فبايع عليا فقال المقداد بن الأسود، صدق عمار إن بايعت عليا قلنا سمعنا و أطعنا.

قال ابن أبي سرح: إن أردت أن لا تختلف قريش فبايع عثمان.

فقال عبد الله بن أبي ربيعة: صدقت إن بايعت عثمان قلنا: سمعنا و أطعنا، فشتم عمار ابن أبي سرح و قال: متى كنت تنصح المسلمين، فتكلم بنو هاشم و بنو أمية.

فقال عمار: أيها الناس إن الله أكرمنا بنبيه و أعزنا بدينه فأنى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم؟.

فقال رجل من بني مخزوم: لقد عدوت طورك يا ابن سمية و ما أنت و تأمير قريش لأنفسها.

فقال سعد بن أبي وقاص: يا عبد الرحمن أفرغ قبل أن يفتتن الناس.

فقال عبد الرحمن: إني قد نظرت و شاورت فلا تجعلنَّ أيها الرهط على أنفسكم سيلا و دعا عليا، و قال: عليك عهد الله و ميثاقه لتعملن بكتاب الله و سنة رسوله و سيرة الخليفتين من بعده (و سيرة الخليفتين أبي بكر و عمر) قال: بل على كتاب الله و سنة رسوله و اجتهاد رأي فعدل إلى عثمان فقال له مثل ما قال لعلي.

فقال: نعم نعمم فرفع رأسه إلى سقف المسجد و يده في يد عثمان فقال: اللهم اسمع و اشهد، اللهم، إني قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان فبايعه.

فقال علي: ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا «فصبر جميل و الله المستعان على ما تصفون» و الله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك و الله كل يوم في شأن.

فقال عبد الرحمن: يا علي لا تجعل على نفسك حجة و سبيلا فخرج علي و هو يقول: سيبلغ الكتاب أجله.

فقال المقداد: يا عبد الرحمن، أما و الله لقد تركته و إنه من الذين يقضون بالحق و به يعدلون.

فقال: يا مقداد، و الله لقد اجتهدت للمسلمين.

قال: إن كنت أردت الله فأثابك الله ثواب المحسنين.

فقال المقداد: ما رأيت مثل ما أتى إلى أهل هذا البيت بعد نبئهم، إني لأعجب من قريش إنهم تركوا رجلا ما أقول و لا أعلم أن رجلا أفضى بالعدل و لا أعلم منه أما و الله لو أجد أعوانا عليهم.

### ملاحظات:

هذه هي شوري عمر التي أدمت قلب الإمام بل قلب الإسلام لأنها جاءت بعثمان خليفة فغَيَّر مسيرة رسول الله و بدلَ أحكامه إنه غير مؤهل للخلافة و لا يستحقها و قد فتح باب الفتنة و النزاع بين المسلمين و لنا على هذه الشورى عدة ملاحظات نرجو أن تؤخذ بعين الاعتبار و يعاد التفكير فيها جديا ملتصقا كل منا رضى الله و إدراك الحقيقة..

1 - ما هذه الشورى العمرية التي خالف فيها سيرة صاحبه عند ما عهد بالخلافة إليه

بل خالف ما جرت عليه سقيفة بني ساعدة في انتخاب أبي بكر فهذه بدعة جديدة يعجب المرء منها ويقف حائرا متفكرا.. لما ذا تعيّنت بهؤلاء الستة من المسلمين دون غيرهم؟!.. وأين حرية الناس و حرية اختيارهم؟!..!... و هل بقي للناس من كرامة بعد هذا التعيين المهين؟!.. وأظن أن اختلاف السنّة في تعيين أولياء الأمر و ترددهم الطويل فيه من أنهم الأبراء أو الفقهاء أو الجميع، أو المقدمون في الأمة كل ذلك نتيجة عدم الرؤية السليمة في شوري عمر.. نعم إنه رأي ارتجله و أراد أن يضعه للناس كطريق ثالث في انتخاب الخليفة بعد الطريقتين - السقيفة و عهد أبي بكر له...

2- إن عمر يستهل الحديث لمن طلب منه أن يستخلف قائلا: لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته و قلت لربي إن سألتني سمعت نبيك يقول: «إنه أمين هذه الأمة».

و هنا نقول: هل الأمانة هي التي تخول الإنسان ليكون خليفة على المسلمين حتى يختار عمر أبا عبيدة المتوفى ثم يا ترى هل فقد الأمانة في الأمة بعد أبي عبيدة و لم يبق فيها أمين...

ثم إنه يقع نظره على سالم عبد أبي حذيفة و يتمنى لو كان حيا ليوليه و علل ذلك أنه كان يحب الله فهل يموت سالم مات المحبون لله و لم يعد أحد ممن يحب الله..؟! نحن نسأل أين أصحاب رسول الله من المهاجرين و الأنصار و أين جهادهم و كفاحهم و دفاعهم فلم يعد أحد منهم يحب الله؟!.. و أين هو عن باب مدينة العلم و فارس المسلمين و ابن عم النبي و من آخاه الرسول و جعله عديل نفسه...؟!..

3 - قال عمر في أول حديثه «أجمعت بعد مقالتي أن أنظر فأولي رجلا أمركم هو أحراكم أن يحملكم على الحق و أشار إلى علي فرهقتني غشبية فرأيت رجلا دخل جنة فجعل يقطف كل غضة و يانعة فيضمه إليه و يصيره تحته فعلمت أن الله غالب على أمره فما أردت أن أتحمّلها حيا و ميتا..

فهذا الإقرار من عمر واضح ظاهر على مستوى قل هو الله أحد لا يحتاج إلى فلسفة و لا اجتهاد، إنه يعرف من يحمل الأمة على الحق و لا يحابي أو يساوم، عرف أن عليا هو المستحق لها فكيف يخرج عنه و يترك الوصية له لرؤيا رآها قد تكون من ألم الضربة و سوء المزاج..؟!.. كيف تناسيت من تعرف منه الحق و العدل و المقام الرفيع و تعرفه المؤهل لقيادة الأمة كيف تتركه و تعدل عنه إلى غيره لمنام قد يكون من الشيطان..؟!..

و هل في الشرع و الدين ما يجوّز ضرب الحق و العدل لمجرد منام يراه الفرد؟!..

فلو رأى الإنسان أن يقتل مسلما أو أن يتنصر أو يرتد هل يجوّز الشرع ذلك؟!.. كلا..

و ألف كلا.. إن دين الله و حقائق الإسلام لا يبنى شيء منها على المنامات و الخيالات...

4 - إن عمر يجعل الشورى في ستة تارة يقول إن الرسول قال لهم: إنهم من أهل الجنة و أخرى يقول لهم إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قد قبض و هو عنكم راض.. نقول كيف يتوافق هذا القول مع أمره لأبي طلحة أن يضرب عنق الأقلية منهم إذا افرقوا و كانت الأكثرية لجهة تخالفها...

و هل يباح دم أصحاب الجنة و من رضى الرسول عنهم بهذه السهولة و هذا اليسر؟!...

5 - إن عمر بن الخطاب يقول: إن رضى ثلاثة رجلا و ثلاثة رجلا فحكّموا عبد الله بن عمر فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف و اقتلوا الباقين إن رغبوا عما اجتمع فيه الناس.

و هنا لنا الحق أن نتساءل لما ذا جعل لابنه هذا الحق و من أين استمد شرعيته و بأي آية نزل ذلك و بأي حديث ورد.

ثم لما ذا تكون كفة عبد الرحمن بن عوف هي الراجحة و ما هي مرجحات هذا الرجل على غيره.

6 - إن بيعة عبد الرحمن بن عوف كانت على كتاب الله و سنة نبيه و سيرة الشيخين.

و السؤال لما ذا يشترط عبد الرحمن على من يريد أن يبايعه أن تكون سيرته على سيرة الشيخين أبي بكر و عمر؟ أفلا يأتي كتاب الله و سنة نبيه على كل شرط؟ و هل بعد العمل بهما بحاجة إلى سيرة أحد من المسلمين؟ ثم كيف يتفق هذا الشرط - سيرة الشيخين - مع كون كل منهما له سيرة تخالف الأخرى و لناخذ أقرب الأمور - الخلافة - فانظر إلى أبي بكر كيف استخلف عمر بالنص عليه من قبله و انظر إلى عمر كيف جعلها شورى بين ستة أشخاص ثم اضرب بنظرك إلى مخالفتها لبعضهما تجد العجب العجاب و ما يحير أولي الأبواب.

### المرشحون للخلافة في رأي عمر:

ذكر ابن أبي الحديد في نهجه:

طلب عمر حضور المرشحين الستة عنده قائلا ادعوهم لي، فدعوهم فدخلوا عليه

و هو ملقى على فراشه يجود بنفسه.

فنظر إليهم فقال: أكلكم يطمع في الخلافة بعدي، فوجموا فقال لهم ثانية فأجابه الزبير وقال: وما الذي يبعدنا منها وليتها أنت و قمت بها و لسنا دونك في قريش و لا في السابقة و لا في القرابة.

قال الشيخ أبو عثمان الجاحظ: و الله لولا علمه إن عمر يموت في مجلسه ذلك لم يقدم على أن يفوه من هذا الكلام بكلمة و لا أن تنفس منه بلفظة.

فقال عمر: أفلا أخبركم عن أنفسكم قال: قل فإننا لو استعفيناك لم تعفنا.

فقال: أما أنت يا زبير فوعق لقس مؤمن الرضا كافر الغضب يوما إنسان و يوما شيطان و لعلها لو أفضت إليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء على مد من شعير أفرأيت إن أفضت إليك فليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطانا و من يكون يوم تغضب و ما كان الله ليجمع لك أمر هذه الأمة و أنت على هذه الصفة.

ثم أقبل على طلحة - و كان له مبغضا منذ قال لأبي بكر ما قال في عمر فقال له:

أقول أم أسكت.

قال: قل فإنك لا تقول من الخير شيئا.

قال: أما إنني أعرفك منذ أصيبت أصبعك يوم أحد واثبا بالذي حدث لك، و لقد مات رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ساخطا عليك بالكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب.

قال شيخنا أبو عثمان الجاحظ رحمه الله تعالى: الكلمة المذكورة إن طلحة لما أنزلت آية الحجاب قال بمحضر ممن نقل عنه إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: ما الذي يعنيه حجابهن اليوم و سيموت غدا فنكحهن قال أبو عثمان أيضا: لو قال لعمر قائل: أنت قلت: إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، مات و هو راض عن الستة فكيف تقول الآن لطلحة إنه مات عليه السلام ساخطا عليك للكلمة التي قلتها - لكان قد رماه بمشاقصة(1) و لكن من الذي كان يجسر على عمر أن يقول له ما دون هذا فكيف هذا.

ثم أقبل على سعد بن أبي وقاص فقال: إنما أنت صاحب مقنب من هذه المقانب تقاتل به و صاحب قنص و قوس و أسهم و ما زهرة و الخلافة و أمور الناس ثم أقبل على عبد الرحمن بن عوف فقال: و أما أنت يا عبد الرحمن فلو وزن نصف إيمان المسلمين.

ص: 101

1- المشاقص: مفردا مشتق و هو سهم فيه نصل عريض.

بإيمانك لرجح إيمانك به و لكن ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك و ما زهرة و هذا الأمر.

ثم أقبل على علي عليه السلام فقال: لله أنت لو لا دعاة فيك، أما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح و المحجة البيضاء.

ثم أقبل على عثمان فقال: هيهنا إليك كأنني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبها إياك فحملت بني أمية و بني أبي معيط على رقاب الناس و آثرتهم بالفيء فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب فذبحوك على فراشك ذبحا و الله لئن فعلوا لتفعلن و لئن فعلت ليفعلن ثم أخذ بناصيته فقال: فإذا كان ذلك فاذكر قولي فإنه كائن...

بربك اقرأ هذا الحوار و هذا التقييم الفذ و اعرف من يكون الخليفة حتى بنظر عمر و كيف لم يعينه باسمه من بين الستة مع إنه ظاهر واضح و لكن كيف يتولى علي الخلافة فيعري من تقدم عليه و يعجز من يأتي بعده...

(إلى أن قام ثالث القوم نافجا حوضيه بين نثيله و معتلفه و قام معه بنو أمية يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث عليه فتله و أجهز عليه عمله و كتب به بطنته). هذه صورة حقيقية عن عثمان الخليفة، ينقلها الإمام بأبدع بيان تعجز ريشة أعظم الفنانين عن رسمها و حكايتها كما هي صورة الثالث بعد أبي بكر و عمر.. الخليفة الممثل لرسول الله في قيادة الأمة و إدارة شئونها و الذي على يديه يجب أن يكون هدايتها و إرشادها و ردها إن هي جنحت أو تأخرت...

عثمان بن عفان قام بأمر الخلافة بعد عمر و كان ينبغي أن يكون له في رسول الله قدوة حسنة و هو الذي عاش معه و وقف على سيرته و سلوكه و تفاصيل حياته.. تولى عثمان الخلافة و قد ألحق بها و بالمسلمين أعظم الضرر و أكبره.. لقد شوه صورة الخلافة و مسخ دورها و جعلها أداة يستغلها لصالحه و لصالح أسرته الأموية...

لقد أساء استخدام السلطة أيما إساءة.. إساءة دفعت بالمسلمين أن يقوموا في وجهه بثورة قضت عليه و أنهته من الوجود...

تربع عثمان على عرش الخلافة الإسلامية بشورى عمر الذي حصرها في ستة أشخاص و تمت صفقة التجار لصالحه و قد صدقت فراسة عمر فيه حينما قال له: هيهنا إليك كأنني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبها إياك فحملت بني أمية و بني أبي معيط على رقاب الناس و آثرتهم بالفيء فسارت إليك عصابة من ذؤبان العرب فذبحوك على

فراشك ذبحا و الله لئن فعلوا لتفعلن و لئن فعلت ليفعلن ثم أخذ بناصيته فقال: فإذا كان ذلك فاذا كر قولِي فإنه كائن... يرسم الإمام عثمان كما هو و يظهره على حقيقته لقد شبهه بالبهيمة التي لا هم لها إلا بطنها تأكل لتمتلي فشغلها الأكل و ما يخرج منها من روث..

فعملها أكلها و رجيعها، ما تأكله و ما تضعه و قوله نافجا حرضيه بين نثيله و معتلفه يريد عليه السلام أن عثمان كان همه نفسه يأكل حتى تنتفخ جنبته و يشغله أكله و روثه. قال ابن أبي الحديد: و هذا ممصّ الدم و أشد من قول الحطيئة الذي قيل: إنه أهجى بيت للعرب:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها\*\*\* و أفعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

و لم يكن عثمان وحده المتفرد بهذا النعيم من بيت مال المسلمين و ما جنته سيوفهم بل قام معه و على سيرته بنو أبيه، بنو أمية الأشرار يأكلون أموال المسلمين و فيئهم كما تأكل الجمال نبات الربيع بشهية و رغبة و شهوة و بملء فمها، فإنهم قاموا بسلب أموال المسلمين و امتلاكها فصادروا ممتلكات المسلمين العامة و استولوا على الخراج و أخذوا من الخليفة الأعطيات و المنح و الجوائز و القطائع و استأثروا فأساءوا الأثرة و بقي الأمر يزداد سوء حتى كانت أفعال الخليفة هي التي سببت قتله فما جناه من سوء و ما قام به من تجاوزات و قبائح هي التي قضت عليه فقد كانت شهوة بطنه و رغباته الدنيئة مساعدة لأفعاله في القضاء عليه و...

### مخالفات عثمان:

كل منصف بصير يدرس التاريخ بموضوعية و يكون حياديا في نظرتة لا تأخذه العاطفة أو تشده التربية أو تأسره العقيدة لا بد و أن يحكم على عثمان بالانحراف عن سيرة رسول الله و مخالفته لأحكام الله سواء كان ذلك عن حسن نية منه أو عن سوء نية..

خالف عثمان سيرة رسول الله و سيرة الشيخين و قد نهاه المسلمون صحابة و تابعين و لم يألوا جهدا في رده إلى الطريق فأبى عليه مروان حتى أورده مورده و قضى عليه بمكره و خبثه.. نقمة عامة ممن كان داخل المدينة و من كان خارجها حتى تشكلت الثورة عليه و قضت على وجوده و نحن سنختصر تلك المخالفات التي أحصاها التاريخ عليه كما هي في مصادرها نذكرها بإيجاز.

1 - وليّ أمور المسلمين من لا يصلح لذلك و لا يؤتمن عليه و من ظهر منه الفسق و الفساد و من لا علم عنده مراعاة منه لحرمة القرابة و عدولا عن مراعاة حرمة الدين و النظر للمسلمين حتى ظهر منه ذلك و تكرر و قد كان عمر حذره من ذلك حيث وصفه بأنه

كلف بأقاربه وقال له: إذا وليت هذا الأمر فلا تسلط بني أبي معيط على رقاب الناس..

فاستعمل الوليد بن عقبة حتى ظهر منه شرب الخمر واستعمل سعيد بن العاص حتى ظهرت منه الأمور التي عندها أخرجها أهل الكوفة وولى عبد الله بن أبي سرح وعبد الله بن عامر بن كريز وهؤلاء لا دين لهم ولا كرامة عندهم والأصعب من ذلك استعماله لمروان في شؤنه وجعله المتكلم باسمه حتى غدا كما يقول أحدهم: أصبح الخليفة مروان في ثوب عثمان..

2 - رد الحكم بن أبي العاص (عم عثمان) إلى المدينة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طرده وقال له: «لا تسكنني في بلد أبدا» فجاء عثمان فكلمه فأبى ثم كان من أبي بكر مثل ذلك ثم كان من عمر مثل ذلك فلما قام عثمان أدخله وصله وأكرمه وقد عاتبه المسلمون وخوفوه الله فأبى.

3 - إنه كان يؤثر أهل بيته بالأعطيات العظيمة دون حق ولا استحقاق.

منها إنه زوج بناته ودفع لكل رجل من أصهاره أربعمئة ألف دينار.

منها إنه كان بحضرته زياد بن عبيد مولى الحارث بن كلدة الثقفي وقد بعث إليه أبو موسى بمال عظيم من البصرة فجعل عثمان يقسمه بين ولده وأهله بالصحاف فبكى زياد.

فقال: لا تبك، فإن عمر كان يمنع أهله وذوي قرابته ابتغاء وجه الله وأنا أعطي أهلي وولدي وقرابتي ابتغاء وجه الله.

وروى الواقدي بإسناده قال: قدمت إبل من إبل الصدقة على عثمان فوهبها للحارث بن الحكم بن أبي العاص ومنها أنه ولى الحكم بن أبي العاص صدقات قضاعة فبلغت ثلاثمئة ألف ألف فوهبها له حين أتاه بها ومنها أن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية قدم على عثمان من مكة ومعها ناس فأمر لعبد الله بثلاثمئة ألف ولكل واحد من القوم بمئة ألف وصك (كتب) بذلك على عبد الله بن الأرقم وكان خازن بيت المال - فاستكثر ورد الصك ويقال أنه سأل عثمان أن يكتب عليه بذلك كتابا فأبى وامتنع ابن الأرقم أن يدفع المال إلى القوم.

فقال عثمان: إنما أنت خازن لنا فما حملك على ما فعلت فقال ابن الأرقم: كنت أراني خازن المسلمين وإنما خازنك غلامك، والله لا ألي لك بيت المال أبدا وجاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر ويقال: بل ألقاها إلى عثمان فرفعها إلى نائل مولاه.

ومنها أنه دفع إلى مروان خمس إفريقيا عند ما افتتحها المسلمون.



4 - إنه حمى الحمى عن المسلمين لصالحه و صالح أسرته مع أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعلهم سواء في الماء و الكلاء.

5 - إنه ضرب عبد الله بن مسعود حتى كسر بعض أضلاعه و قد كفره عبد الله و أخذ يطعن عليه و يقول: ما يزن عثمان عند الله جناح ذباب.

و قال عند ما حضرته الوفاة قال لمن حضره: من يتقبل مني و صية أوصيه بها على ما فيها فسكت القوم و عرفوا الذي يريد فأعادها.

فقال عمار بن ياسر رحمه الله تعالى: أنا أقبلها فقال ابن مسعود: ألا يصلي عليّ عثمان.

قال: ذلك لك، و هكذا كان و من لطيف ما ينقل عن عثمان و ابن مسعود: إن ابن مسعود مرض مرضه الذي مات فيه فأتاه عثمان عائدا:

فقال: ما تشكي؟

فقال: ذنوبي.

قال: فما تشتهي.

قال: رحمة ربي.

قال: ألا أدعوك طبيبا.

قال: الطبيب أمرضني.

قال: أفلا أمر لك بعطائك.

قال: منعته و أنا محتاج إليه و تعطينه و أنا مستغن عنه.

قال: يكون لولدك.

قال: رزقهم على الله تعالى.

قال: أستغفر لي يا أبا عبد الرحمن.

قال: أسأل الله أن يأخذ لي منك.

6 - إنه ضرب عمار بن ياسر صاحب رسول الله حتى حدث به فتق فقد روي في سبب ذلك أنه كان في بيت المال بالمدينة سقط فيه حلي و جواهر فأخذ منه عثمان ما حلى به بعض أهله فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك و كلموه فيه بكل كلام شديد حتى أغضبوه فخطب فقال: لنأخذن حاجتنا من هذا الفياء و إن رغمت به أنوف أقوام فقال له علي عليه السلام: إذن تمنع من ذلك و يحال بينك و بينه فقال عمار: أشهد الله أن أنفي أول راغم من ذلك..



فقال عثمان: أعلّي يا ابن ياسر تجتريء خذوه فأخذ و دخل عثمان فدعا به فضربه حتى غشي عليه ثم أخرج فحمل حتى أتى به منزل أم سلمة رضي الله عنها فلم يصلّ الظهر و العصر و المغرب فلما أفاق توضأ و صلى و قال: الحمد لله ليس هذا أول يوم أؤذينا في الله تعالى و بلغ ذلك عائشة فغضبت و أخرجت شعرا من شعر رسول الله و نعلا من نعاله و ثوبا من ثيابه و قالت: ما أسرع ما تركتم سنة نبيكم و هذا شعره و ثوبه و نعله لم يبيل بعد.

7 - نفيه لأبي ذر صاحب رسول الله حتى مات غريبا شريدا و لو لم يكن لعثمان إلا هذه الخطيئة لكانت عزيمة يستحق عليها العذاب الأليم.. صاحب رسول الله التقي الزاهد المجاهد الناصح يغرب عن وطنه و يهجر عن بلده لأنه رفض التجاوزات العثمانية.. أبو ذر وجد بأم عينه ما يحدثه عثمان فعزّ عليه أن يغيّر سنة رسول الله فكانت نتيجته أن نفاه إلى الشام فوجد معاوية في طغيانه فأنكر عليه ممّا استدعى معاوية أن يكتب لعثمان فردّه إلى المدينة ثم نفاه إلى الربذة بعيدا عن مدينة الرسول أحب الأماكن إليه...

يذكر التاريخ: إن عثمان لما أعطى مروان بن الحكم ما أعطاه، و أعطى الحارث بن الحكم بن أبي العاص ثلاثمائة ألف درهم و أعطى زيد بن ثابت مائة ألف درهم جعل أبو ذر يقول: بشر الكانزين بعذاب أليم و يتلو قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» فرجع ذلك مروان إلى عثمان فأرسل إلى أبي ذر نانلا مولاه: أن اتته عما يبلغني عنك.

فقال: أئينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله و عيب من ترك أمر الله فوالله لأن أرضي الله سبحانه بسخط عثمان أحب إليّ و خير لي من أن أسخط الله برضاه فأغضب عثمان ذلك و احفظه فتصابر.

و قال يوما: أ يجوز للإمام أن يأخذ من المال فإذا أسر قضى؟.

فقال كعب الأحماس: لا بأس بذلك.

فقال له أبو ذر: يا ابن اليهوديين أ تعلمنا ديننا.

فقال عثمان: قد كثر أذاك لي و تولعت بأصحابي الحق بالشام فأخرجه إليها فكان أبو ذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها فبعث إليه معاوية ثلاثمائة دينار فقال أبو ذر: إن كانت هذه من عطائي الذي حرمتموني به عامي هذا قبلتها و إن كانت صلة فلا حاجة لي فيها و ردها عليه.

و بنى معاوية الخضراء بدمشق.

فقال أبو ذر: يا معاوية إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة و إن كانت من مالك

فهو الإسراف و كان أبو ذر رحمه الله تعالى يقول: و الله حدثت أعمال ما أعرفها و الله ما هي في كتاب الله و لا سنة نبيه و الله إني أرى حقا يطفأ و باطلا يحيا و صادقا مكذبا و أثرة بغير تقى و صالحا مستأثرا عليه.

فقال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية: إن أبا ذر لمفسد عليكم الشام فتدارك أهله إن كانت لكم حاجة فيه فكتب معاوية إلى عثمان فيه فكتب عثمان إلى معاوية: أما بعد فاحمل جندبا (اسم أبي ذر) إلى علي أغلظ مركب و أوعره فوجّه به مع من سار به الليل و النهار و حمله على شارف (الناقة المسنة الهرمة) ليس عليها إلا قتب حتى قدم به المدينة و قد سقط لحم فخذيته من الجهد فلما قدم أبو ذر المدينة بعث إليه عثمان أن الحق بأي أرض شئت فقال: بمكة؟.

قال: لا، قال فبيت المقدس؟ قال: لا، قال فأحد المصريين (الكوفة أو البصرة) قال: لا و لكنني مسيرك إلى الربذة فسيره إليها فلم يزل بها حتى مات.

8 - تعطيله الحد الواجب على عبيد الله بن عمر بن الخطاب فإنه قتل الهرمزان مسلما فلم يقده به و قد كان أمير المؤمنين يطلبه لذلك.

9 - سير عثمان صلحاء أهل الكوفة و فيهم كميل بن زياد و صعصعة بن صوحان إلى معاوية في الشام و لما لم يوافقوه على ظلمه و لم يتراجعوا عن مواقفهم المحقة سيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد و كان على حمص فأهانهم و سبهم و استخف بهم.

### أراء الصحابة في عثمان:

اجتمعت كلمة أصحاب النبي على التخلص من عثمان - عدا قلة قليلة منتفعة من وجوده و حكمه - و لذا نرى كيف أنهم ما بين محرّض على قتله و مشترك فيه و بين مشاهد لا يذب عنه و لا يدفع و هذا ما ينقله التاريخ إلينا يقول ابن الأثير في تاريخه:

تكاثر نفر من أصحاب رسول(1) الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و غيرهم بعضهم إلى بعض «أن أقدموا فإن الجهاد عندنا و عظم الناس على عثمان و نالوا منه و ليس أحد من الصحابة ينهى و لا يذب إلا نفر.

و مرة أخرى يقول: كتب جمع من أهل(2) المدينة من الصحابة و غيرهم إلى من

ص: 107

1- ابن الأثير ج - 3 ص 150.

2- ابن الأثير ج - 3 ص 168.

بالآفاق منهم: إن أردتم الجهاد فهلّموا إليه فإن دين محمد صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلّم قد أفسده خليفتمكم فأقيموه..

- قالت أم المؤمنين عائشة لمروان عند ما جاء يكلمها أن تتوسط لعثمان في دفع الثوار عنه قالت: يا مروان وددت أنه في غرارة من غرائري هذه وأني طوّقت حملة حتى ألقيه في البحر قال ابن أبي الحديد: كل من صنف في السير والأخبار: إن عائشة كانت من أشد الناس على عثمان حتى أنها أخرجت ثوبا من ثياب رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلّم فنصبته في منزلها وكانت تقول: للداخلين إليها هذا ثوب رسول الله لم يبيل وعثمان قد ألى سنته وكانت تقول اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا.

- في الإمامة والسياسة لابن قتيبة: أقام أهل الكوفة وأهل مصر بباب عثمان ليلا ونهارا وطلحة يحرض الفريقين جميعا على عثمان ثم إن طلحة قال لهم: إن عثمان لا يبالي ما حصرتموه وهو يدخل إليه الطعام والشراب فامنعوه الماء أن يدخل عليه.

- قال ابن أبي الحديد في شرحه كان طلحة من أشد الناس تحريضا عليه - على عثمان - وكان الزبير دونه في ذلك روى أن الزبير كان يقول: اقتلوه فقد بدل دينكم فقالوا: إن ابنك يحامي عنه بالباب، فقال ما أكره أن يقتل عثمان ولو بدىء بابني، إن عثمان لجيفة على الصراط غدا.

- قال صاحب الفتنة الكبرى (طه حسين) روى أن ابن مسعود كان يستحل دم عثمان أيام كان في الكوفة وهو كان يخطب الناس فيقول إن شر الأمور محدثاتها وكل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار يعرض في ذلك بعثمان وعامله الوليد.

- وعمار ابن ياسر يخطب يوم صفين فيقول: انهضوا معي عباد الله إلى قوم يزعمون أنهم يطلبون بدم ظالم، إنما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالإحسان.. هذه عينات من آراء الصحابة وهناك الكثير من هذا الباب من أرادته فليرجع إلى الموسوعات كالغدير والطبقات والتواريخ.

### مقتل عثمان:

سنذكر مقتل عثمان بصورة موجزة جدا ولا ندخل في بعض التفاصيل غير المفيدة لأن قتله لم يكن منهم إلا بعد أخذ ورد و وعد و حنث ومحاورات طالت وأحداث جرت يقول المؤرخون ما ملخصه:

لما كانت سنة خمس و ثلاثين - وهي السنة التي قتل فيها عثمان - سار مالك بن الحارث النخعي من الكوفة في مائتي رجل و حكيم بن جبلة العبدي في مائة رجل من أهل البصرة و من أهل مصر ستمائة رجل على أربعة ألوية لها رءوس أربعة مع كل رجل منهم لواء و فيهم محمد بن أبي بكر و كان جماع أمرهم إلى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي و كان من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم و إلى عبد الرحمن بن عديس التجيبي و قد كتبوا إلى عثمان كتابا يذكرونه بالله و باليوم الآخر.

و كتب أهل المدينة إليه أيضا يدعونه إلى التوبة و يحتجون و يقسمون له بالله لا يمسون عنه أبدا حتى يقتلوه أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله فلما خاف القتل شاور نصحاءه و أهل بيته فقال لهم: قد صنع القوم ما قد رأيتم فما المخرج؟.

فأشاروا عليه أن يرسل إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فيطلب إليه أن يردهم عنه و يعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتى يأتيه إمداد.

فقال عثمان: إن القوم لن يقبلوا التعليل و هم محملي عهدا و قد كان مني في قدمتهم الأولى ما كان فمتى أعطهم ذلك سألوني الوفاء به.

فقال مروان بن الحكم: يا أمير المؤمنين مقاربتهم حتى تقوى أمثل من مكاثرتهم على القرب فاعطهم ما سألوك و طاولهم ما طاولوك فإن هم بغوا عليك فلا عهد لهم فأرسل إلى علي عليه السلام فدعاه فلما جاءه قال: يا أبا حسن إنه قد كان من الناس ما قد رأيت و كان مني ما قد علمت و لست آمنهم على قتلي فارددهم عني فإن لهم الله عز و جل أن أعتبهم من كل ما يكرهون و أن أعطهم الحق من نفسي و من غيري و إن كان في ذلك سفك دمي فقال له عليه السلام: الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك و إني لا أرى قوما لا يرضون إلا بالرضى و قد كنت أعطيتهم في قدمتهم الأولى عهدا من الله لترجعن عن جميع ما تقموا فرددتهم عنك ثم لم تف لهم بشيء من ذلك فلا تغرني هذه المرة من شيء فإني معطيهم عليك الحق، قال: نعم فاعطهم فو الله لأفين لهم فخرج علي عليه السلام إلى الناس فقال: أيها الناس إنكم إنما طلبتم الحق فقد أعطيتموه، إن عثمان قد زعم أنه منصفكم من نفسه و من غيره و راجع عن جميع ما تكرهون فاقبلوا منه و وكدوا عليه.

قال الناس: قد قبلنا فاستوثق منه لنا إنا و الله ما نرضى بقول دون فعل.

فقال لهم علي عليه السلام: ذلك لكم، ثم دخل عليه فأخبره الخبر فقال عثمان:

اضرب بيني وبينهم أجلا يكون لي فيه مهلة فإني لا أقدر على رد ما كرهوا في يوم واحد.

قال له علي عليه السلام: ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه و ما غاب فأجله وصول أمرك.

قال: نعم، و لكن أجلني فيما بالمدينة ثلاثة أيام قال علي عليه السلام: نعم فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك و كتب بينهم و بين عثمان كتابا أجله فيه ثلاثا على أن يرد كل مظلمة و يعزل كل عامل كرهوه ثم أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد و ميثاق و أشهد عليه ناسا من وجوه المهاجرين و الأنصار فكف المسلمون عنه و رجعوا إلى أن يفني لهم بما أعطاهم من نفسه.

فجعل عثمان يتأهب للقتال و يستعد بالسلاح حتى مضت الثلاثة و هو على حاله لم يغير شيئا و كان أهل مصر قد طلبوا منه عزل ابن أبي سرح عاملهم فقال: اختاروا رجلا أوليه عليكم.

فقالوا: استعمل محمد بن أبي بكر فكتب عثمان عهده و ولاه مصر.

خرج محمد و من معه و لما كانوا على مسيرة ثلاث ليال من المدينة فإذا بهم يلتقون بورس غلام عثمان على جمل عثمان نفسه فقال له أصحاب محمد بن أبي بكر ما قصتك و ما شأنك إن لك لأمرًا.

فقال: أنا غلام أمير المؤمنين وجهني إلى عامل مصر.

فقال له رجل: هذا عامل مصر معنا.

قال: ليس هذا أريد فأخبر محمد بأمره فبعث في طلبه فجاء به إليه فقال له: غلام من أنت؟

فأقبل مرة يقول: أنا غلام مروان و أخرى يقول: أنا غلام عثمان حتى عرفه رجل أنه لعثمان.

فقال له محمد: إلى من أرسلك.

قال: إلى عامل مصر.

قال: بماذا؟

قال: برسالة.

قال: أما معك كتاب؟

قال: لا، ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا و كانت معه إدواة قد يبست فيها شيء يتقلقل

فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا إدواته فإذا فيها كتاب من عثمان إلى عبد الله بن أبي سرح عامل مصر وفض محمد الكتاب وقرأه على الحاضرين فإذا فيه: إذا أتاك محمد بن أبي بكر و فلان و فلان اصلبهم و اقتلهم و أقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف و ابطل كتابهم و قرّ على عملك حتى يأتيك رأي..

فلما رأوا الكتاب فزعوا منه و رجعوا إلى المدينة و ختم محمد الكتاب بخواتم النفر الذين كانوا معه و دفعه إلى رجل منهم ثم قدموا المدينة فجمعوا عليا و طلحة و الزبير و سعدا و من كان من أصحاب رسول الله ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم و اخبرهم بقصة الغلام و أقرأهم الكتاب فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان و قام أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم فلدحوا بمنزلهم و حصر الناس عثمان و أحاطوا به و منعوه الماء و الخروج و من كان معه و أجلب عليه محمد بن أبي بكر و في المصادر التاريخية:

لما قدموا المدينة أتوا عليا فقالوا: ألم تر إلى عدو الله عثمان أنه كتب فينا بكذا و كذا و إن الله قد أحل دمه قم معنا إليه.

قال: و الله لا أقوم معكم، ثم خرج خارج المدينة.

و في الإمامة و السياسة لابن قتيبة.

ثم أقبل الأشتر النخعي من الكوفة في ألف رجل و أقبل ابن أبي حذيفة من مصر في أربعمئة رجل فأقام أهل الكوفة و أهل مصر بباب عثمان ليلا و نهارا و طلحة يحرض الفريقين جميعا على عثمان ثم إن طلحة قال لهم: إن عثمان لا يبالي ما حاصرتموه و هو يدخل إليه الطعام و الشراب فامنعوا الماء أن يدخل عليه.

و في تاريخ الطبري: لما أنكر عثمان أن يكون كتب الكتاب قالوا: فالكتاب كتاب كاتبك (مروان).

قال: أجل و لكنه كتبه بغير أمري.

قالوا: فإن الرسول الذي وجدنا معه الكتاب غلامك.

قال: أجل و لكنه خرج بغير إذني؟.

قالوا: فالجمل جملك.

قال: أجل و لكنه أخذ بغير علمي.

قالوا: ما أنت إلا- صادق أو كاذب، فإن كنت كاذبا فقد استحققت الخلع لما أمرت به من سفك دماننا بغير حقها و إن كنت صادقا فقد استحققت أن تخلع لضعفك و غفلتك و خبث بطانتك لأنه لا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يقتطع مثل هذا الأمر دونه لضعفه و غفلته.



وبقي الأمر هكذا يصرون على خلعه وقد حصروه و هو مصرّ على موقفه كلما أعطاهم عهدا نقضه مروان حتى تسوروا عليه من دار بجنب داره وقتلوه.. وبقي ثلاثة أيام ثم دفن في حش كوكب في طرف البقيع حيث كان اليهود يقبرون موتاهم.

### ترجمة عثمان:

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف...

و أمه أروى بنت كريب بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف...

أسلم قديما وهاجر مع زوجته رقية بنت رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم الهجرة الأولى إلى الحبشة و الثانية إلى المدينة و قد توفيت أيام موقعة بدر فتزوج من أختها أم كلثوم.

صار خليفة في الشورى العمرية التي تكونت بشكل دقيق يضمن نجاحه و كان ذلك لليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث و عشرين فاستقبل لخلافته المحرم سنة أربع و عشرين.

لم يعهد عنه أنه خاض معركة و لم يعرف التاريخ أنه قتل مشركا.

و عند ما آلت إليه الخلافة ولى أقرباءه الأمصار الإسلامية فكان بالشام كلها معاوية و بالبصرة سعيد بن العاص و بمصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح و بخراسان عبد الله بن عامر و على الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

و قال ابن سعد في طبقاته: و استعمل أقرباءه و أهل بيته في الست الأواخر و كتب لمروان بخمس مصر و أعطى أقرباءه المال و تأول ذلك الصلة التي أمر الله بها و اتخذ الأموال و استلف من بيت المال و قال: إن أبا بكر و عمر تركا من ذلك ما هو لهما و إنني أخذته فقسمته في أقربائي فأنكر الناس عليه ذلك...

لقد أساء استخدام السلطة و ضعف جدا عن مواجهة ما يعترضه فتسلط عليه مروان فكان يوجهه كيف شاء و قد جرت أحداث رهيبية و فصول غريبة جعلت الناس تنقم عليه و على أسرته إلى أن أجمع الثوار من الكوفة و البصرة و مصر و قضوا عليه و انتهى حكمه سنة خمس و ثلاثين.

دفن في حش كوكب حيث كان يدفن اليهود موتاهم و قد مرّ معنا بعض ما يتعلق بسلوكه و سيرته و ما جنت يده..

فما راعني (1) إلا و الناس كعرف (2) الصَّبْع (3) إليّ ، ينثالون (4) عليّ من كلّ جانب، حتّى لقد وطىء (5) الحسنان، وشقّ عطفائي (6)، مجتمعين حولي كربيضة الغنم (7). فلما نهضت بالأمر (8) نكثت (9) طائفة (10)، و مرقت أخرى (11)، و قسط (12) آخرون: كأنّهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: «تِلْكَ أَلْدَارُ الْأَخِرَّةُ نَجَعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» بلى! والله لقد سمعوها ووعوها (13)، و لكنّهم حليت (14) الدّنيا في أعينهم، وراقهم (15) زبرجها (16)!.

أما و الذي فلق الحبّة (17)، و برأ (18) التّسمة (19)، لو لا حضور الحاضر، و قيام الحجّة (20) بوجود التّاصر، و ما أخذ الله على العلماء ألاّ يقاؤوا (21) على كظّة (22) ظالم، و لا سغب مظلوم، لألقيت (24) جبلها على غاربها (25)، و لسقيت (26) آخرها بكأس أولها، و لألقيتكم دنياكم هذه أزهدي عندي من عطفة عنز (28)!.

قالوا: و قام إليه رجل من أهل السواد عند بلوغه إلى هذا الموضوع من خطبته، فناوله كتابا [قيل: إن فيه مسائل كان يريد الإجابة عنها]، فأقبل ينظر فيه [فلما فرغ من قراءته] قال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين، لو أطردت خطبتك من حيث أفضيت!

فقال: هيهات يابن عبّاس! تلك شقشقة هدرت ثمّ قرّت (30)!.

قال ابن عباس: فو الله ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام ألاّ يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد.

قال الشريف رضي الله عنه: قوله عليه السلام «كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحم» يريد أنه إذا شدد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها، وإن أرخى لها شيئاً مع صعوبتها تقحمت به فلم يملكها؛ يقال: أشنق الناقة، إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه، وشنقها أيضاً: ذكر ذلك ابن السكيت في «إصلاح المنطق»، وإنما قال: «أشنق لها» ولم يقل «أشنقها» لأنه جعله في مقابلة قوله «أسلس لها» فكانه عليه السلام قال: إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها بالزمام.

## اللغة

- 1 - راعني: أفرعني.
- 2 - العرف: للدابة شعر عنقها وعرف الضبع يضرب به المثل في الازدحام.
- 3 - الضبع: مؤنثة ضرب من السباع المعروف.
- 4 - ينثالون: يتتابعون مزدحمين.
- 5 - وطأ: بقدمه أي داس بها.
- 6 - شق عطفاي: جرح وخدش جنباي.
- 7 - ربيضة الغنم: القطعة الرابضة من الغنم.
- 8 - نهضت بالأمر: قمت به و تسلمته.
- 9 - نكثت: من نكث أي نقض.
- 10 - الطائفة: جمعها طوائف، الجماعة من الناس الذين يجمعهم ويميزهم عن غيرهم.
- 11 - مرقت: مرق السهم نفذ فيها و خرج و من الدين خرج منه.
- 12 - قسط: جار و عدل عن الحق.
- 13 - وعوها: حفظوها و فقهوها.
- 14 - حليت: الدنيا بعيني أعجبتني.
- 15 - راقهم: من راق الشراب إذا صفا.
- 16 - زبرجها: الزبرج الزينة.
- 17 - فلق الحبة: شقها.

18 - برأ: خلق.

19 - النسمة: الروح.

20 - الحجّة: البرهان.

21 - أن لا يقاروا: أن لا يقروا و يذعنوا و يسكنوا.

ص: 114

22 - الكظة: ما يعتري الإنسان من الثقل و الكرب عند امتلائه من الطعام.

23 - السغب: الجوع.

24 - ألقيت: رميت.

25 - الغارب: الكاهل.

26 - سقيت الرجل: أعطيته الماء ليشرب.

27 - الكأس: جمعها كؤوس و اكؤس مؤنث الاناء يشرب فيه.

28 - عفطة عنز: ما تنثره العنزة من أنفها، المخاط.

29 - هدرت: هدر البعير ردد صوته في حنجرتة و هدر الحمام قرقر و ردد صوته في حنجرتة.

30 - قرّت: سكنت و هدأت.

## الشرح

## إشارة

(فما راعني إلا و الناس كعرف الضبع إليّ يثالون علي من كل جانب حتى لقد وطىء الحسنان و شق عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم) يصف الإمام بيعته و كيف تمت، إنها بيعة أفزعته و لفتت ناظره لأنها على خلاف المتوقع إذ كان يتوقع من الناس أن ينكفئوا على أنفسهم و يبتعدوا عن الساحة فإذا بهم يزدحمون عليه و يتتابعون إليه بصورة غريبة إنهم أحاطوا به من كل جانب يريدون بيعته حتى من شدة ازدحامهم عليه و رغبتهم فيه لم يلتفت أحد منهم إلى الحسن و الحسين و أخذوهما في طريقهم و من شدة الضغط عليه خدش جانباه مجتمعين حوله كالغنم عند ما تجتمع في مراحها فتزدحم على بعضها هكذا كانوا حولي و بهذا الشكل كانت رغبتهم بي..

## بيعة الإمام:

قتل عثمان شر قتلة، قتله المسلمون السائرون على خطى الإسلام الذين رأوا ممارساته المخالفة للدين و بعد أن قتل التفت الشوار و الصحابة و جميع المسلمين فلم يجدوا أكفاً من علي يتربع على عرش الخلافة فلذا يمموا و جوههم شطره راجين منه أن يقبل عرضهم و ينقذ الموقف فإنه رجل الساعة الصعبة و صاحب أعظم رصيد طيب عند المسلمين و قد وصفت كتب التاريخ بيعته فناخذ منها هذه الصورة:

لما قتل عثمان اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم من المهاجرين و الأنصار و فيهم طلحة و الزبير فأتوا علياً.

فقالوا له: إنه لا بد للناس من إمام.

قال: لا حاجة لي في أمركم فمن اخترتم رضيت به.

فقالوا: ما نختار غيرك و ترددوا إليه مرارا وقالوا له في آخر ذلك: إنا لا نعلم أحدا أحق به منك، لا أقدم سابقة و لا أقرب قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال: لا تفعلوا فإني أكون وزيرا خيرا من أن أكون أميرا.

فقالوا: و الله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك.

قال: ففي المسجد فإن بيعتي لا تكون خفية و لا تكون إلا في المسجد و كان في بيته و قيل في حائط (بستان) لبني عمرو بن مبدول فخرج إلى المسجد و عليه إزار و طاق و عمامة خز و نعلاه في يده متوكئا على قوس فبايعه الناس و كان أول من بايعه من الناس طلحة بن عبيد الله فنظر إليه حبيب بن ذؤيب فقال: إنا لله أول من بدأ بالبيعة يد شلاء، لا يتم هذا الأمر، و بايعه الزبير و قال لهما علي: إن أحببنا أن تبايعاني و إن أحببنا مبايعتكما فقالا: بل نبايعك، و هربا إلى مكة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر، و بايعه الناس، و جاءوا بسعد بن أبي وقاص.

فقال علي: بايع..

فقال: لا، حتى يبايع الناس و الله ما عليك مني بأس.

فقال: خلوا سبيله.

و جاءوا بابن عمر، فقالوا بايع.

قال: لا، حتى يبايع الناس.

قال: ائتي بكفيل، قال: لا أرى كفيلا.

قال الأشر: دعني أضرب عنقه.

قال علي: دعوه أنا كفيله، إنك ما علمت لسبي الخلق صغيرا و كبيرا.

و بايعت الأنصار إلا نفرا يسيرا منهم: حسان بن ثابت و كعب بن مالك، و مسلمة بن مخلد، و أبو سعيد الخدري و محمد بن مسلمة و النعمان بن بشير و زيد بن ثابت و رافع بن خديج و فضالة بن عبيد و كعب بن عجرة و كانوا عثمانيه..

فأما حسان فكان شاعرا لا يبالي ما يصنع و أما زيد بن ثابت فولاه عثمان الديوان و بيت المال فلما حصر عثمان قال: يا معشر الأنصار كونوا أنصار الله مرتين فقال له أبو أيوب: ما تنصره إلا لأنه أكثر لك من العبدان و أما كعب بن مالك فاستعمله على صدقة مزينة و ترك له ما أخذ منهم...



تمت البيعة للإمام باختيار الأمة ورغبتها وانعقدت له في أعناق المسلمين فوجب عليهم إطاعته ولزوم أمره و لم يعد للموجود أن يرجع و لا للغائب أن يحتج .. ولكنها الدنيا لن تصفو لعلي كما لم تصف للعظماء في التاريخ ويشير الإمام في هذا الفصل إلى ما كان يقوله:

(فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة و مرقت أخرى و قسط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله سبحانه يقول: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» ، بلى و الله لقد سمعوها و وعوها و لكنهم حليت الدنيا في أعينهم و راقهم زبرجها) و في هذا المقام يبين الإمام كيف أنه عند ما تولى الأمر و تسلم مقاليد الخلافة و برغبة المسلمين و اختيارهم، كيف نقض من بايع نقض بيعته بدون عذر شرعي و لا حجة يقدر أن يقدمها ذريعة لنقضه ما التزم به من خلافتي قام الناكثون طلحة و الزبير و من تابعهما بالتمرد و نقض البيعة و سعوا في حرب دامية سميت بحرب الجمل...

و كذلك خرجت من الدين فرقة أخرى و هم أهل النهروان الخوارج الذين وردت عن النبي فيهم الأحاديث و قد ورد فيها الأمر بقتالهم و استئصال شافتهم.

ثم ثالثا قام معاوية و أصحابه يعاونهم عمرو بن العاص، هؤلاء القاسطون، الظالمون العادلون عن طريق الحق الجائرون.. هذه هي الفئة الباغية و قد ورد عن النبي قوله: يا علي ستقاتل بعدي الناكثين و القاسطين و المارقين.

ثم أراد أن يجعل لهم مبررا بأنهم لم يسمعوا كلام الله القائل إن الجنة و ما فيها هي للذين لا يريدون علوا في الأرض و لا فسادا و العاقبة الحسنة الطيبة التي هي الجنة للمتقين الذين يخافون الله ثم يقول إن هذا الاحتمال لا يمكن أن يصدق عليهم و لا يمكن أن يكونوا من أهل هذه الآية لأنهم سمعوها جيدا و فهموا معناها إنهم عرب أقحاح قد عرفوا اللغة و أدركوا معناها و خصوصا أنهم عاشوا عصر النبوة و نزول القرآن.. إنهم سمعوها و فهموا معناها و لكنها الدنيا.. أعجبتهم زينتها فرغبوا فيها، لقد استهواهم الملك و الرياسة و غرتهم الزعامة فتركوا الآية و لهثوا وراء الدنيا يريدونها فلذا نكثت طائفة و مرقت أخرى و قسطت الثالثة و سنأتي فيما بعد على تفاصيل ذلك كله..

(أما و الذي فلق الحبة و برأ النسمة لو لا حضور الحاضر و قيام الحجة بوجود الناصر و ما أخذ الله على العلماء ألا يقاروا على كظة ظالم و لا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها و لسقيت آخرها بكأس أولها و لألفيتم دنياكم هذه أزهدي من عفة عنز) أقسم الإمام بالله و ذكره بصفتين من فعله الذي اختص به دون خلقه أنه فلق الحبة شقها و أخرج



منها الأشجار والنبات وخلق الروح وهي الخلق، أقسم بهذين الأمرين اللذين لا يملكهما إلا الله أقسم به بصفته هاتين أنه لو لا حضور الحاضر من الناس المجتمعين حوله والمناصرين له الآن، وقيام الحجة عليه بوجود الناصر من حيث أن الناس الآن طوع إرادته وعند أمره ويمكن بهم أن يحقق أمر الله ويثبت الحق ويبطل الباطل فإن لديه ما يستعين به لقتال الناكثين ورد المظالم وإعادة الحق إلى نصابه لو لا ذلك.

وما أخذه الله على العلماء من العهد والميثاق أن لا يسكتوا عن ظلم الظالمين وجوع الجائعين وعمّا يمارسه الطغاة على الضعفاء، لو لا ذلك لتخلى عن الخلافة وتركها وشأنها يتقاتل عليها أهل الدنيا وطلابها كما تركها أول مرة عند ما اغتصبها أبو بكر فإنه سدل دونها ثوب النسيان وطوى عنها فكره وذكرها.

وقد شبه الخلافة بالناقاة الممسوكة بالزمام فإذا أراد أن يسرحها ألقاه على كاهلها فتذهب سارحة حيث شاءت ولم يعد لراعيتها سلطة عليها وكذلك هو عليه السلام لو لا وجود الناصر وما أخذه الله على العلماء لترك الخلافة ولم يعرّها انتباهها.

وقال: كما زهدت في بادية الأمر عند ما استولى عليها الخلفاء قبلي وسكت عن حقي، لزهدت فيها الآن ولوجدتم دنياكم التي تتقاتلون عليها وتسلبون بها حقوق الناس أخف وأهون ممّا تنثره العنز من أنفها في عفتها وأحقر منه.

(قالوا وقام إليه رجل من أهل السواد) من أهل العراق وسمي سوادا لخضرته والعرب تقول للأخضر الشديد الخضرة أسود و يطلق على بلاد الكوفة والبصرة السوادين.

(عند بلوغه إلى هذا الموضوع من خطبته فناوله كتابا.

قيل: إن فيه مسائل كان يريد الإجابة عنها، فأقبل ينظر فيه فلما فرغ من قراءته قال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين لو أطردت خطبتك من حيث أفضيت) فلو تابعت خطبتك من حيث سكت وقطعت الكلام.

(فقال) أمير المؤمنين (هيهات يا ابن عباس) بعد ما أردت (تلك شقشقة هدرت ثم استقرت) شبه نفسه بالفحل الهادر وشبهه الخطبة بما يخرج منه عند هياجه لعدم الأثر لمثلها في الحاضرين أو لقلّة الاهتمام بأمر الخلافة.

قال ابن عباس: فو الله ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام ألا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد.

إشارة

وهي من أفصح كلامه عليه السلام وفيها يعظ الناس ويهديهم من ضلالتهم ويقال: إنه خطبها بعد قتل طلحة والزبير بنا اهتديتم في الظلماء (1)، و تستمتم (2) ذروة (3) العلياء (4)، و بنا انفجرتم (5) عن السرار (6). وقر (7) سمع لم يفقه الواعية (9)، و كيف يراعي (10) النبأة (11) من أصمته (12) الصيحة (13)؛ ربط (14) جنان (15) لم يفارقه الخفقان (16). ما زلت أنتظر بكم عواقب (17) الغدر (18)، و أتوسمكم (19) بحلية (20) المغترين (21)، حتى سترني عنكم جلباب (22) الدين، و بصرنكم (23) صدق النية. أقمت لكم على سنن (24) الحق في جواد (25) المضلة (26)، حيث تلتقون و لا دليل، و تحتفرون (27) و لا تميهون (28).

اليوم أنطق لكم العجماء (29) ذات البيان (30) عذب (31) رأي امرئ تخلف عني (32) ما شككت في الحق مذ أريته! لم يوجس (33) موسى عليه السلام خيفة (34) على نفسه، بل أشفق (35) من غلبة الجهال (36) و دول الضلال! اليوم تواقفنا (37) على سبيل الحق و الباطل. من وثق (38) بماء لم يظماً (39)!

اللغة

1 - الظلماء: الظلمة.

2 - تستمتم: أصله ركوب السنام و هنا يراد به العلو.

ص: 119

3 - الذروة: جمعها ذرىّ و ذرى أعلى الشيء.

4 - العلياء: السماء، و المكان العالي، رأس الجبل.

5 - انفجرتم: دخلتم في الفجر.

6 - السرّار: الليلة و الليلتان يختفي فيهما القمر في آخر الشهر.

7 - وقر: الوقر الصمم.

8 - يفقه: يفهم.

9 - الواعية: الصراخ و المقصود هنا الزواجر.

10 - يراعي: يحفظ.

11 - النبأة: الصوت الخفي.

12 - أصمته: من الصمم و هو عدم السمع.

13 - الصيحة: الصوت بشدة.

14 - ربط: الله على قلبه قواه و صبره.

15 - الجنان: القلب.

16 - الخفقان: الاضطراب و التحرك.

17 - العواقب: أواخر كل شيء.

18 - الغدر: الخيانة و نقض العهد.

19 - أتوسمكم: أتفرس فيكم.

20 - حلية: زينة.

21 - المغترين: غرّه غرورا خدعه و أطمعه بالباطل.

22 - الجلباب: ثوب يلبس فوق الثياب.

23 - بصرنىكم: عرفنى إياكم.

24 - سنن: من السنة الطريقة الواضحة.

25 - جواد: سريع.

26 - المضلة: الأرض التي يضل فيها صاحبها.

27 - تحتفرون: تحدثون الحفر و حفر البئر نقرها.

28 - لا تميّهون: لا تجدون ماء.

29 - العجماء: ما لا نطق له.

30 - ذات البيان: صاحبة النطق و اللسان.

31 - عزب: بعد و خفي و غاب.

32 - تخلف عنه: تأخر.

33 - يوجس: يخاف و الفرع يقع في القلب.

34 - خيفة: الخوف و الفرع.

ص: 120

35 - أشفق: خاف.

36 - غلبة الجهال: منازعة الجهال وقهرهم.

37 - توافقنا: من الوقوف.

38 - وثق به: اطمأن به.

39 - يظماً: يعطش.

## الشرح

## إشارة

(بنا اهتديتم في الظلماء و تسنتم ذروة العلياء و بنا انفجرتم عن السرار) هذه الخطبة الشريفة تتضمن بعض المطالب العظيمة و المناقب الكريمة التي يتمتع بها أهل البيت، يذكرها احتجاجاً على من أنكروها و تذكيراً لمن نسيها و بياناً لحقيقة أهلها و هي موجهة إلى طلحة و الزبير و من كان على سيرتهما و كان خطابه لهما و إن كان بعد قتلهما كما خاطب النبي في بدر قتلى المشركين ففي هذا الخطاب إسماع لغيرهما من المسلمين..

بأهل البيت الذين نزل في بيوتهم الوحي كانت هداية الخلق من الجاهلية و الانحراف و الاسفاف في الفكر و الانحطاط في السلوك.. كان الناس في عمى و جهل و ضلال فنزل الوحي على رسوله فهداهم إلى الإسلام و الإيمان و طاعة الرحمن...

و بأهل البيت وصل المسلمون إلى أعلى درجات السمو و الرفعة و تقدموا على جميع الأمم و الشعوب و أضحوا قادة العالم و سادة البشرية ففتحوا الفتوح و قادوا الجيوش و تسلموا أزمة الأمور.. فإن هذه الأمة التي كانت تعيش على هامش الحياة ليس لها من هدف إلا الغزو و السلب و النهب تطارد الجراد و تركض خلف البعير و ليس في منظورها أكثر من ذلك، هذه الأمة تحولت إلى أرقى أمم الأرض و أعزها، وضعت رضی الله نصب عينها فأعزها الله و رفعها حتى أصبحت سيده الأمم...

و بأهل البيت غابت الظلمات و خرجت هذه الأمة من مدلهمات الجاهلية إلى فجر مضى زاهر نتذكره اليوم فنعيش اللذة و الحلم الطيب...

(وقر سمع لم يفقه الواعية و كيف يراعي النبأ من أصمته الصيحة؟) و إذا كان كل ما تقدم ببركة أهل البيت و وجودهم الطيب المعطاء و كان هذا ما قدموه للأمة ثم إن الناس جهلت ذلك و قابلته بالرفض و الإساءة و القسوة و الجفوة فما كان من الإمام هنا إلا أن دعا

عليهم بالصمم وفقدان الأذان سمعها لأنها إذا لم تفهم هذه الأمور كلها ولم تفكر فيها وتحللها وتقدر أهل البيت وتتابعهم في مسيرتهم وسلوكهم وأقوالهم كان سمعهم مفقودا لعدم أداء دوره المطلوب منه..

ثم اعتذر عنهم تبكيتا لهم وإهانة لوجودهم بأنه كيف يسمع الصوت الخفي من لم يسمع النداء القوي وهؤلاء نسوا كلام الله وكلام رسوله في حق أهل البيت ولم يؤثر فيهم كل ذلك النداء المتكرر في فضلهم إذا كان ذلك لم يؤثر فيهم فكيف يؤثر فيهم كلام الإمام مع ما هم فيه من العداوة له والبعد عنه والبغض لشخصه.

(ربط جنان لم يفارقه الخفقان) بعد أن دعا على أولئك الذين لم يسمعوا كلام الله وكلام رسوله دعا هنا لأولئك الذين تستمر قلوبهم في اضطراب ووجل خوفا من الله وفرعا من عقابه، دعا لهم أن تسكن قلوبهم وتثبت وتطمئن وهذا لا يكون إلا بالعمل الصالح والحياة مع الله وأن يتيقنوا بما عنده حتى كأنهم يرونه..

(ما زلت أنتظر بكم عواقب الغدر وأتوسمكم بحلية المغترين حتى سترني عنكم جلباب الدين وبصرتيكم صدق النية) ثم وجه كلامه إلى الفئة الناكثة طلحة والزبير ومن ينهج نهجهم بأنه منذ بيعتهم له كان لا يطمئن إليهم بل يتوقع منهم الخيانة ونقض البيعة، إنني كنت أتفرس فيكم الاغترار بأدنى شبهة ولو كانت فاسدة لا أساس لها وكنت أقدر على أخذكم والاقتصاص منكم ولكن منعني من ذلك وحبني ظاهر كلامكم حيث أنتم بظاهركم مسلمين والمسلم في حصانة لا يحاسب على ما في نفسه وما يضمه ومن هنا لا يجوز القصاص قبل الجناية وأنا أعرف ضعف إيمانكم وخبث طواياكم وهذا قد عرفته ببصيرتي التي زودني بها الله فإن المؤمن يبصر بنور الله..

### ما العمرة تريدان:

كان الإمام يقرأ الأحداث والأشخاص ومن ذلك أن طلحة والزبير بعد أن يؤسا منه وعرفا أنهما لن يكونا شريكاه في الملك وهو يرفض أن يولي أحدا منهما أجمع رأيهما على خلافه ومحاربه فلذا استئذناه في العمرة فإنها طريق إلى البعد عنه وبالتالي تسهل محاربه.

فقال لهما الإمام: ما العمرة تريدان، فحلفا له بالله إنهما ما يريدان غير العمرة.

فقال لهما: ما العمرة تريدان وإنما تريدان الغدرة ونكث البيعة، فحلفا بالله ما الخلاف عليه ولا نكث بيعته يريدان وما رأيهما غير العمرة.

قال لهما: فأعيدا البيعة لي ثانيا فأعادها بأشد ما يكون من الأيمان و الموائيق فأذن لهما فلما خرجا من عنده قال لمن كان حاضرا و الله لا ترونهما إلا في فتنة يقتتلان فيها قالوا: يا أمير المؤمنين فمر بردهما عليك.

قال: ليقضي الله أمرا كان مفعولا...

(أقمت لكم على سنن الحق في جواد المضلة حيث تلتقون و لا- دليل و تحتفرون و لا تميهون) لقد ثبت و قمت علما قائما على الطريق الواضحة في الطرق المتشعبة المتعددة التي يضل سالكها و يتيه و يتحير المتحرك فيها و أنتم تجتمعون و تتباحثون للوصول بظنكم إلى الحق و لكن ليس لكم دليل يدلکم بل أنتم تدورون دون فائدة إنكم تبحثون عن الحقيقة التي ترويكم و لكن دون وصول إليها...

و بعبارة أخرى: أنا منار الحق و صراط العدل من قصدني أدرك مناه و فاز و لكن أنتم تبحثون عن الحقيقة في غير مظانها و تقتشون عنها في غير أرضها و ستبقون هكذا حيارى و في ضياع مستمر.

(اليوم أنطق لكم العجماء ذات البيان) اليوم أجعل من لا يحسن الكلام متكلما، صاحب لسان و بيان و هو كناية عن كلامه و أنه سيجعله ينطق بفضائله و يشهد بعظيم مناقبه فكأنه ينطق و إن كان أخرسا.

أو يراد أنه بمواقفه و حركاته و ما يقوم به سيجعل الفعل بمستوى المنطق فإن لسان الحال أقوى من المقال.

(عزب رأي امرئ تخلف عني ما شككت في الحق مذ أريتته) بعد عن الحق و الصواب كل رأي يذهب إلى خلاف رأي و بيني وجهة نظر غير وجهة نظري لأنني على الحق و لم أشك فيه منذ عرفته، و إذا كان على الحق و لم يشك فيه كان من يذهب غير مذهبه فإلى ضلال و انحراف و قد كان صلوات الله عليه أصدق الناس في هذا فهو الذي يقول «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا» كناية عن منتهى الوصول إلى الله و إدراك أقصى غايات المعرفة.

(لم يوجس موسى عليه السلام خيفة على نفسه بل أشفق من غلبة الجهال و دول الضلال) إن موسى عليه السلام لم يخف على نفسه أن يضل أو ينحرف و إنما خاف على الناس تلبس السحرة فيضلوا و ينحرفوا و تقوى دول الضلال و الانحراف و ينتصر الجهال و من لا علم لهم بالله و رسوله و ما يجب عليهم أن يقوموا به كذلك أنا خفت أن تسير الفتنة

و يشتبه الأمر على الناس فيضلوا و ينحرفوا..

(اليوم توافقنا على سبيل الحق و الباطل من وثق بماء لم يظماً) اليوم بالخصوص - وإن كان قبل اليوم كذلك - لأنه رأس الهرم وقمة الجبل و منارة الحق و هو على رأس القافلة... اليوم وقفنا و إياكم على الحق و الباطل فأنا على الحق و أنتم على الباطل و من أطمأن إلى وجود الماء لم يشعر بما يشعر به الظمان الذي يس منه و كذلك من كان معي و وثق بي فإنه لن يضل و لن ينحرف و لن يقع في المتاهات و الظلام...

ص: 124



إشارة

لما قبض رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و خاطبه العباس و أبو سفيان ابن حرب في أن يبايعا له بالخلافة (و ذلك بعد أن تمت البيعة لأبي بكر في السقيفة، و فيها ينهى عن الفتنة و يبين عن خلقه و علمه)

النهي عن الفتنة

أيها الناس، شقوا (1) أمواج (2) الفتن بسفن التجارة، و عرجوا (3) عن طريق المنافرة (4)، وضعوا تيجان (5) المفاخرة (6). أفلح (7) من نهض (8) بجناح، أو استسلم فأراح. هذا ماء آجن (9)، و لقمة (10) يغصص (11) بها أكلها. و مجتني (12) الثمرة لغير وقت إيناعها (13) كالزّارع بغير أرضه.

خلقه و علمه

فإن أقل يقولوا: حرص (14) على الملك، و إن أسكت يقولوا:

جزع (15) من الموت! هيهات (16) بعد اللّيتا و اللّتي (17)! و الله لابن أبي طالب أنس (18) بالموت من الطّفل بشدي (19) أمه، بل اندمجت (20) على مكنون (21) علم لو بحت (22) به لاضطربتم (23) اضطراب الأرشية (24) في الطّويّ (25) البعيدة!.

- 1 - شقوا: من شق الشيء صدعه وفرّقه.
- 2 - الأمواج: أمواج البحر ما يرتفع من الماء على سطحه.
- 3 - عرجوا: انحرفوا وميلوا.
- 4 - المنافرة: المفاخرة في الحسب والنسب.
- 5 - التيجان: جمع تاج الإكليل.
- 6 - المفاخرة: تكون بين إثنين كل منهما يذكر مفاخرة.
- 7 - أفلح: فاز و الفلاح الفوز.
- 8 - نهض بالأمر: قام به وأسرع إليه.
- 9 - الآجن من الماء: المتغيّر اللون و الطعم، الفاسد.
- 10 - اللقمة: جمع لقم ما يلقم في مرة.
- 11 - غصّ باللقمة: إذا وقفت في حلقة.
- 12 - اجتنى الثمرة: اقتطفها.
- 13 - الإيناع: يقال أينع الثمر إذا أدرك و طاب و حان قطافه.
- 14 - الحرص: الشره إلى الشيء و البخل به.
- 15 - الجزع: عدم الصبر على الشيء و إظهار الحزن و الكدر.
- 16 - هيهات: بعد.
- 17 - بعد اللتيا و التي: بعد شدائد الأمور الكبيرة و الصغيرة.
- 18 - آنس: الأنس ضد الوحشة - و اللتيا تصغير التي.
- 19 - الثدي: غدة في صدر المرأة لها حلمة يمتص الرضيع منها الحليب.
- 20 - اندمجت: انطويت.

21 - المكنون: المستور.

22 - باح بالشيء: أظهره.

23 - اضطرب: تحرك و ماج وفي الأمر أختل وفي أموره تردد و ارتبك.

24 - الأرشية: الحبال مفردها رشا و هو الحبل.

25 - الطوي: البئر العميقة الغور.

ص: 126

(أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة و عرجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة) تمت البيعة لأبي بكر في ظروف غاب عنها بنو هاشم حيث كانوا يقومون بتجهيز رسول الله و وصلت أنباء البيعة إليهم فأوا مظلوميتهم و سلب حقهم و جاء إليهم أبو سفيان و هو يقول مثيرا للفتنة: إني لأرى عجاجة لا يطفئها إلا الدم، يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم، أين المستضعفان علي و العباس؟.

ما بال هذا الأمر في أقل حي(1) من قریش؟.

ثم قال لعلي: أبسط يدك أبايعك فو الله لئن شئت لأملأنها عليه خيلا و رجلا فأبى علي عليه السلام فتمثّل عندها بشعر المتملّس:

ولن يقيم علي خسف يراد به \*\*\* إلا الاذلان غير الحي و الوتد

هذا على الخسف معكوس برمته \*\*\* و ذا يشج فلا يبكي له أحد

فزجره علي و قال:

و الله إنك ما أردت بهذا إلا الفتنة و إنك و الله طالما بغيت للإسلام شرا لا حاجة لنا في نصيحتك ثم إن الإمام و جه كلامه إلى الناس ليند الفتنة و يقضي على النزاع و يحفظ الإسلام و المسلمين من خلال الوحدة المطلوبة و خصوصا في تلك الظروف الصعبة التي أحرق الكفر فيها على الإسلام من كل جانب.

وقد شبه الفتنة بالبحر المتلاطم الهائج الذي تتدافع فيه الأمواج فتقضي على من أراد أن يستمر في الإبحار منفردا ضعيفا لم يستعد لخوضه و لم يتأهب لمواجهة تياره و إنه عليه السلام قد أمرنا أن نشق هذه الفتن و نقضي عليها و لا نترك مجالا أو فرصة لمن أراد أن يفسد الود و ذلك بأن يعتصم المسلمون بالوحدة و أمر الله فكما إن السفن هي التي تجتاز الأمواج العاتية كذلك الالتزام بأمر الله و التزام الوحدة بهما تكون النجاة و يكون الفوز و الخلاص...

و إذا كانت الفتنة ممنوعة و مرفوضة فكذلك أسبابها مرفوضة و من جملة تلك الأسباب المنافرة التي هي العدا و عدم المسالمة و الهدوء و كذلك المفاخرة الموجبة لرؤية الحال المستدعية للتقدم على الغير و الاستطالة عليه و بالتالي الموجبة للعداء

ص: 127

والمخاصمة فإنه عليه السلام أمر في أوقات الفتنة إلى التهدئة و السكون و ترك ما يوجب العداء و المخاصمة...

(أفلح من نهض بجناح أو استسلم فأراح) بعد أن دعا إلى و أد الفتنة و أسبابها بين القاعدة الكلية التي يجب أن يسكلها أصحاب الحق عند ما تسلب حقوقهم إنهم أمام أحد أمرين أما الثورة و استرداد الحق و هذا الطريق يجب أن يكون من شرائطه وجود الأعوان و الأنصار و المؤيدين الذين ينتصرون لصاحب الحق و يستردون الحقوق بالقوة.. من يريد القيام يجب أن يكون عنده القوة للنصر و طبعاً هذا فيما لا يهدد أصل الدين و يقضي على جذوره و إلا فالثورة و المواجهة و إتلاف النفس يتعين في تلك الحال هذا هو الطريق الأول.

و إذا لم يكن له هذه القوة و العدة فينبغي أن لا يحرك ساكناً و ينتظر الفرج و الظروف المؤاتية التي يمكن أن تغير مجرى الأحداث.. و في هذه الطريق الذي لا يملك الإنسان معه القدرة يريح نفسه من عناء الدمار و الهلاك و يريح غيره من الفوضى و الاضطراب.

و كأنه عليه السلام بيّن معاناته و ما يعيش فيه في تلك الظروف الصعبة و إنه لا يملك القوة التي يواجه بها مجتمع السقيفة و إفرزاته التي جاءت بالخليفة الجديد...

(هذا ماء آجن و لقمة يغصّ بها أكلها) ثم شبه الخليفة التي سلبت منه و التي يريد لها المطالبون بها شبهها بالماء الفاسد من حيث أنه يضر و لا يستلذ به الإنسان و باللحمة التي لا تستساغ و لا يقدر الإنسان على ابتلاعها فهي في حلقه تؤذي و تمنعه لذة الحياة و كذلك هذه الخليفة التي تولاها أبو بكر - كيف يقدر الإنسان على السرور بها و قد تؤدي إلى فساد الوضع و الفوضى و الاضطراب إن قام يريد لها و يطلبها و يسعى لاستردادها..

(و مجتني الثمرة لغير وقت إيناعها كالزراع بغير أرضه) هذا بيان منه لعدم إقدامه على طلب الخليفة و شبهها بالثمرة و نفسه بمجتنها ثم شبه مجتني الثمرة لغير وقت نضجها بالزراع في غير أرضه فكما إن هذا يمنع من التصرف فيما زرع و لا يستفيد منه كذلك مجتني الثمرة قبل وقت نضجها فإنه لا ينتفع بها و لا يستطيع أن يتذوقها لمجابتها و عدم التلذذ بها و طلبه للخليفة بعد أن استولى عليها أبو بكر و جمع حوله الناس المستفيدين من مقامه فإن منازعته و الحال كذلك منازعة عقيمة لا ثمرة فيها و لا نفع وراءها.

(فإن أقل يقولوا حرص على الملك و إن أسكت يقولوا جزع من الموت هيهات بعد اللتيا و التي و الله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بثدي أمه) ثم تعرض إلى مقولات

الناس فيه وإنه لم ينج من أسنتهم لأنه إذا طالب بحقه في الخلافة يقولون: إن عليا يحب الدنيا و يحب الملك و هو حريص على الرياسة و المكانة العالية.

وإن يكف عن المطالبة و يسكت عن حقه يقولون أنه يخاف الموت و يخاف أن يقضي عليه أخصامه و من بأيديهم الأمور.

و لكنه عليه السلام رد على الفريقين بأنهما قد بعدا عن الحق و أخذهما الباطل إلى غير الصواب.. فليس قوله إن قال طلبا للملك و حب الرياسة بل لإحقاق الحق و إزهاق الباطل كما إنه لو سكت و كف لم يكن ذلك خوف الموت و الشهادة فإن القاصي و الداني و القريب و البعيد يعرف جهاد علي و مواقفه الكريمة في جميع غزوات النبي و يعرف الجميع إن قلب علي لا يعرف الخوف من أحد إلا من الله.. لقد خاض الأهوال و قام بشدائد الأمور و عظامتها و كان مفتاح الفتح في كل موقعة و معركة.

و أكد كذب دعواهم أنه لا يخاف الموت. بأنه آس به من الطفل بشدي أمه فكما أن الطفل لا يرى في الوجود إلا ثدي أمه و لا يحب شيئا غيره و إذا وصل إليه هس و بش و كان ذلك غاية أمنيته كذلك كانت حالة الإمام مع الموت بل أشد أنسا و هذا ما يفسر لنا قوله عند ما ضربه ابن ملجم «فزت و رب الكعبة» لأن بالموت تحصل السعادة و يدرك الأمنية الغالية التي ينتظرها..

#### ملاحظة:

«بعد اللتيا و التي»، قال الميداني في مجمع أمثاله:

«بعد اللتيا و التي هما الداهية الكبيرة و الصغيرة و كنى عن الكبيرة بلفظ التصغير تشبيها بالحية فإنها إذا كثر سمها صغرت لأن السم يأكل جسدها.

وقيل: الأصل فيه إن رجلا من جديس تزوج امرأة قصيرة فقاسى منها الشدائد و كان يعبر عنها بالتصغير فتزوج امرأة طويلة فقاسى منها ضعف ما قاسى من الصغيرة فطلقها و قال: بعد اللتيا و التي لا أتزوج أبدا فجرى ذلك على الداهية.

وقيل: إن العرب تصغر الشيء العظيم كالدهيم و اللهيم و ذلك منهم رمز..

(بل اندمجت على مكنون علم لو بحث به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوي البعيدة) و في ختام هذه الخطبة يبين أن سكوته عن المطالبة بحقه إنما هو لأجل ما عنده من العلم الذي تلقاه من النبي من كون الخلافة سيتولاها الغاصبون ثم تنزو عليها صبية

بني أمية وبعدهم دولة بني العباس وإما كما قيل من أنه عليه السلام من خلال جملة ما حدث و صار و ما جرى يعرف كيف ستتول الأمور فيما لو طالب بحقه و أعلنها حربا دامية لا تبقي و لا تذر و في ذلك خطر كبير على الإسلام و أهله...

فإن هذا العلم لو نقله إلى الناس و باح به إليهم لاضطربوا و تزلزلت أقدامهم و عاشوا في بلبلة فكرية لم يستقروا بعدها.

و هو ما عبر عنه لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوي البعيدة فكما تزداد حركة الجبال و لا تستقر إذا كانت البئر عميقة كذلك لو أخبرتكم بما عندي من العلم اضطربت أفكاركم و كثر الشك عندكم و تزلزلت مواقفكم..

ص: 130

إشارة

لما أشير عليه بالألا يتبع طلحة و الزبير و لا يرصد لهما القتال و فيه يبين عن صفته بأنه عليه السلام لا يخدع و الله لا أكون كالضبع (1): تنام على طول اللدم (2)، حتى يصل إليها طالبها، و يختلها (3) راصدها (4)، و لكتي أضرب بالمقبل (5) إلى الحق المدبر (6) عنه، و بالسامع المطيع العاصي المريب (7) أبدا، حتى يأتي عليّ يومي. فوالله ما زلت مدفوعا عن حقي، مستأثرا (8) عليّ، منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه و سلم حتى يوم الناس هذا.

اللغة

1 - الضبع: بضم الباء مؤنث حيوان مفترس معروف.

2 - اللدم: اللطم و الضرب الذي يسمع صوته.

3 - يختلها: يخدعها.

4 - الراصد: الرقيب.

5 - المقبل: الآتي نقيض المدبر.

6 - المدبر: الهارب.

7 - المريب: المشكك.

8 - مستأثرا: يقال استأثر بالشيء استبد به.

الشرح

(و الله لا أكون كالضبع تنام على طول اللدم حتى يصل إليها طالبها و يختلها راصدها) رفض الإمام أن يقعد عن القوم الناكثين و أقسم أنه لا يكون كالضبع في الغباء



وعدم الاهتمام بما يدور حوله فإن العرب تقول إنها من أحق الحيوانات حتى أن من حمقها أن صائدها يأتي إلى بابها فيضرب بعقبه الأرض عند الباب ضربا خفيفا وذلك هو اللدم فتنام على ذلك فيدخل إليها ويجعل الحبل في عرقوبها ويجرها وبهذه الطريقة يحصل عليها قاصدا اصطيادها ويخدعها المترقب لها بعمله حتى تقع بين يديه.. والإمام يحلف أنه لن يقعد عن قتال القوم ومجالدتهم حتى يصل حاله معهم إلى مثل حال الضيع مع الصياد فيقع في شراكهم ويتمكنون منه ولو أنه عليه السلام لم يلاحقهم ويطاردهم بل بقي مكانه لقويت شوكتهم وعجز بالتالي عن مقارعتهم..

(ولكنني أضرب بالمقبل إلى الحق المدبر عنه وبالسامع المطيع العاصي المريب حتى يأتي علي يومي) هذا هو تصميم الشرفاء وأهل الحق في الدنيا وإن عليا سيد الشرفاء وصاحب أعظم حق وهو الخليفة الشرعي بنص الله ورسوله وإجماع الأمة ومع الأنصار والأتباع وهذا يستدعي منه انتصارا للحق وإزهاقا للباطل، هذا يستدعي منه أن يقاتل بمن معه ممن قبل الحق وسائده من خالفه وعانده ويقا تل بمن أطاع أمره من عصاه وبهذه الطريقة يحقق إرادة الله ويدرك رضاه وقد أخذ على نفسه أن يبقى على هذه الطريقة حتى يختار الله له الدار الآخرة وقد صدق فيما قال فقد قاتل الناكثين في معركة الجمل والبغاة في صفين والخوارج في النهروان حتى جاء أمر الله فضربه اللعين ابن ملجم وكانت الخاتمة السعيدة شهادة في سبيل الله.. ثم بين مظلوميته..

(فو الله ما زلت مدفوعا عن حقي مستأثرا عليّ منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم حتى يوم الناس هذا) أقسم أنه ما زال ممنوعا عن حقه في الخلافة قد سلبها منه الخلفاء قبله واستبدوا بها ولم يشركوه معهم في شيء من شؤونها منذ توفى رسول الله وقبضه الله إليه إلى يوم الناس هذا الذي قامت فيه الاضطرابات ويشهد الواقع أنه عليه السلام لم يتول عملا قط لأحد من الخلفاء الذين سلبوه حقه..

إشارة

يذم فيها أتباع الشيطان أتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكا (1)، و اتّخذهم له أشراكا (2)، فباض و فرّخ في صدورهم، و دبّ (3) و درج (4) في حجورهم (5)، فنظر بأعينهم، و نطق بألسنتهم، فركب بهم الزّلل (6)، و زيّن (7) لهم الخطل (8)، فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه، و نطق بالباطل على لسانه!

اللغة

- 1 - ملاك الأمر: ما به قوامه و ديمومه.
- 2 - الأشراك: جمع شرك حبال الصيد.
- 3 - دب: مشى على اليدين و الرجلين كالطفل.
- 4 - درج: مشى.
- 5 - الحجور: مفردا حجر الحوضن و فلان نشأ في حجر فلان في كنفه و منعته.
- 6 - الزلل: الخطأ.
- 7 - زيّن: له الأمر حسنه و الشيء زخرفه.
- 8 - الخطل: أقيح الخطأ.

الشرح

(اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكا و اتّخذهم له إشراكا) في هذه الخطبة ذم للمخالفين له و المعاندين لخلافته و هي أوصاف يستحقونها باعتبار أن الطريق طريقان، طريق الله و طريق الشيطان، و إذا كان الولي الشرعي على الطريقة الأولى كان نصيب الآخرين الطريقة الثانية.

وقد أصبح بين الشيطان وبينهم تبادل مصالح و منافع و أضحي لكل منهما علاقة قوية فهم اتخذوه قبلتهم و إليه محجتهم هو سيدهم و هم له أتباع و أنصار لا يتحركون إلا عن أمره فكان المستولي عليهم و المتولي لشأنهم، لا يحددون عما يقول و لا يفعلون غير ما يأمر، عن أمره يصدرون و إليه ينتهون...

و في المقابل هو اتخذهم له جندا مجندة و جعلهم وسيلة يصطاد بهم عباد الله الضعفاء و يحرفهم عن مستقيم الصراط فلأنهم نهضوا لمحاربتة و هم على باطل اغتر بهم الضعفاء فتابعوهم و عاونوهم و حاربوا معهم فإن من يأخذ دينه من الرجال يضل و كيف لا يضل من يجد الزبير و طلحة و أم المؤمنين عائشة يسرون لحرب علي... زوجة النبي و صاحبا من جهة و علي من جهة أخرى و أما من أخذ دينه من الكتاب و السنة و سمع أقوال النبي و حكّم عقله فلن يضل و لن ينحرف فيعرف أن عليا قائد البررة و قائل الفجرة و يعرف أنه على الحق و الحق معه و يعرف أنه باب مدينة علم النبي و يعرف أنه أمير المؤمنين و صاحب الولاية و الأمانة...

(فباض و فرّخ في صدورهم و دب و درج في حجورهم) لقد أصبحت صدورهم التي فيها قلوبهم مرتعا للشيطان بحيث وضع شياطينه الصغار فيها فهو ملازم لهم يوسوس و يزيّن يغري بهم و يغريهم فترى النوايا خبيثة و السرائر فاسدة و القلوب نكدة قاسية بحيث أنها كلها تحكي عن الشيطان و تنبئ عن وجوده منها و تخبر عن محله امنها و لشدة ملازمته لها تربي عندهم كما يترى أطفالهم في أحضانهم فأصبح عزيزا عندهم أثيرا لديهم لا يرد له طلب و لا يحجب عما يرغب..

(ينظر بأعينهم و نطق بألسنتهم) و هذا منتهى استيلائه عليهم و سيطرته على قواهم بحيث تحولت أعينهم و ألسنتهم إلى أدوات للشيطان فإذا نظروا فلا ينظرون إلا إلى محرم محظور و إذا نطقوا فلا ينطقون إلا بالباطل لأن الشيطان ينطق بألسنتهم و ينظر بأعينهم، و كم نجد من هذه العناصر و الأفراد في المجتمع إنك تحس الشيطان ينظر بعيون بعضهم و ينطق لألسنتهم بل إذا دقت لوجدت أنهم أساتذته و أنه تلميذهم..

(فركب بهم الزلل و زين لهم الخطل فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه و نطق بالباطل على لسانه) لقد جرهم إلى الخطأ و الضلال و المعصية و الانحراف و زين لهم الفساد حتى يرتكبه و يمارسوه لقد أصبح شريكهم في أعمالهم و حركاتهم فلا ينطقون إلا بالباطل و لا يتكلمون إلا بالفساد لقد تسلط عليهم لأنه أقوى الشريكين فحرفهم عن الصراط المستقيم و أضلهم عن سواء السبيل

اشارة

يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك و يدعوه للدخول في البيعة ثانية يزعم (1) أنه قد بايع (2) بيده، و لم يبائع بقلبه، فقد أقرّ (3) بالبيعة و ادّعى (4) الوليعة (5). فليأت عليها بأمر يعرف؛ و إلاّ فليدخل فيما خرج منه.

اللغة

1 - يزعم: و الزعم هو القول الذي يشك فيه أو يعلم بطلانه.

2 - بايع: مبايعة عاهده إعطاء الولاء لشخص ليتولى مقاليد الأمور.

3 - أقرّ: اعترف.

4 - ادّعى: زعم أنه له حقا أو باطلا.

5 - الوليعة: الدخيلة و ما يضمه الانسان في قلبه.

الشرح

اشارة

(يزعم أنه قد بايع بيده و لم يبائع بقلبه) بايع الزبير للإمام بيعة مكشوفة رآها العام و الخاص دون إجبار و لا إكراه و لما عرف أنه لن ينال من خلافته شيئا أراد أن يهرب منها و يتهرب مما أعطاه و لكن كيف و بأي أسلوب ادعى عندها أنه بايعه بيده و لم يعقد على البيعة قلبه و يصل هذا الكلام إلى الإمام فيزد عليه مبطلا دعواه مكذبا مدعاه بحجة عقلانية تباني عليها كل الناس و مفادها و مضمونها: إن من أعطى أمرا ظاهرا من قول أو فعل يكون حجة له كما يكون حجة عليه و لا يمكن أن يخرج عنه أو يعتذر منه إلا إذا جاء بحجة أقوى ينفي ظهور ذلك الفعل أو القول و هذا ما احتج به الإمام عليه حيث قال:

(فقد أقر بالبيعة و ادعى الوليعة فليأت عليها بأمر يعرف) أقر بالبيعة حيث بايعه جهارا نهارا و أمام جمهور الناس فما يدعيه من أنه لم يكن من قلبه فهذه الدعوى تحتاج إلى إثبات و إثباتها متعذر مستحيل لا يمكن إدراكه أو تحقيقه فالناس لها علم و معرفة بما يقع تحت نظرها و أما ما في القلوب فالله وحده العالَم و إذا تعذّر ذلك فما على الزبير إلا الرجوع إلى البيعة و إبطال نقضها..

(و إلا فليدخل فيما خرج منه) فهو قد كان داخلا في البيعة و قد خرج منها بنكثها فما عليه الآن بعد أن عجز عن إثبات ما يضمّره إلا أن يعود إلى البيعة التي خرج منها...

### ترجمة الزبير:

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي.. يكنى أبو عبد الله.

أمه صفية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله (صلى الله عليه و آله) .

أسلم في سن مبكرة.

وقد شهد مع النبي جميع مشاهدته و كان فارسا شجاعا و قد رفض بيعة أبي بكر و وقف إلى جانب الإمام علي و قد كان واحدا من ست في الشورى العمرية و قد بايع الإمام ثم نكث بيعته و خرج مع طلحة و أم المؤمنين عائشة لقتال علي في معركة الجمل.

قال صاحب الإصابة في تمييز الصحابة: روى أبو يعلى من طريق أبي جرد المازني قال: شهدت عليا و الزبير توافيا يوم الجمل فقال له علي: أنشدك الله أسمعك رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: تقاتل عليا و أنت ظالم له.

قال: نعم و لم أذكر ذلك إلى الآن فانصرف و بينما هو عائد قتله عمرو بن جرموز و لما أراد الجائزة قال له علي: قال رسول الله: بشرّ قاتل ابن صفية بالنار، قتل في جمادى الأولى سنة ست و ثلاثين و له ست أو سبع و ستون سنة.

أقول:

كان الزبير يعدّ من أهل البيت لموقفه معهم و إيمانه بهم و لكن ولده عبد الله أخرجه من هذا الولاء إلى العدا و قد قال الإمام كلمة في هذا المعنى قال: «ما زال الزبير (1) منا أهل البيت حتى نشأ ابنه المشؤم عبد الله».

ص: 136

إشارة

في صفته و صفة خصومه و يقال إنها في أصحاب الجمل و قد أَرعدوا (1) و أبرقوا (2)، و مع هذين الأمرين الفشل (3)؛ و لسنا نرعد حتى نوقع، و لا نسيل حتى نمطر.

اللغة

1 - أَرعدوا: من الرعد و هو صوت قوي يحدث من اصطكاك الغيوم ببعضها، و الرجل أَرعد إذا أوعد.

2 - أبرقوا: من برق و البرق نور يلمع أثر احتكاك الغيوم ببعضها ببعض و الرجل أبرق إذا هدد.

3 - الفشل: عدم النجاح، تراخي و جبن عند حرب أو شدة.

الشرح

(و قد أَرعدوا و أبرقوا و مع هذين الأمرين الفشل) هذا الكلام منه عليه السلام موجه إلى طلحة و الزبير و جماعتهما و يريد به الذم و الاستهانة بهم و بقدرتهم.

و قد استدل على فشلهم و جبنهم و عدم نجاحهم أنهم يسلكون مسلك التهديد و الوعيد و هذا من دأب الجبناء فإنهم أقوى ما يكونون إذا عرفوا أنهم لا يصل إليهم خصومهم أو كان هناك ما يحول بينهم و بين لقائهم و هذا مجرب قد جرت به عادة الجبناء و مرّ علينا صدق هذا الكلام.

ثم أشار إلى واقعه و ما هو عليه من اقتران القول بالفعل بقوله: (و لسنا نرعد حتى نوقع و لا نسيل حتى نمطر) و إذا تهددنا أحدا أوقعنا به العذاب و النكال و إلا فلا نهدد.

إشارة

يريد الشيطان أو يكتني به عن قوم ألا وإن الشيطان قد جمع حزبه (1)، و استجلب (2) خيله ورجله (3)، وإن معي لبصيرتي (4): ما لبست (5) على نفسي، و لا لبس عليّ . و أيم الله لأفرطنّ (7) لهم حوضا (8) أنا ماتحه (9)! لا يصدرون عنه (10)، و لا يعودون إليه.

اللغة

- 1 - الحزب: جمعه أحزاب، الجماعة من الناس، جند الرجل و أصحابه الذين على رأيه، كل قوم اجتمعت قلوبهم و أعمالهم على شيء واحد.
- 2 - استجلب: طلب أو سبب جلبهم و مجيئهم.
- 3 - رجله: الرجل بالفتح جمع راجل.
- 4 - البصيرة: جمعها بصائر، العقل، الفطنة و هي بصر الداخل و العين للخارج.
- 5 - لبست: من اللبس، الإشكال و عدم الوضوح و الاختلاط.
- 6 - أيم الله: قسم مثل و الله.
- 7 - لأفرطن: يقال أفرطت الحوض إذا ملأته و الفرط المتقدم.
- 8 - الحوض: جمع أحواض و حياض مجتمع الماء.
- 9 - ماتحه: الماتح المستقي من البئر.
- 10 - صدر عنه: ضد و رده، رجع عنه.

الشرح

(ألا وإن الشيطان قد جمع حزبه و استجلب خيله ورجله) يريد بهذه الخطبة ذم أعدائه و بيان ضلالهم و انحرافهم و قد استفزهم الشيطان و جمعهم لحربه و جاء بهم

راجلين و على الخيل فإن وراء قيامهم في وجهه إنما كان الشيطان و دعوته الضالة و قد استجابوا له و أطاعوه و تحركوا كما أراد..

(و إن معي لبصيرتي ما لبست على نفسي و لا لبس عليّ) بعد أن ذم أعداءه لمتابعتهم للشيطان و إطاعة أمره أراد أن يبين نظافة ساحته و صحة رؤيته و أنه لا يزال في الوضوح الآن كما كان زمن رسول الله فيقول إنني على رؤيتي الواضحة و عقيدتي التي كنت عليها فقد كنت على المحجة الواضحة و لا أزال لم أشك في تلك الرؤية و لم أشتبه فيما أنا عليه كما أنه لم يقدر أحد على تشويش رؤيتي و زلزلت إيماني و ما أنا عليه من الحق فليس لنفسي الأمانة بالسوء قدرة على إغوائي و كذلك ليس لأحد من شياطين الجن و الإنسان قدرة على إغوائي و تشويش رؤيتي.

(و أيم الله لأفرطن لهم حوضاً أنا ماتحه، لا يصدرون عنه و لا يعودون إليه) ثم أقسم بالله و هو بار في قسمه أنه سيعلنها عليهم حرباً ضرورياً و كنى عن ذلك بأنه سيملاً لهم حوضاً و هو بنفسه يتولى نزحه تهديداً لهم فإنهم سيردون على الحوض و لكن علياً صاحب الحرب و ابن بجدتها سيتركهم بين أمرين أحلاهما مرّ، سيتركهم بين قتيل يرد على الحرب و لا يخرج منها و بين هارب لا يعود إليها أبداً.

ص: 139



اشارة

لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل تزول (1) الجبال و لا تزل! عَضَّ (2) على ناجذك (3). أعر (4) الله جمجمتك (5) تد (6) في الأرض قدمك (7). ارم ببصرك أقصى (8) القوم، و غَضَّ (9) بصرك، و أعلم أنّ التّصر من عند الله سبحانه.

اللغة

- 1 - تزول: تذهب و تتحول.
- 2 - عض: العض هو الإمساك بالأسنان و الضغط بها.
- 3 - ناجذيك: مفردھا ناجذ و هو أقصى الأضراس.
- 4 - أعر: من الإعارة و هي إعطاء شيء للاستفادة منه على أن يردھ.
- 5 - جمجمتك: الجمجمة عظم الرأس المشتمل على الدماغ.
- 6 - تد: أمر من وتد إذا ثبت كالوتد.
- 7 - قدمك: القدم ما بين طرف الابهام للرجل و طرف العقب.
- 8 - أقصى الشيء: منتهاه و غايته.
- 9 - غَضَّ: بصره منعه عما لا يحل له و الغض كسر النظر و كفه.

الشرح

اشارة

(تزول الجبال و لا تزل) هذه أوامر و إرشادات من الإمام إلى ولده و هي نتيجة تجربة حكيمة و خبرة طويلة في هذا المضممار فأولها الثبات و الصبر و إن الجبال لو زالت من

محلها يجب أن لا تزول أنت عن مكانك أو تتحول عنه فلا تتحرك و لا تضطرب...

(عض على ناجذك) قيل إن العض على النواجذ يصلب عظام الرأس فلا يأخذ منه السيف مأخذه و لكن الأقرب أنه كناية عن تحميله الغيظ و أن يكون حال المقهور الذي يحقن على خصمه و يغتاط فيعض على نواجذه و يطلب الانتقام و شفاء غيظ صدره ليرتاح...

(أعر الله جمجمتك) يعني أبذل نفسك في طاعة الله و تقوية دينه و العارية هي إعطاء شيء للاستفادة منه على أن يرده و هذا منه كما قيل إشارة إلى أنه لن يموت في قتاله.

(تد في الأرض قدمك) ثبت أقدامك في الأرض و اجعلها كالوتد لا تتحرك و لا تتزلزل و إنك متى ثبت ثبت غيرك كما هو حال الوتد بالنسبة لما يربط به..

(ارم ببصرك أقصى القوم) فلا تنكس رأسك و لا يرهبك من كان قريبا منك بل انظر إلى آخر القوم و اقصد إليه فاجعله مطمح نظرك و غابة و صولك فإن الهمم العالية تجعل هدفها أهم الأمور و أعظمها و في الحروب ينظر إلى النصر و هو لا يتم إلا بالتغلب على أقصى القوم..

(غض بصرك) فبعد أن أمره أن يمد بصره إلى أقصى القوم و يكون همه ذلك و الانتصار عليه يجب أن يغض بصره عما في أيدي أعدائه من السيوف و العتاد لئلا يؤخذ بها و ينهزم نفسيا من رؤيتها ثم ختمها بقوله:

(و اعلم أن النصر من عند الله سبحانه) و هذه عقيدة المؤمن و منها ينطلق فهو يعمل بما أمر الله من إعداد العدة و التأهب و توفير جميع متطلبات المعركة ثم يجعل على رأس ذلك كله و في صلب معادلته إرادة الله و حكمه فهو الذي ينزل نصره و هو الذي يمسكه و يمنعه بيده الأمور و إن تنصروا الله ينصركم..

### ترجمة محمد بن الحنفية:

محمد بن علي بن أبي طالب.

و أمه اسمها خولة بنت جعفر بن قيس من قبيلة بني حنيفة.

وقد اختلف في أمرها ف قيل أنها سبية على يد خالد بن الوليد في زمن أبي بكر و هذا لم يصح.

وقيل أنها كانت سبية في زمن رسول الله فقد قالوا أن رسول الله بعث عليا إلى اليمن

فأصاب خولة في بني زبيد وقد ارتدوا مع عمر بن معديكرب و كانت زبيد قد سبتها من بني حنيفة في غارة لهم عليهم فصارت في سهم علي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن ولدت منك غلاما فسمه باسمي و كنهه بكنتي فولدت له بعد موت فاطمة محمدا فكناه أبا القاسم.

و قال قوم و هم المحققون و قولهم الأظهر أن بني أسد أغارت على بني حنيفة في خلافة أبي بكر فسبوا خولة فباعوها من علي فقدم قومها عليه فأخبروه بموضعها عندهم فأعتقها و مهرها و تزوجها...

كان محمد من فضلاء التابعين حتى ادعى قوم أنه الإمام و كانت راية أمير المؤمنين في موقعة الجمل معه قال ابن أبي الحديد دفع أمير المؤمنين يوم الجمل رايته إلى محمد ابنه و قد استوت الصفوف و قال له: احمل فوقف قليلا فقال له: احمل فقال يا أمير المؤمنين أما ترى السهام كأنها شآبيب المطر فدفع في صدره و قال: أدركك عرق من أمك ثم أخذ الراية فهزها ثم قال:

اطعن بها طعن أبيك تحمد \*\*\* لا خير في الحرب إذا لم توقد

بالمشركي و القنا المسدد

ثم حمل و حمل الناس خلفه فطحن عسكر البصرة ثم دفع علي الراية إلى محمد و قال امح الأولى بالأخرى و هذه الأنصار معك و ضم إليه خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين في جمع من الأنصار كثير و من أهل بدر فحمل محمد حملات كثيرة أزال بها القوم عن مواقفهم و أبلى بلاء حسنا فقال خزيمة بن ثابت لعلي: أما إنه لو كان غير محمد اليوم لافتضح و لئن كنت خفت عليه الجبن و هو بينك و بين حمزة و جعفر لما خفناه عليه و إن كنت أردت أن تعلمه الطعان فطالما علمته الرجال، و قالت الأنصار: يا أمير المؤمنين لو لا ما جعل الله تعالى للحسن و للحسين عليهما السلام لما قدمنا على محمد أحدا من العرب فقال علي عليه السلام أين النجم من الشمس و القمر أما أنه قد أغنى و له فضله... و لكن أين يقع ابني من ابني رسول الله صلى الله عليه وسلم.

- و قد كان لمحمد منزلة في قلوب الناس و قد دعا له المختار و كان يقول إنه المهدي و يسمى من اعتقد به بالكيسانية و قد حبسه ابن الزبير فخلصه المختار.

توفي محمد سنة 81 هجرية في أيام عبد الملك بن مروان..

ص: 142

إشارة

لما أظفره الله بأصحاب الجمل، و قد قال له بعض أصحابه، و ددت أن أخي فلانا كان شاهدا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك فقال له عليه السلام: أهوى (1) أخيك معنا؟ فقال: نعم. قال: فقد شهدنا، و لقد شهدنا! في عسكرنا هذا أقوام (2) في أصلاب (3) الرجال و أرحام (4) النساء، سيرعف (5) بهم الزمان، و يقوى بهم الإيمان.

اللغة

1 - الهوى: الحب و الاشتها، الميل.

2 - أقوام: جماعات.

3 - أصلاب: مفردة صلب عظم الظهر ذو الفقرات الممتد من الكاحل في أسفل الظهر.

4 - أرحام: مكان نمو الجنين في المرأة.

5 - رعف: من الرعاف و هو الدم الذي يخرج من الأنف.

الشرح

إشارة

(فقال عليه السلام: أهوى أخيك معنا.

قال: نعم قال: فقد شهدنا و لقد شهدنا في عسكرنا هذا).

ما أجمل هذه الأمنية في تلك اللحظات الكريمة... إنها إشراقة في عالم الروح

تتفتح لترى أبا لها في الله كان يعشق هذا النصر لأولياء الله...

وددت التي هي أقرب من ليت أن أخي فلانا كان شاهدا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك.

و يأتي الرد العلوي ليستحضر الأخ بين المجاهدين و يدخله في عداد الشاهدين..

لئن بعد بجسده فإن الروح تقربه و علاقة الفكر توحيده.. اتحاد الرؤية و النظرة و الهوى و الحب يجمع الجميع، من مات و من هو شاهد حي و من بعد في أصلاب الرجال و أرحام الأمهات... يلتقي الجميع على صعيد واحد... يأخذ الغائب حكم الحاضر و ينال أجره و ثوابه.. تطوى المسافات الزمنية و تقترب أقاصي الأرض بعضها من بعض و تأتي بكل صاحب رأي لتجمعه مع من يلتقي معه في الرأي.. الحب يجمع.. الهوى و الميل يوحد.. الجامع مشترك يحكم الجميع و يعطي الكل حكما واحدا...

من كان غائبا الآن و أحب نصرنا فهو معنا و من بعد في زوايا العدم في أصلاب الرجال و أرحام النساء و أحب نصرنا فهو معنا و من أحب قوما كان معهم و الراضي بفعل قوم كالدخل معهم فيه...

إنها استشرافة علوية و علم علمه الله إياه يقرأ من خلاله المستقبل فيخبر عنه و كأنه عيان فيبشر المؤمنين بأن الزمن سيأتي بمن يحب أمير المؤمنين و يحب فتوحاته و بطولاته، و هؤلاء سيقوى بهم الإيمان، سيجاهدون و ينتصرون و يقوى بهم الإيمان و ترتفع بهم كلمة الرحمن.

### إنما يجمع الناس السخط و الرضا:

وردت الأحاديث الكثيرة في أن من أحب قوما حشر معهم و من رضي بفعل قوم كان شريكا لهم و يحاسب كحسابهم و هذا الأمر من مقتضيات الإيمان و لوازمه فمن أحب الرذيلة و انتشارها كان كمن يتعاطاها و من رضي بقتل مؤمن كان شريك القاتل في عمله و هكذا.

1 - عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من شهد أمرا فكرهه كان كمن غاب عنه، و من غاب عن أمر فرضيه كان كمن شهده.

2 - و عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: قلت لأبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله ما تقول في حديث روي عن الصادق (ع) قال: إذا

خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم فقال عليه السلام: هو كذلك فقلت: قول الله عز وجل: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ» ما معناه؟.

قال: صدق الله في جميع أقواله، ولكن ذراري قتلة الحسين (ع) يرضون بفعال آبائهم ويفتخرون بها و من رضي شيئاً كان كمن أتاه، ولو أن رجلاً قتل بالمشرك - فرضي بقتله رجل بالمغرب لكان الراضي عند الله عز وجل شريك القاتل، وإنما يقتلهم القائم (ع) إذا خرج لرضاهم بفعل آبائهم..

ص: 145

إشارة

في ذم أهل البصرة بعد وقعة الجمل كنتم جند (1) المرأة، و أتباع (2) البهيمة (3)؛ رغا (4) فأجبتهم، و عقر (5) فهربتم. أخلاقكم دقاق (6)، و عهدكم (7) شقاق (8)، و دينكم نفاق (9)، و ماؤكم زعاق (10)، و المقيم (11) بين أظهركم مرتهن (12) بذنبه، و الشاخص (13) عنكم متدارك (14) برحمة من ربه. كأني بمسجدكم كجوجؤ (15) سفينة قد بعث الله العذاب من فوقها و من تحتها، و غرق من في ضمنها.

و في رواية: و أيم الله لتغرقن بلدتكم حتى كأني أنظر إلى مسجدها كجوجؤ سفينة، أو نعامه (16) جائمة (17).

و في رواية: كجوجؤ طير في لجة بحر.

و في رواية أخرى: بلادكم أنتن (18) بلاد الله تربة: أقربها من الماء، و أبعداها من السماء، و بها تسعة أعشار الشرّ، المحتبس فيها بذنبه، و الخارج بعفو الله. كأني أنظر إلى قريبتكم هذه قد طبّقها (19) الماء، حتى ما يرى منها إلا شرف (20) المسجد، كأنه جوجؤ طير في لجة (21) بحرا!

- 1 - الجند: العسكر.
- 2 - الأتباع: السائرون خلف شخص، المنقادون له.
- 3 - البهيمة: جمعها بهائم كل ذات أربع قوائم من دواب البر و الماء عدا السباع و الطيور.
- 4 - رغا: من الرغاء و هو صوت الإبل.
- 5 - عقر: العقر الجرح.
- 6 - دقاق: الدقاق من كل شيء صغيره و حقيره.
- 7 - العهد: الميثاق.
- 8 - الشقاق: الخلاف.
- 9 - النفاق: إظهار الإسلام و إبطان الكفر.
- 10 - الزعاق: المالح.
- 11 - المقيم: الثابت، المستقر في المكان.
- 12 - المرتهن: المحبوس بالشيء و ارتهن بالأمر إذا تقيده به.
- 13 - الشاخص: الراحل، و الذاهب.
- 14 - متدارك: يقال تداركه الله برحمته أي لحقه و تدارك القوم لحق أولهم آخرهم.
- 15 - الجؤجؤ: عظم الصدر و جؤجؤ السفينة صدرها و مقدمها.
- 16 - النعام: حيوان معروف أخذ من الجمل العنق و الوظيف و المنسم و من الطير الجناح و المنقار و الريش.
- 17 - جائمة: رابضة.
- 18 - أنتن: من النتن و هو ما خبثت رائحته.
- 19 - طبّقها: يقال طبّق الماء وجه الأرض إذا غطاه و عمّه.
- 20 - شرف: مفردا شرفة و من القصر ما أشرف من بنائه.



## الشرح

(كنتم جند المرأة وأتباع البهيمه رغا فأجبتهم وعقر فهيرتم) البصرة هي البلدة التي تداعى لها طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة ومن تابعهم وقصدها من المدينة بعد

ص: 147

مرورهم بمكة و كانت بها وقعة الجمل المشهورة التي كانت أول معركة بين المسلمين و هي التي فتحت باب الفتنة و شقت عصا المسلمين و جرأت معاوية أن يتماذى في غيه و يسترسل في ضلاله و ينازع الخليفة الشرعي و يشنها حربا ضروسا حولت الخلافة الإسلامية إلى ملك عضوض...

دخل طلحة و الزبير و أم المؤمنين عائشة إلى البصرة فوجدوا أذنا صاغية و أتباعا و شيعة.. إنهم نقضوا بيعة أمير المؤمنين و نكثوا عهدهم و عند ما انهزم أهل الجمل خطب الإمام بأهل البصرة و قد ذمهم و ذكر بعض عيوبهم فأول صفة قبيحة فيهم أنهم جند المرأة.. إنهم أمروا عليهم أم المؤمنين عائشة فهي التي قادت الحرب و أضرمت نارها و زكت أوارها و لن يفلح قوم ولّوا عليهم امرأة و قد كانت المرأة تمثل الضعف و لاحظ لها في الحرب أو قيادة الجيوش فكيف استولت السيدة عائشة على أهل البصرة و جعلتهم من جندها و جعلوها قائدة لهم نعم قد نظروا إليها على أنها زوجة نبيهم فقدموا أنفسهم من أجلها...

و أيضا جعلهم أتباع البهيمية يعني أتباع الجمل و هذا الجمل الملعون كانت له قصة منذ أن رأت أم المؤمنين اعتلاء ظهره و من قصته كما في شرح النهج لابن أبي الحديد:

قال: لما عزمت عائشة على الخروج إلى البصرة طلبوا لها بغيرا أبداً يحمل هودجها فجاءهم يعلى بن أمية ببعيره المسمى عسكريا و كان عظيم الخلق شديدا فلما رآته أعجبها و أنشأ الجمال يحدثها بقوته و شدته و يقول في أثناء كلامه عسكري فلما سمعت هذه اللفظة استرجعت و قالت ردوه لا حاجة لي فيه و ذكرت حيث سألت رسول الله ذكر لها هذا الأسم و نهاها عن ركوبه و أمرت أن يطلب لها غيره فلم يوجد لها ما يشبهه فغير لها بجلال غير جلاله و قيل لها قد أصبنا لك أعظم منه خلقا و أشد قوة و أتيت به فرضيت..

و هذا الجمل الملعون التف حوله أهل البصرة و اجتمعت عليه القبائل، اتخذته راية لها تدافع عنه و تدفع عنه كل من قصده حتى قضى دونه الكثير الكثير من العرب و هذا ما استدعى الإمام أن ينفخ في أصحابه و يدفعهم لعقره و القضاء عليه قائلا لهم و بأعلى صوته:

«ويلكم اعقروا الجمل فإنه شيطان» ثم قال: «اعقروه و إلا فنيتم العرب». و قال:

لعنه الله من دابة فما أشبهه بعجل بني إسرائيل ثم قرأ: «وَأَنْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنْهَرَيْتَهُ ثُمَّ لَنْنَسِيَهُ مِنْهُ فِي الْيَوْمِ نَسْفًا» ثم أشار الإمام إلى رمزية هذا الجمل و خصوصيته عند أهل البصرة بحيث أنه اتخذ لهم راية فعند ما سمعوا صوته تداعوا إليه و استجابوا

لأهله فراحوا يدافعون عنه و يتقاتلون تحت لواء راكبته و لكن ما أن سقط على الأرض حتى هرب كل من كان حوله و تفرقوا و هدأت المعركة.. و بعبارة ابن أبي الحديد «فما هو إلا أن صرع الجمل حتى فرت الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديدة».

(أخلاقكم دقاق و عهدكم شقاق و دينكم نفاق) و قد ذم الإمام أهل البصرة ببعض أخلاقهم القبيحة فإنهم أصحاب أخلاق دنيئة رذيلة و عهودهم لا- و فاء لهم بها بل إذا بايعوا نكثوا و أصدق شاهد ما وقع لهم معه و وصف دينهم بأنه نفاق فهم ليسوا مسلمين صادقين و إنما يظهرون الإسلام و يبطنون الكفر.

(و ماؤكم زعاق) أي مالح لا تقبله النفس و لا تستسيغه و هذا ذم لاختيارهم الذي وقع على هذا الشيء المرفوض و إذا أردت أن تحط من شأن إنسان قد تحط من نفس الغرض الذي اختار كأن تسقط الكتاب و تعيبه و تتكلم عليه فيعرف من اختاره أنه بدون ذوق في عملية الاختيار.

(المقيم بين أظهركم مرتهن بذنبه و الشاخص عنكم متدارك برحمة من ربه) بعد أن وصفهم بما هم فيه و بين مساويهم خلص إلى نتيجة بأن المقيم معهم مؤاخذ بذنبه لا- خلاص له منه من حيث أن الطبايع تعدي و العادات تنتقل أو أنه و هو مقيم معهم لا يقدر على ردعهم و منعهم عما هم فيه فيشملة البلاء و تعمه النقمة و قد ورد النهي عن الإقامة في بلاد يقل فيها الدين خصوصا إذا خاف الإنسان على نفسه من الانحراف ففي الحديث عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: إياكم و صحبة العصيين و معونة الظالمين و مجاورة الفاسقين و احذروا فتنتهم و تباعدوا عن ساحتهم... و إذا كان المقيم بينهم تطاله هذه العقوبة القاسية و يؤاخذ بذنبه فمن كان بعيدا عنهم و تركهم و ارتحل أدركته رحمة ربه لسلامته و أمنه من مجاورتهم و قربهم.

(كأنني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث الله عليها العذاب من فوقها و من تحتها و غرق من في ضمنها) و هذه مفردة من مفردات الإمام الغيبية حيث رأى بعين البصيرة و ما كشفه الله له من المستقبل بأن البصرة ستغرق و سينال أهلها العذاب و العقاب لشدة ذلك العذاب نالهم من تحتهم و من فوقهم و غرقوا و هم فيها فهو يطالهم من جميع الجهات و لا يبقى منها إلا المسجد ظاهر علامة عليها و دليل على أنها كانت هنا...

(وفي رواية و أيم الله لتغرقن بلدتكم حتى كأنني أنظر إلى مسجدك كجؤجؤ سفينة أو نعامه جائمة) و هذا حلف منه و قسم يؤكد على أن البصرة ستغرق و سيعمها الماء و لا يبقى

إلا المسجد كشاهد على أنها كانت أنه كمقدم السفينة أو نعامة رابضة يرى الإنسان رأسها كأثر يدل عليها..

(وفي رواية كجؤجؤ طير في لجة بحر) يقول الشارح المعتزلي: فإن البصرة قد غرقت مرتين، مرة في أيام القادر بالله و مرة في أيام القائم بأمر الله غرقت بأجمعها و لم يبق منها إلا مسجدها الجامع بارزا بعضه كجؤجؤ الطائر حسب ما أخبر به أمير المؤمنين.

(وفي رواية أخرى بلادكم أنتن بلاد الله تربة أقربها من الماء و أبعداها من السماء و بها تسعة أعشار الشر) و هذا وصف للبصرة و هي أوصاف شائنة تنفيرا منها و تحذيرا لأهلها فهي أنتن أرض الله لما فيها من الرطوبة المؤدية للعفونة.

و أما بعدها من السماء فقد لا يكون المراد به المعنى الحقيقي الحسي و إنما يراد به أنها أبعداها عن رحمة الله و منحه و عطياه.

ثم لكثرة شرور أهلها و تمرسهم في الباطل جعل فيهم تسعة أعشار الشر و هو قد لا يراد به الحقيقة و إنما يراد به الكناية و الإشارة إلى كثرة شرورهم...

(المحتبس فيها بذنبه و الخارج بعفو الله كأني أنظر إلى قريتم هذه قد طبّقها الماء حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد كأنه جؤجؤ طير في لجة بحر) فمن بقي فيها و استقر في أرضها فلا بد و أنها عقوبة على ذنب فعله و أما من خرج منها فبرحمة الله و عفوه الذي نجاه و أبعده عنها ثم أخبرهم بما يجري عليها من الغرق..

ص: 150

إشارة

في مثل ذلك أرضكم قريبة من الماء، بعيدة من السماء، خفت (1) عقولكم، و سفهت (2) حلومكم (3)، فأنتم غرض (4) لنايل (5)، و أكلة (6) لآكل، و فريسة لصائل (8).

اللغة

1 - خفت: من خفّ ضد ثقل.

2 - سفهت: السفهية الذي لا يحسن التصرف و شرعا من لا يحسن التصرف بماله.

3 - الحلوم: العقول.

4 - الغرض: ما ينصب ليرمى بالسهم.

5 - النايل: ذو النبل.

6 - أكلة: اسم للمأكل.

7 - فريسة: الأسد ما يصطاده و يفترسه و يدق عنقه.

8 - الصائل: على الحيوان هو الواثب عليه القاهر له، و الصولة السطوة و القهر.

الشرح

(أرضكم قريبة من الماء بعيدة من السماء) يقول ابن أبي الحديد في تفسير هذه الكلمات: قريبة من الماء أي قريبة من الغرق بالماء و أما بعيدة عن السماء فإن أرباب علم الهيئة و صناعة التنجيم يذكرون أن أبعد موضع في الأرض عن السماء (الإبلّة) و الإبلّة هي

قصة البصرة و هذا الموضوع من خصائص أمير المؤمنين لأنه أخبر عن أمر لا تعرفه العرب و لا تهتدي إليه و هذا مخصوص بالمدققين من الحكماء و هذا من أسراره و غرائبه و بدائعه.

و يمكن أن يكون بعدها عن السماء أي بعدها عن رحمة الله و طاعته...

(خفت عقولكم و سفهت حلومكم) أما خفت عقولهم فلأنهم اتبعوا المرأة الضعيفة التي لا علم لها بالحرب و لا حق لها بالقتال و لم يقفوا عند ما جاءتهم وقفة الكرام ليردوها إلى مكانها التي جاءت منه حفظا لها و صيانة لكرامتها و لحق نبيهم عليهم فيها، و أما سفه الأحلام فلأن حقهم أن يحاكموها و يردوها إلى خدرها الذي ضربه الله عليها حيث قال تعالى مخاطبا نساء النبي (1): «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» .

(فأنتم غرض لنابل) أنتم هدف يقصدكم طلحة و الزبير و أم المؤمنين عائشة فيخرجوكم لقتال الحق و العدل و تكونوا بذلك هدفا للقتل و الاذلال و الفتنة.

(و أكلة لآكل) من حيث يقصدكم و يأكل أنفسكم بالحرب و أموالكم بالتلف.

(و فريسة لصائل) فكل طامح يريد الخروج على الحاكم الشرعي تكونون فريسة له و لقمة سائغة يقودكم إلى حتفكم..3.

ص: 152

1- سورة الأحزاب، آية - 33.

### إشارة

فيما رده على المسلمين من قطائع (1) عثمان رضي الله عنه و الله لو وجدته قد تزوج به النساء، و ملك به الإمام (2)؛ لرددته؛ فإن في العدل سعة (3). و من ضاق (4) عليه العدل، فالجور (5) عليه أضيق!

### اللغة

1 - القطائع: ما يقطعه الولاية من أرض الخراج لبعض الناس.

2 - الإمام: الجوّاري و العبيد.

3 - السعة: ضد الضيق.

4 - ضاق الشيء: ضد اتسع.

5 - الجور: الظلم.

### الشرح

(و الله لو وجدته قد تزوج به النساء و ملك به الإمام لرددته فإن في العدل سعة و من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق) قالوا: إن الإمام خطب هذه الخطبة في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة و مطلعها: ألا إن كل قطعة أقطعها عثمان و كل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال فإن الحق القديم لا يبطله شيء و لو وجدته قد تزوج به النساء و فرق في البلدان لرددته إلى حاله فإن في العدل سعة و من ضاق عنه العدل فالجور عنه أضيق..

سلك عثمان مع اقربائه خلاف سيرته مع جميع المسلمين فقد آثرهم بالفبيء

وَأغدق عليهم العطاء وزاد لهم فيه بل فتح أمامهم أبواب الرزق من بيت مال المسلمين وأقطعهم القطائع وحوّل الإسلام كله لصالحه و صالح أسرته دون استحقاق ولا كفاءة ولا قدم سابقة لهم في جهاد أو غزو وكان هذا الاستثثار من أهم الأمور التي دفعت بالمسلمين إلى التخلص منه وعند ما تولى الإمام الخلافة وأضحت يده مبسوطة يستطيع أن يرد المظالم لأهلها ويعود بها إلى أصحابها كانت هذه الخطبة خطة عمل وبرنامجا لسيرته وإنذارا مبكرا برجوع الحق إلى نصابه فلذا يقسم وهو بار في قسمه صادق في حلفه يقسم أن هذا المال المأخوذ ظلما لو وجدته وقد تزوج به النساء بأن جعل مهرا لهم وصادقا في زواجهم لاسترجعه منهم ولو اشتري به العبيد والجواري لاسترجع الحق منهم فإن الزمن لا يعطي شرعية لأحد ولا يستطيع مروره أن يقلب الأمور من كونها محرمة إلى أن تصبح محللة بل المغصوب و نماؤه لمالكة الأصيل وليس للغاصب إلا التعب.. وعلل ذلك بأن العدل فيه سعة وراحة وفيه إقامة النظام وعدم الفوضى والانحلال وإذا كان العدل لا يسع بعض الناس لانحرافهم وظلمهم وأخذهم أموال الناس ظلما وعدوانا فإن الظلم عليه أضيق بكثير لأن الحق سيؤخذ منه بالقوة وفي ذلك قهر له وإذلال فيجمع بين ذهاب المال وذلة النفس وفي هذا تهديد لهم وإنذار بأن المظالم يجب أن ترجع إلى أهلها وتعود إليهم وليبادر كل ظالم إلى رد مظلمته إلى صاحبها..



## إشارة

لما بويع في المدينة وفيها يخبر الناس بعلمه بما تؤول إليه أحوالهم وفيها يقسمهم إلى أقسام ذمّتي (1) بما أقول رهينة (2). و أنا به زعيم (3). إن من صرّحت (4) له العبر (5) عمّا بين يديه من المثالات (6)، حجزته (7) التّقوى عن تقحّم (8) الشّبّهات (9). إلّا وإنّ بليّتكم قد عادت كهيتّها يوم بعث الله نبيّه صلّى الله عليه وسلّم. و الآذي بعثه بالحقّ لتبليّلنّ بلبلة (11)، و لتغربلنّ غربلة، و لتساطنّ (12) سوط القدر (13)، حتّى يعود أسفلكم أعلاكم، و أعلاكم أسفلكم، و ليسبقنّ سابقون كانوا قصّروا، و ليقصّرنّ سباقون كانوا سبقوا.

و الله ما كتمت (15) و شمة (16)، و لا كذبت كذبة، و لقد نبتت (17) بهذا المقام و هذا اليوم. ألا وإنّ الخطايا (18) خيل شمس (19) حمل عليها أهلها، و خلعت (20) لجمها (21)، فتقحّمت بهم في النار. ألا- وإنّ التّقوى مطايا (22) ذلل (23)، حمل عليها أهلها، و أعطوا أزمّتها (24)، فأوردتهم (25) الجنّة. حقّ و باطل، و لكلّ أهل، فلئن أمر (26) الباطل لتقديما فعل، و لئن قلّ الحقّ فلربّما و لعلّ، و لقلّما أدبر شيء فأقبل!

قال السيد الشريف: و أقول: إن في هذا الكلام الأدنى من مواقع الإحسان ما لا تبلغه مواقع الاستحسان، و إن حظ العجب منه أكثر من حظ العجب به. و فيه - مع الحال التي وصفنا - زوائد من الفصاحة لا يقوم بها لسان، و لا يطلع فجّها إنسان، و لا يعرف ما أقول إلّا من ضرب في هذه الصناعة بحق، و جرى فيها على عرق، «و ما يعقلها إلّا العالمون».

- 1 - الذمة: العهد.
- 2 - رهينة: مرهونة، محبوسة مقيدة.
- 3 - الزعيم: الكفيل.
- 4 - صرحت: كشفت.
- 5 - العبر: بكسر ففتح جمع عبرة الموعظة.
- 6 - المثالات: العقوبات.
- 7 - حجزه: منعه.
- 8 - التقحم: التردى.
- 9 - الشبهات: جمع شبهة الالتباس، ما يلتبس فيه الحق بالباطل و الحلال بالحرام.
- 10 - البلية: الاختبار، والمصيبة.
- 11 - البلبلة: الاختلاط.
- 12 - الغريلة: نخل الدقيق وغيره.
- 13 - لتساطن: ساط القدر إذا قلب ما فيها وأداره.
- 14 - القدر: إناء يطبخ فيه.
- 15 - كتم: الشيء أخفاه.
- 16 - الوشمة: الكلمة.
- 17 - نبئت: أخبرت وأعلمت.
- 18 - الخطايا: جمع خطيئة.
- 19 - الشمس: جمع شمس الدابة تمنع ظهرها وتستعصي.
- 20 - خلع الشيء: نزعه.

21 - اللجم: جمع لجام وهو عنان الدابة الذي تلجم به.

22 - المطايا: جمع مطية وهي الدابة يستوي فيها المذكر والمؤنث.

23 - الذلل: المطيعة.

24 - الأزيمة: مفردها زمام وهو ما يزم به أي يشدّ، المقود.

25 - أوردته: من ورد الماء أي صار إليه وهو خلاف صدر.

26 - أمر: المال كثر.

ص: 156

(ذمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم) ابتداءً كلامه عليه السلام بما يرغبهم للاستماع إليه والانتصات لقوله:

وهو أنه أخذ على نفسه صحة ما يقول ففي ضمانه وعلى عهده وهو الكفيل بما يقول والمسئول عما يقول وما يريد أن يقوله هو.

(إن من صرّحت له العبر عما بين يديه من المثالات حجزته التقوى عن تقمّم الشبهات) إن من عاد إلى ما جرى على الأمم الماضية من العقوبات وما نالها من الأخذ والأساليب المختلفة من الخسف والمسوخ والطوفان وغيرها لكشف ذلك عن نور بصيرته فجعله يعتبر ويتعظ بذلك ودفع به إلى التوقف عن الشبهات وكانت التقوى هي الحاجز والمانع عن ارتكاب أي شبهة يمكن من خلالها أن يرتكب معصية أو ينحرف إلى غير ما أراد الله...

- وفي الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: حلال بين وحرام بين وشبهات بين ذلك فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم...

(ألا وأن بليتكم قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم) أخبرهم على أن مصيبتهم عادت كما كانت يوم بعث الله نبيه إليهم فهم الآن في خلاف وتشنت وفرقة وآراء متضاربة لا يجتمعون ولا يتوحدون بل يتقاتلون ويتناحرون وهذه هي حالتهم التي كانوا عليها يوم بعث الله نبيه وفي هذا تنبيه لهم وتحذير وقد جعل هذه دمة ليرتب عليها النتيجة وهي ما أقسم عليه وهو قوله:

(و الذي بعثه بالحق لبلبن بلبله ولتغربن غربلة ولتساطن سوط القدر حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصرورا وليقصرن سابقون كانوا سبقورا والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم) أقسم بالله الذي بعث محمدا بالدين الحق لتضطرب أحوالكم وتختلف أموركم وتتعارض آراؤكم ومواقفكم ويتميز الطيبون منكم من الخبيثين والأخيار من الأشرار وإنه من شدة الفتنة وغلظها وقوتها وزخمها وتغير الأحوال وتقلبها ومن تسلط أئمة الجور سيتغير الكثير من الأمور وتختلط الأوراق وسيتقدم من كان ذيبلا وسيتأخر من كان في المقدمة وعلى رأس القافلة.

ثم أشار إلى أن بعض الناس كانوا في زمن سابق و هو زمن الرسول سابقون إلى الجهاد قد تأخروا الآن و نكصوا على أعقابهم كما حدث للزبير و هناك أناس لم يكونوا كذلك فقد تقدموا لجهادهم و اجتهدهم.

ثم أقسم بالله ما أخفى كلمة واحدة و لا كذب كذبة قط بل كل ما قاله أو تكلم به قد أخبره عنه الرسول حتى بمقامه الذي هو فيه و هذا اليوم الذي يعتلي فيه عرش الخلافة بعد الخلفاء الذين تقدموه.

(ألا و إن الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها و خلعت لجمها فتقحمت بهم في النار) شبه المعاصي بالخيل غير المروضة للركوب التي لم تضبط بزمام يوجهها و يقهر وحشيتها فإن ركبها لا محالة إلى الهاوية و لا بد و أن تورده مورد المنية و كذلك المعاصي فإن من يعمل بها و يمارسها و لا يتوب أو يرجع إلى الطاعة فإنها لا بد و أن تقوده إلى النار و تأخذ به إلى عذاب الله الجبار....

إن من يرتكب المعصية فكأنه يركب عليها و لا بد و إن ركب المعصية سيرد النار لأن ذلك نتيجة ركبها و مصير مرتكبها و هذا عكس التقوى التي أشار إليها بقوله:

(ألا- و إن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها و أعطوا أزمته فأوردتهم الجنة) و أما التقوى التي هي عبارة عن الالتزام بأوامر الله و الوقوف عند نواهيه و إطاعته فيما أراد و الامتناع عما لا يريد فهي كالخيل المروضة المطيعة لراكبها التي بيده زمامها و قيادها كيف ما أراد صاحبها و وجهها و في أي طريق أراد سيرها فلا محالة أنه آمن على ظهرها آمن من عطبها و غضبها و لا بد أن تصل به إلى مراده و هو سالم معافى قد أدرك أمنيته و بلغ هدفه و كذلك التقوى التي هي فعل الطاعات و ترك المحرمات فإنها ستقود مرتكبها إلى الجنة ستأخذ بيديه إلى النعيم و رضى الرب الغفور الرحيم.

(حق و باطل، و لكل أهل فلئن أمر الباطل لقديمًا فعل و لئن قل الحق فلربما و لعل و لقلما أدبر شيء فأقبل) ثم أشار الإمام إلى كبرى كلية في الحياة و إن كل أمر فهو إما حق أو باطل و قد ساق ذلك ليبين أن لكل منهما أهل فلحق أهل و أتباع و أنصار يقتدون به و يسرون خلفه و يدافعون عنه و يقدمون أنفسهم في سبيله و للباطل كذلك أهل و أتباع و أنصار يسرون خلفه و يدافعون عنه و يقدمون أنفسهم في سبيله و لهذا أئمة و دعاة و لذلك أئمة و دعاة و إذ أكثر أهل الباطل و كانوا أكثر من أهل الحق فقد كانوا كذلك منذ القديم و ليس ذلك بشيء عجيب و لئن قل أهل الحق فربما كثروا و انتصروا ثم استبعد عليه السلام أن تستعيد دولة دورها و قوتها و سيادتها بعد إدارها و ذهاب ريحها..

## و من هذه الخطبة و فيها يقسم الناس إلى ثلاثة أصناف

### إشارة

شغل من الجنة و النار أمامه! ساع (1) سريع نجا (2)، و طالب بطيء (3) رجا (4)، و مقصّر (5) في النار هوى (6). اليمين و الشمال مضلّة (7)، و الطريق الوسطى هي الجادة (8)، عليها باقي الكتاب و آثار (9) النبوة، و منها منفذ (10) السنة، و إليها مصير العاقبة. هلك (11) من ادعى، و خاب (12) من افتري (13).

من أبدى (14) صفحته (15) للحق هلك. و كفى بالمرء جهلاً ألا يعرف قدره. لا يهلك على التقوى سنخ (16) أصل، و لا يظماً (17) عليها زرع قوم.

فاستروا (18) في بيوتكم، و أصلحوا ذات بينكم (19)، و التوبة من ورائكم، و لا يحمد حامد إلا ربّه، و لا يلم لائم (20) إلا نفسه.

### اللغة

1 - ساع: الساعي جمعها سعاة، العامل.

2 - نجا: من كذا إذاخلص منه و نجا أسرع و سبق.

3 - البطيء: ضد الإسراع، التمهّل.

4 - رجا: ضد يئس، أمل.

5 - المقصّر: المتواني.

6 - هوى: سقط.

7 - المضلّة: ضد الهدى و أرض مضلّة يضل فيها.

8 - الجادة: الطريق، أو وسط الطريق.

9 - آثار: مفردة الأثر، ما بقي من رسم الشيء.

10 - المنفذ: نفذ الشيء خرقة و جاز عنه و خلاص منه.

11 - الهلاك: الفناء، الموت.

12 - خاب: لم يظفر بما طلب، لم ينجح.

13 - الافتراء: الكذب المختلق.

14 - أبدى: أظهر، كاشفه في الأمر و جهر به.

ص: 159

15 - الصفحة: الجانب.

16 - السنخ: الأصل.

17 - الظمأ: العطش.

18 - استتروا: ستره غطاه، و هنا بمعنى اختفوا و لا تظهروا.

19 - ذات البين: البين من الأضداد يطلق على الوصل و على الفرقة إصلاح ذات البين، إصلاح الفساد.

20 - اللائم: جمعه لؤم و لوام، العاذل.

## الشرح

(شغل من الجنة و النار أمامه) أمام هذا الإنسان الجنة و النار فإنه يستقبلهما من أول يوم من أيام التكليف و يبقى يتحرك في اتجاههما و من كان أمامه ذلك يجب أن يشتغل بهما فيسعى نحو الجنة و يعدّ لها العدة من التقوى و العمل الصالح و يجتنب النار و يبتعد عن الرذائل و المعاصي و الآثام.. إنه مصير الإنسان النهائي أما نعيم أو جحيم..

(ساع سريع نجا و طالب بطيء رجا و مقصّر في النار هوى) قسم الإمام الناس إلى ثلاثة أقسام:

1 - الجاد النشط الذي يعمل بجميع الأوامر الإلهية و ينتهي عن كل ما نهى الله عنه إنه في سباق مع الخيرات يسعى إليها و يبحث عن مواطنها و يؤدي ما عليه دون تسويف أو تأخير و هو الذي ينجو من النار و مصيره إلى الجنة.

2 - و هناك إنسان يعمل و لكنه ببطيء يخطيء تارة و يصيب أخرى و يقوم مرة و يقع أخرى، يطيع و يعصي كما هو حالنا و طريقتنا فهو على حاله يرجو رحمة الله و غفرانه.

3 - و هناك قسم ثالث استولي عليه الشيطان فأخذ بزمامه و راح يغيره بالمعاصي و الآثام و ارتكاب الحرام.. إنه تهاون في إداء الواجبات و لم يرتدع عن المحرمات.. إنه المقصر في طاعة الله المتمرد على أمر الله فمصيره إلى النار يسقط فيها و يناله عذاب الله و عقابه.

وقد ذكر الله الأقسام الثلاثة بقوله تعالى: (1) «فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ»

ص: 160

1- سورة فاطر آية، - 32.



(اليمن والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة عليها باقي الكتاب و آثار النبوة و منها منفذ السنة و إليها مصير العاقبة) أراد أن يرسم لنا الطريق الواضح البين المؤدي إلى الجنة فأشار إلى أن المنحرف إلى اليمن أو الشمال ساقط متردي ضال مصيره إلى النار من حيث أنها لا استقامة فيها و لا عدل و لا هدى و أما الطريق الوسطى التي لا انحراف فيها و لا جور و لا إفراط أو تفریط هي الجادة السليمة الصحيحة و الطريق المستقيمة المؤدية إلى الجنة و بعبارة أخرى الطريق الوسطى هي التي لا يضل الإنسان فيها لظهورها و معرفة معالمها و حدودها و أما المتفرعات التي تتوزع على اليمن و الشمال فإنها تضل الإنسان و تهوي به في النار.

و هذه الطريق الوسطى دل عليها الكتاب العزيز فإن آياته تشير إليها و كذلك سنة النبي و طريقته العملية و القولية فإنه صلوات الله عليه قد أوضح معالم هذه الطريقة و قربها إلينا و بينها بشكل قطع أعدار المتعللين و من هذه الجادة الواضحة اللاحبة يدخل إلى الجنة كما أن على أساسها تكون العاقبة من حيث أن الحساب يكون على قدر الالتزام بها...

(هلك من ادعى) من ادعى أمرا بدون بينة تشهد بصدقه و حجة تقوم بدعواه هلك و خسر و لم يدرك مدعاه، من ادعى الإمامة بدون أن يكون إماما هلك... و من ادعى أنه من أهل الجنة بدون عمل خسر و هلك و دخل النار..

(و خاب من افترى) و من كذب في أمر يريد إدراكه لن يدركه لأن الافتراء سوف يكشف في الدنيا فيخزي صاحبه و أما في الآخرة فله عذاب أليم..

(من أبدى صفحته للحق هلك) من واجه الحق و حاربه هلك لأن النصر في نهاية المطاف للحق و أصحابه و قيل من أراد أن يحمل الحق و يدافع عنه و يدحض الباطل و أهله لا بد و أن يواجهه الجهال و هم العامة فسيوردونه موارد الهلاك.

(و كفى بالمرء جهلا ألا يعرف قدره) ليس هناك من هو أشد جهلا من إنسان لا يعرف موضعه و مكانه و مستواه، و إذا كان لا يعرف قدره ارتكب شططا و عمل سوءا و جلس في غير مجلسه و احتل مكان غيره و تكلم بلسان غيره فادعى ما ليس له و أكل ما ليس له و قام بما ليس له و نصب نفسه في غير محلها فظلمها و ظلم سواه و قال في نهاية المطاف أنا ربكم الأعلى و في ذلك بلاء عظيم و غضب عليه من الله شديد..

(لا يهلك على التقوى سنخ أصل و لا يظماً عليها زرع قوم) أشار إلى أن أهمية التقوى و إن ما بني عليها سيستمر و ينمو و لا يعرض عليه الفساد و العطب كما لا يتعرض

للعطش والتلف زرع جذوره ممتدة في عمق الأرض حتى مواطن الرطوبة والماء...

إن من اتقى الله وعمل بمقتضى تقواه بحيث أدى ما افترض عليه واجتنب عما نهى عنه فإن أجره حاصل وثوابه واصل لا محالة..

(فاستتروا في بيوتكم وأصلحوا ذات بينكم والتوبة من ورائكم) وفي نهاية هذه الخطبة إشارة إلى الغوغاء، وأمرهم أن يعودوا إلى بيوتهم و يلزموها كي توصل أبواب الفتنة ويخمد لهبها فإن العامة وسواد الناس إذا بقوا في الساحات أفسدوا وأضروا وبقيت الفتنة قائمة كما أمرهم أن يصلحوا ما فسد بينهم ويرجعوا إلى الهدوء ويفكروا في سبيل الوحدة والإلفة، وكذلك أمر العصيين الذين ارتكبوا شططا في بعض المواقف أن يتداركوا ذلك بالتوبة فلعلها تقبل ويعفو الله عنهم ويغفر ذنوبهم..

(ولا يحمد حامد إلا ربه ولا يلم لائم إلا نفسه) وهذا تنبيه لهم وتعليم إلى أن الحمد يجب أن يحصر بالله فهو المستحق له وحده ولا أحد غيره يستحق الحمد لأنه أصل النعم ومنه أصل الوجود كما أن منه كل موجود..

كما إن هذا الإنسان إذا أراد أن يلوم فلا يلومن إلا نفسه لأنها أساس الانحراف والرذيلة ومنها كانت الشرور والقبائح فعلها وحدها يقع اللوم..

ص: 162

## إشارة

في صفة من يتصدى للحكم بين الامة و ليس لذلك بأهل و فيها: أبغض الخلائق إلى الله صنفتان الصنف الأول: إن أبغض (1) الخلائق (2) إلى الله رجلان: رجل و كله الله إلى نفسه؛ فهو جائر (3) عن قصد السبيل (4)، مشغوف (5) بكلام بدعة (6)، و دعاء ضلالة (7)، فهو فتنة (8) لمن افتتن به، ضالّ عن هدي من كان قبله، مضلّ لمن اقتدى به في حياته و بعد وفاته، حمّال خطايا غيره، رهن بخطيئته.

الصنف الثاني: و رجل قمش (10) جهلا، موضع (11) في جهال الأمة، عاد (12) في أغباش (13) الفتنة، عم (14) بما في عقد الهدنة (15)؛ قد سمّاه أشباه الناس عالما و ليس به، بكر (16) فاستكثر من جمع؛ ما قلّ منه خير ممّا كثر، حتّى إذا ارتوى من ماء آجن (17)، و اكثر (18) من غير طائل (19)، جلس بين الناس قاضيا ضامنا (20) لتخليص (21) ما التبس (22) على غيره، فإن نزلت به إحدى المبهمات هيأ لها حشوا (23) رثا (25) من رأيه، ثمّ قطع به، فهو من لبس السّبّهات في مثل نسج العنكبوت (26): لا يدري أصاب أم أخطأ؛ فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ، و إن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب. جاهل خبّاط (27) جهالات، عاش (28) ركّاب عشوات (29)، لم يعصّ على العلم بضرر قاطع. يذرو (29) الروايات ذرو الرّيح الهشيم (30) لاملّي (31) - و الله - بإصدار ما ورد عليه، و لا أهل لما قرّظ به (32)، لا يحسب العلم في شيء ممّا

أنكره، و لا يرى أنّ من وراء ما بلغ مذهباً لغيره، وإن أظلم عليه أمر اكنتم به (33) لما يعلم من جهل نفسه، تصرخ من جور قضائه الدماء، و تعجّ (34) منه المواريث. إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهّالاً، و يموتون ضلالاً، ليس فيهم سلعة (35) أبور (36) من الكتاب إذا تلي حقّ تلاوته، و لا سلعة أنفق (37) يبعها و لا- أعلى ثمننا من الكتاب إذا حرّف عن مواضعه، و لا عندهم أنكر من المعروف، و لا أعرف من المنكر!.

## اللغة

- 1 - البغض: ضد الحب، المقت.
- 2 - الخلائق: ما خلقه الله.
- 3 - الجائر: الظالم، المائل عن الطريق.
- 4 - قصد السبيل: الطريق المستقيم.
- 5 - المشغوف: الشغاف غلاف القلب، و المشغوف هو الذي وصل الحب إلى شغاف قلبه.
- 6 - البدعة: جمعها بدع، ما أحدث على غير مثال و شرعاً إدخال ما ليس في الدين على أنه منه.
- 7 - الضلالة: الباطل، ضد الهدى.
- 8 - الفتنة: الاختبار، الامتحان، العذاب، الضلال...
- 9 - خطايا: مفردة خطيئة، الذنب، المعصية.
- 10 - قمش: جمع.
- 11 - موضع: مسرع.
- 12 - عاد: مسرع من عدا يعدو إذا جرى.
- 13 - الأعباش: جمع غبش المظلم و أعباش الليل ظلمته.
- 14 - عم: من العمى عدم البصر فيما من شأنه أن يبصر.
- 15 - الهدنة: جمعها هدن، المصالحة، الدعة، السكون.
- 16 - بكرّ: أسرع، و البكور الصباح.
- 17 - الآجن: الفاسد، المتغير طعمه و رائحته.



- 18 - أكثر: أكثر.
- 19 - الطائل: جمعها طوائل، القدرة، الغنى، الفضل وهذا أمر لا طائل فيه أي لا منفعة و ما هو بطائل أي خسيس.
- 20 - الضامن: الكفيل و الملتزم.
- 21 - التخليص: التبيين.
- 22 - التبس الأمر: اشتبه.
- 23 - المبهمات: المشكلات.
- 24 - الحشو: الزائد الذي لا فائدة فيه.
- 25 - الرث: الخلق، البالي، ضد الجديد.
- 26 - نسيج العنكبوت: حشرة صغيرة تحيك من لعابها خيوطا يعبر عنه أنه بيتها يضرب بركاكته و ضعفه المثل.
- 27 - خبّاط: ضراب و خبط عشواء الذي يتصرف على غير هدى.
- 28 - عاش: خابط في ظلام، و الأعشى ضعيف البصر.
- 29 - يذرو: من ذرت الريح العشب أطارته.
- 30 - الهشيم: اليابس من نبت الأرض المتكسر.
- 31 - الملي: الثقة، الغني.
- 32 - قرظه: تقرظا مدحه.
- 33 - اكتتم به: كتّمه و لم يظهره.
- 34 - تعج: العج، رفع الصوت.
- 35 - السلعة: المتاع.
- 36 - أبور: من البور و هو الفاسد و بارت السلعة كسدت.
- 37 - أنفق: من نفق البيع إذا راج.

(إن أبغض الخلائق إلى الله رجلان) هذان رجلان قد بلغا المقام الأول في بغض الله لهما.. إنهما باعتبار أوصافهما و ما فيهما من السيئات انتهى بهما الأمر أن كانا أبغض ما خلق الله إلى الله...

وبغض الله لأحد ليس على مستوى ما نعهده من تأثر النفس و اشمئزازها بل هو إبعاده عن رحمته و طرده عن القرب منه المتمثل بالتخلي عنه و تركه و شأنه يسترسل في

ص: 165

غيه و يتحرك في ضلاله و هذان الرجلان باعتبار أثرهما على المجتمع و ما يخلفان من ضرر كان هذا البغض و هذا الإبعاد...

(رجل وكله الله إلى نفسه) هذا أول الرجلين و هذه أولى صفاته إنه وكله الله إلى نفسه أي خلاه و تركه لنفسه يدبر أموره و يقوم بشئونه و من وكله الله إلى نفسه طرفة عين هلك و ضل لأن من لم يدبره الله و يتوكل هو بشئونه يهلك لا محالة لأن نفسه الشريفة القاصرة العاجزة ستجره إلى الانحراف و الضلال، و أما من كان الله وكيله و هو المدبر لشئونه فقد نجا و سعد لأن الله هو الذي يأخذ بيده للهداية و يحركه في الطريق المستقيم و يسلك به إلى ما فيه نجاته و فوزه...

إن من تأخذه العزة بالإثم و يدفعه الغرور إلى الاعتداد بالنفس و أنه القادر على إدارة شئون نفسه منقطعاً عن الله و بعيداً عنه لا محالة سيسقط و يخسر الرهان..

(فهو جائر عن قصد السبيل) أي عادل عن الطريق المستقيم منحرف عنه ففي حين يطلب المسلم من الله أن يهديه الصراط المستقيم فهذا الإنسان ينحرف عنه و يضل و يسلك المسالك الباطلة البعيدة عن العدل و الحق..

(مشغوف بكلام بدعة و دعاء ضلالة) هذه الصفة الثالثة أنه يحدث أموراً محرمة لم يشرعها الله و لا رسوله بل يخترعها و يعشقها و يشرب قلبه حبها ثم يأخذ في دعاء الناس لها ليكون إماماً من أئمة الفساد و داعية من دعاة الضلال... و إننا نرى بعض الهواة الذين يحبون الظهور و الفخر كيف يسعون ليكونوا أئمة في هذا المضمار..

(فهو فتنة لمن افتتن به) مضل لمن اتبعه و اقتدى به و أحبه..

(ضال عن هدي من كان قبله) فقبله كان الأنبياء و الصالحون و أهل الحق و العدل فهو قد خالفهم و انحرف عنهم و لم يتابعهم أو يسير على خطاهم و ما رسموه من طرق الهداية و الخير و ما يوصله إلى شاطئ السلامة و الأمن و الإيمان.

(مضل لمن اقتدى به في حياته و بعد وفاته) فهو رأس الضلال في حياته فطيلة عمره كان قائداً لمسيرة الضلال يتبعه من خلفه كل جاهل و يقتدي به كل فاسق فاجر و يتبعه بعد وفاته أناس حيث خط لهم طريق الضلالة و رسم لهم نهج الانحراف فهم يتبعونه بما ترك خلفه من سيرة قبيحة سيئة تتبع آثارها بعد وفاته و قد رأينا من كان منهجه و مدرسته بعد وفاته وسيلة ضلال كما كان بشخصه في أيام حياته منهج ضلال و هؤلاء قادة الانحراف من رؤساء المذاهب خير دليل على ما نقول..



(حمال خطايا غيره رهن بخطيئته) فهو يحمل أوزار الذين أضلهم دون أن ينقص من أوزارهم شيئا لأنه السبب في انحرافهم وكذلك يؤخذ بانحرافه وخطيئته ويعاقب عليه قال تعالى: «لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ» ..

(الصنف الثاني: ورجل قمش جهلا) وهذا هو الصنف الثاني الذي بلغ من بغض الله له أن كان أبغض الناس إليه وقد وصفه بعشرين صفة هي فيه وهي من رذائل الصفات وسيناتها وهو أنه رجل جمع ما وقعت عليه عيناه ولملم ما مر في طريقه دون دراية للغث من السمين و للفساد من الصحيح لم يميّز الحق من الباطل ولم يقف على الميزان الذي به يعرف حقائق الأمور من مزيقاتها.. إنه جمع ثقافة الجرائد و المجلات و كتب البدع والضلال و ثقّف فيها نفسه كما يقول؟ وليته اقتصر على ذلك بل تعداه إلى أن مشى يثقّف الآخرين وهو الذي أشار إليه الإمام بقوله:

(موضع في جهال الأمة) أي مسرع في ذلك الفساد الذي جمعه يزرعه في جهال الأمة الذين لا علم لهم ولا بصيرة فهو يلقي ما جمعه بين العوام من الناس الذين يتقبلون الأمور لقصورهم وعدم إطلاعهم..

(عاد في أغباش الفتنة) مسرع في ظلمات الخصومات التي لا يهتدي إلى حلها فإذا ترفع إليه أحد تراه يخطب خطب عشواء لا يدري ما الحل و ما المخرج لعدم وجود الميزان الصحيح عنده ولعدم معرفته به..

(عم بما في عقد الهدنة) إنه لا يدري ما يصلح الناس و يوفّق بينهم فإن استقرار الناس و هدوءهم له أسباب و مقدمات يجب للمصلح أن يكون عالما بها مدركا لخصوصياتها و هذا الرجل لا علم له بكل ذلك..

(قد سماه أشباه الرجال عالما و ليس به) و هذا ذم للفريقين للمسمى و لمن سماه لصاحب اللقب و لمن لقبه.. ذم للذين لا يفرقون بين العالم و بين المستعلم، بين العالم و نصف العالم أو ربه بل بين العالم و الجاهل و ليت أمير المؤمنين يحضرنا اليوم ليرى كيف ترمى الألقاب و يوصف بها من لا يستحقها.. إنني أخجل من تسويد هذه الصفحة بما يجري اليوم من الأسماء و المسميات فهذا معمم قد ابتداء في الدراسة جديدا و لم يكذب يضع رجله في هذا الحقل حتى ترى الألقاب العلامّة و الثقة و الحجة قد نزلت عليه فانتفخ و صدّق و غرّته نفسه...

و ذلك معمم لم يعرف الرسالة العملية و الفتوى الشرعية و لو تقليدا ثم انتسب إلى

حزب أو تنظيم إسلامي فتراه المقدم صاحب الكلمة والرأي وصاحب السماحة والفضيلة والحجة وآية الله قد سماه أشباه الرجال الذين لا يملكون العلم والمعرفة سموه عالما والاسم منه برىء وهو مع من أطلق عليه الاسم ضالان مضلان...

لقد كانت الألقاب لا تعطى إلا إلى أهلها ومن أهلها.. كان هناك مراجع وفقهاء هم أهل الخبرة وعلى أساس معرفته ومعرفتهم به يطلقون عليه ما يستحق.. كان إلى وقت قريب يعطى لكل ما يستحقه ولكن في هذا الزمن الردي تبدلت الأمور وتغيرت المقاييس وراح الرضيع في العلم يسمى عالما، من لا دراية عندهم ولا معرفة أشباه الرجال، سموه عالما بدون استحقاق ولا أهلية..

(بكر فاستكثر من جمع ما قل منه خير مما كثر) إنه من أول عمره اجتهد وجد فجمع الكثير مما كان قليله خير من كثيره لأنه جمع الغث والسمين وما هبّ ودبّ ودون معرفة صحيحة ولا تمييز سليم فهو يلتقط الخبر ويحتج به والخبر عار عن الصحة لا يملك السند الصحيح ولا المتن الفصيح فهو يراه فيأخذ بالتحدث فيه والقليل مع الدراية خير من الكثير الرواية..

(حتى إذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل) فهو جد من أول عمره في جمع المتناقضات والمتباينات التي لا يعرف صحيحها من سقيمها وحقها من باطلها وبقي هكذا يجمع حتى امتلأ وظن من نفسه أنه العالم العلامة، لقد امتلأ من هذا الضلال والعلم غير الصحيح واستكثر منه ولكن بدون فائدة وقد رأينا من يحفظ ويجمع ويحدث بما جمع وحفظ ولكنه لا يدري صحيح الأمور من فاسدها فهو في الجلسة الواحدة والمقام الواحد يتناقض مع نفسه وينقض بكلامه كلامه..

(جلس بين الناس قاضيا لتخليص ما التبس على غيره) لقد تربع على كرسي القضاء لفصل الخصومات وحل المشكلات التي لم يعرفها غيره فتصدى هولها وهو ليس أهلا لها، إنه أراد أن يصفي زيف الأمور من صحيحها ولكن أتى له ذلك.

(فإن نزلت به إحدى المبهمات هبأ لها حشوا رثا من رأيه ثم قطع به) وهذا دأب الذين لم يأخذوا العلم من أهله وعن طرقة المعدة له فإن من جمع واستوعب دون دراية وقع في محذور شديد عند ما تعرض عليه بعض الأمور المشككة التي تحتاج إلى فكر ونظر فإنه بما يملك من معلومات كثيرة يضل فيها ولا يهتدي إلى وجه الحق فهو يرى بصيص النور في هذه الجهة فيبادر ليحكم على القضية من زاويتها ولو نظر إلى غير هذه الجهة لحكم بخلاف حكمه الأول وهكذا في كل مسألة مبهمه مشككة يهبيء لها حلا باليا من

رأيه الفاسد الذي قطع به وأيقن بصحته وهو عار عن الصحة.. إنه على عادة الجاهل جهلا مركبا ويجهل أنه يجهل.

(فهو من لس الشبهات في مثل نسج العنكبوت) فكما أن العنكبوت على ضعف نسيجها مما جعل الناس يضربون بها المثل في الوهن و كما قال تعالى: «وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبُيُوتُ الْعَنْكَبُوتِ» ومع ذلك لا تستطيع فريستها أن تتخلص منها أو تقلت كذلك حال هذا الذي تسمى بالعالم وهو ليس بعالم فإنه عند ما تزدحم الشبهات حول قضية معينة وتعرض عليه لحلها وفصل الخصومة فيها وتعيين وجه الحق لا يستطيع أن يتخلص منها على وهنها وضعفها عند العلماء والمحققين ودليل ذلك موقفه المشكك المتحير..

(لا يدري أصاب أم أخطأ فإن أصاب خاف أن يكون قد أخطأ وإن أخطأ رجا أن يكون قد أصاب) هذه عادة من يجلس في غير مجلسه من العلماء ويرتفع أعلى من مقامه ويحل في غير محله فإنه إذا عرضت عليه مسألة يغامر في حلها ولا يدري هل أصاب أم أخطأ في فتياه وقضائه.. إنها حالة تعتري من لم يبلغ مرتبة الاجتهاد وكانت القضية تحتاج إلى ذلك فهو يفتي بها دون علم ولا يعرف أصاب أم أخطأ فإن أصاب في الواقع خاف أن يكون قد أخطأ لأن مقدماته لم تكن سليمة ولم يجمع المطلوب من المعلومات والمقدمات وإن أخطأ رجا الله أن يكون قد أصاب في الواقع، إنه لا يعرف موقعه ولا يعرف ما يحكم به وهذا درس لكل من لم يكن أهلا للفتوى أن يجتنبها ولا يغامر ويعيش القلق والاضطراب في نفسه وبين الناس..

(جاهل خبّاط جهالات عاش ركاب عشوات) إنه جاهل غير عالم كثير الأغلط والأخطاء لأنه لم يمش على الموازين الشرعية التي وضعها الشارع.

وإنه لضعف معرفته و فقره في استطلاع الحق والوقوف عليه تراه لا يبصر الحق واضحا ولا يتيقن منه.. إنه لم يبصر الأمور جيدا بل يفتي دون بصيرة ولا رأي صائب..

(لم يعرض على العلم بضرس قاطع) لم يؤهل للفتوى حيث أنه لم يدرس جيدا ويحصل على ملكة الاجتهاد التي بها يتيقن بصحة ما يقوله ولو في الظاهر وبحسب ما أذن الله فيه وبحده الأدنى وبعبارة أخرى لم يكن من أهل العلم والمعرفة لعدم معرفته بمسئدات الأحكام وأسها..

(يذرو الروايات ذرو الريح الهشيم) إنه يقلب الروايات ويتفحصها وينقل من واحدة إلى أخرى دون فائدة ولا ثمرة إنه يجمعها جمع رواية لا جمع دراية ويحملها كما يحمل الحمار أسفارا لا يستفيد منها ولا يعرف ما فيها..

(لا ملي - و الله - بإصدار ما ورد عليه) فهو فارغ من العلم والمعرفة ولا يقدر على حل ما ورد عليه من مسائل مشكلة وقضايا معقدة.. إنه عاجز عن إصدار حكمها وبيان وجهها..

(ولا- أهل لما قرّظ به) إنه لا يستحق وصفه بالعالم ولا مدحه بالعلم لأن من كان بتلك الصفات فقد أسأت إليه وأسأت إلى نفسك إذا وصفته بأنه عالم..

(لا يحسب العلم في شيء مما أنكره) إنه ينفي العلم عن كل أمر ينكره ولا يوافق هواه و مزاجه يتصور كل علوم الناس إذا خالفته إنها جهل منهم ولا علم عندهم وإن العلم فقط ما يحويه هو و ما عنده وهذا نتيجة جهله المركب و ما لبسه على نفسه و موهه عليها..

(ولا يرى أن من وراء ما بلغ مذهبا لغيره) إنه يظن لجهله أنه بلغ الحد الأعلى للحلول و أتمها بشكل رائع عجيب بحيث يعقم فكر غيره عن تقديم شيء يضاهيه أو يماثله.. إنه لجهله يظن أن الأمور انتهت إليه و عنده توقفت و ليس بعد رأيه رأيا و ليس بعد حكمه حكما.. انسدت بعده الأبواب و أقلت الدروب و تعطلت الآراء و المذاهب..

(وإن أظلم عليه أمر اكتتم به لما يعلم من جهل نفسه) و هذه عادة من تطاول لمقام غيره و طبيعة من سرق منصبا لا يستحقه فإنه إذا لم يقدر على حل ما يعرض عليه و لو بالظن و التخمين و لم يقدر على خلق شبهة مما عنده يحل بها مسألته ففي مثل ذلك يكتم الحديث و المباحثة فيه مع العلماء و أصحاب الرأي لئلا- يبين عجزه و تسقط حجته فيكشف حاله و تسقط قيمته.. إنه لمعرفته بأنه يجهل المسألة يكتتمها و لا يرضى بالبحث فيها و بيان وجه الحق لئلا يتعري على حقيقته و يظهر بواقعه و هذا ما لا ترضاه نفسه و لا يقبله لها..

(تصرخ من جور قضائه الدماء و تعج منه المواريث) هذه نتيجة من يتولى القضاء بين الناس و فصل الخصومات بينهم و لم يكن مؤهلا لذلك فإن الدماء تصرخ من هذا القضاء ترفع صوتها بلسان الحال شاهدة على بطلان هذا الحكم و فساد هذا القضاء.. إن هذا المجرم قد أهدر دم هذا البريء و أمر بضرب عنق هذا الشريف و في المقابل حقن دم ذلك المجرم؛ و إن من يجلس إلى القضاة و يستمع إليهم يرى عجبا.

و كذلك تصرخ المواريث و تصيح في وجهه مستجيرة بالله طالبة نصره في رفع الحيف عن أهلها و من يستحقها إنه أخذ ميراث هذا و حقه و أعطاه لذلك بدون حق حرم..

الوارث القريب وورث البعيد غير الوارث.. حرم الابن أن يرث من أبيه و الزوج من زوجته و الأب من ابنه و ورث ذلك من ليس له حق في الميراث..

(إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهالا ويموتون ضلالا) ثم اشتكى إلى الله من هذين الصنفين الضالين تنفيرا منهم و تحقيرا لهم و بين وضعهم و كيف عاشوا أنهم عاشوا جهالا لم يتذوقوا العلم و لم يعرفوه و كان بإمكانهم إدراكه و الحصول عليه هذا في حياتهم و أما موتهم فقد ماتوا ضالين منحرفين فاسدين و من كانت هذه خاتمة حياته كانت خاتمة سيئة قبيحة...

(ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته و لا سلعة أنفق بيعا و لا أعلى ثمنا من الكتاب إذا حرف عن مواضعه) فالقرآن الكريم لاحظ له عندهم إذا فسر على الوجه الصحيح و كما نزل لأنه لا يتوافق مع جهلهم و لا يخدم مصالحهم و ميولهم و أهواءهم بل يفضحهم و يكشف ألامعيبهم و عيوبهم بينما إذا حرف تفسيره و وافق هواهم و كان يخدم ميولهم فليس هناك أفضل منه و أحسن..

(و لا عندهم أنكر من المعروف و لا أعرف من المنكر) و هذا لجهلهم فقد مسخت نظرهم و انقلبت طبيعتهم فأضحى أفضل شيء و أحسنه عندهم المنكر و هم أعرف الناس به لجهلهم رغباتهم و أما المعروف فهم يتنكرون له و يتعدون عنه و ينكرونه لأنه لا يتوافق و مصالحهم..

ص: 171

إشارة

في ذم اختلاف العلماء في الفتيا (1) وفيه يذم أهل الرأي ويكل أمر الحكم في أمور الدين للقرآن

ذم أهل الرأي

ترد على أحدهم القضية (2) في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم (3)، فيصوب (4) آراءهم جميعا - وإلهم واحدا! ونيهم واحدا! وكتابهم واحدا! فأمرهم الله - سبحانه - بالاختلاف فأطاعوه! أم نهاهم عنه فعصوه!

الحكم للقرآن

أم أنزل الله سبحانه ديننا ناقصا فاستعان بهم على إتمامه! أم كانوا شركاء له، فلهم أن يقولوا، و عليه أن يرضى؟ أم أنزل الله سبحانه ديننا تاما فقصر الرسول صلى الله عليه وسلم عن تبليغه وأدائه، والله سبحانه يقول:

«مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» وفيه تبيان (6) لكل شيء، وذكر أنّ الكتاب يصدّق بعضه بعضا، وأنّه لا اختلاف فيه فقال سبحانه: «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلَافًا كَثِيرًا». وإنّ القرآن ظاهره أنيق (7) وباطنه

عميق، لا تقنى عجائبه، ولا تنقضي (8) غرائبه (9)، ولا تكشف الظلمات إلا به.

## اللغة

- 1 - الفتيا: الفتوى.
- 2 - القضية: جمعها قضايا المسألة المعروضة للحكم و الفصل فيها.
- 3 - استقضاهم: جعلهم قضاة.
- 4 - يصوب: يحكم بصوابها، وهي صحتها.
- 5 - فرطنا: من فرط في الشيء قصر وأظهر العجز فيه.
- 6 - التبيان: الوضوح والظهور.
- 7 - أنيق: معجب.
- 8 - عجائبه: الشيء المعجب و العجب هو حالة نفسانية تعتري الإنسان عند أمر عظيم غير معتاد.
- 9 - تنقضي: تقنى و تنعدم.
- 10 - غرائبه: عجائبه، ما يبعد فهمه، والغريب هو العجيب غير المألوف.

## الشرح

### اشارة

(ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ثم يجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعا) هذه صورة للقضاة الفسقة الذين ليسوا بأهل لهذا المقام و مع ذلك تناولوا عليه و ارتفعوا إليه، إنها صورة تدلل على مدى تلاعبهم بأحكام الله و العدول بها عن الحق.. قاضيان يختلفان في قضية واحدة هذا يحكم فيها برأيه و ذاك يحكم فيها برأى آخر يخالفه و يضاده.. القضية الواحدة تعرض على هذا الشخص فيحكم فيها بما رأى و استحسنته دون أن يرجع إلى القواعد العامة التي يباح له استخراج الحكم منها.. إنه استقل فيها برأيه و انفرد بحكمه رأى ارتاه و استحسان جرى على لسانه و ذوقه فدفعه للحكم بها على هذا النحو ثم يأتي الآخر ليستحسن غير ما استحسنته هذا فيقضي

فيها بخلاف رأيه.. ثم ترتفع القضية ذاتها و ما حكما به إلى الإمام الذي نصبهما للحكم فيوافقهما و يسددهما و يصوب حكمهما و هذه القضية تقع تحت نظر الإمام فيهمزه المشهد و تدفعه الغيرة إلى هذا البيان الذي يبين فيه فساد هذا المذهب و بطلان هذا المسلك..

إنها جريمة في دين الله و طعنة نجلاء في صدر الشريعة نفذها الحكماء و وافق الوالي عليها.. و الإمام يبين فساد هذا الحكم بقوله:

(و إلههم واحد و نبيهم واحد و كتابهم واحد) مصدر التشريع واحد و هو الله و ناقل التشريع و هو النبي محمد واحد و الكتاب الذي حملة إلى الناس و خاطبه الله به لينقله إليهم و هو القرآن واحد إذن كيف يختلف الحكم و يتعدد في القضية الواحدة.. إنه ليس من هذه الجهة قطعا كان الاختلاف.. ثم يبين فساد رأي آخر بقوله:

(أفأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فأطاعوه أم نهاهم عنه فعصوه) و هذا استفهام استنكاري يبطل به هذا المدعى و هو ربما قال بعض السفهاء إن الله أمرهم بالاختلاف و حاشا لله أن يأمر بالاختلاف و إنما أمر بالوحدة و كل تشريعاته تحكي ذلك و تعترف به.

نعم نهاهم عن الاختلاف فعصوه و تمردوا على أمره.

(أم أنزل الله سبحانه دينا ناقصا فاستعان بهم على إتمامه) حاشا لله أن يكون قد أنزل الدين إلا كاملا كيف و هو القائل سبحانه: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا» .

ثم لما ذا ينزله ناقصا هل لأنه عاجز و هم يعينونه على إتمامه حاشا و كلا فربنا القوي العزيز واجب الوجود الغني عن كل موجود و من يحتاج إلى غيره في أمر فهو مثله في الإمكان و الله منزه عن ذلك..

(أم كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا و عليه أن يرضى) و هذا بيان أيضا لبطلان الاختلاف و هو هل كانوا شركاء له في الحكم و التشريع حتى إذا حكم كل واحد برأيه يجب عليه أن يقبل و يرضى لأن هذا دأب الشركاء في الأمور و حاشا لله أن يكون له شريك في الأمر و النهي و الحكم..

(أم أنزل الله سبحانه دينا تاما فقصر الرسول صلى الله عليه و سلم عن تبليغه و أدائه) نعم أتم الله الدين و أنزله كاملا على رسوله و الرسول لم يقصر في أدائه و إبلاغه للناس بل أداه كما أراد الله تاما كاملا، إذن فلا حجة لهم في هذا الاختلاف و لا عذر لهم فيه.

ثم يبين الإمام فساد هذا الاختلاف و رده بقوله:



(و الله سبحانه يقول: ما فرطنا في الكتاب من شيء)، هذا رد على احتمال أن يكون منشأ الاختلاف نقصان الدين وعدم كماله فإن الله قد بين جميع الأمور في هذا القرآن ولم تبق شاردة أو واردة إلا ودخلت تحت العموم أو كانت نصا في الخطاب..

(وفيه تبيان كل شيء) ففي القرآن بيان كل شيء يحتاجه الإنسان وفيه ما ينظم حياته ويرشده ويهديه؛ فلا يحتاج الله إلى أحد كي يعينه أو يشركه في أمره وهذا أيضا يدل على أن الرسول قد أدى الأمانة وبلغ الرسالة ولم يقصر في شيء..

(وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضا وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه: ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وإذا لم يكن في الكتاب الكريم اختلاف فلا بد وأن يكون الحكم واحدا لأن سند قولهما واختلافهما يجب أن يكون نابعا من القرآن والقرآن لا اختلاف فيه فيجب أن يكون الاختلاف من فساد رأيهما ثم أردف الحديث عن القرآن بقوله:

(وإن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق) فظاهر القرآن جميل يعجب ببيانه وصياغته وما فيه كل من يقرأه؛ ولكن باطنه وعمقه فلا يدركه إلا أهل الخبرة والعلم الذين يقرؤون الآية ويدركون بعض معانيها ويحلّلونها ولا يصلون إلى غورها..

(لا تقنى عجائبه ولا تنقصي غرائبه) فكلما اكتشف الإنسان نكتة و ظن إنها الوحيدة إذ به بعد مدة يكتشف أختها وكم يتبين في زماننا هذا من أمور كانت مجهولة لدى القدماء وكم يبقى للناس القادمين من أدوار وأدوار.. إن العلم الحديث بما يملك من رصيد علمي ضخم لم يقدر على بيان فساد حقيقة واحدة من حقائق القرآن بل تجد باستمرار من يتناول الآيات ويعرضها ليصدق مفادها ويقرر مضمونها..

(ولا تكشف الظلمات إلا به) فهو نور يبدد ظلمات الشك والشبهات ويبين الحق ويكشف الظلم ويحاربه..

## أصحاب الرأي:

الاستقلال بالرأي والتشريع على أساسه جريمة دينية لأنه ينفي حكم الله وبيطله ويدعي صاحب الرأي أنه المشرع الذي هو أعلم بالمصلحة من الله...

والأخذ بالرأي هو أن لا يعتمد الإنسان في حكمه على الكتاب والسنة والقواعد الشرعية التي نص عليها الرسول (صلى الله عليه وآله) بل يستحسن هذا الرأي لأمر تخطر في باله

وقضايا يراها من منظوره و هو قاصر النظر لا يحيط بالأمر و لا يدرك أبعادها و قد شن الإسلام الحملة القوية على الذين استبدوا بآرائهم و عملوا بما استحسنا و انقطعوا عن مدارك الشريعة المرسومة على لسان المعصوم...

1 - قال أبو جعفر عليه السلام: من أفتى (1) الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم و من دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث أحل و حرم فيما لا يعلم.

2 - عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ترد علينا أشياء لا نجد لها في الكتاب و السنة فنقول فيها برأينا.

فقال: أما إنك إن أصبت لم تؤجر و إن أخطأت كذبت على الله.

3 - عن أبي عبد الله و قد سئل عن الحكومة فقال: من حكم برأيه بين اثنين فقد كفر و من فسر برأيه آية من كتاب الله فقد كفر. 1.

ص: 176

---

1- أبواب صفات القاضي باب 6 حديث 11.

إشارة

قاله للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة يخطب، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه عليك لا لك، فخفض عليه السلام إليه بصره ثم قال:

ما يدريك ما عليّ ممّا لي، عليك لعنة (1) الله ولعنة اللاعنين! حائك ابن حائك! منافق ابن كافر! والله لقد أسرك (3) الكفر مرّة والإسلام أخرى! فما فداك (4) من واحدة منهما مالك ولا حسبك! وإنّ امرأ دَلّ (5) على قومه السيف، وساق (6) إليهم الحتف (7)، لحرّيّ (8) أن يمقته (9) الأقرب، ولا يأمنه الأبعدا.

قال السيد الشريف: يريد عليه السلام أنه أسرف في الكفر مرة وفي الإسلام مرة. وأما قوله:

دل على قومه السيف: فأراد به حديثا كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة، غرّ فيه قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد، وكان قومه بعد ذلك يسمونه «عرف النار» وهو اسم للغادر عندهم.

اللغة

1 - اللعن: الطرد ولعن الله فلانا طرده من رحمته وأبعده.

2 - الحائك: الناسج.

3 - الأسير: جمعه أسرى وأسراء وأسارى وأسارى من قبض عليه وأخذ في الحرب وغيرها.

4 - الفداء: ما يعطيه الأسير لفك رقبتة.

ص: 177

5 - دل: دلالة على الشيء وإليه أرشده وهداه.

6 - ساق: الماشية حثها على السير من خلف.

7 - الحتف: الموت، الهلاك.

8 - لحرى: لجدير وخليق.

9 - يمقته: يبغضه.

## الشرح

## إشارة

(ما يدريك ما عليّ مما لي عليك لعنة الله و لعنة اللاعنين) كان الإمام يخطب في الكوفة و يذكر أمر الحكّمين فقام رجل من أصحابه بعد أن انقضى أمر الخوارج.

فقال له: نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فما ندري أي الأمرين أرشد؟.

فصفق عليه السلام بإحدى يديه على الأخرى و قال: هذا جزاء من ترك العقدة و كان مراده عليه السلام: هذا جزاؤكم إذ تركتم الرأي و الحزم و أصررتم على إجابة القوم إلى التحكيم فظن الأشعث أنه أراد: هذا جزائي حيث تركت الرأي و الحزم و حكمت.

فقام الأشعث إليه و قال: هذه عليك لا لك.

قال له: و ما يدريك ما عليّ مما لي فقد رماه بالجهل و هو أقبح الصفات ثم لعنه من قبل الله و من قبل اللاعنين لأنه يستحق ذلك لقوله الدال على نفاقه و انحرافه..

(حائك ابن حائك منافق ابن كافر) ذمه بهذه الصفات أما لأن الحياكة كانت صنعة يتبعها أرادل الناس أو استعارة لنقصان عقله لكون الحياكة مظنة ذلك.

و قد بين هويته بأنه منافق و قد كان كما يقول ابن أبي الحديد: كان الأشعث من المنافقين في خلافة علي عليه السلام و هو في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كما كان عبد الله بن أبي سلول في أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) كل واحد منهما رأس النفاق في زمانه..

(و الله لقد أسرك الكفر مرة و الإسلام أخرى فما فداك من واحدة منهما مالك و لا حسبك) أسر الأشعث مرتان مرة أيام كفره و أخرى في الإسلام أما أسره في الكفر فذلك أنه أراد أن يطلب ثأر أبيه الذي قتلته مراداً فلم يقدر و انتصرت مراد و أسرته.

و أما أسره في الإسلام فإن رسول الله (صلى الله عليه و آله) لما قدمت كندة حجاجاً قبل الهجرة

عرض رسول الله (صلى الله عليه وآله) نفسه عليهم كما كان يعرض نفسه على أحياء العرب فدفعه بنو وليعة فلما هاجر و تمهدت دعوته جاءت وفود العرب و جاء وفد كندة و فيهم الأشعث و بنو وليعة فأسلموا فأطعم رسول الله بنو وليعة طعمة من صدقات حضر موت و كان قد استعمل عليها زياد بن لبيد البياضي الأنصاري فدفعها زياد إليهم فأبوا أخذها وقالوا: لا ظهر لنا فابعث بها إلى بلادنا على ظهر من عندك فأبى زياد و حدث بينهم و بين زياد شر كاد يكون حربا فرجع منهم قوم إلى رسول الله و كتب زياد إليه عليه السلام يشكوهم.

و في هذه الواقعة كان الخبر المشهور عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لبيني وليعة: «لنتهن يا بني وليعة أو لأبعثن عليكم رجلا عديل نفسي يقتل مقاتلتكم و يسبي ذراريكم». قال عمر بن الخطاب: فما تمنيت الإمارة إلا يومئذ و جعلت أنصب له صدري رجاء أن يقول: هذا هو، فأخذ بيد علي عليه السلام و قال: «هو هذا».

ثم كتب لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى زياد فوصلوا إليه الكتاب و قد توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) و طار الخبر بموته إلى قبائل العرب فارتدت بنو وليعة و غنت بغاياهم و خضبن له أيديهن.

ثم إن زيادا أخذ البيعة لأبي بكر من أهل حضر موت فبايعوا إلا بنو وليعة ثم جرت مشادة بين زياد و بين بعضهم على ناقة أرادها زياد للصدقة و أبى الجماعة أن يتركوها له بل خلصوها منه بالقوة و اجتمع إلى زياد أصحابه و اجتمع بنو وليعة و أظهروا المناظرة و العداء فيبتهم زياد و هم غارون فقتل منهم جمعا كثيرا و نهب و سبى و لحق فلهم بالأشعث بن قيس فاستنصروه فقال: لا أنصركم حتى تملكوني عليكم فملكوه و توجوه كما يتوج الملك من قحطان فخرج إلى زياد في جمع كثيف و كتب ابو بكر إلى المهاجر بن ابي أمية و هو على صنعاء أن يسير بمن معه إلى زياد فسار فلقوا الأشعث فهزموه و لجأ الأشعث و من معه إلى الحصن المعروف «بالنجير» فحاصرهم المسلمون حصارا شديدا حتى ضعفوا فنزل الأشعث ليلا إلى المهاجر و زياد فسألها الأمان على نفسه حتى يقدم به على أبي بكر فيرى فيه رأيه على أن يفتح لهم الحصن و يسلم إليهم من فيه و قيل إنه كان في الأمان عشرة، فأمناه و أمضينا شرطه ففتح لهم الحصن فدخلوه و استنزلوا كل من فيه و أخذوا أسلحتهم و قالوا للأشعث: اعزل العشرة فعزلهم فتركوهم و قتلوا الباقيين و كانوا ثمانمائة و قطعوا أيدي النساء اللواتي شمتن برسول الله (صلى الله عليه وآله) و حملوا الأشعث إلى أبي بكر موثقا في الحديد هو و العشرة فعفا عنه و عنهم و زوجته أخته أم فروة بنت أبي قحافة - و كانت عمياء فولدت له محمدا و إسماعيل و إسحاق...

وقوله عليه السلام: فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك لم يرد الفداء الحقيقي لأنه قد فدي وإنما اراد لم ينجك و يدفع عنك مالك و لا حسبك من الأسر..

(وإن امرأ دل على قومه السيف و ساق إليهم الحنث لحرى أن يمقته الأقرب و لا يأمنه الأبعد) ثم بين هذه الصفة الخسيصة فيه و التي جنى من خلالها على قومه فأراق دماءهم فإنه لما أخذ الأمان أخذه لنفسه و لعشرة أشخاص معه فظن قومه أنه أخذ الأمان للجميع فسلموا الحصن فعند ما دخل المسلمون و اعملوا السيف فيهم استنكروا ذلك و قالوا قد اعطيتمونا الأمان بيد الأشعث فأنكر المسلمون أن يكونوا قد أعطوا شيئاً لغير الأشعث و العشرة الذين معه فقتلهم المسلمون و ذلك بفعل الأشعث و غدره بقومه فهو الذي عرضهم على السيف و ساق إليهم الموت و مثل هذا جدير به أن يبغض من أقرب الناس إليه و هم أهله و عشيرته لغدره بهم و يجعل البعيد عنه من الناس لا يأمنه أو يطمئن إليه و كأنه بيان و إنذار إلى غدره و إنه ليس بثقة عند أمير المؤمنين..

### ترجمة الأشعث بن قيس:

الأشعث اسمه الحقيقي معدي كرب بن قيس الأشج، و أمه اسمها كبشة بنت يزيد بن شرحبيل.

كان الأشعث أبداً أشعث الرأس فسمي الأشعث و غلب عليه حتى نسي اسمه.

جاء مع وفود العرب إلى رسول الله فأسلم ثم ارتد و حارب المسلمين فأخذه أسيراً إلى أبي بكر فعفا عنه و زوجه أخته أم فروة و كانت عمياء و كان كما قال ابن أبي الحديد نقلاً عن ابن جرير الطبري في تاريخه أنه «كان المسلمون يلعنون الأشعث و يلعنه الكافرون أيضاً و سبايا قومه و سماه نساء قومه عرف النار و هو اسم للغادر عندهم.

و يقول ابن أبي الحديد في نهجه: «و كان الأشعث من المناققين في خلافة علي عليه السلام و هو في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كما كان عبد الله بن أبي سلول في أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) كل واحد منهما رأس النفاق في زمانه» و قد كان الأشعث يتحين الفرص لزعة خلافة الإمام و يزرع الشك و الريب بين أصحابه و مواقفه المشيئة الخبيثة في صفتين تحكي ذلك و قد اشترك في دم الإمام مع عبد الرحمن بن ملجم المرادي في رسم الخطة لاغتياله و قد اشترك ابنه محمد في دم الحسين.

و نفذت ابنته جعدة سم الإمام الحسن بإيعاز من معاوية..

و بالجمللة الأشعث و أهله قوم سوء لا يذكرون إلا بكل عيب و أمر مشين...

ارتد الأشعث و أخذ إلى أبي بكر فعفى عنه و زوجته أخته أم فروة و عند ما قتل عثمان كان واليا من قبله على أذربيجان فأمره الإمام أن يأخذ البيعة له و يحضره عنده.

مات الأشعث بعد قتل الإمام بأربعين ليلة سنة 40 للهجرة.

ص: 181

## إشارة

وفيه ينفر من الغفلة وينبه إلى الفرار لله فإنكم لو قد عاينتم ما قد عاين (1) من مات منكم لجزعتم (2) ووهلتم (3)، وسمعتم وأطعتم، و لكن محجوب (4) عنكم ما قد عاينوا، وقريب ما يطرح (5) الحجاب! ولقد بصّرتهم (6) إن أبصرتهم، وأسّمعتهم إن سمعتهم، وهديتهم إن اهتديتكم، وبحق أقول لكم: لقد جاهرتكم (7) العبر (8)، وزجرتهم (9) بما فيه مزدجر. وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء إلاّ البشر.

## اللغة

- 1 - عاين: رآه بعينه.
- 2 - الجزع: عدم الصبر على المصيبة بإظهار الحزن والكدر.
- 3 - وهلتم: من الوهل وهو الخوف والفرع.
- 4 - المحجوب: المستور، والحجاب كل ما حال بين شيئين.
- 5 - يطرح: يلقي ويرمى.
- 6 - بصّرتهم: جعلهم يبصرون، والبصر بالعين والبصيرة في القلب.
- 7 - جاهرتكم: من الجهر وهو الارتفاع وكلام جهير أي عال.
- 8 - العبر: الموعظة.
- 9 - زجره: منعه والمزدجر المتعظ.

## الشرح

(فإنكم لو قد عاينتم ما قد عاين من مات منكم لجزعتم ووهلتم وسمعتهم وأطعتم ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا وقريب ما يطرح الحجاب) الموت مرحلة من مراحل



الحياة ينتقل الإنسان من خلاله إلى عالم آخر كما انتقل من قبل من كونه نطفة لا تعقل ولا تفهم استقرت في رحم الأم ونمت فأصبحت جنينا ضمن مراحل الجنين ثم أخرجته يد القدرة إلى العالم الخارجي. وإلى الدنيا فابتدأ حياة جديدة تغاير سابقتها وتختلف عنها ثم أخذ في النشوء والنمو حتى بلغ به الأمر أن أصبح رجلا سويا وبعد أن يبلغ من العمر مداه يعود إلى مرحلة الضعف وعدم القدرة وعند ما يضع القدر حكمه ينتقل من هذه الدار إلى الدار الآخرة التي هي دار تغاير دار الدنيا وتختلف عنها تماما بشر بها الأنبياء وبينوها للناس ووصفوها وأوضحوا معالمها وخصوصياتها وما فيها.. إنها دار البقاء والاستقرار دار النعيم أو الجحيم، دار الجنة أو النار...

يخرج الإنسان من هذه الدنيا فيرى أهوال تلك الدار الآخرة وعقباتها ويرى عذابها وعقابها.. يرى الأمور على حقيقتها واضحة أمامه يمارسها ويعيشها ويكتوي بالمها..

يرى نعيم الآخرة وما فيها من ملذات وسرور.. يراها ويعيشها ويتذوق طعمها...

إن كل ما يمر في الآخرة من أهوال وآلام وما يعترض هذا الإنسان فيها من سدود وموانع كل ذلك محجوب عن ابن الدنيا لم يدرك حقيقته ولم يطلع عليه إلا بالوصف الوارد عن الأنبياء...

و الإمام يقول لو أنكم رأيتم وأنتم في دار الدنيا ما رأى من مات منكم لأخذكم الخوف الشديد وشدكم الفزع والرعب مما رأى ولاقى لأنه رأى ما يدهش العقل ويرعب القلب وعندها تسمعون كلام الدعاة إلى الله والدالين عليه والآمريين بأمره ولأطعتم ربكم في كل ما أمر و امتنعتم عن كل ما منع...

ثم اعتذر عنهم وبعدها حذرهم اعتذر عنهم بأن الحجب هي التي منعتهم عن الرؤية لتلك الأهوال والمصاعب فالموت حجاب يمنع الرؤية الحقيقية لذلك العالم وما فيه، وهو منتهى الحجب وأعظمها وبه تنكشف الأمور على حقيقتها ولكن قبل ذلك هناك حجب النفس الشريرة التي تمارس المعصية والانحراف فتشكل حاجزا عن رؤية الحقيقة وتمنع من الاطلاع على تلك الدار وما فيها...

النفس إذا رقت وشفّت اخترقت الحجب وقفزت فوق الحواجز واكتشفت الأمور وأدركتها على حقيقتها وسعت إليها بعد هذه المعرفة وهذا الاطلاع ومن هنا نرى كيف يعيش الأنبياء عيشة الزهد والتشف.. ونعرف كيف كان حرصهم على هداية الناس وإرشادهم وعلى إعانتهم ومساعدتهم.. ونعرف أيضا كيف يعرفون ما يدور في نفوس الآخرين وما يضمرون ويسرون.. نعرف كيف كان أصحاب التقى يتكلمون بما تحوي

نفوس الناس و يتفرون فيهم الخير أو الشر و الحق أو الباطل...

و حذرهم الإمام بعد ذلك بأن الحجاب سيطرع عما قريب.. عند ما تموتون ستصلون إلى الحقيقة.. سيرتفع الحجاب الذي كان يمنع الرؤية.. و ستقفون أمام الحقيقة وجهها لوجه..

(و لقد بصرتهم إن أبصرتهم و أسمعتم إن سمعتم و هديتم إن اهتديتم) إنه لا عذر لأحد.. انقطعت الأعذار.. و الحجاب و إن كان و لكن الأنبياء و المرسلين و الدعاة و المبشرين قد فتحوا أعينكم على الحقيقة و علموكم طرق الخير و المعروف و كل ما فيه سعادتم إذا أردتم أن تعرفوا ذلك و تفقوا عليه فاسمعوا لهم و اقتفوا أثرهم..

إن الدعوة قد بلغت مسامع الناس جميعا و طرقت آذانهم أصوات الحق فلو أردتم أن تسمعوا لسمعتم و العلة فيكم أنكم لا تستجيبون و ليس في غيركم و قد هداكم المرشدون إن أردتم الهداية..

(بحق أقول لكم لقد جاهرتكم العبر و زجرتكم بما فيه مزدجر) و هذا بيان أيضا لرفع الاعتذار و إن العبر التي فيها المواعظ و الحكم قد رأيتموها عيانا.. إنها ليست سرا حتى تعتذروا بعدم معرفتها و الوقوف عليها بل هي أمامكم أعيذوا النظر فيها.. أنظروا إلى الفراعنة و الأكاسرة و القياصرة.. أنظروا إلى ما أنزل الله بهم من العذاب و النقمات.. إنها الأمم التي تمردت على حكمه و عصت أمره نالت جزاءها و أدركت نصيبها...

و قد جاءكم البينات بما فيه مزدجر و ردع لكم.. إنها صواعق الآيات تردع هذا الإنسان إن كان إنسانا قال تعالى (1): «و لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ التُّذْرُ» .

(و ما يبلغ عن الله بعد رسل السماء إلا البشر) و هذا ترغيب لهم أن يقبلوا ما جاءت به الرسل و الأنبياء لأنهم الدعاة إلى الله و بهم ينحصر البيان و التبليغ و ذلك باعتبار أن من يحمل الرسالة يجب أن يكون بعد أمناء الوحي من الملائكة. يجب أن يكون من جنس البشر الذين يبلغونهم الرسالة لوحدة الطبيعة و الانسجام...

و إذا كان الأنبياء هم الذين يبلغون عن الله أحكامه فيجب على الناس قبول قولهم و العمل به و الافتداء بما شرعوا و سنوا...4.

ص: 184

## إشارة

و هي كلمة جامعة للعظة و الحكمة فإن الغاية (1) أمامكم، وإن وراءكم الساعة تحذوكم (2). تخففوا (3) تلحقوا (4)، فإتما ينتظر بأولكم آخركم.

قال السيد الشريف: أقول: إن هذا الكلام لو وزن، بعد كلام الله سبحانه و بعد كلام رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، بكل كلام لمال به راجحا، و برز عليه سابقا، فأما قوله عليه السلام: «تخففوا تلحقوا» فما سمع كلام أقل منه مسموعا و لا أكثر منه محصولا، و ما أبعد غورها من كلمة! و أنتع نطقها من حكمة! و قد نبهنا في كتاب «الخصائص» على عظم قدرها و شرف جوهرها.

## اللمعة

1 - الغاية: النهاية.

2 - تحذوكم: من حد الإبل إذا غنى لها ليحثها على المسير.

3 - تخففوا: من خف ضد ثقل خفف في ذنوبه إذا قللها.

4 - تلحقوا: من لحقه إذا أدركه و تلاحق تتابع.

## الشرح

(فإن الغاية أمامكم و إن وراءكم الساعة تحذوكم) منذ أن يولد الإنسان و يضع ثقله على الأرض يبدأ في هدم عمره و يسير نحو الموت باستمرار و في كل يوم يمضي يتقدم و يقترب منه فإن هذه الغاية و هي الموت أمام الإنسان يسعى إليها و يتحرك نحوها.. ثم

ص: 185

إن وراء ذلك الموت القيامة التي تدفعنا باستمرار لنفكر فيها ونستعد لها ونقوم بواجبنا الذي يخلصنا من تبعاتها وعذابها...

إن القيامة تنتظر الجميع والسعيد من عمل لها.. ثم عقب على ذلك بقوله:

(تخففوا تلحقوا فإنما ينتظر بأولكم آخركم) تخففوا من الذنوب.. فكروا أن تكونوا خفافا، ليس عليكم من الذنوب شيئا.. والمخف أسرع في المشي وأشد دركا لما يطلب... تخففوا من حمل الذنوب لتلحقوا ركب الأنبياء والصالحين فإنهم المتقدمون السابقون ولا يمكن أن يلحقهم من حمل من الذنوب كثيرا.. وكيف يتحرك الممثل؟ وكيف يقدر على إدراك السابق من كان حملة كبيرا؟!...

تخففوا من الأوزار.. فلا- تشركوا بالله ولا تعتدوا على عباد الله وقوموا بخدمة الناس وأدوا الفرائض و التزموا بأمر الله ونهيه... اجتنبوا المعاصي وقول الزور وكل ما يسيء..

و أما الحساب فسيأتي عند ما يكتمل العدد و يجتمع الخلق جميعا.. و من مات ينتظر القادمين حتى إذا تم العدد واستكمل الجميع استوفوا عندها حسابهم وهذا ليس ببعيد.. إنه قريب حاصل و سنصل إليه لا محالة..

ص: 186

## إشارة

حين بلغه خبر الناكثين ببيعته وفيها يذم عملهم ويلزمهم دم عثمان ويتهددهم بالحرب

## ذم الناكثين

ألا وإنّ الشيطان قد ذمّر (1) حزبه (2)، واستجلب جلبه (3)، ليعود الجور (4) إلى أوطانه، ويرجع الباطل إلى نصابه (5). والله ما أنكروا (6) عليّ منكرا (7)، ولا جعلوا بيني وبينهم نصفا (8).

## دم عثمان

وإنّهم ليطلبون حقّا هم تركوه، ودماء هم سفكوه (9): فلئن كنت شريكهم فيه فإنّ لهم لنصيبهم (10) منه، ولئن كانوا ولوه (11) دوني، فما التّبعة (12) إلّا عندهم، وإنّ أعظم حجّتهم (13) لعلّى أنفسهم، يرتضعون أمّا قد فطمت (14)، ويحيون بدعة (15) قد أميتت. يا خيبة (16) الدّاعي! من دعا! وإلام أجيب! وإني لراض بحجّة الله عليهم وعلمه فيهم.

## التهديد بالحرب

فإن أبوا أعطيتهم حدّ السّيف وكفى به شافيا من الباطل، وناصرنا للحقّ! ومن العجب بعثهم إليّ أن أبرز (17) للطّعان! (18) وأن أصبر

للجلاد (19)! هبلتهم (20) الهبول (21)! لقد كنت و ما أهدد بالحرب، ولا أزهب بالضرب! وإني لعلى يقين من ربّي، وغير شبهة من ديني.

## اللغة

- 1 - ذمّر: حضر و حث.
- 2 - الحزب: الجماعة على رأي واحد.
- 3 - الجلب: ما يجلب، المجلوب من بلد إلى بلد.
- 4 - الجور: الظلم و الانحراف.
- 5 - النصاب: الأصل.
- 6 - أنكروا: عابوا.
- 7 - المنكر: القبيح، كل ما ليس فيه رضى لله.
- 8 - النصف: بثليث النون، الإنصاف، العدل.
- 9 - سفك الدم: أراقه.
- 10 - النصيب: السهم، والحظ.
- 11 - ولوه: قاموا به، و ولي الشيء إذا ملك أمره.
- 12 - التبعة: ما يلحق الإنسان من درك، المؤاخذة.
- 13 - حجّتهم: من الحجّة، البرهان، و ما يحتج به.
- 14 - فطم الرضيع: منعه أمه عن ثديها.
- 15 - البدعة: الشيء المستحدث، إدخال ما ليس في الدين على أنه منه.
- 16 - الخيبة: عدم الظفر بما يطلب، عدم النجاح.
- 17 - أبرز: أخرج و أظهر إلى المقاتلة.
- 18 - الطعان: طعنه بالرمح ضربه و وخزه به و الطعان كثرة الضرب بالسيوف.

19 - الجلاذ: المبالدة و المصاللة بألة الحرب.

20 - هبلتهم: ثكلتهم.

21 - الهبول: بفتح الهاء المرأة اللى لا ببقى لها ولد.

## الشرح

(ألا وإن الشيطان قد ذمر حزبه واستجلب قلبه ليعود الجور إلى أوطانه ويرجع الباطل إلى نصابه) الشيطان قائد كل فرقة ضالة و هو الدافع لكل حزب منحرف إلى

ص: 188

الانحراف.. ما كانت معركة إلا و كان الشيطان وراء الفرقة المعتدية الظالمة...

وإن من خالف عليا و نكث بيعته فهو مع الشيطان لأن عليا مع الحق و الحق مع علي كما نطق بذلك رسول الله و كما صدقته شواهد الأيام و المواقف و الإمام هنا في هذه الخطبة يذكر الناكثين لبيعتهم الذين جهزوا الجيوش لقتاله يقول: إن الشيطان هو الذي دفعهم و حضهم و هم من حزبه جاءوا بهذا الرعاع من كل مكان.. لقد استنفرت أم المؤمنين و معها طلحة و الزبير الناس و جيشوهم لقتال الحق...

إنهم أرادوا من وراء حربهم أن يعود الجور إلى ما كان عليه أيام الخلفاء الذين تقدموا عليه و خصوصا أيام عثمان التي كانت أيامه ثقيلة على الأمة.. أرادوا أن يرجع الباطل الذي كان أيام عثمان إلى اليوم الذي هو فيه حيث أرادوا الخلافة و طلبوها و لما لم يحصلوا على شيء منها أعلنوها حربا شعواء أتت على الحرث و النسل و زرعت في جسد الأمة فتنة لا تزال نعيش آثارها حتى اليوم..

(و الله ما أنكروا علي منكر و لا جعلوا بيني و بينهم نصفا) أقسم بالله و قسمه لا حنث فيه أنهم لم يعيوا عليه و يرموه بشيء من المنكر الذي لا يرضاه الله و حتى قتل عثمان لم يكن منكرا بنظرهم و إن كان الإمام من أشد الناس براءة من دمه..

و فضلا عن ذلك إذا كانوا يتهمونه بقتل عثمان أو بأمر فيه منكر فما جعلوا بينه و بينهم من يحكم بالعدل و ينظر في قضيتهم و يحكم بالحق..

(و إنهم ليطالبون حقا هم تركوه و دما هم سفكوه) هذه حالة الفرقة الناكثة طلحة و الزبير و أم المؤمنين عائشة إنهم الآن يطلبون الثأر لدم عثمان و هم الذين تركوه حيث أنهم لم يحركوا ساكنا و لم يطلبوا محاكمة أحد اشترك في دمه بل غضوا النظر عن ذلك.

إنهم هم الذين سفكوا دم عثمان و أباحوه للناس عند ما كانوا يجهرون بمعارضته و يصفونه بأقبح الأوصاف و أزدلها.. كانت أم المؤمنين تقول للمسلمين: اقتلوا نعتلا قتله الله.. و طلحة يدعم الثوار و يرشدهم إلى ثغرات البيت ليتسللوا فيه و يقضوا عليه و هكذا كانوا شركاء في دم عثمان و قد بقيت هذه طريقتهم و كانوا على رضى تام بما جرى إلى أن تبين لهم عدم النصيب في الخلافة أعلنوا العصيان و التمرد و طالبوا بدم عثمان..

(فلئن كنت شريكهم فيه فإن لهم لنصيبهم منه و لئن كانوا ولوه دوني فما التبعة إلا عندهم و إن أعظم حجتهم لعلى أنفسهم) و هنا أراد الإمام أن يجاريهم جدلا فيقول لهم إذا كنت شريككم في دم عثمان فإن لكم منه نصيب فتساوى في الحكم على طريق الشركاء



في الغرم فاقتصوا من أنفسكم أولا و خذوا الحق منها ثم طالبوا شركاءكم بما تدعون هذا إذا كنت شريككم في دمه و الحق أني لست شريكا..

و إذا كنتم قد قمتم بالأمر أنتم و سفكتم دم الرجل بأيديكم و حرضتم الناس و وجهتموهم لقتله كما هو المعروف و المشهور في التاريخ بل المتسالم عليه فإن كل الآثار التي تتبع فعلكم تقع على عاتقكم و كل سيئة تحصل فهي نتيجة تصرفكم فيجب أن تتحملوا بأنفسكم ما يحدث من جراء ذلك و إن أعظم حجتهم التي يحتجون بها أن عثمان قتل مظلوما فإذا كانوا هم القتلة فتكون الحجة عليهم يؤخذون بها و يدانون بجرائرها..

(يرتضعون أما قد فطمت و يحيون بدعة قد أميتت) قوله عليه السلام يرتضعون أما قد فطمت مثل يضرب للذي يطلب الشيء بعد فواته و هم قد طلبوا الخلافة بعد أن انعقدت للإمام و تمت له البيعة أو يراد أنهم يطلبون الأعطيات و الامتيازات التي كانت على دور عثمان و هذه قد انتهت أيامها و لن تعود في زمانني...

أو يريدون أن يحيوا ما ابتدعه عثمان من تفاوت في العطاء و الذي كان على خلاف سنة رسول الله و لكن قد مضى الزمن و سبقهم فلن تحيا البدعة من جديد..

(يا خيبة الداعي! من دعا! و إلام أجيب و إني لراض بحجة الله عليهم و علمه فيهم) نداء فيه تأسف و تحسر بأن يخيب الداعي الفاشل الذي هو أحد الثلاثة طلحة و الزبير و أم المؤمنين ثم استحقرهم و استصغر من شأنه بقوله من دعا؟ فإن من دعا صغيرا حقيرا..

و إلى ما ذا أجيب؟ فما أفحشه من أمر و ما أقبحه إنها استجابة لأمر حقير قبيح لا يرضى الاستجابة له ذو عفة أو ذو ضمير...

و إني لراض بحجة الله عليهم و هي وجوب وفائهم بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم عند ما تمت البيعة لي من قبلهم فإنهم بايعوا و شايعوا و هو حجة عليهم و الله يعلم ما هم فيه من الضلال و الانحراف و براءة ذمتي لو قاتلتهم لأنهم نقضوا العهد.

(فإن أبوا أعطيتهم حد السيف و كفى به شافيا من الباطل و ناصر للحق) فإن رفضوا.

ما أعطوا من العهد و البيعة و ما التزموا به أمام الله في الوفاء بها سأعطيهم السيف يأخذ منهم مأخذه و يطالهم و يحصد جمعهم و به الكفاية عن كل دواء و فيه الشفاء من كل داء سواء تمثل بالخطر و النفاق أو المعارضة و الحرب و كفى به ناصر للحق الذي أنا عليه و الذي أريده منهم.. فإنه إذا توقف الأمر على هذا الأسلوب فلا بد من انتهاجه و لا بد من شهر السيف و إظهاره من غمده فهو الناصر للحق و المدحض للباطل..

(و من العجب بعثهم إليّ أن أبرز للطعان وأن أصبر للجلاد هبلتهم الهبول لقد كنت و ما أهدد بالحرب و لا أرهب بالضرب و إنني لعلّى يقين من ربي و غير شبهة من ديني) ثم تعجب الإمام منهم استصغارا لقدرهم كيف يهددونه بالحرب و يطلبون منه النزال و دعا عليهم بالثكل و هو أن يصابوا بالموت حتى لا يبقى منهم أحد و لقد كان و ما يجرأ أحد أن يهدده بالحرب أو يدعوه للنزال أو يخوفه بالضرب بالسيوف التي تجتث الرؤوس فإنه البطل اليتيم في هذا المضمار الذي ما اعتلى سيفه هامة إلاّ و قدها و ما اعترض وسط رجل إلا قطعته.. ما انهزم في موقعة و ما فر من معركة و لا تهيب من أحد و لا تردد في نزال..

إنه الشجاع الذي يقرأ تاريخه في العهد النبوي كله فيجده القارئ راية نصر ترفرف في كل موقعة و اسمه مفتاح الفتح في كل معركة.. فهذه الجهة عجز منهم و ضعف...

ثم إنه يملك اليقين الصادق بأنه على الحق و إنه ناصر لدينه و مدافع عن شريعته و ليس في شبهة من دينه فإن الحق معه دون ريب و هو الخليفة الشرعي و عليه ردع المنحرفين و قتال الناكثين فإن قتال المنافقين على مستوى قتال الكافرين.

إشارة

و تشتمل على تهذيب الفقراء بالزهد و تأديب الأغنياء بالشفقة

تهذيب الفقراء

أمّا بعد، فإنّ الأمر (1) ينزل من السّماء إلى الأرض كقطرات (2) المطر إلى كلّ نفس بما قسم لها من زيادة أو نقصان، فإن رأى أحدكم لأخيه غفيرة (3) في أهل أو مال أو نفس فلا تكوننّ له فتنة (4)؛ فإنّ المرء المسلم ما لم يغش (5) دناءة (6) تظهر فيخشع لها إذا ذكرت، و يغرى (8) بها لئام (9) التّاس، كان كالفالج (10) الياسر (11) الّذي ينتظر أول فوزه من قداحه (12) توجب له المغنم (13)، و يرفع بها عنه المغرم (14). و كذلك المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر من الله إحدى الحسنين (15): إمّا داعي الله فما عند الله خير له، و إمّا رزق الله فإذا هو ذو أهل و مال، و معه دينه و حسبه (16).

و إنّ المال و البنين (17) حرث الدّنيا (18)، و العمل الصّالح حرث الآخرة، و قد يجمعهما الله تعالى لأقوام، فاحذروا من الله ما حدّركم من نفسه، و اخشوه خشية ليست بتعذير (19)، و اعملوا في غير رياء (20) و لا سمعة (21)؛ فإنّه من يعمل لغير الله يكله الله (22) لمن عمل له. نسأل الله منازل الشّهداء، و معايشة السّعداء، و مرافقة الأنبياء.

أيُّها النَّاسُ، إنَّه لا يستغني (23) الرَّجُلُ - وإن كان ذا مال - عن عترته (24)، ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظم النَّاس حِيطة (25) من ورائه، وألَمَّهم (26) لشعثه (27)، وأعطفهم عليه عند نازلة (28) إذا نزلت به.

ولسان الصَّدق يجعله الله للمرء في النَّاس خير له من المال يرثه غيره.

ومنها: ألا لا يعدلنَّ (29) أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة (30) أن يسدّها (31) بالَّذي لا يزيده إن أمسكه (32) ولا ينقصه إن أهلكه؛ و من يقبض يده (33) عن عشيرته، فإنَّما تقبض منه عنهم يد واحدة، و تقبض منهم عنه أيد كثيرة؛ و من تلتن (34) حاشيته (35) يستدم (36) من قومه المودَّة (37).

قال السيد الشريف: أقول: الغفيرة هاهنا الزيادة والكثرة، من قولهم للجمع الكثير: الجم الغفير، و الجماء الغفير. و يروى «عفوة من أهل أو مال» و العفوة: الخيار من الشيء، يقال:

أكلت عفوة الطعام، أي خياره. و ما أحسن المعنى الذي أرادَه عليه السلام بقوله: «و من يقبض يده عن عشيرته...» إلى تمام الكلام، فإنَّ الممسك خيره عن عشيرته إنما يمسك نفع يد واحدة؛ فإذا احتاج إلى نصرتهم، و اضطر إلى مرافدتهم، فعدوا عن نصره، و تناقلوا عن صوته، فمَنع ترافد الأيدي الكثيرة، و تناهض الأقدام الجمَّة.

## اللغة

1 - الأمر: جمعه أوامر، طلب إحداث الشيء، الشيء.

2 - قطرات: مفردها قطرة النقطة من المطر.

3 - غفيرة: زيادة و كثرة.

4 - فتنة: فتن فلانا أضله.

5 - يغشى: من غشى فلانا إذا أناه.

6 - دناءة: خساسة و ذلة.

- 7 - يخشع: من خشع تطامن و ذل و خضع.
- 8 - يغرى: يولع به من أغرى بكذا إذا أولع به، و تأتي للتحريض.
- 9 - اللئام: الدنيء، المهان الشحيح النفس.
- 10 - الفالج: الظافر، الفائز.
- 11 - الياسر: المقامر.
- 12 - القداح: سهام الميسر التي يلعب بها.
- 13 - المغنم: المنفعة و المكسب.
- 14 - المغرم: المضرة، و الخسارة.
- 15 - الحسنين: الظفر أو الشهادة من الحسنى.
- 16 - الحسب: جمعه أحساب شرف الأصل مفاخر الآباء.
- 17 - البنين: مفردة ابن الأولاد الذكور.
- 18 - حرث الدنيا: الحرث، الكسب.
- 19 - التعذير: إظهار العذر شكلا.
- 20 - الرياء: التظاهر بالخير دون الحقيقة.
- 21 - السمعة: الشهرة أو ما يقصد به ذلك.
- 22 - يكله: من وكل إليه الأمر، سلمه إليه و فوضه، فقام مقامه.
- 23 - لا يستغني: لا يعتني و استغنى به اكتفى.
- 24 - عترته: و العترة ذرية الرجل و ولده.
- 25 - الحيطرة: الرعاية و الكلاءة.
- 26 - المهّم: من لمّ بمعنى جمع و قارب بين المتفرقات.
- 27 - الشعث: التفرق و الانتشار و منه لم الشعث.

28 - النازلة: المصيبة.

29 - يعدلّنّ : من عدل عن الطريق إذا حاد عنه.

30 - الخصاصة: الفقر، الحاجة الشديدة.

31 - يسدها: نقيض يفتحها يغلقها.

32 - أمسكه: قبضه، حبسه، تعلق به.

33 - قبض يده: ضد بسطها، وقبض على الشيء إذا أمسكه.

34 - تلتن: اللين ضد الخشونة ولان له لاطفه.

35 - الحاشية: للرجل أتباعه وخواصه.

36 - يستدم: يثبت ويستمر.

37 - المودة: المحبة.

ص: 194

(أما بعد فإن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطرات المطر إلى كل نفس بما قسم لها من زيادة و نقصان فإن رأى أحدكم لأخيه غفيرة في أهل أو مال أو نفس فلا تكون له فتنة) ما قدره الله لعباده و كتبه لهم و عليهم ينزل من عند الله كما ينزل المطر فهذه بقعة تنال حظاً أوفر من تلك و هذه يكثر قطرها دون تلك و كذلك كل نفس تنال حظها و حصتها مما قدره الله لها فهذه قد تكون في سعة و غنى و تلك قد تكون في ضيق و قلة و هذه قد تكون عقيم و أخرى ولود و هذه قد تكون صاحبة و جاهة و أخرى قد تكون وضيعة فهذا التفاوت من أجل إتمام دورة الحياة و كمالها و من أجل مصلحة المجتمع و نموه و ازدهاره.. من أجل أن يحتل كل فرد موقعا من الحياة يسد ثغرتها و يملأها بما تحتاج إليه فإذا رأى أحد من الناس زيادة فيما عند أخيه زيادة من مال أو ثروة أو جاه أو ولد فلا ينبغي أن يتحول ذلك إلا عنصر إضلال و مادة فساد ينحرف برؤيته الرائي و يضل الناظر...

إنه عليه السلام أراد أن يرد الأمر لله و يلفت نظر هذا الإنسان إلى قضية إذا عاد إليها و اطمأن بها ارتاحت نفسه و استقرت أعصابه و استطاع أن يقطع شوط الحياة بلذة و نعيم..

إنها العودة إلى الله و إرجاع الأمر إليه فهو الذي زاد في ثروة فلان و هو الذي قتر على فلان و هو الذي رفع ملوكا و هو الذي أهلك آخرين و هو الذي أغنى.. و هو الذي أفقر.. فإذا اطمأن الإنسان إلى هذه القضية ارتاحت نفسه و استقرت أحواله و تحولت النعمة التي أنعمها الله على الغير إلى مادة شكر عند الناظر يلتفت ليسبح الله و يمجده و يقول يا رب إنك أنت الذي تعطي و أنت الذي تمنع.. إنك وحدك القابض و وحدك الباسط.. (فإن المرء المسلم ما لم يغيث دناءة تظهر فيخشع لها إذا ذكرت و يغري بها لئام الناس كان كالفالج الياسر الذي ينتظر أول فوزه من قداحه توجب له المغنم و يرفع بها عنه المغنم) فإن الإنسان المسلم إذا لم يأت بأمر فيه مضرة و حقارة و فيه معصية و رذيلة بحيث لو ظهرت لأعين الناس و انكشفت لهم استحى منها و خجل و لم يكن فيها إغراء للسفلة و ضعاف النفوس لو لم يكن المسلم كذلك لكان كاللاعب بالقمار المنتصر الذي ينتظر أول فلاحه و ربحه ليكتسب و يربح و يرفع عن نفسه الخسارة..

(و كذلك المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر من الله إحدى الحسنين، إما داعي الله فما عند الله خير له، و أما رزق الله فإذا هو ذو أهل و مال و معه دينه و حسبه) حال من

وصفنا سابقا هو حال المرء المسلم الذي لا يخون ما أوتمن عليه من تكاليف و وصايا و يعمل بكل أوامر الله و تكاليفه فإنه ينتظر إحدى الحسنين.. واحدة من اثنتين، إما أن يقبضه الله إليه و يستدعيه إلى جواره و هذه نعمة كبرى لأن ما عند الله خير من كل ما حوته الدنيا و ما فيها و إما أن يرزقه أولادا و ثروة و غنى و مع ذلك كله و بالإضافة إليه يبقى محافظا على دينه و مروته و ما تمتع به من خصال شريفة و رثها عن أهله و أمجاد تسلمها منهم و بذلك ينال الدين و الدنيا و هذه حال المرء المسلم يبقى بين واحدة من اثنتين إما جوار الله و الله لن يجور على من جاوره و في ذلك سعادة الآخرة و إما أن يعطيه الدنيا مع الحفاظ على الدين و الكرامة و تلك سعادة الدنيا و الآخرة..

(وإن المال و البنين حرث الدنيا و العمل الصالح حرث الآخرة و قد يجمعهما الله تعالى لأقوام) ترغيب في العمل الباقي الدائم الذي يكسب به الإنسان الجنان و تحقيق و تصغير من شأن العمل الذي يكون أثره في الدنيا فحسب.. فالمال و البنون زينة الحياة الدنيا و ما كان للدنيا يبقى أثره فيها.. فأنت تتمتع بما عندك من مال و تنال ما تشتهي به...

تسيح في الدنيا تنتقل كعصفور من غصن إلى غصن و تطال ما تقع عينك عليه..

و أما الأولاد فإنك تسر لرؤياهم تشعر بلذة عند ما يحيطون بك و قد تأخذك العزة و علو النفس فتشمخ و لكن كل هذا سيقى هنا في الدنيا و يفنى كما قال الإمام في بعض كلمات، «و أحب من شئت فإنك مفارقه» ستترك خلفك كل ما جنيت و ستترك وراءك كل أحبابك و أولادك...

و أما العمل الصالح من صلاة و صيام و حج و إعانة فقير و إعالة أرملة و سد عوز محتاج و دفع ظالم و إقامة الحق و إزهاق الباطل و توفير الحكم الإسلامي الذي يسط ظله على الأرض فترتفع المنكرات و تتحرك الواجبات هذه و أمثالها لن تموت بموت الإنسان و لن يأتي عليها الفناء عند ما يأتي الموت لهذا الإنسان بل ستتبعه و تسير معه و تكون وسيلته إلى الخلود في الجنة و من كان عمله العمل الصالح تمت له السعادة و فاز...

و من رحمة الله و عنايته فإن الأمرين قد يجمعهما الله لبعض عباده زينة الحياة الدنيا و العمل الصالح كما وقع لنبي الله سليمان أو ليوسف أو لغيرهما من المؤمنين الصالحين و ذلك بفضل الله و تقديره فلا يجب أن يتأثر الإنسان بشيء بل يكمل الأمر لله فهو الذي إذا أراد أن يجمعهما لك جمعهما...

(فاحذروا من الله ما حذرکم من نفسه و اخشوه خشية ليست بتعذير) فالله حذرنا



المعصية و خوفنا منها فيجب أن نبتعد عنها و لا- نقترف شيئا منها و أمرنا أن نخشاه حق خشيته و يتحقق ذلك بترك المحرمات و فعل الواجبات و القيام بكل أمر مطلوب منا و لا أن نخشاه صورة ثم نرتكب الحرام و نأتي لنعذر بأعذار واهية يعرف الله كذبنا فيها فهذه لها صورة الخشية دون حقيقتها.

(و اعملوا في غير رياء و لا- سمعة، فإنه من يعمل لغير الله يكله الله لمن عمل له، نسأل الله منازل الشهداء و معاشة السعداء و مرافقة الأنبياء).

## العمل الخالص لله:

ثم أمرنا أن يكون العمل خالصا لوجه الله دون رياء أو سمعة و العمل لوجه الله أشق و أصعب من نفس العمل فإن تخلص العمل من الرياء و السمعة من أشق الأمور و قد لا تكون هذه الأمور ظاهرة لدى الإنسان يستطيع إدراكها بسهولة.. قد تكون دوافع العمل بعض الانحرافات المختزنة في اللاشعور و هي التي تحرك العامل نحو هذا العمل..

فإعالة الأرملة و اليتيم لوجه الله بدون أن ينشر الخبر بين الناس.. و بدون زهو و كبر أمر صعب و أن يحجج الإنسان - و هو أمر عبادي يتمحض في التوجه إلى الله - و يجعل حجه خالصا لوجه الله و امتثالا لأمره دون رياء أو سمعة فهذا يحتاج إلى جهاد نفسي كبير...

الرياء أن تعمل العمل لله و لغيره تصلي لله و ليرك الناس تحسن صلاتك من أجل أن يمدحك الناس و يثنون عليك و على صلاتك و العامل كذلك هو مشرك في لسان كثير من الروايات إنه شرك عمل...

1 - قال الصادق عليه السلام: كل رياء شرك، إنه من عمل للناس كان ثوابه على الناس و من عمل لله كان ثوابه على الله..

2 - و في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال(1): ما على أحدكم لو كان على قلة جبل حتى ينتهي إليه أجله، أ تريدون تراءون الناس ؟ إن من عمل للناس كان ثوابه على الناس و من عمل لله كان ثوابه على الله إن كل رياء شرك..

و أما السمعة التي يستشرف إليها الكثيرون و يتطلعون بشوق و لهفة أن يسمعهم الناس و يسمعوا مناقبهم و أفعالهم و ما يقومون به.. فلا يتبرع الغني بدرهم إلا إذا أذيع الخبر في وسائل الإعلام و وصل النبا إلى كل حي.. و لا يكفل يتيما إلا إذا عرف الناس

ص: 197

1- باب 12 من أبواب مقدمة العبادات حديث 602.

بذلك.. إنها السمعة بحب الشهرة بما يعمله لله و هذا أيضا يعبر عنه بلسان الروايات أنه مشرك.

1 - عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في قول الله عز و جل: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» قال الرجل يعمل شيئا من الثواب لا يطلب به وجه الله إنما يطلب به تزكية النفس يشتهي أن يسمع به الناس فهذا الذي أشرك بعبادة ربه و من كان يشرك في عبادة ربه أحدا غير الله أو كان يعمل للسمعة فلا أجر له و لا ثواب.. تذهب أعماله هباءا منثورا.. فلا أجر و لا ثواب و هل هناك أخسر صفقة من إنسان يصلي ثم لا يؤجر على صلاته أو لا تنفعه الصلاة...

1 - في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يقول (1) الله عز و جل: أنا خير شريك فمن عمل لي و لغيري فهو لمن عمله لغيري..

2 - و في حديث آخر: أنا أغنى الأغنياء عن الشريك فمن أشرك معي غيري في عمل لم أقبه إلا ما كان لي خالصا.

ثم سأل الله منازل الشهداء «و الشهداء أمراء أهل الجنة». و معايشة السعداء و هل هناك أعظم من أن يسعد الإنسان و يعيش مع السعداء.

و افقة الأنبياء و نعم الرفقاء.. يشفعون له.. و يأخذونه معهم إلى النعيم الدائم المقيم.

(أيها الناس إنه لا يستغني الرجل و إن كان ذا مال - عن عشيرته و دفاعهم عنه بأيديهم و ألسنتهم و هم أعظم الناس حيلة من ورائه و المهم لشعته و أعطفهم عليه عند نازلة إذا نزلت به) دعوة إلى الأغنياء الذين يشدهم المال فينقطعون عن أقاربهم و يتكبرون عليهم و يترفعون عنهم.. إنها حقيقة يعيشها الإمام في بعض أشخاصها أيام حياته و نعيشها نحن في أيامنا.. نرى بعض الأغنياء يستغنون عن أهلهم و أقاربهم و يعتدون بأموالهم فحسب.. تسقط القرابة أمام شهوة المال و بريقه و يتصور الغني استغناءه عن أهله و اكتفاءه بماله.. و الإمام يردّ هذا الغني إلى حقيقة واضحة و هي أن المال يحتاج إلى رجال تحفظه و حفظه بعشيرة الرجل الغني.. هؤلاء الأقارب هم الذين يدفعون الأشرار عن أموال الغني و يدفعون عنه شخصيا اللصوص و المعتدين بأيديهم إن اقتضى الأمر و بألسنتهم إن كان مورده، إنهم يحفظونه و يرعونه و يجمعون شتاته معهم و بهم و قدت.

ص: 198

1- باب 12 من أبواب مقدمات العبادات.

يتمتع بعض الأشرار من الاعتداء عليه لانتسابه إلى هذه العشيرة القوية خوفا من سطوتها و ردة الفعل عندها إن هو اعتدى على هذا الرجل منها.. وليس للرجل إلا أهله هم الذين يقومون به عند الشدائد و المصائب و المحن.

(و لسان الصدق يجعله الله للمراء في الناس خير له من المال يرثه غيره) ترغيب في الإنفاق و بذل المال و أن يسخر المرء بما عنده فإن ذلك سينتشر بين الناس و تتداوله الألسن و تذكره بكل مدح و تثني عليه بكل صفة حسنة سيداع ذلك و ينتشر صيته و تتحدث الناس عنه و عن فضائله...

و ذلك خير من المال الذي يجمعه و يبخل به ليورثه أبناءه فإن الصيت الحسن الذي تتناقله الألسن و تتداوله الأجيال حياة للإنسان جديدة و عمر جديد و حاتم الطائي نموذج و عينة من هذا لا يزال ذكره يعيش بين الناس و تتناقل أخباره الكرام و كل من يتحدث بالكرم و العطاء..

(و منها: ألا لا يعدلن أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة أن يسدها بالذي لا يزيده إن أمسكه و لا ينقصه إن أهلكه و من يقبض يده عن عشيرته فإنما تقبض منه عنهم يد واحدة و تقبض منهم عنه أيد كثيرة و من تلت حاشيته يستدم من قومه المودة) نهى عليه السلام أن يبعد الإنسان عن قرابته من أصحاب الحاجة و لا يرفدهم بما يدفع حاجتهم و يسد خللتهم.. فإن هذا المال عارية بيده لا ينفعه جمعه و عدم إنفاقه لأنه فوق حاجته و ما كان فوق الحاجة لا ينفع الإنسان بشيء و لا ينقصه أن أنفق لأنه غني عنه غير محتاج إليه.. فهو مستغني عنه لا ينفعه جمعه لأنه فوق الحاجة و لا يضره إنفاقه لأنه زائد.. ثم بين ترغيبا لأهل المال بالإنفاق و لكي يساعد الرجل أهله و عشيرته على الخيرات بأنه هذا الرجل الغني إذا امتنع عن العطاء و البذل فإنما يمنع يده و هي واحدة بينما عشيرته أيد كثيرة فإذا امتنعوا عن مد أيديهم إليه امتنعت عنه أيد كثيرة...

ثم بين جانبا مهما و أن لا يكون المال سببا في خشونة الرجل و علوه و تكبره و فظاظته و إن من كان حسن العشرة لئن الجانب يكسب حب قومه له و عطفهم عليه و في ذلك ثمرات كبيرة و نتائج عظيمة..

إشارة

و هي كلمة جامعة له، فيها تسويغ قتال المخالف، و الدعوة إلى طاعة الله، و الترتيبي فيها لضمان الفوز و لعمرى ما عليّ من قتال من خالف الحقّ، و خابط (1) الغيّي (2)، من إدهان (3) و لا إيهان (4). فاتّقوا الله عباد الله، و فرّوا (5) إلى الله من الله، و امضوا في الذي نهجه (6) لكم، و قوموا بما عصبه (7) بكم، فعليّ ضامن (8) لفلجكم (9) آجلا (10)، إن لم تمنحوه (11) عاجلا (12).

اللغة

1 - خابط: من الخبط و هو المشي على غير استقامة.

2 - الغيّي: الجهل.

3 - الإدهان: المصانعة، و المداهنة، المنافقة.

4 - الإيهان: مصدر أوهنته أي أضعفته و الوهن الضعف.

5 - فرّوا: أهربوا.

6 - نهجه: أوضحه و بينه.

7 - عصبه: ربطه و أناطه به كالعصابة التي يشد بها الرأس.

8 - ضامن: كفيل.

9 - الفلج: الفوز، و الظفر.

10 - آجلا: الآجل ضد العاجل، المتأخر.

11 - منحّه: أعطاه.

12 - عاجلا: متقدما، مسرعا و عجل في الأمر أسرع فيه.

(ولعمري ما عليّ من قتال من خالف الحق وخابط الغي من إدهان ولا إيهان).

### علي و قتال المخالفين:

كثيرون هم الذين يريدون أن يحرفوا الإمام عن طبيعته ويجروه إلى حيث لا قناعة له، يريدون منه أن يعطي المتمردين على الحق و يمنحهم و يمنحهم و يغدق عليهم..

يوليهم المناصب و يعطيهم المال و يقربهم على حساب الدين و الأمة.. كانوا يجرونه إلى مخالفة الله و هو يأبى إلا أن يكون مع الله... ينظرون إلى المنافع العاجلة و هو ينظر إلى الآخرة.. إنه حسم الأمور حسما قاطعا و أخذ على نفسه عهدا أن يجدع أنف الشر و أن يقاتل بمن معه من عصاه من أجل الله و في سبيل الله..

و هو يقسم أنه ليس في قتال الضالين المنحرفين المخالفين للحق من مدهانة و لا- ضعف فهو لن يوافق و يداري في قتالهم كما أنه لن يضعف و ينهار من حربهم و من كانت له القوة المعنوية المستندة إلى الحكم الشرعي و القوة المادية التي هي عدم الضعف و الانهيار كان قتاله لأهل الباطل مشروعا بل واجبا يفرضه الدين لردع المنحرفين و ردهم إلى الله..

(فاتقوا الله عباد الله) اتقوا معاصي الله فلا تخالفوا أوامره و قد يتصور الكثيرون أن التقوى تقتصر على إقامة الصلاة و الصيام و أداء الحج و إعطاء الحق الشرعي و غض النظر و كف اليد عن أخذ المال الحرام و لكن الحقيقة أن تقوى الله تمتد لتشمل مواقف الرجل من الأمور.. التقوى أن تساند الحق و تقف معه و تحارب الباطل و تخذله.. التقوى السياسية التي تحتم عليك أن تكون في صف المؤمنين و معهم و في عداة مع الكافرين و المنافقين.. التقوى أن تؤيد الحق و أهله بيدك و لسانك و تنفر من الباطل و أهله و تستنكره و تحاربه.. و قد جهل الإسلام رجال مروا في التاريخ يمكن أن يوصفوا بالأمة أنهم أتقياء و لكن تقواهم تبخرت و كانت تقوى فساد لأنهم لم يأخذوا أنفسهم بمواقف أهل الحق و يساندوهم و يدعموهم في مسيرتهم..

(وفروا إلى الله من الله) بأن يهرب الإنسان من معاصي الله إلى طاعته و من عذابه إلى رحمته و هذا يتحقق بترك المعصية و فعل الطاعة فإذا هو قد أصبح في كنف الله بعيدا عن عذابه و عقابه.. و ما أجمل هذا التعبير «فروا إلى الله من الله» تعبير يشي بكثير من المعاني

الرفيعة وإنه هو الملجأ وإليه المصير و هو مستقر الفرار..

(و امضوا في الذي نهجه لكم) سايروا و تابعوا الطريق الذي رسمه لكم و وضعه بين أيديكم.. إنه الإسلام الأصيل الذي يرفض الذل و الهوان و يرفض الخنوع و الاستسلام و يرفض الانحراف و الضلال.. طريق واضح وضعه النبي و أمرنا بالسير عليه..

(و قوموا بما عصبه بكم) أي بما أناطه بكم و كلفكم به فقد كلفنا بحمل المسؤولية و أداء الأمانة.. كلفنا بحمل الإسلام و الدعوة له و الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله.

كلفنا بجميع الواجبات و نهانا عن جميع المحرمات..

(فعلي ضامن لفلجكم آجلا إن لم تمنحوه عاجلا) تكفل الإمام لمن يسمع حديثه هذا و يعمل به أن يفوز بالآخرة و ما فيها إن لم يفز بالدنيا و ما فيها.. و قد يجمع الله له فوز الدنيا و الآخرة و أخرى بالإمام ضامنا و كفى به شاهدا و ناصرا...

ص: 202

## إشارة

وقد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاوية على البلاد، وقدم عليه عاملاه على اليمن. وهما عبيد الله بن عباس و سعيد بن نمران لما غلب عليهما بسر بن أبي أرطاة، فقام عليه السلام على المنبر ضجرا بشاغل أصحابه عن الجهاد، و مخالفتهم له في الرأي، فقال:

ما هي إلا الكوفة، أقبضها (1) و أبسطها (2)، إن لم تكوني إلا أنت، تهبّ (3) أعاصيرك (4) فقبحك الله!

و تمثل بقول الشاعر:

لعمر أبيك الخير يا عمرو إنني \*\*\* على و ضر (5) - من ذا الإناء - قليل

ثم قال عليه السلام:

أنبت بسرا قد أطلع اليمن (6)، و إني و الله لأظنّ أنّ هؤلاء القوم سيدالون منكم (7) باجتماعهم على باطلهم، و تفرّقكم (8) عن حقّكم، و بمعصيتكم إمامكم في الحقّ، و طاعتهم إمامهم في الباطل، و بأدائهم الأمانة إلى صاحبهم و خيانتكم، و بصلاحتهم في بلادهم و فسادكم، فلو اتتمنت أحدكم على قعب (9) لخشيت (10) أن يذهب بعلاقته (11). اللهمّ إني قد مللتهم (12) و مذّوني، و سئمتهم (13) و سئموني، فأبدلني بهم خيرا منهم، و أبدلهم بي شرّا منّي، اللهمّ مث (14) قلوبهم كما يماث الملح في الماء، أما

و الله لوددت (15) أن لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم.

هنالك، لو دعوت، أتاك منهم \*\*\* فوارس (16) مثل أرمية الحميم

ثم نزل عليه السلام من المنبر قال السيد الشريف: أقول: الأرمية جمع رمي وهو السحاب، و الحميم هاهنا: وقت الصيف، وإنما خص الشاعر سحاب الصيف بالذكر لأنه أشد جفولا، وأسرع خفولا، لأنه لا ماء فيه، وإنما يكون السحاب ثقيل السير لا متلائه بالماء، وذلك لا يكون في الأكثر إلا زمان الشتاء، وإنما أراد الشاعر وصفهم بالسرعة إذا دعوا، والإغاثة إذا استغيثوا، والدليل على ذلك قوله:

«هنا لك لو دعوت، أتاك منهم...»

## اللغة

1 - أقبضها: قبض على الشيء بيده أمسكه وقبض الشيء خلاف بسطه ووسعه.

2 - أبسطها: بسط اليد مدها و بسط الثوب نشره.

3 - تهب: تهبج.

4 - الأعاصير: جمع أعصار وهي ريح تهب فتلتف على نفسها.

5 - الوضر: الدر، بقية الدسم في الإناء ويستعار لكل بقية من شيء يقل الانتفاع بها.

6 - أطلع اليمن: ظهر عليها وغشيها.

7 - سيدالون منكم: تكون الدولة لهم بدلكم.

8 - التفرق: التشتت وعدم الاجتماع.

9 - القعب: القدح الضخم.

10 - خشيت: خفت.

11 - العلاقة: جمعها علائق ما تعلق به القدر ونحوها.

12 - ملّ الشيء: سئمه و ضجر منه.

13 - سئم: ملّ.

14 - مث: أذب من ماث الملح أذابه.



15 - وددت: أحيبت و تمنيت.

16 - فوارس: مفردها فارس راكب الفرس أو صاحبها.

ص: 204

بسر بن الأرتاة الإرهابي الفاتك:

بسر بن أرتاة هو عامل معاوية وخبير الفتك لديه فقد وجهه إلى اليمن وقد كتب أهلها إليه رسالة يدعونه إليهم و يطلبون بثأر الخليفة عثمان معه فسار بسر بجنده فأخذ طريق الحجاز و المدينة و مكة و قال له معاوية في وصيته له: لا تنزل على بلد أهله على طاعة علي إلا بسطت عليهم لسانك حتى يروا أنهم لا نجاة لهم و إنك محيط بهم ثم أكف عنهم و ادعهم إلى البيعة لي فمن أبي فاقته و أقتل شيعة علي حيث كانوا..

توجه بسر إلى اليمن و لما قرب من المدينة كان عامل علي عليها أبو أيوب الأنصاري فخرج منها هاربا فدخل بسر و شتم أهلها و تهددهم و شتم الأنصار و تهددهم حتى خاف الناس أن يوقع بهم ثم دعاهم إلى بيعة معاوية فبايعوه و أحرق دورا كثيرة فيها ثم ولي أبا هريرة عليها و أمرهم بطاعته و بعدها خرج إلى مكة و كان في الطريق يقتل من يمر به و يأخذ الأموال و لما بلغهم قدومه خافوا و هربوا فأخذ ولدين لعبيد الله بن العباس و ذبحهما بيديه و عند ما اقترب منها هرب قثم بن العباس عامل الإمام عليها فدخلها بسر فشتم أهلها و أنبهم و خرج بعد أن استعمل عليهم شيبه بن عثمان...

و أكمل بسر مسيره حتى أتى نجران و خرج منها حتى بلغ صنعاء و كان عليها من قبل الإمام عبيد الله بن العباس و اليا و سعيد بن نمران قائدا للجنود فخافا الهزيمة فاستخلف عبيد الله مكانه عمر بن أراكة الثقفي فلما أراد بسر دخولها وقف له عمر و دارت معركة سقط فيها عمر شهيدا و دخل بسر صنعاء.

و وصل النبأ إلى الإمام فهزه ما أحدث بسر و ما جنى فندب أصحابه لتجهيز سرية تتعقب بسرا فتثاقلوا فقام إلى المنبر ضجرا مما يرى من أصحابه و مخالفتهم له في الرأي فخطب هذه الخطبة الشريفة..

(ما هي إلا الكوفة أقبضها و أسطها إن لم تكوني إلا أنت تهب أعاصيرك فقبحك الله).

(و تمثل بقول الشاعر:

لعمر أبيك الخير يا عمرو إنني \*\*\* على وضر من ذا الإناء قليل)

موقف قاس و شديد.. مرّ بل أمر من العلقم.. الأسى في القلب و اللوعة في

النفس.. ما أصعبه من موقف ذاك الذي يقفه الإنسان و يرى أمام عينيه حقه يسلب و عدوه يتنمر و مع ذلك يرى الناس تقف منه موقف المتردد و الشاك بل الخاذل و المعاند..

و أمير المؤمنين عاش في الكوفة يرى عصيان أهلها له و ترددهم و شكهم و تسويقهم و تأخرهم.. يحركهم فلا يتحركون.. يدفعهم بلسانه و بيانه فلا يسمعون.. يصيح بهم و يصرخ في وجوههم و لكن دون جدوى...

و هذه الصيحة منه واحدة من جملة الصيحات فيها تأنيب و تحقير و استصغار...

ما هي إلا الكوفة ليس لي غيرها و لا- أملك سواها إنها تحت يدي أحركها كيف أشاء، إنها طوع يميني.. إنها لحقارتها كالدرهم في يد صاحبه و ما يفيده و إن كان تحت يده إن لا يقدر على سدّ خلته و قضاء حاجته و هكذا هي الكوفة لحقارتها يقول «ما هي إلا الكوفة و يعقبها بقوله: إن لم تكوني إلا- أنت تهب أعاصيرك فقبحك الله» أي إن لم يكن لي من الملك و السلطان إلا الكوفة التي تحوي النفاق و العصيان و التمرد و الخلاف فلا كانت و أبعدها الله عني و زواها عن ملكي.

ثم استشهد بيت من الشعر استصغارا لها و تحقيرا و إن الكوفة بالنسبة إلى بقية البلدان كبقايا الدسم الذي يتخلف في الإناء فلا يستفاد منه بل تشمئز منه النفس و تتقزز و هكذا الكوفة..

(انبئت بسراقدا طلع اليمن و إني و الله لأظن أنّ هؤلاء القوم سيدالون منكم) أخذ في حثهم على الجهاد و دفعهم للاستنفار لعلهم يتحسسون فيتحركون و ينهضون فهو يخبرهم أن قد وصلت إليه الأنباء بأن بسر بن أرطاة قد استولى على اليمن و ملكها و أصبحت تحت يده و من هذا النبأ المفجع الدامي دخل في قراءة جديدة للأحداث و إن القضية لن تنتهي عند هذا الحد و تتوقف عند حدود اليمن بل إني أقسم بالله صادقاً لأظن و ظن الألمي يقين فكيف بظن الولي أن هؤلاء معاوية و عصابته سيتولون الأمر بدلکم و ستنتقل الدولة منكم إليهم...

ثم أخذ في تعليل هذا الظن بقوله:

(باجتماعهم على باطلهم و تفرقكم عن حقكم و بمعصيتكم إمامكم في الحق و طاعتهم إمامهم في الباطل و بأدائهم الأمانة إلى صاحبهم و خيانتكم و بصلاحهم في بلادهم و فسادكم فلو ائتمنت أحدكم على قعب لخشيت أن يذهب بعلاقتهم).

وهذه سنن تاريخية جعلها الله لكل قوم وأمة ذكر الإمام منها أربعة يجب أن يتمتع بها أهل العراق فخالقوها و يجب أن يتمتع عنها أهل الشام ففعلوها، من كان حقه أن يقوم بها أهملها و من كان حقه أن يهملها فعلها.

الأولى: اجتمع أهل الشام على باطلهم فقد اتفقت كلمتهم على محاربة الحق و التقوا كلهم على هدف واحد قد جمعوا شملهم و وحدوا كلمتهم و انتفى الخلاف من بينهم و هؤلاء كان الواجب عليهم أن لا يجتمعوا على باطل.

و في مقابل اجتماع هؤلاء على باطلهم، تفرق أهل العراق عن حقهم، فإنهم تحت أمره القيادة الشرعية و مع ذلك لم يجتمعوا و تتوحد كلمتهم...

الثانية: إن أهل العراق كانوا لا يسمعون كلام الإمام و لا يستجيبون له، كان يدفعهم لجهاد معاوية و حزبه فيبتاطون و يتأخرون بل يفرون و ينكصون، حتى قال قولته الشريفة لا رأى لمن لا يطاع و ود لو أن معاوية يصرفه صرف الدرهم بالدينار فيعطيه واحدا من أهل الشام و يأخذ عشرة منه..

هذا كله و الحق مع إمامهم و هو الخليفة الذي انعقدت له البيعة بإجماع المسلمين...

و أما أهل الشام فإنهم أطاعوا معاوية و لم يخالفوا أمره كان إذا وجههم إلى جهة استجابوا و إذا أمرهم بأمر امتثلوا.. رفع معاوية راية الثأر لعثمان فكلهم استجابوا له و حمل الإمام دم عثمان فكلهم صدقوا و امتثلوا.. إنهم نظروا إلى معاوية أنه ولي أمرهم و القائم بشئونهم و إنه حلقة الوصل بينهم و بين الإسلام و قد رباهم معاوية على طاعته و التزام أمره و عدم الرد عليه و مواجهته بما يكره و لذا لم نسمع بحادثة واحدة تمرد فيها أهل الشام على معاوية مع إن مدة حكمه تجاوزت الأربعين سنة بين الإمارة و الخلافة..

الثالثة: إن أهل الشام أدوا الأمانة إلى صاحبهم حيث أخذ معاوية عليهم البيعة أن يقاتلوا عدوه و يثأر لعثمان و قد وفوا له بما عاهدوه عليه و صدقوا فيما أعطوا و قد كانوا يتفانون في الدفاع عنه.. و أما أهل العراق فإنهم بايعوا الإمام ثم منهم من نقض البيعة و كاتب معاوية كالأشعث بن قيس و منهم من بايع و لم يخرج للقتال و منهم من تردد و توقف.

الرابعة: صلاحهم في بلادهم فقد كان أهل الشام في أحسن حال و أمورهم منتظمة

هادئة يسمعون كلام معاوية و يطيعونه و مع الأمن و الهدوء تتم الصناعات و يفلح التجار و تروج السلع.

و هكذا عكس أهل العراق فقد كان الاضطراب يسود البلاد و تعم الفوضى و ينتشر حبل الفرقة و الاختلاف.. و هذه الأمور الأربعة مع القيام بها يكون النجاح و الفوز و الظفر و مع الإخلال بها يكون الوهن و السقوط و الهزيمة و قد وضع الله للنجاح و الفشل أسبابا فمن أخذ بعوامل النجاح نجح و من اختار الأخرى سقط.

ثم إن الإمام اشتد في ذمهم بما ضربه لهم بأنهم لو ائتمنهم على كأس و هو أمر زهيد لا يطمع فيه ذو مروءة و كرامة و صاحب هممة و نفس عالية، لو ائتمنهم على ذلك لخانوه فيه و لم يسلموه له كما سلمهم إياه بل لا بد و أن يسلبوا منه شيئا و لو كانت عروته و المهيم عندهم أن لا يسلموا الأمانة كما تسلموها.. و هذا رمي لهم بالخيانة و انه لم يسلم من خيانتهم له..

(اللهم إني قد مللتهم و ملوني و سئمتهم و سئموني فابدلني بهم خيرا منهم و أبدلهم بي شرا مني، اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء، أما و الله لو ددت أن لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم.

هنالك لو دعوت أذاك منهم: فوارس مثل أرمية الحميم) كنت أقرأ هذه الكلمات فأتصور سيدي الإمام و هي تخرج من بين ثناياه و قد جرح قلبه الكريم و أدمت عينيه الشريفتين.. كنت أحس أن عليا في أشد المعاناة و الألم و في أقصى ظروف حياته..

كنت أتصور أن معارك الإسلام في بدر و أحد و خيبر و الأحزاب و المناوشة بالسيوف و التعرض للموت أيسر بكثير مما يعانيه الإمام الآن و ما يعيشه من الظروف الصعبة القاسية..

و الله إنني أقرأها فتجرح قلبي و يشدني الأسى و الألم و أتذكر عليا و هي تخرج منه محملة بأشد ما يكون الأسى و المعاناة..

إنني أعرف عليا يتحمل ما لا تتحمله الجبال الرواسي فكيف خرجت هذه الكلمات منه و كيف تحمل إخراجها؟.. و كيف استطاعت الأذان أن تلتقطها ثم لا تستجيب لندائه أو تموت...

اللهم إني قد مللتهم لخياتهم و تقاعسهم و عدم الاستجابة للحق... مللتهم لرفضهم الأوامر الشرعية و بعدهم عن امتثالها.. مللتهم لأنهم يريدون الدعة و السكون

و ينتظرون معاوية أن يغزوهم و يسيطر على بلادهم و يستعبد رقابهم.. مللتهم لرفضهم الحق و سكوتهم على الباطل...

«و ملوني» لأنني أريدهم لله و يريدوني لأنفسهم «ملوني» لأنني أريدهم للجهاد و القتال و هم يريدون الدعة و السكون.

«ملوني» لأنني أحملهم على مر الحق و هم يريدون الباطل و يطلبون الضلال.

«ملوني» لأنني أريدهم قادة و حكاما و هم يريدون البقاء سوقة و عامة...

نعم مللتهم و ملوني.. و سئمتهم و سئموني و لم يعد أحدنا يطيق الآخر أو يصبر عليه و يستمع منه و بعد ذلك تضرع إلى الله أن يبدله بهم خيرا منهم ممن يسمعوا كلامه و يستجيبوا له.. أن يكونوا صالحين خيرين طيبين يرتاح إليهم و يعمل معهم...

كما دعا عليهم أن يبعث بدله قائدا أشد منه بنظرهم لأنهم يعتبرونه مصدر قلق لهم و إزعاج و هو يريد عزهم فإذا جاء الشرير حقيقة ذاقوا وبال أمرهم و عرفوا قصده.

ثم من لوعته و حرقة قلبه.. من المعاناة و الألم الممض.. من عذاب الروح يتوجه إلى الله و يدعو عليهم أن يذيب قلوبهم و يحللها كما يذوب الملح بالماء بأن يرسل عليهم من يمارس عليهم القهر و الظلم حتى يشعر أحدهم أن نفسه تتقطع و روحه تخرج و يعاني مرارة هذا التمرد ثم تمنى أن يكون له بدلهم ألف فارس من بني فراس بن غنم يستجيبون له إذا ناداهم و يلبون دعوته مسرعين و بني فراس بن غنم من كنانة حي مشهور بالشجاعة و الحمية و سرعة إجابة الداعي..

### ترجمة بسر بن أرطأة:

قال صاحب الإصابة: بسر بن أرطأة أو ابن أبي أرطأة...

قال ابن حبان: من قال ابن أبي أرطأة فقد وهم و اسم أبي أرطأة عمير بن عويمر بن عمران بن الحليس بن سيار بن نزار بن معيص بن عامر بن لؤي القرشي العامري.

يكنى أبا عبد الرحمن مختلف في صحبته.

كان من شيعة معاوية و كان معاوية وجهه إلى اليمن و الحجاز في أول سنة أربعين و أمره أن ينظر من كان في طاعة علي فيوقع بهم ففعل ذلك و قد ولي البحر لمعاوية و وسوس في آخر أيامه.. و له أخبار شهيرة في الفتن.. قيل مات أيام معاوية و قيل أنه

بقي إلى خلافة عبد الملك بن مروان.. وقيل مات في خلافة الوليد سنة ست وثمانين.. انتهى...

وفي تاريخ ابن عساکر: كان بسر(1) من شيعة معاوية بن أبي سفيان وشهد معه صفين وكان معاوية وجهه إلى اليمن والحجاز في أول سنة أربعين وأمره أن يستقرأ من كان في طاعة على فيوقع بهم ففعل بمكة والمدينة واليمن أفعالا قبيحة وقد ولي البحر لمعاوية وقتل باليمن ابني عبيد الله بن العباس..

ودعا الإمام على بسر فقال: اللهم إن(2) بسرا باع دينه بالدنيا وانتهك محارمك وكانت طاعه مخلوق فاجر آثر عنده مما عندك، اللهم فلا تمته حتى تسلبه عقله ولا- توجب له رحمتك ولا ساعة من نهار، اللهم العن بسرا وعمرا ومعاوية وليحل عليهم غضبك ولتنزل بهم نعمتك وليصيبهم بأسك وزجرك الذي لا ترده عن القوم المجرمين فلم يلبث بسر بعد ذلك إلا يسيرا حتى وسوس وذهب عقله فكان يهذي بالسيف ويقول:

أعطوني سيفاً أقتل به لا يزال يردد ذلك حتى اتخذ له سيف من خشب وكانوا يدنون منه المرفقة فلا يزال يضربها حتى يغشى عليه فلبث كذلك إلى أن مات..6.

ص: 210

---

1- الغدير ج - 11 ص 21.

2- ابن أبي الحديد ج ص - 116 1.

إشارة

وفيها يصف العرب قبل البعثة ثم يصف حاله قبل البيعة له

العرب قبل البعثة

إنَّ الله بعث محمّدا صلّى الله عليه وآله وسلّم نذيرا (1) للعالمين، و أمينا (2) على التّنزيل (3)، و أنتم معشر العرب على شرّ دين، و في شرّ دار، منيخون (4) بين حجارة خشن (5)، و حيّات صمّ (6)، تشربون الكدر و تأكلون الجشب (8)، و تسفكون (9) دماءكم، و تقطعون أرحامكم (10). الأصنام فيكم منصوبة، و الآثام (11) بكم معصوبة (12).

و منها صفته قبل البيعة له

فنظرت فإذا ليس لي معين (13) إلاّ أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت، و أغضيت (15) على القذى (16)، و شربت على الشّجا (17)، و صبرت على أخذ الكظم (18)، و على أمرّ من طعم العلقم (19).

و منها: و لم يبايع حتّى شرط أن يؤتیه على البيعة ثمنا، فلا ظفرت (20) يد البائع، و خزيت (21) أمانة المبتاع (22)، فخذوا للحرب أهبتها، و أعدّوا لها عدّتها، فقد شبّ لهاها، و علا سناها، و استشعروا الصّبر، فإنّه أدعى إلى النّصر.



- 1 - النذير: فعيل بمعنى المنذر و هو المخوف، الرسول لأن إحدى مهماته ذلك.
- 2 - الأمين: جمعه أمناء، المأمون، الثقة، الذي لا يخون.
- 3 - التنزيل: القرآن، ما ينزل من علو شيئاً فشيئاً.
- 4 - منيخون: مقيمون من أناخ الناقة إذا أبركها.
- 5 - خشن: خلاف لان و نعم.
- 6 - حيات صم: الصم: أما الأرض الصلبة، أو من الصمم الذي هو عدم السمع.
- 7 - الكدر: تقيض الصفاء.
- 8 - الجشب: من الطعام الغليظ أو الذي بدون ادم.
- 9 - سفك الدم: صبه و سفك دمه إذا قتله.
- 10 - قطع الرحم: ضد وصله، عدم الإحسان إلى أقاربه بما يعد في العرف إحساناً.
- 11 - الآثام: الخطايا، فعل ما لا يحل.
- 12 - معصوبة: مشدودة.
- 13 - المعين: المساعد.
- 14 - ضننت: بخلت من الضن و هو البخل.
- 15 - أغضيت: على كذا أطبقت عليه جفني.
- 16 - القذى: ما يقع في العين و يوجب أذيتها.
- 17 - الشجا: ما يعترض في الحلق.
- 18 - الكظم: مجرى النفس.
- 19 - العلقم: شجر بالغ المرارة.
- 20 - ظفر: فاز، أدرك ما طلبه.

21 - خزيت: من الخزي وهو الذب والإهانة.

22 - المبتاع: المشتري.

23 - الأهبة: الاستعداد.

24 - شب لظاها: أوقدت نارها وأثيرت أو ارتفع لهبها.

25 - علا سناها: ارتفع ضوءها.

ص: 212

(إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم نذيرا للعالمين وأمينا على التنزيل).

هذه الخطبة تستعرض ثلاثة أمور:

الأول: أمر الناس قبل بعثة الرسول وما كانوا عليه من التخلف والانحلال..

الثاني: حاله وأهل بيته بعد وفاة رسول الله.

الثالث: حالة عدوه المتمثلة بمعاوية وعمرو بن العاص وكيف تمت الصفقة بينهما والاتفاق على قتاله...

أما الأول فقد استهله بذكر بعثة رسول الله و ذكر إحدى غايات البعثة وهي كونه صلوات الله عليه نذيرا للعالمين يخوفهم عذاب الله و يحذرهم عقابه و ذكر هذه الصفة لما في غريزة الإنسان من دفع الضرر و رفعه عن نفسه باعتبار أنه أولى من جلب المنفعة فكثيرون من الناس قد لا يريدون النفع ولكنهم لا يقبلون الخسارة و قد يرضون بعدم النصر و لكنهم لا يقبلون الهزيمة و هكذا و هذه الصفة لرسول الله قد ذكرها القرآن و وصفه بها قال تعالى: (1) «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَ لَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ» .

كما إنه عليه السلام وصف النبي بالأمانة على ما أنزله الله من وحي بحيث أدى إلى العباد ما حملة الله دون زيادة أو نقصان.

(وأنتم معشر العرب على شر دين) وصف العرب بما كانوا عليه من بؤس و تعاسة ابتداء بعقيدتهم الدينية حيث أسفوا فيها حتى عبدوا الأحجار و قدسوا الأباطيل و تقربوا بما يتنافى و الالتفات إلى الله.. هبطوا في عقيدتهم إلى عبادة الأصنام و الأوثان.. يصنعون من التمر إليها يعبدونه حتى إذا جاعوا أكلوه.. يستحسنون الحجر فيتوجهون إليه بالعبادة حتى إذا وجدوا أحسن منه نبذوه و اتخذوا غيره و هكذا... و هل هناك شر و أفسد من عقيدة يختلقها الإنسان لنفسه متى شاء و يستبدلها بغيرها متى شاء بل قد يمسحها و يبطلها متى يشاء؟!.. و لو أردنا أن نستعرض عقيدة العرب و ما كانوا عليه لرأينا العجب العجاب كيف انحدروا إلى هذا المستوى المنخفض.. ثم استعرض بعض أوصافهم القبيحة فذكر أنهم:

(وفي شر دار) قال الشراح أنه أراد بها نجد أو تهامة و الحجاز و بين شرها بذكر هذه الأوصاف.

ص: 213

(من يخون بين حجارة خشن و حيات صم) فمن سوء اختيارهم أنهم اختاروا الإقامة و الاستقرار في بلاد ذات أحجار خشنة و حيات صماء لا تسمع و هي شر الحيات و أقواها أذى و ضررا هذا إذا أردنا أن نحمل الكلام على ظاهره و قد يراد به المجاز و إن الأعداء من حولهم في خشونة كالحجارة و في أذية كالحيات الصم الشديدة الإيذاء..

(تشربون الكدر و تأكلون الجشب) يشربون الماء الملوث غير الصافي الذي تجمع في غدران و آبار قد سفت عليه الريح بأوساخها و أما أكلهم فقد كان جراد يلتقطونه و دواب يصطادونها من ضب و دب و ثعلب و أرنب و أين هذا من موائد غيرهم و طعامهم.. و عابهم بهذا باعتبار ما للغذاء من أثر في نفسية الإنسان و نموه و مزاجه..

(و تسفكون دماءكم) فقد كانت الغارات تشن منهم على بعضهم و كانت حروبهم على أتفه الأمور و أحقرها كحرب البسوس و حرب داحس و الغبراء و غيرهما من المعارك التي أثارها أتفه الأسباب و أقلها شأنًا..

(و تقطعون أرحامكم) فإن هذه الحروب كانت تقطع و شائج القربى و تفصل القريب عن قريبه فقرابة النساء معدومة لا توصل..

(الأصنام فيكم منصوبة و الآثام بكم معصوبة) فقد كانت كل قبيلة تتخذ صنما لها تعبده من دون الله و قد تعرض لها المؤرخون الذين كتبوا في حياة العرب و دياناتهم و عددوا الأصنام و اسماءها و اسم كل صنم و لمن كان...

و أما الآثام فقد كانت محيطية بهم دائرة حولهم لا ينفكون عنها و لا يتركون ممارستها فمن لا يعرف الله ينحرف عن عبادته و يأخذ في ممارسة الرذائل و المعاصي و يرتكب الفواحش...

ثم إن هذا الذي عدده من الرذائل و الأمور السلبية يقابلها النعمة العظمى ببعثة رسول الله و كيف أن الله قد أبدل سوء حالهم بأحسن حال فمن جهة العقيدة قد عادت إليهم عقولهم ورد إليهم رشدهم فاهتدوا إلى الله و عبدوه و بتدلت الأحوال الاجتماعية فصفى الود و وصلة الرحم و نبذت الأصنام و هجرت الآثام و حفظت الدماء و عاشوا خير عيشة و أرغد حياة..

(فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت) يشرح الإمام حالة بعد وفاة رسول الله و ما حلّ به و بأهله.. إنه نظر إلى ما وقع من أمر الخلافة حيث تمت لأبي بكر في غياب الإمام و بني هاشم فرأى أن القيام في وجه الحالة القائمة يكلفه

التضحية بأهل بيته دون أن يحقق المطلوب أو يدرك الغاية التي من أجلها يقوم فحفظهم ولم يغامر بهم ويعرضهم طعمة للموت دون ثمرة..

(وأغضيت على القذى وشربت على الشجي) أي تحملت ما لا يتحمل وصبرت على ما لا يصبر عليه.. أغمضت عيني على الألم الذي نالني من انحراف المجتمعين عني وتوليتهم لأبي بكر وشربت على الشجي ففي حين أن الشجي الذي علق شيء في حلقه يصعب أن يشرب والحال كذلك لكن أنا برغم أنهم سلبوا حقي صبرت واحتسبت..

(وصبرت على أخذ الكظم وعلى أمر من طعم العلقم) أخذوا عليّ جميع المسالك وضيّقوا جميع الجوانب ولم يتركوا لي منفذاً أستطيع أن أخرج منه للدفاع عن حقي فقد عقدوا البيعة وتمموا الصفقة وأغروا بعض الناس وأرعبوا آخرين وهددوا فئة ثالثة وهكذا لم يبق إلا الإمام وبنو هاشم وبعض خواصهم وذكر أنه صبر على أمر من طعم العلقم فإن العلقم لا يصبر عليه أحد وقد صبر الإمام على ما هو أمر منه...

وفي هذا الكلام الشريف احتجاج واضح على رفض البيعة وإنه عليه السلام لم يعط بيده طوعاً بل كان يطلب مناهضتهم وجهادهم لو كان يملك الأعوان والأنصار ويقدر على إعادة الحق وإزهاق الباطل ولكن قلة الناصر وقد المعين جعله يصبر ويحتسب وعند الله الحساب ولا يمكن الخروج عن هذا الظهور في الكلام إلا بقريظة أو تصريح يخالفه وهو مفقود.

(و لم يبايع حتى شرط أن يؤتية على البيعة ثمناً فلا ظفرت يد البايع وخزيت أمانة المبتاع).

### صفقة التجار بين معاوية وعمرو بن العاص:

يشير الإمام هنا إلى ما جرى بين معاوية وعمرو بن العاص وما اتفقا عليه من قسمة المغانم بينهما إن انتصر معاوية على علي واستطاع بسط سلطانه على بلاد الإسلام...

وإن هذه الصفقة بينهما قد تناقلتها الأخبار ورواها المؤرخون ووصلت انبأؤها إلى القاصي والداني وعرفها القريب والبعيد ولم تغب معالمها حتى عن ربات الحجال والأطفال.. وأضححت كل شركة ضلالة ولقاء كفر واجتماع باطل منها يؤخذ وعلى منوالها ينسج.. معاوية وعمرو شريكان على قتال الحق ورفيقان في درب الباطل ولا أتصور نفعياً في العالم وانتهازياً باع دينه وضميره بمستوى عمرو بن العاص.. باع عمرو

دينه و شرفه و كرامته و إنسانيته إن كان فيه شيء منها - بدنيا حقيرة قليلة عفة باطلة...

صورة من الضرورة أن نذكرها بإيجاز لتبقى شاهدا على مظلومية الحق الذي جسده الإمام و اجتمع ضده معاوية و عمرو في صفقة من الرذالة يبقى عارها عليهما مدى الدهر...

أشار عتبة بن أبي سفيان على أخيه معاوية أن يستعين بعمرو بن العاص فكتب له يستدعيه و يعلمه أن عليا أرسل إليه جريرا بن عبد الله البجلي لأخذ البيعة منه و قد حبس نفسه عليه فقدم عمرو على معاوية و عند دخوله عليه قال له يا أبا عبد الله: إني أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى الله و شق عصا المسلمين و قتل الخليفة و أظهر الفتنة و فرق الجماعة و قطع الرحم فقال عمرو: من هو؟.

قال: علي..

قال: و الله يا معاوية ما أنت و علي حملي بعير ليس لك هجرته و لا سابقته و لا صحبته و لا جهاده و لا فقهه و لا علمه و والله إن له مع ذلك لحظا في الحرب ليس لأحد غيره و لكني قد تعودت من الله تعالى إحسانا و بلاء جميلا فما تجعل لي أن شايعتك على حربته و أنت تعلم ما فيه من الغرر و الخطر.

قال: حكمتك.

قال: مصر طعمة، فتلكأ عليه معاوية ثم قال له معاوية: يا أبا عبد الله إني أكره لك أن تتحدث العرب عنك إنك إنما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا.

قال عمرو: دعني عنك.

قال معاوية: إني لو شئت أن أمثيك و أخذعك لفعلت.

قال عمرو: لا لعمر الله ما مثلي يخدع لأنا أكيس من ذلك.

قال معاوية: أدن مني أسارك فدنا منه عمرو و ليساره فعض معاوية أذنه و قال: هذه خدعة هل ترى في البيت أحد؟ ليس غيري و غيرك.

ثم قال معاوية لعمرو: يا أبا عبد الله أما تعلم إن مصر مثل العراق؟.

قال: بلى و لكنها إنما تكون لي إذا كانت لك و إنما تكون لك إذا غلبت عليا على العراق.

و سمع المحاوره عتبة بن أبي سفيان فقال لمعاوية:

أما ترضى أن تشتري عمرا بمصر إن هي صفت لك ليتك لا تغلب على الشام.

فقال معاوية لعتبة بت عندنا الليلة فلما بات عنده أنشد شعرا يحث معاوية على اشتراء عمرو بما قال.. وسمع معاوية قول عتبة فأرسل إلى عمرو فأعطاه مصر.

فقال عمرو: لي الله عليك بذلك شاهد.

قال: نعم، لك الله عليّ بذلك إن فتح الله علينا الكوفة.

فقال عمرو: والله على ما نقول وكيل.

فخرج عمرو من عنده فقال له إبناه: ما صنعت؟

قال: أعطانا مصر طعمة.

قالا: وما مصر في ملك العرب.

قال: لا أشيع الله بطونكما إن لم تشبعكما مصر.

وكتب له معاوية بمصر كتابه وكتب على ألا ينقض شرط طاعته فكتب عمرو..

على ألا تنقض طاعة شرطاً فكايد كل واحد منهما صاحبه.

وسمع مروان فغضب وقال ما بالي لا أشتري كما اشتري عمرو.

فقال معاوية: إنما يشتري الرجال لك.

و الإمام يشير في كلامه هذا الذي نحن بصدده إلى هذه الصفقة التي تمت على حساب الإسلام و المسلمين و الحق و الدين فإن عمرا لم يبيع معاوية و يشايعه و يتابعه حتى شرط عليه أن يؤتیه مصر ثمنا للبيعة و أجرا لمتابعته في حرب الحق.

ثم دعا عليهما معا بأن يخسر البايع و هو معاوية و قد خسر الدنيا فلا تسمع له ذكرا الآن إلا بكل سوء و خزي و أما في الآخرة فله عذاب أليم.

و دعا على عمرو أيضا بالخزي لما أوتمن عليه فخانه و هو عهد الله و ميثاقه و الالتزام بالإيمان و مقتضياته.. و أي خزي حاق بعمرو و قد أصبحت صفقته عنوانا لكل من باع دينه بدنيا زهيدة لا قيمة لها...

(فخذوا للحرب أهبتها و أعدوا لها عدتها فقد شب لظاها و علا سناها و استشعروا الصبر فإنه أدعى إلى النصر) بعد أن رأى أعلام الحرب قد رفعت و طبولها قد قرعت أمرهم أن يتأهبوا لها و يعدوا لها عدتها و ما تحتاجه من أمور معنوية أو مادية.. لقد ارتفعت حرارتها و اقتربت ساعتها بحيث انكشف للناظرين وقوعها فاتخذوا الصبر في قلوبكم و عيشوا حقيقته فإنه أجدر بالنصر و من صبر ظفر..





### إشارة

وقد قالها يستنهض بها الناس حين ورد خبر غزو الأنبار بجيش معاوية فلم ينهضوا. وفيها يذكر فضل الجهاد، ويستنهض الناس، ويذكر علمه بالحرب، ويلقي عليهم التبعة لعدم طاعته

### فضل الجهاد

أما بعد، فإنَّ الجهاد باب من أبواب الجِدَّة، فتحه الله لخاصَّة (1) أوليائه، وهو لباس التَّقوى، ودرع (2) الله الحصينة (3)، و جَنَّتَه (4) الوثيقة.

فمن تركه رغبة عنه (5) ألبسه الله ثوب الذَّلِّ (6)، و شمله (7) البلاء (8)، و ديَّث (9) بالصَّغار (10) و القماءة (11)، و ضرب على قلبه بالإسهاب (12)، و أدبيل (13) الحَقَّ منه بتضييع (14) الجهاد، و سيم (15) الخسف (16)، و منع النَّصف (17).

### استنهاض الناس

ألا و إني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا و نهارا، و سرًّا و إعلانا، و قلت لكم: أغزوهم (18) قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قطَّ في عقر دارهم (19) إلاَّ ذلُّوا. فتواكلتم (20) و تخاذلتم (21) حتَّى سنَّت (22) عليكم الغارات (23)، و ملكت عليكم الأوطان. و هذا أخو غامد و قد وردت خيله الأنبار (24)، و قد قتل حسان بن حسان البكريّ، و أزال خيلكم عن

مسالحتها (25)، ولقد بلغني أنّ الرّجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة (26)، فينتزع (27) حجلها (28) و قلبها (29) وقلاندها (30) ورعتها (31)، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع (32) والاسترحام (33). ثمّ انصرفوا وافرين (34) ما نال رجلا منهم كلم (35)، ولا- أريق لهم دم (36)؛ فلو أنّ امرأ مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما (38)، بل كان به عندي جديرا؛ فيا عجباً! عجباً - والله - يميت القلب ويجلب الهمّ (39) من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرّقكم عن حقّكم! فقبّحاً لكم و ترحاً (40)، حين صرتم غرضاً (41) يرمى: يغار عليكم (42) ولا- تغيرون، و تغزون ولا تغزون، ويعصى الله و ترضون! فإذا أمرتكم بالسّير إليهم في أيّام الحرّ قلتّم: هذه حمارة القيظ (43)، أمهلنا يسبخ عنّا الحرّ، وإذا أمرتكم بالسّير إليهم في الشّتاء قلتّم:

هذه صبارة القرّ (45)، أمهلنا (46) ينسلخ (47) عنّا البرد، كلّ هذا فرارا من الحرّ و القرّ، فإذا كنتم من الحرّ و القرّ تقرّون؛ فأنتم والله من السّيف أقرّ!

## البرم بالناس

يا أشباه الرّجال ولا رجال! حلوم (48) الأطفال، و عقول ربّات الحجال (49)، لوددت (50) أنّي لم أركم و لم أعرفكم معرفة - والله - جرّت (51) ندما، و أعقبت سدما (52). قاتلكم الله! لقد ملأتم قلبي قيحا (53)، و شحنتم (54) صدري غيظا (55)، و جرّعتموني (56) نغب (57) التّهمام (58) أنفاسا، و أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان (59) و الخذلان (60)؛ حتّى لقد قالت قريش: إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع، و لكن لا علم له بالحرب.

لله أبوهم! و هل أحد منهم أشدّ لها مراسا (61)، و أقدم فيها مقاما منّي!

لقد نهضت (62) فيها و ما بلغت العشرين، و هأنذا قد ذرّفت (63) على السّتين! ولكن لا رأي لمن لا يطاع!

## اللغة

1 - الخاصة: جمعها خواص ضد العامة، المقربون و الذين تخصهم بنفسك.

2 - الدرع: مؤنث سماعي.

3 - الحصينة: المنيعة.

4 - الجنة: بالضم كل ما اشترت به و وقى.

5 - رغب عنه: زهدا فيه، و أعرض عنه و رغب فيه أرادته و أحبه.

6 - الذل: الهوان.

7 - شمله: لفه و غطاه.

8 - البلاء: الغمّ .

9 - ديث: ذلّ.

10 - الصغار: الذل و الضيم.

11 - القماءة: الذل و الصغار.

12 - الإسهاب: ذهاب العقل، أو كثرة الكلام.

13 - أديل: من الإدالة و هي الغلبة.

14 - تضييع: من ضيّع الشيء إذا أهمله - أو أهلكه و فقده.

15 - سيم: من سامه خسفاً أي كلفه و أولاه.

16 - الخسف: الذل و المشقة.

17 - النصف: الانصاف و العدل.

18 - الغزو: قصد الآخرين بالحرب و سلب الأموال.

19 - عقر الدار: وسطها و أصلها.

20 - فتواكلتم: يكل كل واحد منكم الأمر إلى صاحبه.

21 - تخاذلتم: خذل بعضكم بعضا و الخذل هو ترك النصرة و الإعانة.

22 - شنت: من شن الماء إذا صبه متفرقا و شن عليهم الغارة إذا وجهها نحوهم من كل جهة.

23 - الغارات: مفردها غارة، النهب، الخيل المسرعة المغيرة، هجوم الخيل من كل جهة .

ص: 220

24 - الأنبار: بلد في العراق على الجانب الشرقي من الفرات.

25 - مسالحها: المسالح جمع مسلحة الثغر و الحدود.

26 - المعاهدة: الذمية.

27 - ينتزع: من نزع بمعنى اقتلع.

28 - الحجل: الخلخال.

29 - و قلبها: جمع قلب، السوار.

30 - قلاندها: مفردها قلادة ما جعل في العنق من الحلبي.

31 - رعنها: بضم الراء و العين جمع رعاث القرط.

32 - الاسترجاع: قول إنا لله و إنا إليه راجعون.

33 - و الاسترحام: طلب الرحمة أو مناشدته بالرحم.

34 - وافرين: الوافر التام.

35 - الكلم: الجرح.

36 - أريق الدم: صبّه و سفكه و قولهم أراق دمه كناية عن أنه قتله.

37 - الأسف: التحسر.

38 - الملوم: من اللوم و هو العذل، و هو المواجهة بكلام لإتيانه بما لا يناسبه..

39 - الهمم: جمع هموم، الحزن.

40 - الترح: ضد الفرح، الحزن.

41 - الغرض: الهدف.

42 - يغار عليكم: تغزون، تشن عليكم الغارة.

43 - حمارة الغيظ: شدة حره.

44 - يسبّخ عنا الحر: يخفف عنا الحر.

45 - صبارة القر: شدة البرد و القر بضم القاف البرد.

46 - أمهلنا: اصطبر علينا، انتظرنا.

47 - ينسلخ: يذهب، و ينكشف و سلخ الخروف إذا كشط جلده.

48 - الحلوم: مفرده حلم، ضد الطيش، العقل...

49 - ربات الحجال: النساء و الحجال جمع حجلة بيت يزين بالستور و الثياب و الأسرة.

50 - وددت: تمنيت، و أحببت.

51 - جرّت: من جر الشيء إذا جذبته.

52 - السدم: الحزن.

53 - القيح: الصديد الذي يكون في القرحة.

54 - شحتتم: ملأتم و الشحناء، العداوة.

ص: 221

55 - الغيظ: الغضب أو شدته.

56 - جرعثوموني: من جرع بمعنى ابتلع و جرّعه الماء أبلعه إياه جرعة بعد جرعة.

57 - النغب: الجرعة.

58 - التهمام: الهم.

59 - العصيان: ترك الطاعة و عدم الانقياد.

60 - الخذلان: عدم النصرة.

61 - المراس: الممارسة.

62 - نهضت: من نهض بالأمر إذا قام به.

63 - ذرّفت: زدت.

## الشرح

### إشارة

(أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه و هو لباس التقوى و درع الله الحصينة و جنته الوثيقة) هذه الخطبة الشريفة كانت بعد الانصراف من واقعة صفين و قد بعث معاوية بجنده و رجاله يغزون أطراف البلاد الخاضعة لسلطة الإمام و يرهبونهم و قد وجه من جملة من وجه سفیان بن عوف الغامدي و معه ستة آلاف مقاتل و أمره أن يلزم جانب الفرات و يمر على هيت و الأنبار و يتوغل إلى المدائن و أعلمه أن غارته هذه كغارته على الكوفة و قال له: يا سفیان إن هذه الغارات على أهل العراق ترعب قلوبهم و تفرح كل من له فينا هوى منهم، و أخرج كل ما مررت به من القرى و أحرب الأموال، فإن حرب الأموال شبيهة بالقتل و هو أوجع للقلب..

و خرج سفیان و نفذ ما أمره به أستاذه معاوية فأغار على هيت فلم يجد فيها أحداً لأن أهلها عرفوا بغارته عليهم فتركوها و هربوا..

ثم أكمل سيره إلى الأنبار و كان عليها من قبل الإمام أشرس بن حسان البكري و قد عرف بقدمهم فعبأ أصحابه و كانوا فيما يقرب الخمسمائة و عرف الأشرس و أصحابه أنهم لا طاقة لهم بهم و لكنه أراد الجهاد و المواجهة فقرر الأشرس و نصف أصحابه قتالهم فخرج إليهم و هو يقرأ: «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» ثم قال لأصحابه: من كان لا يريد لقاء الله و لا يطيب نفساً بالموت فليخرج عن القرية ما دمننا نقاتلهم فإن قتلنا إياهم شاغل لهم عن طلب هارب و من أراد ما عند الله فما عند الله خير للأبرار ثم نزل في ثلاثين رجلاً و قاتلوا حتى قتلوا و هرب الباقون...

وبعد هذا الحدث قدم علعج من أهل الأنبار على الإمام فأخبره الخبر فصعد المنبر وقال:

إن أخاكم البكري قد أصيب بالأنبار وهو معتز لا يخاف ما كان واختار ما عند الله على الدنيا فانتدبوا إليهم حتى تلاقوهم فإن أصبتم منهم طرفاً أنكلتموهم عن العراق أبداً ما بقوا. ثم سكت عنهم رجاء أن يجيئوه أو يتكلم منهم متكلم فلم ينيس أحد منهم بكلمة.

فلما رأى صمتهم نزل وخرج يمشي راجلاً. حتى أتى النخيلة والناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من أشرفهم فقالوا: إرجع يا أمير المؤمنين ونحن نكفيك فقال: ما تكفونني ولا تكفون أنفسكم فلم يزالوا به حتى رجع..

ثم وجه سعيد بن قيس في ثمانية آلاف وراء سفیان بن عوف الغامدي وبقي الإمام في حزن حتى عاد سعيد وكان الإمام في مرض فجلس بباب السدة التي تصل إلى المسجد ومع الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ودعا سعداً مولاه فدفع إليه كتاباً يقرأه على الناس، فكان هذه الخطبة.. وهذه الخطبة روعة في البيان.. سلسلة على اللسان.. عذبة الألفاظ، فيها لذة ونخوة واندفاع حتى إنها انتخبت في الأدب العربي لتدريس الطلاب لجمالها وقوة بيانها...

وذكر الإمام إن الجهاد باب من أبواب الجنة ترغيباً للناس وبيانا للحقيقة وإذا كان من أبواب الجنة فعلى الراغبين فيها أن يدخلوا منه وأن يلجوا إليها عن هذا الطريق...

الجهاد باب من أبواب الجنة ولكنه لم يفتح لكل الناس ولن يفتح إلا لفئة واحدة.. إنها فئة المجاهدين.. فئة المناضلين والمدافعين عن شرف الإسلام وعزته ورفعته وسمو منزلته... باب مغلق في وجه الناس ويفتحة المجاهد بدمه وجراحه..

بسيفه ورمحه وسنانه.. بالكلمة المحققة في وجه الباطل الذي يعربد وينتفخ.. الجهاد باب من أبواب الجنة فتحة الله لخاصة أوليائه.. لأناس اختصوا بالله وباعوا أنفسهم منه فكان الله لهم.. إنهم خواص الله وأحباؤه الذين نظروا إليه فعشقوا المسير نحو كرامته...

ثم وصف الجهاد بأنه لباس التقوى فمن كان تقياً كان مجاهداً. ومن كان مع الله كان مجاهداً.. وهنا يظهر زيف المقولة التي رسمها لنا الاستعمار وتقبلها بعض البسطاء من أبناء الأمة.. المقولة التي تقول إن القتال يتنافى مع التقوى ولا يجتمع معها..

فليسمع البسطاء كيف يرد الإمام على أصحاب هذه المقولة وكيف يعري أقوالهم عن



الصحة و ينسب الجهاد إلى التقوى و يجعله لباسا لها...

ثم يصفه بأنه درع الله الحصينة.. الجهاد هي الدرع الواقية من الخطيئة.. التي تحصن الإنسان من الوقوع في الحرام و تحصنه بعقيدته فيبقى مؤمنا تقيا عزيزا كريما...

الجهاد يحصن الأمة من الوقوع بين براثن الأعداء، و يجعل لأبنائها العزة و الكبرياء بجعل الإسلام عزيزا و أبناءه أعزاء أقوياء...

كما وصفه بأنه جنة الله الوثيقة فبه تحفظ النفوس و الكرامات و الأرض و الأموال..

به تحكم الأمور و توثق فلا تزال الأمة ترهب و تتقى و في حفظ و مهابة طالما بقي الجهاد قائما، و إن شواهد التاريخ حاضرة فعند ما كان الجهاد شعار هذه الأمة كان النصر حليفها و العز لا يفارقها و الفتوحات أمامها و لكنها عند ما تركت الجهاد أصيبت بالهوان و الذل و تسلطت عليها أضعف الأمم و أحقرها و هانت حتى ذلت و لم يعد لها في حساب الأمم حساب و لم يبق لها دور يذكر..

### جولة سريعة في الجهاد:

الجهاد في الإسلام «هو القتال من أجل إعلاء كلمة الله» بهذا التعريف يمكن أن نحدد مفهوم الجهاد و أبعاده و خلفياته و ما يراد منه.. و هو من أهم الواجبات التي حصّ الشارع عليها.. إنه القتال من أجل الله و من أجل عباد الله.. من أجل أن ترتفع كلمة الله عالية في الأرض، من أجل أن يتحرر الإنسان من ظلم أخيه الإنسان و اضطهاده..

### الجهاد في الكتاب:

شرّح الله الجهاد في كتابه و ذكره في آيات عديدة و حصص عليه المؤمنين و دفعهم نحوه...

قال تعالى: (1)

«كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَ هُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَ عَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَ عَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَ هُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»

و قال تعالى: (2) «وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَ لَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ» .

ص: 224

1- سورة البقرة، آية - 190-216.

2- سورة البقرة، آية - 190-216.

وقال تعالى(1): «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» .

وهذه عينات من آيات كثيرة...

### الجهاد في السنة:

لا نريد أن نذكر كل ما جاء في هذا و ما فصله رسول الله و الأئمة و لكن أيضا هذه عينات من تلك النفحات الكريمة...

1 - قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : فوق كل ذي بر بر حتى يقتل في سبيل الله فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر.

2 - قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : الخير كله في السيف و تحت السيف و في ظل السيف.

3 - قال الصادق عليه السلام: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : للجنة باب يقال له باب المجاهدين يمضون إليه فإذا هو مفتوح و هم متقلدون بسيوفهم و الجمع في الموقف و الملائكة ترحب بهم قال: فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلا و فقرا في معيشتة و محقا في دينه، إن الله أغنى (أعز) أمتي بسنابك خيلها و مراكز رماحها..

### غاية الجهاد:

الجهاد في الإسلام لا- يعني بوجه من الوجوه السيطرة على الناس و استعبادهم، بل هو من أجل دحر الطواغيت المتسلطين على رقاب الناس الذين يفرضون سلطانهم عليهم و يمارسون الظلم و القهر، و لذا عند ما يتحرر الإنسان و ينطق بكلمة الإسلام يصبح في عداد المسلمين له ما لهم و عليه و ما عليهم و لا يجوز التعدي عليه بأي شكل بل يحفظ دمه و ماله و عرضه...

و ليس القتال من أجل المال و الغنيمة فإن المسلم المجاهد أبعد ما يكون عن هذا المتاع الحقير.

و ليس القتال من أجل أمر من أمور الدنيا و رسول الله في جواب الأعرابي الذي سأله: الرجل يقاتل للغنيمة و الرجل يقاتل للذكر و الرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل

ص: 225

---

1- سورة التوبة، آية - 73.

اللّٰه؟ فيقول النبي مجيباً: من قاتل لتكون كلمة اللّٰه هي العليا فهو في سبيل اللّٰه...

إذن القتال من أجل اللّٰه و من أجل الإسلام هو الهدف الأعلى للمجاهد المسلم.

## الجهاد على أقسام:

### إشارة

- 1 - جهاد المشركين ابتداء لدعوتهم إلى الإسلام المعبر عنه «الجهاد الابتدائي».
- 2 - جهاد من يريد غزو المسلمين وقتالهم و سلب مالهم و الاستيلاء على أرضهم و هو المعبر عنه (بالدفاع).
- 3 - جهاد من يريد قتل نفس محترمة.
- 4 - جهاد البغاة على الإمام و هم الخارجون عن سلطان الإمام العادل.

## جهاد المشركين ابتداء:

يجب نشر الإسلام و إيصاله إلى كل الناس بحيث لا يبقى فرد إلا و الدعوة الإسلامية قد وصلت و بما أن الطواغيت يسيطون سلطانهم على الضعفاء فلا يمكن أن يتم إيصال الدعوة إليهم إلا بدحر الطواغيت و إزالة عروشهم الظالمة و من هنا يدفع الإسلام بالمسلمين إلى أن يحطموا الأسوار المضروبة على الإنسان المستضعف بإزالة الحكم الكافر الذي يقف سداً بين الدعوة و بينه و يتعين على المسلمين أن يشنوا الحرب لإزالة هذا الحكم الكافر و لكن قبل البدء يجب أن يتوجه الدعاء إلى إيضاح الإسلام و بيان و شرح أحكامه و خصوصياته فإذا رفضت الحكومة الظالمة أن تدعن لحكم اللّٰه و إرادته عندها تشن الحرب عليها..

و هذه الحرب هدفها الأول و الأخير أن تجعل الناس مسلمين يدينون للّٰه في كل أمر و نهى و يجب تنفيذها متى رأى الإمام المصلحة في شنّها عليهم بدون تحديد لعددها و كم مرة يجب أن تشن في السنة.

و يشترط لإقامة الجهاد الابتدائي أمور:

- 1 - أن يكون الإمام موجوداً أو نائبه الخاص و هو المنصوب للجهاد و بعض الفقهاء لا يشترط وجود الإمام بل يكتفي برأي الفقيه في غياب حضرته الشريفة.
- 2 - احتمال النصر في المعركة.
- 3 - أن يسبق المعركة تعريف الإسلام للأعداء حتى إذا رفضوه قامت الحجّة عليهم و جاز قتالهم.

و يجب هذا الجهاد على عامة المكلفين وجوبا كفاثيا فتوفر الأمة من يقوم بهذه الفريضة و إذا تواتت أو تأخرت عصت و أئمت.

### شروط المجاهد:

يجب أن تجتمع في المجاهد شروط عدة فإذا تمت فيه وجب عليه أن ينضم إلى جهاد الفتح - الجهاد الابتدائي - و هذه الشروط هي:

1 - البلوغ.

2 - العقل.

3 - الحرية فلا يجب على العبد.

4 - البصر فلا يجب على الأعمى.

5 - السلامة من المرض.

6 - عدم العرج البالغ حد الإقعاد.

7 - عدم الفقر فلو كان فقيرا لا يملك نفقته و نفقة عياله فلا يجب.

8 - الرجولة فلا جهاد على المرأة.

### الجهاد الدفاعي:

و هو فيما لو هدد الكفار بلاد المسلمين و خيف من أن يكون هجومهم موجبا لمحقة الدين و إذلال المسلمين ففي مثل ذلك تسقط جميع الشروط فيجب عندها على كل قادر أن يدفع عن بلاد المسلمين، الصغير و الكبير، الذكر و الأنثى البالغ و غير البالغ، الأعمى و البصير، العبد و الحر..

### الدفاع عن النفس:

إذا هددك أحد بالقتل و أراد أن ينفذ ذلك و جب عليك أن تدفعه عن نفسك و إن أدى إلى قتله..

### جهاد البغاة:

و هم الخارجون على حكم الإمام الذين يريدون أن يزرعوا الرعب في قلوب المسلمين و هؤلاء يجب قتالهم حتى يعودوا إلى طاعة الإمام و من هذا القبيل كان قتال الإمام علي لأهل الجمل و صفين...

(فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل و شمله البلاء) بعد أن وصف الجهاد بالصفات الإيجابية ذكر الصفات السلبية و التبعات التي تلحق من يتخلف عنه و يزهده فيه و في هذا الكلام ترغيب فيه و ترهيب عن التخلف عنه فمن ترك الجهاد ألبسه الله ثوب الذل بحيث يصبح الذل ملازما له شاملا لبدنه و قد أحاط به الغم و الهم و من كان بهذه الصفات كان موته خيرا من حياته...

(و ديّث بالصغار و القماءة) استولى عليه الأعداء و ذلّوه ذلة أصبح معها صغيرا حقيرا تمارس عليه ألوان الظلم و القهر و الاضطهاد.

(و ضرب على قلبه بالإسهاب) أصيب من جراء ترك الجهاد بعجز عن تدبير أموره و صعب عليه الخلاص عما يحيط به لأن نتيجة ترك الجهاد أن يستولي الأعداء عليه.

و من كانت نتيجته هذا أصيب بشلل فكري و عجز عن حلول ما يصيبه من مشاكل...

أو يراد أصيب بكثرة الكلام لما يصيبه من الخوف و الفزع من جراء الغارات عليه.

(و أدب الحق منه بتضييع الجهاد) من ضيّع الجهاد و لم يحم به اقتصر الحق منه بأن أصيب بالذل و الحقارة..

(و سيم الخسف و منع النصف) ناله الذل و الهوان و امتنع أحد عن نصره و إعطائه حقه أما ظالمه و عدوه فلن يعطيه حقه لأنه هو الظالم و المعتدي و لم نر ظالما أعطى مظلومه حقه و أما غيره فلان من كان مقصرا في حق نفسه و لم ينتصر لها فغيره أشد تقصيرا في الانتصار له و الاندفاع من أجله..

(ألا- و أنى قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا و نهارا و سرا و إعلانا) أخذ الإمام على نفسه قتال البغاة و كان يصيح في وجوه أتباعه و يصرخ باستمرار لقتالهم و كان يحضهم على الدوام أن ينهضوا فإن في مواجهتهم أجر و ثواب و عز و قوة و في هذا المقام لوم لهم و اعتذار له و إنه لم يقصر في دعوتهم إلى القتال فقد دعاهم في جميع الحالات و عيّن لهم الأعداء.

(و قلت لكم: اغزوه قبل أن يغزوكم فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم إلاّ ذلوا) هذه مقولة الإمام يقولها لأهل العراق و صيحتها التي صمّت الأذان و لكنها لم تؤثر بهم أو تهز عضوا من أعضائهم كان يقول لهم اغزوهم فإن الحق معكم و لكم.. حرروا الأوطان و المقدسات و ردّوا العصاة إلى حظيرة الطاعة و الإيمان.. ليكون غزوكم لهم قبل أن

تدفعهم الجرأة إلى غزوكم و النيل من أطرافكم و يعلل الإمام سبب أمرهم بالغزو و ابتدائهم به بأنه ما غزي قوم في أصل دارهم و مقرهم إلا ذلوا، فإن الأمر الطبيعي إن الذي يتقدم من العدو و يدخل عليه هو الذي يمتلك القوة المادية و المعنوية و يعتد بنفسه للإقدام و الغزو.. و مضافا إلى هذا أن المغز و يتضعض حاله و تتشتت أفكاره و يدخل عليه و على أهله و ابنائه و ذريته الوهن و الضعف و يأخذه الهم و الغم الذي تسقط به معنوياته و بالتالي ينهزم نفسيا و يكون هذا ابتداء الفشل و أول الهزيمة..

(فتواكلتم و تخاذلتم حتى شئت عليكم الغارات و ملكت عليكم الأوطان) إن صيحات الإمام كانت تقابل من أهل العراق بالانكالية، فكل واحد يدفع الأمر عن نفسه و يكله إلى غيره.. هذا يقول غيري يقوم بالجهاد، و ذاك يبادل الرأي و هكذا كان كل واحد يدفع الأمر عن نفسه و لا ينصر أحدهم الآخر و يندفعوا جميعا إلى القتال و قد بقوا في اتكالية و انهزامية و تسويق و تأخير حتى وجه معاوية جنده إلى غزوهم فكان يبعث بالسرايا لغزو البلاد الخاضعة لسلطة الإمام بل ملكت عليهم الأوطان فلم يستطيعوا الخروج من أماكنهم لأن معاوية أخذ في احتلال البلاد و غزوها و التسلط عليها و هم لا يدرون متى تمر الغارة و متى تجيء فيخافون مفاجأتها لهم..

(و هذا أخو غامد و قد وردت خيله الأنبار و قد قتل حسان بن حسان البكري و أزال خيلكم عن مسالحها) يذكر الإمام ما جاءه من الأخبار و هي نتيجة سكوتهم و عدم إقدامهم على حرب معاوية فإن سفيان بن عوف الغامدي الذي وجهه معاوية في ستة آلاف مقاتل للغزو و الإرهاب قد دخل الأنبار التي يتولى عليها من قبل الإمام حسان بن حسان البكري و كانت معركة استشهد فيها حسان مع ثلاثين من أتباعه ثم ذكر كيف أزال خيل أهل العراق عن حدودهم و دفعهم عنها و استولى عليها..

(و لقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة و الأخرى المعاهدة فينتزع حجلها و قلبها و قلاندها و رعثها) ثم أشار إلى ما وصله من الأنباء و ما نقله إليه الرءاؤون و كيف كان فعل سرايا معاوية التي كان يبعثها لغزو أطراف مملكة الإمام.. صورة بشعة يتنكر لها الإسلام و يبرأ من فاعلها و الأمر بها...

كان يدخل الرجل من جند معاوية على المرأة المسلمة و الأخرى الذمية لا يمنعه حياء و لا يحجزه دين، يدخل فينتزع خلخالها من رجلها الذي لا يظهر إلا لزوجها و سوارها الذي في يدها و قلاندها التي تعلقها في رقبتها و أقرط أذنيها.. فلا يرعون حرمة و لا يحفظون عفة..

(ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلا منهم كلم ولا أريق لهم دم) أراد توبيخهم والطعن فيهم بأنهم لو كانوا رجالا- لدفعوا ودافعوا عنها ولكنها لا تملك قوة فكانت تسترجع تقول كما يقول المصاب «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» و تطلب منهم الرحمة لضعفها وجبروتهم، لقد أخذوا ما وقع تحت أيديهم و غنموا ما لا قوة ثم عادوا إلى بلادهم محملين موفورين لم يصب أحد منهم بجرح ولم يسقط لهم قتيل.. صورة للفظاظة والقسوة التي مارسها جيش معاوية يقابلها صورة أخرى للمستضعف الذي لا ناصر له ولا معين..

(فلو أن امرا مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما بل كان به عندي جديرا..) أراد استنهاض همهم ودفعهم للثأر ورد الضربة بأن هذا الأمر الذي حدث لشدته وقوة وقعه لو مات المسلم حسرة وأسى من بعده لكان معذورا بل ترقى ليقول إن الموت بعده حقيق وأهل أن يموت الإنسان بعد هذا الحادث المؤلم الممضّ ..

(فيا عجباً! اعجبا والله يमित القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم و تفرقكم عن حقكم) فيا عجباً يثير عجباً إنه العجب والله الذي يमित القلب لا- يدعه حيا نابضا متحركا ويجلب الهم والغم والحزن والذي يعمل كل ذلك هو اجتماع معاوية وقومه وانتلافهم على باطلهم الذي هم فيه حيث أنهم بغاة خارجون على الحكم الشرعي، و تفرقكم و تشتتكم عن حقكم فلكم الحق ومعكم الحق ومع هذا في تشتت وفرقة وعدم وحدة كلمة أو موقف أو رأي...

(فقبحا لكم و ترحا حين صرتم غرضا يرمي) دعا عليهم بالسوء والحزن والهم والغم يصيبهم عند ما تحولوا إلى هدف يرميه معاوية و يقصده في غزوه وغاراته..

(يغار عليكم ولا تغيرون، و تغزون ولا تغزون و يعصى الله و ترضون) و هل هناك أقسى على القلب من أن يغير معاوية وجنده عليهم و هم لا- يردون غارة أو يقابلونها بغارة تنزل بالأعداء الإساءة، و يتوجه معاوية وجنده بغزوهم و أخذ أموالهم و هم لا يغزونهم و لا يردون غزوهم و كذلك يعصى الله عند ما يشن معاوية غاراته و لا يدفعونها بل يرضون بها بسكوتهم عنها و عدم ردها بالقوة القهر..

(فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم: هذه حمارة القيظ أمهلنا يسبخ عنا الحر و إذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم هذه صبارة القر أمهلنا ينسلخ عنا البرد كل هذا فرارا من الحر و القر فإذا كنتم من الحر و القر تقرون فأنتم والله من السيف أفر) هكذا كانت حالة الإمام مع أهل العراق صورة ينقلها الإمام بدقة و يحكي واقعهم بل يحكي

كلامهم.. بألفاظه.. صورة المعاناة و الألم من هذا الشعب...

المفارقة الواضحة بين قائد يريد أن ينتزع لهم النصر و يوفر لهم العزة و بين شعب يتعلل بالحر و شدته تارة و بالبرد و قساوته أخرى...

إذا قال لهم سيروا لقتال أعدائكم في أيام الصيف قالوا و بصوت واحد هذا أو ان الحر و شدته انتظرنا حتى يخف الحر و يعتدل المناخ و يبرد الجو و إذا أمرهم في أيام الشتاء تعلقوا بأن هذا أو ان شدة البرد أمهلنا و أخرنا حتى يذهب عنا البرد و هكذا بين الحر و البرد تركوا الجهاد و عطلوه و منعوا أنفسهم أجره و ثوابه و بالتالي إذا كانوا من الحر و القر يفرون و منهما يهربون فهم من ملاقاته حرّ السيف و وقعه أشد فرارا و أقوى هربا... إنهم لا يفرون من الحر و لا القر و إنما يفرون من حر السيوف و وميضها...

أكتب هذه الكلمات في يوم الخميس الواقع في 16 كانون الثاني سنة 1991 ميلادية و أنا استمع إلى الراديو يذيع بيانات الحرب التي ابتدأت صباح هذا اليوم بين العراق و بين أمريكا خاصة و متعددة الجنسيات بشكل عام...

فإن العرب و المسلمين يرون كيف يشن الأمريكيون و البريطانيون و الفرنسيون و الإيطاليون و غيرهم يشنون حربهم ضد العراق و شعبه و تخرج ألف و ثلاثمائة طائرة دفعة واحدة في هجوم واحد على العراق.. و إنني استمع إلى بعض وكالات الأخبار الأجنبية تنقل أن ما ألقى على بغداد من المتفجرات يعادل ضعفي ما ألقى على هيروشيما اليابانية.. أستمع هذا و أتوجع و أتألم بل أبكي لهذا الشعب العراقي الذي يعاني من ظلم حكامه و ظلم العالم له.. أقول إنني أسمع ما أسمع و أعيد إلى ذهني صورة الإمام و كلماته و مدى عذابه منهم و معهم.. رفضوه و لم يطيعوه فكانت نتيجتهم أن أصيبوا بحكام لا يرحمون و بأعداء أيضا لا يرحمون..

(يا أشباه الرجال و لا رجال حلوم الأطفال و عقول ربات الحجال) و وصف حالهم و واقع أمرهم فقد شبههم بالرجال شكلا و هيئة ثم نفى عنهم الرجولة باعتبار أنهم فقدوا الغيرة و الحمية و الدفاع عن الكرامة و العزة.. و وصف أحلامهم بأحلام الأطفال حيث يقودهم عجزهم إلى تخيل ما لا يصح أو يدرك و وصف عقولهم بالعجز فعقول النساء و المرأة بطبعها أبعد ما تكون عن الحرب و إدارتها..

(لوددت أني لم أركم و لم أعرفكم، معرفة - و الله - جرّت ندما و أعقبت سدما) تمنى الإمام أنه لم يرههم و لم يعرفهم لقبح أفعالهم و سوء تصرفاتهم فهو يرى سلوكهم و يعرف قلوبهم.. ثم قال إنها معرفة و الله كنت أتمنى أن تدفع إلى راحة نفس و فرح



و سرور حينما يتربح انتصاره بهم و لكن معرفته بهم أدت إلى ندمه على هذه المعرفة و أتت له بالحزن و الغم حيث كانت على خلاف ما يتوقع.

(قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحا و شحنتم صدري غيظا) ثم دعا عليهم بالطرد عن رحمة الله و البعد عن كرامته و مقاتلة الله للبعد تعني أبعاده و طرده عن ساحة رحمته.

ثم ذكر تألمه و شدة تحسره بأنهم قد ملأوا قلبه قيحا كناية عن المعاناة و بلوغ الألم منتهاه و كذلك ملأتم صدري غيظا أي حقدا و غضبا عليكم لما فعلتم..

(و جرعتوموني نغب التهمام أنفاسا و أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان و الخذلان) جعلتم أنفاسي هما أتفسه جرعة جرعة و أتناوله شيئا فشيئا فيكون موتا بطينا قاسيا على النفس مؤلما لها...

و أبطلتم عليّ ما أنا فيه من رأي صحيح سليم بعصيانكم و تمردكم و مخالفتكم لي... و تخلفكم عني و عن أمري..

(حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع و لكن لا علم له بالحرب) من جراء تمردهم عليه و عصيانهم له قالت قريش إن ابن أبي طالب رجل شجاع لا يخاف الأعداء و لا يهاب الموت و لكنه لا خبرة له بالحرب و لا علم له بفنونها و تنظيمها و كيف يكتسب النصر و يحقق الفوز و ذلك على سيرة من ينسب إلى القائد النصر أو الفشل و لكنهم لم يعرفوا أن قوم عليّ خالفوا عليا و لم يطيعوه فيما يرسم من خطط و يضع من ترتيبات فيظنون أن عليا هو الذي يفشل في الحرب.. إن الإمام كان يصر على قتال البغاة و لا يرى غير هذا رأيا، لا يقبل حلا- وسطا و لا- مفاوضات مستجدة بعد الأولى التي جرت، و لكن معاوية و عمرو بن العاص و من معهما رفعوا المصاحف فخدعوا المغفلين و البسطاء من أتباع الإمام فأجبروه على وقف القتال و قد نهاهم عن ذلك و قال لهم إن معاوية و عمرو بن العاص و غيرهما ليس لهم دين و لا أخلاق فأبوا عليه و لجو حتى أجبروه على التحكيم ثم فرضوا عليه أبا موسى الأشعري مفاوضا عنه حتى قال: «لقد جاؤني بأبي موسى الأشعري مبرنسا» و هكذا كان يرشدهم إلى طرق النصر و مسالك الفوز فكانوا يقابلونه بالرفض و التمرد و العصيان و هل بعد هذا تخفى على الإمام عوامل النصر و لا يعرف كيف يحقق الفوز...

لقد أدرك العالم و كل مفكر حر و باحث مدقق أن عليا لو كان يطاع لانتزع النصر العسكري من معاوية و أصحابه و قضى عليهم بمن معه و لكن تمرد أصحابه و عصيانهم له

كان السبب المباشر وراء كل إخفاق وفشل يتهم به الإمام..

(لله أبوهم و هل أجد منهم أشد لها مراسا و أقدم فيها مقاما مني، لقد نهضت فيها و ما بلغت العشرين و ها أنذا قد ذرفت على الستين، و لكن لا رأي لمن لا يطاع) هذا رد على قريش و ما تتهمه به من عدم علمه بالحرب و بيان لوجه الفشل الذي يتراءى لهم أنه منه...

لله أبوهم مدح لهم لو كانوا يعرفون الحقيقة أو يتعرفون عليها مني فليأخذوها إن شاءوا صافية من معدنها و استفهمهم تنبيها لهم و توبيخا هل هناك من العرب من مارس الحرب و دخل في لهواتها مثل عليّ و هل هناك من هو أقدم بها منه، إنه قد قام بها و هو فتى لم يبلغ العشرين من عمره و هو الآن قد تجاوز الستين و من كان طيلة هذه الفترة في الحرب عرف أسرارها و أدرك أسبابها و وقف على أبواب النصر و كيف ينتزع؛ و قد أدرك القريب و البعيد و المسلم و المشرك و الولي و العدو كيف كان يسير النصر عند ما يسير عليّ؟ و كيف تفتح أبواب الحصون المنيعة عند ما يسمع أهلها بقدم عليّ؟، و كيف يخاف الأبطال و يسقطون عند مواجهتهم لعليّ؟.. و ليذكر لنا التاريخ أن عليّا فرّ في موقعة أو خاف من بطل أو جبن في حالة؟!.. نتحدى العالم بأن يأتوا بحادثة واحدة قد طرق الخوف فيها قلب عليّ؟...

فترة طويلة يسجل الإمام فيها أشرف صفحات العز و الكرامة لا يخدش له موقف و لا يطعن له في رأي...

و بعد ذلك يبيّن سبب الفشل في الحرب و إدارتها و إن من لا يطاع فيما يرتبه كأنه بدون رأي أو كان رأيه فاسدا لعدم الأخذ به و إن كان صحيحا سليما.. و هو سلام الله عليه كان يدخل في هذه الكبرى فلم يقبل رأيه فكأنه بدون رأي أو يجب أن لا يبدي رأيه إذا كان لا يطاع و هذا هو السبب الذي دعا قريشا لاتهامه بعدم معرفته بالحرب و فنونها و أسباب انتزاع النصر من العدو..

## إشارة

و هو فصل من الخطبة التي أولها «الحمد لله غير مقنوط من رحمته» وفيه أحد عشر تنبيهاً أما بعد، فإنّ الدّنيا أدبرت (1)، و آذنت (2) بوداع (3) و إنّ الآخرة قد أقبلت و أشرفت (4) بأطّلاع (5)، ألا و إنّ اليوم المضمّار (6)، و غدا السّباق (7)، و السّبقة (8) الجنّة، و الغاية النّار، أفلا تائب من خطيئته قبل منيّه (9)! ألا عامل لنفسه قبل يوم يؤسه (10)! ألا و إنّكم في أيّام أمل من ورائه أجل؛ فمن عمل في أيّام أمّله قبل حضور أجله (11) فقد نفعه عمله، و لم يضرره (12) أجله. و من قصّر (13) في أيّام أمّله قبل حضور أجله، فقد خسر (14) عمله، و ضرّه أجله.

ألا فاعملوا في الرّغبة (15) كما تعملون في الرّهبّة (16)، ألا- و إنّني لم أر كالجنّة نام طالبها، و لا كالنّار نام هاربيها، ألا و إنّ من لا ينفعه الحقّ يضرّه الباطل، و من لا يستقيم به الهدى، يجرّ (17) به الصّلال إلى الرّدى (18). ألا و إنّكم قد أمرتم بالظّعن (19)، و دلّتم على الزّاد (20)، و إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: أتباع الهوى، و طول الأمل، فتزوّدوا في الدّنيا من الدّنيا ما تحرزون (21) به أنفسكم غدا.

قال السيد الشريف - رضي الله عنه - و أقول: إنّ لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد في الدنيا، و يضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام، و كفى به قاطعاً لعلائق الآمال، و قادحاً زناد الاتعاض و الازدجار، و من أعجبه قوله عليه السلام: «ألا و إنّ اليوم المضمّار و غدا السّباق، و السّبقة الجنّة و الغاية النّار» فإنّ فيه - مع فخامة اللفظ، و عظم قدر المعنى، و صادق التمثيل،

و واقع التشبيه - سرًا عجيبًا، و معنى لطيفًا، و هو قوله عليه السلام: «و السَّبَقَةُ الجَنَّةُ، و الغاية النَّارُ» فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين، و لم يقل: «السَّبَقَةُ النَّارُ» كما قال: «السَّبَقَةُ الجَنَّةُ»؛ لأن الاستباق إنما يكون إلى أمر محبوب، و غرض مطلوب، و هذه صفة الجنة و ليس هذا المعنى موجودا في النار، نعوذ بالله منها! فلم يجوز أن يقول: «و السَّبَقَةُ النَّارُ» بل قال: «و الغاية النَّارُ»: لأن الغاية قد ينتهي إليها من لا يسره الانتهاء إليها، و من يسره ذلك، فصلح أن يعبر بها عن الأمرين معا، فهي في هذا الموضع كالمصير و المآل، قال الله تعالى: «قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ» و لا يجوز في هذا الموضع أن يقال: سبقتكم - بسكون الباء - إلى النار، فتأمل ذلك، فباطنه عجيب، و غوره بعيد لطيف. و كذلك أكثر كلامه عليه السلام. و في بعض النسخ: و قد جاء في رواية أخرى «و السَّبَقَةُ الجَنَّةُ» - بضم السين - و السَّبَقَةُ عندهم: اسم لما يجعل للسابق إذا سبق من مال أو عرض؛ و المعنيان متقاربان، لأن ذلك لا يكون جزاء على فعل الأمر المذموم وإنما يكون جزاء على فعل الأمر المحمود.

## اللغة

- 1 - أدبرت: تصرمت و مضت.
- 2 - أذنت: أعلمت.
- 3 - الوداع: من المسافرين تركه لأهله خافضين و من الناس تشيعهم له و الدعاء له...
- 4 - أشرفت: من أشرف على الشيء إذا طلع عليه من فوق.
- 5 - الاطلاع: يقال أشرفت باطلاع أي أقبلت علينا بغتة.
- 6 - المضممار: المكان أو الزمان الذي تضم فيه الخيل للمسابقة و التضمير إحداث الضمور و قلة اللحم.
- 7 - السباق: سباق الخيل إجراؤها في مضممار تتسابق فيه.
- 8 - السبقة: الغاية التي يتسابق عليها.
- 9 - المنية: الموت.
- 10 - البؤس: الشقاء، الشدة.
- 11 - أجل: الموت، الوقت المحدود.
- 12 - يضرره: من الضرر ضد النفع، الشدة و الضيق و سوء الحال.
- 13 - قصّر: في الأمر توانى فيه..
- 14 - خسر: ضد ربح، ضل و هلك.



15 - الرغبة: فيه إرادته و محبته.

16 - الرهبة: من رهب على وزن علم خاف.

17 - يجر: به يجذبه و يسحبه.

18 - الردى: الهلاك.

19 - الظعن: الرحيل.

20 - الزاد: جمعه أزودة و أزواد ما يتخذ من الطعام للسفر.

21 - تحرزون: تحفظون.

## الشرح

## اشارة

(أما بعد فإن الدنيا أدبرت و آذنت بوداع و إن الآخرة قد أقبلت و أشرفت باطلاع) حديث الدنيا حديث ذو شجون نعت إلينا نفسها منذ دخلنا فيها و صرنا من أبنائها و من أول يوم يولد فيه الإنسان يبدأ بهدم عمره و يتحرك نحو الآخرة فهو يمشي و كلما مشى خلفها وراء ظهره و تركها و هكذا تغيب عنا و تبتعد إنها أعلمتنا أننا في مرحلة و داع لها لا لقاء بعده.. يودّعها الانسان و هو محزون عليها متأسف على ما فاتته منها و هو العارف بحقيقتها و إنه لم يخلق لها...

و أما الآخرة فقد أقبلت لأن الإنسان يسير نحوها و من سار نحو هدف وصل إليه و الإنسان يقطع أيام عمره و دورة الفلك تجري شاء أم أبي و سيصل إلى نهاية العمر في الدنيا و يصل إلى الآخرة لقد رت طلائعها و ستبين الأعمال التي قام بها هذا الإنسان...

(ألا و إن اليوم المضممار و غدا السباق و السبقة الجنة و الغاية النار) في هذه الدنيا يكون الاستعداد للآخرة فمن تّبه إلى مخاطر الدنيا إذا تعلّق بها و تمسك بمتاعها خرج منها و هو خفيف الظهر و هذا بعكس المثلث الذي حمل من أوزار الدنيا و آثامها فإن الأول مصيره إلى الجنة بينما الثاني مصيره إلى النار...

الدنيا حلبة سباق يتبارى عليها الناس فهذا يعرفها و يعرف آثارها و خطرها فيسلك مسالك الأبرار و الأخيار و يأخذ طريق الشرفاء و يكون نظره إلى الجنة يسعى إليها و يبذل قصاراه من أجلها بينما ذلك جهلها أو غفل عنها فغرت بمفاتها و تزيّنت له فاستهوته فسار خلفها و أرادها و طلب و دّها فأردته و أوصلته إلى النار...

الدنيا ساحة على ثراها يتسابق الناس وغدا يوم القيامة تكون النتيجة فأما إلى الجنة وأما إلى النار وبيد هذا الإنسان يكون الخيار وهو يرسم نتيجته التي يريد لها..

(أفلا تائب من خطيئته قبل منيته) هذا أول النجاح وبدء الفلاح أن يضع الإنسان قدميه على الطريق الصحيح وهذا لا يكون إلا بأن يبدأ بالتوبة عن كل ذنب ارتكبه...

التوبة هي المدخل الصحيح لبدأ العمل الناجح... أن تندم على سيئاتك وتعود إلى ربك وتصحح مسارك.. التوبة قبل الموت.. وأنت صحيح، قوي، قادر نشيط، وأنت في كمال عقلك وتمام قوتك ومع ذلك تبكي على خطيئتك وتعود لربك.. التوبة هي المفتاح الذي يفتح أمامك أبواب الرحمة والعطف وتوصلك إلى المقام الكريم..

فهل من تائب عن ذنبه قبل الموت..

(ألا عامل لنفسه قبل يوم يؤسه) بعد أن ذكر التوبة أتبعها بالعمل الصالح من أجل نفسه.. من أجل سعادتها وكرامتها.. من أجل أن تعيش في رحمة الله ورضوانه قبل أن يأتي يوم الشقاء وقد فات أو ان العمل ومضت أزماته..

(ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل فمن عمل في أيام أمه قبل حضور أجله فقد نفعه عمله ولم يضره أجله) حصّ عليه السلام الناس على العمل قبل حلول الموت فإن الإنسان يأمل بأمر ويستطيع أن يعمل له في دار الدنيا فمن عمل في أيام أمه ما يريده من الأعمال وهو قادر على ذلك قبل الموت لم يضره الموت لو جاءه لأنه ينقله من دار العمل والتعب إلى دار الجزاء والثواب وهناك يتلقى جزاء ما عمله وما قام به ولا يكون هذا الموت ضارا له أو مؤثرا عليه.

(ومن قصر في أيام أمه قبل حضور أجله فقد خسر عمله وضره أجله) من قصر في دار الدنيا وتوانى عن العمل في أيام الأمل قبل أن يحضره الموت ثم جاءه الموت خسر العمل من حيث أنه لم يعمل وقت العمل وقد فات وقته الآن وضره الأجل أي ألحق به الضرر وهو العقاب لأن هذا الموت نقله إلى عالم صعب عجيب يحاسب المرء فيه على تقصيره وقلة عمله...

وبعبارة موجزة: من عمل في دار الدنيا وجاءه الموت لم يؤذيه شيء ومن لم يعمل وجاءه الأجل كان الموت مصيبة له حيث ينقله إلى العذاب والهوان..

## الإيمان الصحيح:

(ألا فاعملوا في الرغبة كما تعملون في الرهبة) وهذه من قواعد الإيمان وأسسها

عليها يمكن الحكم بالإيمان الصحيح وبها توزن قوته و ضعفه و قلقه و استقراره...

بعض الناس يعبدون الله حالة ضعفهم و فقرهم و بؤسهم و شقائهم.. عند ما تشتد الأزمات عليهم و تحيط بهم يتوجهون إليه يستجدون به و يستجيرون به.. ترتفع أصواتهم بالدعاء و النداء.. في حالة الفقر تراهم لا يقطعون جمعة و لا جماعة. و لا يفارقون تجمعات المؤمنين و مجالسهم و لكن عند ما تأتيهم الدنيا و تقبل عليهم و يحسون بلذتها و يتذوقون طمعها يتكرون للإيمان و تنطفيء جذوته في نفوسهم و لا يعودون يذكرون الله إلا قليلا - عفوا - بل قد ينسون الله تماما و يتكرون لمجالسهم التي تربوا فيها و عاشوا في أكنافها..

و في زمن النبي حادثة و قصة مرت على رجل يسمى ثعلبة فيها عبرة للذين اغتنوا بعد فقر فبطروا و كفروا فأنزل الله فيه و فيهم آيات يتلوها الناس و يذكرون قصته...

ثعلبة بن حاطب كان من الأنصار - فقيرا - قال للنبي (صلى الله عليه و آله) أدع الله أن يرزقني مالا.

فقال له النبي (صلى الله عليه و آله) : يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه أما لك في رسول الله أسوة حسنة و الذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً و فضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك فقال له يا رسول الله: أدع الله أن يرزقني مالا و الذي بعثك بالحق لنن رزقني الله لأعطين كل ذي حق حقه.

فقال النبي (صلى الله عليه و آله) : اللهم ارزق ثعلبة مالا، فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة ففتحى عنها فنزل واديا من أوديتها ثم كثرت نموا حتى تباعد عن المدينة فاشتغل بذلك عن الجمعة و الجماعة و بعث إليه رسول الله المصدق ليأخذ الصدقة فأبى و بخل و قال: ما هذه إلا أخت الجزية.

فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فأنزل الله فيه قوله تعالى: (1)

«و مِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ يَنْصُرَهُمْ فِي الْقُرُونِ الَّتِي بَدَأُوا فِيهَا يُحَادِّثُونَ فَذُكِّرُوا وَلَمْ ياتُوهُمْ بِالْبَيْعَةِ الَّتِي لَعَنَ اللَّهُ لَعْنَةً أَلِيمَةً وَاللَّهُ يَتَذَكَّرُ أَلِيمًا»

فالمسلم هو الذي يعبد الله في السراء و الضراء و في الشدة و الرخاء..6.

ص: 238



(ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها ولا كالنار نام هاربها) وهذا تصوير لحالة الناس وما يعيشون فيه، كلنا يطلب الجنة ويريدها ولكن ننام عنها ولا نسعى لها.. الجنة طريقها العمل الصالح.. الصلاة.. الصيام.. الحج.. إعانة المحتاجين.. سد عوزهم.. القيام بالواجبات ومع ذلك العلم والمعرفة بالطريق لا نمشي عليها ولا نسعى لها...

ونخاف النار.. نرتجف منها، نسأل الله أن لا نراها ولا ترانا ولكن مع ذلك لم نجعل الحواجز بيننا وبينها، لم نمنعها من الوصول إلينا.. إننا نهرب منها بلساننا ونقترب منها بأعمالنا وسلوكنا.. وهذا هو موضع العجب ومكانه تريد أمرا وتنام عنه وتخاف من أمر ولا تفر منه..

(ألا وأنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل) الحق يجب أن يتبع لأن فيه المصلحة العامة والخير والمنفعة لكل الناس.. القانون الشرعي هو الحق وربما تنزلا ومجاراة إنه لا ينفع بعض الأفراد فإن الباطل يضرهم قطعاً.. إذا كان العدل لا ينفكك شخصيا فالظلم إذا عم شملك و ضرك..

(ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال إلى الردى) من لا تجعله آيات الله وبياناته مستقيما عدلا يبصر الحق ويهتدي إليه فالانحراف يدفعه إلى العمى والموت.. والهدى نور يضعك على مستقيم الصراط والضلال ظلام يجررك إلى الهلاك..

(ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن و دللتم على الزاد) أمرنا بالرحيل عن دار الدنيا والتوجه إلى الآخرة وكل راحل لا بد له من زاد يناسبه ويناسب رحلته لئلا يجوع ويتألم ويحتاج، وزاد الآخرة التقوى والعمل الصالح قال تعالى: «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ» فقد أرشدنا الله إلى زاد الآخرة وما ينفع لها وقد تزود الأخيار والأبرار من أبناء الأمة بزاد ينفعهم ونسأل الله أن نقفدي بهم ونزود كما تزودوا..

(وإن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: اتباع الهوى وطول الأمل).

### **إتباع الهوى وطول الأمل:**

تخوف علينا من خصلتين سيئتين يمكن أن تكونا سبب شقائنا.

الأولى: إتباع الهوى وهو ان يسير الإنسان وراء رغبته وما يحب دون أن يتبصر في

موافقة الشرع على ما يحب أو يكره وفي ذلك وقوع في المآثم والمعاصي وانحراف في السلوك والعمل...

الهوى يدفع الإنسان إلى معاداة الأولياء وصدقة الأصدقاء وإذا استولى على نفس إنسان أضله ومنعه عن الحق والإنصاف وقد سمي الله اتباع الهوى عبادة للهوى. قال تعالى: «أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ» فالذي يعبد الله يتقيد بأوامره ويلتزم بأحكامه وأما من لم يلتزم بأحكام الله ويتبع الهوى فهو عابد له من دون الله.

قال الصادق عليه السلام: احذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم فليس بشيء أعدي للرجال من اتباع أهوائهم وحصائد ألسنتهم.

الثانية: طول الأمل وبالطبع الأمل المنسي للآخرة وطول الأمل رذيلة عامة تشمل الناس جميعا باستثناء بعض الخواص الذين وقفوا على الحقيقة وعرفوا أن العمر ينقضي وإن الموت آت لا محالة.

(فتزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا) أمرنا بأن نتزود ونحن في دار الدنيا ونعيش فيها نتزود فيها بما فيها بأن نتصدق بما أعطانا الله منها ونكرم عباده ولا نبخل على أحد ونساعد كل أحد وبهذه وأمثالها نحفظ أنفسنا من النار ونقيها عذاب الملك الجبار وندرك جنة الله وغفرانه...

## إشارة

بعد غارة الضحاك بن قيس صاحب معاوية على الحاج بعد قصة الحكمين وفيها يستنهض أصحابه لما حدث في الأطراف أيها الناس، المجتمعة أبدانهم (1)، المختلفة أهواؤهم (2)، كلامكم يوهي (3) الصّم (4) الصّلاب (5)، وفعلكم يطمع (6) فيكم الأعداء! تقولون في المجالس (7): كيت وكيت (8)، فإذا جاء القتال قلت: حيدي حيا (9)! ما عزّت (10) دعوة من دعاكم، ولا استراح (11) قلب من قاساكم (12)، أعاليل (13) بأضاليل (14) وأسألتموني التّطويل (15)، دفاع ذي الدّين المطول (16). لا يمنع الضّيم (17) الدّليل! ولا يدرك الحقّ إلّا بالجدّ (18)! أيّ دار بعد داركم تمنعون، ومع أيّ إمام بعدي تقاتلون؟ المغرور (19) واللّه من غرتموه، ومن فاز بكم فقد فاز - واللّه - بالسّه (20) الأخيب (21)، ومن رمى (22) بكم فقد رمى بأفوق (23) ناصل (24). أصبحت واللّه لا أصدّق قولكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أوعد (25) العدو بكم. ما بالكم (26)؟ ما دواؤكم (27)؟ ما طبّكم (28)؟ القوم رجال أمثالكم. أقولا بغير علم! وغفلة من غير ورع (29)! وطمعا في غير حقّ!؟.

## اللغة

1 - الأبدان: الأجساد.

ص: 241

- 2 - الأهواء: الآراء.
- 3 - يوهي: يضعف.
- 4 - الصم: جمع أصم و هو من الحجارة الصلب.
- 5 - الصلاب: جمع صليب و هو الشديد.
- 6 - يطمع: من الطمع و هو نزوع النفس إلى الشيء شهوة له.
- 7 - المجالس: مفردة مجلس موضع الجلوس و القعود.
- 8 - كيت و كيت: كناية عن الحديث.
- 9 - حيدي حياء: من الحديدان و هو الميل و الانحراف عن الشيء و هو كلمة يقولها الهارب.
- 10 - ما عزت: ما قويت و لا اشتدت.
- 11 - استراح: وجد الراحة و هي ضد التعب، السرور.
- 12 - قاساكم: قاسى مقاساة الألم كابده و عالج شدته.
- 13 - أعاليل: جمع أعلولة ما يحتاج به و يجعله علة لعمله..
- 14 - أضاليل: مفردا أضلولة ضد الهدى.
- 15 - التطويل: جعله طويلا و هو ضد القصر.
- 16 - المطول: كثير المطل و هو التسويف في أداء الدين و تأجيله.
- 17 - الضيم: الظلم.
- 18 - الجد: الاجتهاد.
- 19 - المغرور: المخدوع.
- 20 - السهم: جمعه سهام، قدح الميسر يقارع به، واحد النبل.
- 21 - الأخيب: هو الأشد خيبة و هي عدم الظفر و الفشل في تحصيل المطلوب.
- 22 - رمى: ألقى.

23 - الأفوق: مكسور الفوق و الفوق موضع الوتر من السهم.

24 - الناصل: العاري عن النصل.

25 - أوعده: أهدده و أوعد بكم الأعداء أهددهم بكم.

26 - ما بالكم: ما شأنكم و البال القلب و الخاطر.

27 - ما دواؤكم: ما هو الدواء الذي يشفيكم و يصححكم.

28 - ما طبكم: ما علاجكم.

29 - الورع: التقي، من يجتنب المحرمات و المشتبهات.

ص: 242

(أيها الناس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم) هذه الخطبة الشريفة كانت بعد التحكيم وقبل قتال علي لأصحاب النهروان وذلك أن الإمام كان يتهيأ لقتال معاوية وأراد الخروج إليه فوقع النزاع بينه وبين الخوارج فارتاح معاوية وأطمأن وعاد الإمام إليهم فقتلهم فسرّ معاوية كثيرا...

وعند ما وصل النبأ إلى معاوية استدعى الضحّاك بن قيس الفهري وقال له: سر حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت فمن وجدته من الأعراب في طاعة علي عليه السلام فأغر عليه وإن وجدت له مسلحة أو خيلا فأغر عليها وإذا أصبحت في بلد فامس في أخرى ولا تقيمن لخيال بلغك إنها قد سرّحت إليك لتلقاها فتقاتلها، فسرّحه في ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف..

فأقبل الضحّاك فنهب الأموال وقتل من لقي من الأعراب حتى مر بالشعلبية فأغار على الحاج ثم أقبل فلقى عمرو بن عميس بن مسعود وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود فقتله في طريق الحاج وقتل معه ناسا من أصحابه.

فقام الإمام عند ما وصله النبأ وحثهم على الخروج وأن يمنعوا عدوهم عن حريمهم وبلادهم، فردوا عليه ردا ضعيفا ورأى منهم عجزا و فشلا.

فقال: واللّه لو ددت أن لي بكل ثمانية منكم رجلا منهم ويحكم أخرجوا معي ثم فروا عني ما بدا لكم فوالله ما أكره لقاء ربي على نيتي و بصيرتي وفي ذلك روح لي عظيم وفرج من مناجاتكم ومقاساتكم...

ثم خطبهم هذه الخطبة...

صورة أمينة ينقلها الإمام إلينا، يصف حال أصحابه وما كانوا عليه من التشتت والفرقة.. صورة بشعة لقوم لا يجمعهم جامع ولا يوحد كلمتهم هدف...

فالأجسام مجتمعة تراهم جميعا ولكن قلوبهم شتى وأراؤهم مختلفة فهذا يريد الدعة والسلامة وذاك يريد التحكيم أن يجري والقضايا تمشي وذلك لا يهمه شيء ولا يلتفت لشيء وهكذا تتوزعهم الآراء وتقسمهم النظريات...

(كلامكم يوهي الصم الصلاب وفعلكم يطمع فيكم الأعداء) لو استمع أحد إليكم لأخذته نشوة كلامكم واستيقن النصر وإنه لا يفصله عنه إلا أن يمد إليه يده فيطاله..

كلامكم يفتت الصخور القوية الصلبة لكثرة تهديدكم ووعيدكم و ما تقولونه من الاستعداد لقتال عدوكم و التهيؤ لهم و لكن مقابل هذا فأنتم ضعفاء الأفعال لا تعملون و لا تتحركون بل تغزون فلا تتأثرون مما يجعل اعداءكم يطمعون فيكم و يتوقعون أخذكم و النصر عليكم.. فأنتم تقولون ما لا تفعلون..

(تقولون في المجالس كيت و كيت فإذا جاء القتال قلت: حيدي حياذ) هكذا كانت مجالسهم يحكيها الإمام لهم و ينقلها إليهم.. إنهم يتبححون و ينتفخون و يخططون و يرسمون و ينتصرون و لكنهم لا- يزالون في مجالسهم لا يحركون ساكنا... صورة ينقلها عن قوم عاشوا معه و تنطبق على واقعنا العربي و الإسلامي بأنظمتة و حكامة و قاداته و مسئوليته.. فإن عادت العرب و المسلمين قاطبة تتحدث عن فلسطين و تحريرها و تظن بل تتيقن سقوط اسرائيل إذا استمعت إليهم في قممهم و جلساتهم و لكن إلى الآن يخشى أحدهم و يخاف أن يطلق طلقة واحدة على اسرائيل.. إنه يخاف أن يغضبها لأن الذي جاء به إلى كرسي الحكم هو نفسه الذي زرع الكيان الصهيوني في فلسطين و هو الذي يحرسها و يدافع عنها...

في المجالس تزحفون على الأعداء و تحررون العباد و البلاد و لكن في ساحات القتال تبتعدون و تنتحون و تنكرون بل تنتكرون لما قيل... و في هذا اليوم يصدق هذا الكلام على العرب كما صدق على أصحاب الإمام يومها... اليوم بتاريخ العشرين من شهر كانون الثاني لسنة ألف و تسعمائة و واحد و تسعين هجرية تحترق العراق بقذائف أمريكا و فرنسا و بريطانيا و إيطالية و كندا و السعودية و مصر و لا من سامع أو رافع لصوته... كلهم ينادون الموت لأمريكا و لكنهم يساندونها و يساعدونها..

(ما عزت دعوة من دعاكم) من استجار بكم و طلب النصر منكم لم ينجح و لم يفلح و لم يفز بعز و نصر لأنكم لا تستجيبون له و لا تعزونه بنصركم..

(ولا- استراح قلب من قاساكم) من أجرى عليكم الفظاظة و استعمل فيكم القساوة لم يسترح قلبه لأن في ذلك خروج عن طبيعته و فيه مخالفة لربه كما إنكم تهربون إلى الأعداء و تلتحقون بهم...

(أعاليل بأضاليل) يعللون عدم استجابتهم له و تأخرهم عنه بعلل باطلة فاسدة لا صحة لها و لا طائل تحتها.

(و سألتهموني التطويل دفاع ذي الدين المطول) إنكم سألتهموني تأخير الحرب وتأجيلها رغم أنها ملزمة لكم وواجبة عليكم على مستوى المدين المماطل الذي يمتنع عن أداء دينه مع كونه قادرا و موسرا و لكن لا يبادر إلى الوفاء تمردا و عصيانا و أنتم كذلك..

(لا يمنع الضيم الذليل) فمن شرب كأس الذل و المهانة و تربى على الضعة و الحقارة لا يستطيع أن يتحرر أو يرفع الظلم عن نفسه.

(و لا يدرك الحق إلا بالجد) الحصول على الحقوق لا يكون إلا بالتعب و التضحية و بذل الدماء و الأموال، و لم تتحرر أمة من الأمم إلا بالجهاد و الكفاح و لن تتحرر فلسطين من اليهودي الغاصب إلا بالجهاد المقدس و توطين النفس على القتل و الصبر على الأذى..

(أي دار بعد داركم تمنعون و مع أي إمام بعدي تقاتلون) تويخ لهم و تقريع و بيان و توضيح بأن الشرفاء يدافعون عن أوطانهم و ديارهم و أنتم لا تدفعون عنها بشيء و هذا قبيح منكم فإذا كنتم لا تدفعون عن أوطانكم فلن تدفعوا الضيم عن أحد و لن تنتصروا لمظلوم قط...

ثم إذا لم تقاتلوا معي و أنا علي بن أبي طالب صاحب اليد البيضاء و الجهاد الميمون و السابقة و الأخلاق و الخليفة الشرعي فمع أي إمام بعدي تقاتلون، إنكم لن تقاتلوا و إذا قاتلتم فمع الطغاة و الظالمين ضد مصالحكم و منافعكم...

(المغرور و الله من غررتموه) من استمع كلامكم المعسول و صدق به فهو المخدوع الذي سيرى كذبكم و يدرك غفلته عنكم و عن أعمالكم..

(و من فاز بكم فقد فاز و الله بالسهم الأخبى) إذا خرجتم من نصيب واحد و سهمه و فاز بكم فقد فاز بأخسر صفقة و ضل سهمه و سقط نصيبه لأنه لن يدرك فيكم إلا التعب و العناء و همّ الفكر و البال..

(و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل) من وجهكم لقتال الأعداء و من اجزتهم فقد رماهم بما لا يهزمهم و لا يحقق نصرا أو فوزا عليهم.. و شبههم بالسهم الذي يرمى به الهدف و لكن قوسه غير سليم فلا يصل إلى الهدف، و هم كذلك لا يصل دافعهم إلى الجهاد إلى نصر أو فوز..

(أصبحت و الله لا أصدق قولكم و لا أطمع في نصركم و لا أوعد العدو بكم) لقد



وصل اليأس بالإمام أنه أقسم على هذه الأمور الثلاثة أنه أصبح لا يصدقهم فيما يقولون لكثرة ما قالوا و تحدثوا دون أن يفعلوا أو يعملوا بما قالوا و تحدثوا.. لقد قالوا و كذبوا..

وقالوا و كذبوا و هكذا حتى انتزعت الثقة من كلامهم و لم يعد يصدقهم فيما يقولون..

ثم إنه لم يعد يطمع في نصرهم و كيف يطمع في نصر المتخاذلين و القاعدين الذين لا يتحركون و لا يقومون و قد جربهم فلم يقعوا عند حسن ظنه بهم..

و أيضا لا يقدر بعد اليوم أن يهدد العدو بهم و يقول له إنه قادم بهم إليه..

(ما بالكم؟ ما دواؤكم؟ ما طبكم؟ القوم رجال أمثالكم) أراد أن يثير حفاظهم و يحرك شعورهم إن بقي لهم شعور و حفاظ.. إنه يقول لهم إن أنصار معاوية و أتباعه رجال مثلكم...

ليسوا هم أفهم منكم أو أعلم أو أشد في الحرب ممارسة.. ما بالكم لا- تفكرون و تجتمعون و تحاربون كما يفعل أهل الشام و هم بشر مثلكم و ما دواؤكم الذي إذا عالجتكم به أصبحتم كأهل الشام طاعة و إقداما و التزاما و هم رجال أمثالكم..

استفهامات فيها توبيخ و استنكار لحالهم و ما هم عليه لعلهم يرجعون و إلى الحق يفيئون..

(أقوالا بغير علم و غفلة من غير ورع و طمعا في غير حق) تقولون ما لا تفعلون و هذه صفة قبيحة قال تعالى: «كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ» تكثر الكلام بدون أعمال هذا إذا كانت النسخة أقوالا بغير عمل.

أما إذا كانت أقوالا بغير علم فهو رمي لهم بالجهل و أنهم يرمون كلامهم بدون رصيد شرعي له أو مستند يعتمدون عليه...

ثم يقول لهم إنهم يغفلون عن مصالحهم و يتركون واجباتهم بدون أن يكون ذلك عن خوف من الله أو تورع عن الحرام...

و بعبارة أخرى إنهم يغفلون عن بعض الواجبات فلا يؤدونها و ليس ذلك لتورعهم الذي ربما اخطئوا في تصوره...

و أخيرا قال لهم إنهم يطمعون في غير حق يريدون زيادة في عطائهم بدون استحقاق منهم له..

إشارة

في معنى قتل عثمان و هو حكم له على عثمان و عليه و على الناس بما فعلوا و براءة له من دمه لو أمرت (1) به لكنك قاتلا، أو نهيت (2) عنه لكنك ناصر (3)، غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله (4) من أنا خير منه، و من خذل لا يستطيع أن يقول: نصره من هو خير مني. و أنا جامع لكم أمره (1) استأثر (5) فأساء (6) الأثرة (7)، و جزعتم (8) فأسأتم الجزع، و لله حكم واقع في المستأثر و الجازع.

اللغة

1 - الأمر: هو الطلب من العالي إلى الداني.

2 - النهي: هو الكف عن الفعل.

3 - الناصر: المعين.

4 - خذله: لم ينصره، ترك إعانته.

5 - استأثر: بالشيء استبد به و خص نفسه به.

6 - أساء: من ساء فلانا إذا أحزنه؛ فعل به ما يكره.

7 - الأثرة: الاختيار، الأنانية.

8 - جزعتم: من الجزع و هو عدم الصبر.

الشرح

(لو أمرت به لكنك قاتلا) الحديث عن عثمان و قتله،... و قد تبرأ الإمام من ذلك و بين براءته بأقصر عبارة و أخصرها و هو حتى ينسب القتل لشخص إنما يكون بأحد

أمرين؟ إما أن يباشر القتل أو يأمر به والإمام لم يباشر القتل ولم يدعه عليه أحد حتى اعداؤه ومناؤوه وأما الأمر فإنه ينبغيه ويشهد بذلك موقفه وسفارته بين الثوار وبين عثمان وهذا الكلام منه يشهد أيضا بذلك..

(أو نهيت عنه لكنت ناصرا) ولو نهى عن قتله لكان ناصرا له ولكنه لم ينه عن قتله لما فعله من أحداث ولوجود الثوار وقيام الثورة في وجهه وضياع كلامه هدرا في تلك الأجواء الصعبة التي لا يستمع فيها صوت على عادة العامة عند ما يرغبون في أمر أو يكرهون أمرا..

(غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه) وهذا من الإمام ذم لأنصار عثمان الذين هم السبب في قتله حيث تجاوزوا المعقول وأخذوا المحصول وأوردوه موارد الهلكة بأعمالهم الشائنة وتصرفاتهم السيئة كمروان وغيرهم من حثالة الأمويين فإنهم هم الذين نصره فلم يكونوا أفضل ممن لم ينصره ولا يستطيعون ادعاء ذلك فإن الصحابة كانوا في المدينة وهم أفضل من مروان وجماعته..

(و من خذله لا يستطيع أن يقول نصره من هو خير مني) والصحابة هم الذين خذلوا عثمان وتركوا نصرته والدفاع عنه وهم يعرفون قيمتهم وفضيلتهم وأنهم أشرف وأفضل ممن نصر عثمان وانتصر له لأنه لم ينصره إلا مروان وجماعة بني أمية المنتفعين بخلافته والمستفيدين من مقامه..

(و أنا جامع لكم أمره استأثر فأساء الأثرة وجزعتم فأسأتم الجزع ولله حكم واقع في المستأثر والجزاع) وأنا ملخص لكم وبعبارة موجزة قضيته وقصته أما هو فإنه استبد بالأمور وأخذ لنفسه ولعشيرته ما هو للمسلمين وبنى سيفوفهم فأساء بهذا التقديم لنفسه وأهله على عامة المسلمين إساءة بالغة وأما المسلمون فقد جزعوا وضائق صدورهم ولم يتحملوا ويصبروا فأساءوا بقتله، فهو أساء بالاستئثار لأنه تجاوز حده وهم أساءوا بالجزع لأنهم تجاوزوا حده..

هذا هو رأي الإمام وما يجري عليه في الدنيا وأما عند الله فإن لكل منهما حكم خاص به للقاتل والمقتول هو يعلمه وسوف يلحق مستحقه لا محالة..

إشارة

لما أنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير يستفيئه (1) إلى طاعته قبل حرب الجمل لا تلقين طلحة، فإنك إن تلقه تجده كالثور (2) عاقصا قرنه (3)، يركب الصعب (4) ويقول: هو الذلول (5). ولكن الق الزبير، فإنه ألين عريكة (6)، فقل له: يقول لك ابن خالك: عرفنتي بالحجاز و أنكرتني (7) بالعراق، فما عدا (8) ممّا بدا.

قال السيد الشريف: وهو - عليه السلام - أول من سمعت منه هذه الكلمة، أعني: «فما عدا مما بدا».

اللغة

- 1 - يستفيئه: من فاء بمعنى رجع و يستفيئه يسترجه.
- 2 - الثور: ذكر البقر و جمعه ثيران و أنوار و ثيار و ثيرة.
- 3 - عقص الشعر: قتله و لواه و الأعقص من التيوس ما التوى قرناه على أذنيه من خلفه.
- 4 - الصعب: الدابة الجموح.
- 5 - الذلول: الدابة المنقادة المطيعة.
- 6 - ألين عريكة: أسلس خلقا، و العريكة الطبيعة.
- 7 - أنكرتني: جهلتني و لم تعرفني.
- 8 - عداه: عن الأمر صرفه و شغله.

(لا تلقين طلحة فإنك أن تلقه تجده كالثور عاقصا قرنه يركب الصعب و يقول هو الذلول) في البصرة تواجه الجيشان وقبل بدء المعركة، في موقعة الجمل أحب الإمام أن يرمي آخر سهم معه لعله يرجع ضالاً أو يهدي تائها ولذا أرسل ابن عباس إلى الزبير ثالث ثلاثة قاد الناس لقتال الإمام و مع أن طلحة ثاني الثلاثة فإنه نهاه عن لقائه قائلاً له هذا القول الذي يحكي نفسية طلحة و يقرأها كما هي. ينهاه أن يأتي طلحة لما يعرفه عنه من كبرياء و غطرسة و ما فيه من عناد و يعبر عنه الإمام بقوله تجده كالثور عاقصا قرنه أي يستعد للقتال لا يفهم و لا يعي و للكبر الذي فيه يعمل ما فيه هلاك دينه و دنياه و يخوض الحرب و مع ذلك يدعي و يقول إنه لم يعمل إلا أمور المطلوبة التي تحفظ الدين.. و إنه طيب مطيع..

(و لكن التى الزبير فإنه ألين عريكة فقل له: يقول لك ابن خالك عرفنتي بالحجاز و أنكرتني بالعراق فما عدا مما بدا) بعد أن نهاه عن لقاء طلحة لما يعرفه عنه من نفسية فاسدة أمره أن يلقي الزبير و علل ذلك بأنه سلس ينقاد و يسمع أمره أن يقول له:

يقول لك ابن خالك و عدل عن قوله: يقول لك أمير المؤمنين لما في كلمة ابن خالك من القربى و الرحم تذكيراً له باصرة مهمة طيبة لعلها تحرك فيه بقايا نخوة رحمية ترجعه إلى الحق و تلويه عن الباطل...

عرفنتي بالحجاز أيام السقيفة عند ما وقفت إلى جانبي و طالبت بحقي و أبيت أن تباع أباً بكر ثم عند ما جعلها عمر شورى كنت معي و قد بايعتني عرفنتي في الحجاز و جهلتني و لم تعرفني في العراق حيث قادت الجيوش لحربي و قتالي...

ثم قال له «ما عدا مما بدا» ما الذي ظهر لك من أموري حتى تنكرت لما ابتدأت به من بيعتي و متابعتي... إن الإمام لم يغيّر و لم يبدل و إنما الزبير هو الذي بدّل و غيّر حيث رأى الأمرة فأحبها و طلبها و سعى جهده من أجلها حتى قاد الجيوش لانتزاعها من أهلها و ممن هو أحق بها منه.

تقول الرواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: سألت ابن عباس رضي الله عنه عن ذلك فقال: إني أتيت الزبير فقلت له: فقال له:

إني أريد ما تريد كأنه يقول الملك لم يزدني على ذلك فرجعت إلى علي عليه السلام فأخبرته...

فكان الزبير يطلب الأمر لنفسه أو يكون شريكا للإمام بها وهذا ما كان يتوقعه من خلافة الإمام هو وطلحة فلما تبين لهما أن لا نصيب لهما من الحكم أعلننا التمرد والحرب..

ص: 251

إشارة

وفيهما يصف زمانه بالجور، ويقسم الناس فيه خمسة أصناف، ثم يزهّد في الدنيا

معنى جور الزمان

أيّها النَّاس، إنّنا قد أصبحنا في دهر (1) عنود (2)، و زمن كنود (3)، يعدّ (4) فيه المحسن مسيئاً، و يزداد الظّالم فيه عتوّاً (5)، لا ننتفع بما علمنا، و لا نسأل عمّا جهلنا، و لا نتخوّف قارعة (6) حتّى تحلّ بنا (7).

أصناف المسيئين

و النَّاس على أربعة أصناف: منهم من لا يمنعه الفساد في الأرض إلاّ مهانة نفسه (8)، و كلاله حدّه (9)، و نضيض وفره (10)، و منهم المصلت لسيفه (11)، و المعلن بشرّه (12)، و المجلب بخيله (13) و رجله (14)، قد أشرط نفسه (15)، و أويق دينه (16) لحطام (17) ينتهزه (18)، أو مقنّب (19) يقوده، أو منبر يفرعه (20). و لبس المتجر أن ترى الدّنيا لنفسك ثمناً، و ممّا لك عند الله عوضاً! و منهم من يطلب الدّنيا بعمل الآخرة، و لا يطلب الآخرة بعمل الدّنيا، قد طامن (21) من شخصه، و قارب من خطوه، و شمّر (22) من ثوبه، و زخرف (23) من نفسه للأمانة، و اتّخذ ستر الله ذريعة (24) إلى المعصية.

و منهم من أبعد عن طلب الملك ضؤولة نفسه (25)، و انقطع سببه، فقصرته

الحال على حاله، فتحلّى (26) باسم القناعة، و تزين بلباس أهل الزّهادة، وليس من ذلك في مراح (27) و لا مغدى (28).

## الراغبون في الله

وبقي رجال غصّ أبصارهم (29) ذكر المرجع (30)، و أراق دموعهم (31) خوف المحشر (32)، فهم بين شريد (33) نادّ (34)، و خانف مقموع (35)، و ساكت مكعوم (36)، وداع مخلص، و ثكلان (37) موجع (38)، قد أخلتهم (39) التّقية (40)، و شملتهم (41) الدّلة (42)، فهم في بحر أجاج (43)، أفواههم ضامزة (44)، و قلوبهم قرحة (45)، قد وعظوا حتّى ملّوا (46)، و قهروا (47) حتّى ذلّوا، و قتلوا حتّى قلّوا.

## التزهد في الدنيا

فلتكن الدّنيا في أعينكم أصغر من حثالة (48) القرظ (49)، و قراضة الجلم (50)، و اتّعظوا بمن كان قبلكم، قبل أن يتّعظ بكم من بعدكم، و ارفضوها ذميمة (51)، فإنّها قد رفضت من كان أشغف (52) بها منكم.

قال الشريف - رضي الله عنه - : أقول: و هذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية، و هي من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذي لا يشك فيه، و أين الذهب من الرّغام! و أين العذب من الأجاج! و قد دلّ على ذلك الدليل الخريّيت و نقده الناقد البصير عمرو بن بحر الجاحظ؛ فإنه ذكر هذه الخطبة في كتاب «البيان و التبيين» و ذكر من نسبها إلى معاوية، ثم تكلم من بعدها بكلام في معناها، جملة أنه قال: و هذا الكلام بكلام علي عليه السلام أشبه، و بمذهبه في تصنيف الناس، و في الإخبار عما هم عليه من القهر و الإذلال، و من التقية و الخوف، أليق.

قال: و متى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزهاد، و مذاهب العبّاد!

ص: 253



- 1 - الدهر: العصر، الزمان.
- 2 - عنود: جائر.
- 3 - كنود: كفور.
- 4 - يعدّ: يحسب.
- 5 - العتو: الاستكبار و تجاوز الحد و العاتي هو الجبار.
- 6 - القارعة: الخطب يقرع من ينزل به أي يصيبه، الداهية.
- 7 - تحل بنا: تنزل بنا.
- 8 - المهانة: الحقارة.
- 9 - كلاله حده: ضعف سلاحه، و كلّ السيف إذا لم يعد يقطع.
- 10 - نضيض وفره: قلة ماله، و النضيض القليل، و الوفر المال.
- 11 - أصلت سيفه: أخرجه من غمده و شهره.
- 12 - إعلان شره: المظهر لشره و المجاهر به.
- 13 - أجلب بخيله: أجلب عليهم أعان عليهم.
- 14 - الرجل: جمع راجل الماشي على رجليه.
- 15 - أشرط نفسه لكذا: هيأها و أعدها.
- 16 - أوبق دينه: أهلكه.
- 17 - الحطام: أصله ما تكسر من العشب اليابس و هنا المال.
- 18 - انتهب: اختلس و استلب.
- 19 - المقنب: الجمع من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين.
- 20 - فرع المنبر: علاه.

21 - طامن: خفض.

22 - شمّر: من ثوبه قصّر.

23 - الزخرف: التزيين و التتميق.

24 - الذريعة: الوسيلة.

25 - ضؤولة النفس: حقارتها.

26 - تحلى: تزين.

27 - المراح: المكان الذي تأوي إليه الماشية في الليل.

28 - مغدى: من غدا إذا ذهب في الصباح.

29 - غض بصره: كفه و كسره عما لا يحل له.

ص: 254

- 30 - المرجع: محل الرجوع، المعاد و الرجوع إلى الله.
- 31 - أراق الدموع: صبها وأجراها.
- 32 - المحشر: المعاد و الحساب، يوم المحشر يوم يحشر الناس فيه للحساب.
- 33 - الشريد: المشرذ، المطرود.
- 34 - ناذ: المنفرد، الهارب إلى الوحدة.
- 35 - المقموع: المقهور.
- 36 - المكعوم: من كعم البعير إذا شد فاه لئلا يعض.
- 37 - ثكلان: من الثكل و هو الحزن.
- 38 - موجع: متألم، مريض.
- 39 - أخلتهم: من الخمول و هو الذي لا نباهة له، الساقط.
- 40 - التقية: الخوف.
- 41 - شملتهم: عمتهم.
- 42 - الذلة: ضد العزة من ذل إذا هان.
- 43 - الأجاج: الملح.
- 44 - ضامزة: ساكنة.
- 45 - قرحة: مجروحة.
- 46 - ملّوا: سئموا و ضجروا.
- 47 - قهروا: غلبوا.
- 48 - الحثالة: الثفل.
- 49 - القرظ: ورق السلم يدبغ به.
- 50 - قراضة الجلم: الجلم هو المقرض تجز به أوبار الإبل و قراضته ما تساقط من قرضه.

52 - أشغف: من الشغاف وهو الحب الذي يصل إلى شغاف القلب - الوله.

## الشرح

(أيها الناس إنّا قد أصبحنا في دهر عنود و زمن كنود) وصف عليه السلام زمانه و حال الناس فيه و بيّن معايب ذلك الزمن الذي أشبهه ما يكون انطباقا على زماننا.. قد كان الزمن في عهد رسول الله زمن جهاد و وفاء و إخلاص، زمن ترتفع فيه قيمة المحسن و تعلق منزلته و يؤخذ على يد الظالم حتى يرتدع أو يتوب، يبحث الناس عن العلم

ص: 255

و ينتفعون به و هو بأمن و سلامة من كل نازلة ببركة وجود النبي و حضوره و لكن اقد أصبحنا اليوم في زمن ظالم و وقت كافر و نسب الظلم و الكفر إلى الزمان لوجودهما فيه و إن كان في الحقيقة الظلم و الكفر من أهله، و قد رأى الإمام تحول الناس عن الحق و عدولهم عن الإيمان، رأى الظلم يستشري و يتخذ أعوانا و أنصارا، يرى معاوية و جنده و يرى طلحة و الزبير و عائشة.. يرى الانحراف و الظلم..

(يعد فيه المحسن مسيئا) و هكذا تنعكس و تتبدل المقاييس و الموازين.. من سيئات الزمن أن يتحول المحسن البار فاعل الخير إلى مسيئ فاسد..

(و يزداد الظالم فيه عتوا) في زمن الظلم و الكفر يكثر الظالمون و يزدادون في غيهم و يسترسلون في ضلالهم لأنهم بمأمن من سطوات الشريعة و أخذها و من أمن العقوبة أساء الأدب..

(لا نتفع بما علمنا) و هذا توبيخ للمقصرين الذين لا يعملون بما يعلمون.

(و لا نسأل عما جهلنا) و هذا من حظ سوء الإنسان و شقاوته إنه لا يعرف الأمر الفلاني ثم لا يسأل عنه تكبرا عن المسألة أو جبنا و خجلا أو لغيرها من الدواعي، إنه يبقى في الجهل و لا يكلف نفسه عناء السؤال...

(و لا نتخوف قارعة حتى تحل بنا) لا نحسب للأحداث حسابها و لا نعد لها عدتها، لا نفكر في عواقب الأمور و نتطلع إلى المستقبل و ما يحمله حتى إذا نزلت بنا المصيبة و حلت الكارثة عندها التفتنا إلى أنفسنا و انتبهنا من غفلتنا و لكن أين المخرج و كيف السبيل؟.. و لا مخرج و لا سبيل...

(و الناس على أربعة أصناف منهم من لا يمنعه الفساد في الأرض إلا مهانة نفسه و كلاله حده و نضيض وفره) هذا هو الصنف الأول من الأربعة و هو في طبعه الفساد و الانحراف و يريد هما و لكن الحواجز و الموانع تقف في وجهه و تمنعه من القيام بالرديلة، فإن جبلته مطبوعة على الفساد و لكن لحقارته و ضعته أولا و لعدم قدرته و عجزه ثانيا و لقلته ماله و إفلاسه ثالثا، فهذه الحواجز هي التي تقف دون سعيه في الفساد و الاضلال فلم يمتنع زهدا و إنما امتنع عجزا..

(و منهم المصلت لسيفه و المعلن بشره و المجلب بخيله و رجله) و هذا ثاني الأربعة من الأشرار الذين يطلبون الدنيا و قد بين كيف يكون سلوكهم للحصول عليها إنهم قد جردوا السيف و استعملوه في كل ما يحقق أغراضهم فقتلوا و سفكوا الدماء و أعلنوا شرهم

و جهروا بظلمهم واستعملوا كل الوسائل المتاحة لهم و كنى عن ذلك بأجلاب الخيل و الرجل..

(قد أشرط نفسه و أوبق دينه) إن هذا الرجل الشرير قد هيا نفسه و استعد بجميع الوسائل المعنوية و المادية لإحراز الدنيا و اصطيادها و لكنه قد أفسد دينه و أهلك نفسه بهذا الطلب القبيح..

(لحطام ينتهزه أو مقنب يقوده أو منبر يفرعه) بيّن عليه السلام الأسباب الداعية لهذا الشخص إلى فعل ما يفعله و العلل التي من أجلها كان يسعى، إنه كان يسعى من أجل مال الدنيا ليحصل عليه.. إنه يسعى من أجل حطام الدنيا و ما فيها أو كان يسعى من أجل الزعامة الدنيوية فيتحول إلى رئيس تحت أمرته الناس و الجند يأمر فيطاع فإن صاحب المقنب هو الرئيس الذي تحت أمرته ثلاثين أو أربعين فرسا برجالها و بهم يحقق ما يريد..

أو يكون بكل سعيه يسعى ليعتلي منبرا كناية عن كونه زعيما دينيا له سيطرة على قلوب الناس و توجيههم فهو يطلب بواسطة الدين الدنيا و زعامتها..

(و لبس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمنا و ممالك عند الله عوضا) و الإمام لا يترك الهفوة تمر و الرذيلة تسري حتى يبين فسادها و ضررها و يحذّر من شرها لعل إنسانا ينظر لنفسه أو يرجع إلى ربه..

إنه من الشقاء و التعاسة أن يتجر الإنسان بهذه التجارة الخاسرة من أجل المال أو الرياسة بفرعيها الديني و الدنيوي يبيع نفسه و يجعلها ثمنا لهذه الدنيا و عوضا عما أعدّه الله له في الآخرة من جنات و قصور و عيون و حور عين..

فهو يبيع نفسه و ما أعدّه الله له في الآخرة بمال الدنيا أو زعامتها و هي تجارة خاسرة و معاملة سفهية و هل من عاقل راشد يقوم على مثل هذه التجارة؟..

(و منهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة و لا يطلب الآخرة بعمل الدنيا) هذا ثالث الأربعة من الذين يطلبون الدنيا.. إنه الذي يظهر بعمله أنه يعمل للآخرة و لكن في الواقع يطلب بعمله الدنيا.. يصلي من أجل أن يصطاد قلوب الناس و ثقتهم ليفتك بهم و بما معهم... يظهر الزهد و النسك و لكن يريد أن تضع الناس أموالها بين يديه فيستغلها لصالحه و صالح أسرته، ينادي بالدين من أجل أن يترأس على الناس، إن صوته يعلو من أجل الآخرة ظاهرا و لكنه يطلب الدنيا في قرارة نفسه و عمقها.. إنه لا يطلب بعمل الدنيا الآخرة بل العكس يطلب بعمل الآخرة الدنيا..

(قد طامن من شخصه وقارب من خطوه و شمر من ثوبه و زخرف من نفسه للأمانة و اتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية) بين عليه السلام الوسائل و الطرق التي يصطاد بها هذا الرجل قلوب الناس.. إنها طرق شريفة يسلكها الصالحون و أرباب المعرفة، و أهل التقى و الإيمان يسلكها هذا الشخص بنفسه و يقلدهم فيها..

إنه قد طامن من نفسه أي تواضع و التواضع علامة الدين فإن المتكبر بعيد عن الدين لأنه خلاف تعاليمه و وصاياه و قارب من خطوه ليظهر عليه الوقار و السكينة و عدم الطيش و الخفة و شمر من ثوبه ليظهر أنه محتاط في طهارته و بالتالي متدين ملتزم و أيضا يزخرف من نفسه للأمانة فهو يمدحها أمام الناس و يعدد طاعاته المقربة من الله و أعماله الشرعية كي يكون موضع أمانات الناس و أسرارهم.

إنه اتخذ هذه الأفعال ذريعة إلى المعصية.. فهذه كانت سترا و وقاية جعلها الله ليدخل منها الإنسان إلى الطاعة و الجنة و ما فيه رضى الله و إذا بهذا الشخص يتخذ هذه الأمور التي يطمأن إلى أن من اتخذها كان من عباد الله الصالحين، يتخذها هذا وسيلة من أجل معصية الله التي هي طلب الدنيا و التراس فيها على الناس..

(و منهم من أبعده عن طلب الملك ضؤولة نفسه و انقطاع سببه فقصرته الحال على حاله فتحلى باسم القناعة و تزين بلباس أهل الزهادة و ليس من ذلك في مراح و لا مغدى) و هذا رابع الأربعة ممن يطلب الدنيا و يريد لها و لكن العجز أفعده و القلة منعتة.. إنه في قرارة نفسه يريد الملك و الرياسة و السلطة و لكن ضعته و حقارة نفسه و عدم ملكه للأسباب التي توفر ذلك كان وراء قعوده و سكونه و أضحى كما هو على حاله التي يقدر عليها فتحلى باسم القناعة و هذا كثير ما يستعمله العاجز و غير المتمكن فهو لا يقدر على شراء سيارة فيشتري دراجة و يظهر أمام الناس أنه قانع راض و لكن في الحقيقة لم تكن قناعة عن قدرة و إنما كانت عن عجز..

و تزين بلباس أهل الزهادة من ممارسة العبادات و البعد عن المحرمات و القيام ببعض المستحبات.

ثم إنه عليه السلام نفى عنه القناعة و الزهد أصلا و عبّر عنهما بقوله و ليس من ذلك في مراح و لا مغدى.

(و بقي رجال غصّ أبصارهم ذكر المرجع و أراق دموعهم خوف المحشر) هذا هو القسم الخامس الذي لم يذكره الإمام مع الأربعة المتقدمين إنه قسم أفرده لخصوصياته و خصائصه و ما يتمتع به من مناقب و صفات.. صنف عز وجوده في زماننا، أقل من

الكبريت الأحمر.. لم تقع أعيننا على واحد منهم فعسى أن يجود الزمان بمن يصف الإمام...

هؤلاء الرجال غض أبصارهم ذكر المرجع فقد وضعوا الآخرة نصب أعينهم وعرفوا أنهم سوف يعودون إليها.. يعرفون المصير المحتوم الذي ينتظرهم، هذا المصير هو وحده الذي منعهم عن الحرام وعن ممارسة الممنوعات.. فإن الإنسان إذا أيقن أنه سيرجع إلى الله عرف مصيره ونهايته فإنه لا بد وأن يمتنع عن كل حرام ويمتنع عن كل فساد...

و كذلك بكوا في ظلمات الليل خوفا من الوقوف بين يدي الله.. إنهم ينتحبون لعلهم في الآخرة يضحكون..

(فهم بين شريد ناد) أهل الآخرة الذين لا يداهنون ولا يسايرون على حساب الدين.. الذين هم لله وهمهم كلمة الله.. هؤلاء مشردون في أطراف الأرض بعيدون في بقاعها.. قالوا كلمة الحق فأغضبت الظالمين فأرادوهم فهربوا ونأوا في طول الأرض وعرضها..

(و خائف مقموع) و من لم يقدر على الهرب و الفرار فهو يعيش الخوف و الفزع على نفسه و دينه في قهر و إذلال..

(و ساكت مكعوم) فهو ساكت قهرا عنه ممنوع من الكلام و الحديث لا يقدر أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن منكر..

(وداع مخلص) فهذا يتوجه إلى الله يدعوه بإخلاص و لا يدعو غيره.

(و ثكلان موجع) و هذا متألم حزين لما يصيب الدين على أيدي الظالمين..

(قد أخلتهم التقية) فمن الخوف لا يظهرون و لا يعرفون فمن هنا ليسوا في الواجهة و المقدمة، لم تعرفهم وسائل الإعلام و لم تكتب عنهم الصحف و المجالات..

(و شملتهم الذلة) و الاتقياء أدلة في دولة الظالمين و المعتدين يمارس عليهم أنواع من الاستهزاء و السخرية و لكن إلى حين.

(فهم في بحر أجاج) يعيشون منفردين ضمن هذا العالم الفاسد الذي لا يرفع الحقوق و لا يحفظ الحدود..

(أفواههم ضامزة) أفواههم ساكنة لا تستطيع إنكار المنكر و رفع الصوت في وجه الانحراف و الفساد..



(و قلوبهم قرحة) قلوبهم مجروحة بما يجري أمامهم من المنكرات فلا يستطيعون تغييرها كناية عن أساهم ولوعتهم وأسفهم..

(قد وعظوا حتى ملوا) قاموا قدر استطاعتهم في إرشاد الناس و بيان الأحكام حتى سئمت نفوسهم لعدم الاستجابة لهم..

(وقهروا حتى ذلوا) جرت عليهم عملية القهر و الضغط حتى أذلهم الطغاة فلذا نجد من شدة سوط السلطان و سيفه لا يظهر الإنسان علنا و لا يمارس عبادته بحرية كاملة..

(وقتلوا حتى قتلوا) فلذا نرى رجال الله قلة بل نوادر لأن الداعية لله سيواجه العالم بلسانه و موقفه و قلمه و يده و هذا يعرضه للهلاك و القتل و لكثرة الظالمين و ممارساتهم و ما يلاحقون به هؤلاء الرجال قتلوا و أصبحوا أقل من القليل..

(فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حثالة القرظ و قراضة الجلم) توجه الإمام في نهاية هذه الخطبة إلى موعظة الناس و ردهم إلى الله و ذلك باستصغار الدنيا و نبذها و تركها و التخلي عنها لأنها السبب في بعد الإنسان عن الله.

و على الإنسان أن يجعلها في عينه أصغر و أحقر من بقايا النبات الذي يدبغ به أو ما يتساقط عند ما يجز الغنم فإن ذلك شيء تافه حقير لا يسأل عنه أحد و لا يبحث عنه أحد فكذلك أنتم انبذوا الدنيا و احتقروها و احتقروا ما فيها.

(و اتعظوا بمن كان قبلكم) فقد سبقتنا أمم كثيرة لم يبق منها أثر، ماتوا جميعا و قضوا كلهم و لم يبق إلا ذكرهم نسمع بهم و نعلم أخبارهم قد لقوا وجه ربهم و عنده الحساب و لهم الثواب أو العقاب فهؤلاء يجب أن نأخذهم عبرة لنا و موعظة نأخذ من أعمالهم ما يفيدنا و نجتنب عنها ما يضرنا.. فنعمل بالأولى و نترك الثانية و هكذا تكون طريقة العاقل يرى غيره فيأخذ تجربته و يستفيد منها و لا يرضى أن يكون هو محط التجربة..

(قبل أن يتعظ بكم من بعدكم) لا تكونوا أنتم محط التجربة فيستفيد منكم غيركم مما يأتي بعدكم و لا تستفيدون أنتم ممن سبقكم.

(و ارفضوها ذميمة فإنها رفضت من كان أشغف بها منكم) اتركوها قبيحة سيئة فإنها لقبحها و سيئاتها قد تركت من كان أشد حبا لها منكم و أشد رغبة... إنها تخلت عن من كان أشد حبا لها فهي بالأولى أن تترككم و لم تحبوا كحبهم.

### إشارة

عند خروجه لقتال أهل البصرة، وفيها حكمة مبعث الرسل، ثم يذكر فضله و يذم الخارجين قال عبد الله بن عباس - رضي الله عنه :-  
دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار (1) و هو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها! فقال عليه السلام:  
والله لهي أحب إلي من إمرتكم، إلا أن أقيم حقًا، أو أدفع باطلا، ثم خرج فخطب الناس فقال:

### حكمة بعثة النبي

إن الله بعث محمدًا صلى الله عليه وآله، وليس أحد من العرب يقرأ كتابا، ولا يدعي (2) نبوة، فساق (3) الناس حتى يؤأهم محلّتهم، و  
بلغهم منجاتهم (5)، فاستقامت قناتهم (6)، و اطمأنت صفاتهم (7).

### فضل علي

أما والله إن كنت لفي ساقتها (8) حتى تولّت بحذافيرها (9): ما عجزت (10) و لا جنت (11)، وإنّ مسيري هذا لمثلها؛ فلا نقبّ الباطل  
حتى يخرج الحقّ من جنبه.

### توبيخ الخارجين عليه

ما لي ولقريش! والله لقد قاتلتهم كافرين، ولأقاتلتهم مفتونين (13)،

وإني لصاحبهم بالأمس، كما أنا صاحبهم اليوم! والله ما تنقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم، فأدخلناهم في حيزنا (14)، فكانوا كما قال الأول:

أدمت لعمرى شربك المحض (15) صابحا\*\*\* وأكلك بالزبد المقشرة البجرا (16)

ونحن وهبناك العلاء ولم تكن\*\*\* عليا، وحننا حولك الجرد والسمر (17)

## اللغة

ذي قار: موضع قريب من البصرة.

2- ادعى: الشيء زعم أنه له حقا أو باطلا.

3- ساق: الماشية حثها على المشي من خلف.

4- بوأهم: أسكنهم.

5- المنجاة: جمعها مناج الباعث على النجاة.

6- القناة: الرمح، عمود الظهر المنتظم للفقار.

7- الصفاة: الحجر الأملس.

8- الساقة: جمع سائق.

9- تولت بحذافيرها: أي بأسرها.

10- العجز: عدم القدرة.

11- الجبن: الفزع والخوف.

12- نقب: ثقّب.

13- مفتونين: ضالين.

14- الحيز: المكان وهو مأخوذ من الحوز أي الجمع وهذا في حيز فلان أي في جهته ومكانه.

15- المحض: اللبن الخالص.

16- البجر: الأمر العظيم.

17 - الجرد: جمع أجرد وهو الفرس الذي دق شعره وقصر ويمدح به الفرس.

18 - السمر: مفردة أسمر وهو الرمح.

ص: 262

قال عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار وهو يخصف نعله.

فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟.

فقلت: لا قيمة لها.

فقال عليه السلام: والله لهي أحب إلي من أمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أذفع باطلاً ثم خرج فخطب الناس فقال خرج الإمام من المدينة قاصداً البغاة في البصرة وعند ما وصل إلى ذي قار قرب البصرة كانت بينه وبين ابن عباس هذه المحاوراة الرائعة التي تكشف عن الهدف الأعلى للإمام من الخلافة وإن غاية الحكم عنده ليس أن يعتلي كرسي الحكم بل مهمة الحكم وغاية الحاكم أن يبسط سلطان الحق والعدل بين الناس وإلا فلا قيمة للحكم بل قط اعتباره ولا يعود له مبرر في الوجود والبقاء...

والإمام خطب الناس بعد ذلك فقال:

(إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وليس أحد من العرب يقرأ كتاباً ولا يدعي نبوة فساق الناس حتى بواهم محلثهم وبلغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم واطمأنت صفاتهم) قدم الإمام هذه المقدمة ليدخل منها إلى مقصوده وهو مبررات حربه للبغاة وإنها كحرب رسول الله لقريش وهي كافرة بينما الآن يحاربها الإمام وهي ضالة منحرفة ثم بين نعمة قريش عليه وسبب ذلك.. ذكر مبعث رسول الله المبارك وإنه سبحانه بعثه نبياً وليس في العرب كافة من يقرأ كتاباً فهي أمة أمية لا تحسن القراءة ولا تجيدها ولم يدع أحد من ابنائها نبوة وأنه رسول من قبل السماء إلى الناس في تلك الحالة بعث الله رسوله محمداً فقام بدوره الرسالي في تقويم الأمة وتعديلها فساق الناس بجهادهم وكفاحهم حتى أسكنهم مكانهم اللائق بهم من حيث إيصالهم إلى زيادة الأمم وقيادة العالم وأوصلهم إلى سعادتهم وما ينجيهم من النار، وبعبارة أخرى جعلهم أمة تحتل مكانها في قيادة العالم وفي ذلك سعادة الدنيا كما جعلها أمة ناجية من عذاب الله وعقابه وبذلك سعادة الآخرة فاعتدلت قوتها لأنها وضعت في موضعها من حيث أن هذه القوة تحولت إلى الجهاد في سبيل الله بعد أن كانت في طرق الغزو والنهب والسلب وذلك هو الاغوجاج والانحراف التي كانت عليه قبل بعثة الرسول واطمأنت صفاتهم أي كانوا مهزوزين مضطربين مهددين من قبل بعضهم بغارة يشنها عليه الآخرون أو حرب يوقدها

عدوهم وأما الآن فقد استقر الوضع وارتاحت القلوب والنفوس..

(أما والله إن كنت لفي ساقتها حتى تولت بحدافيرها ما عجزت ولا جبت) ذكر عليه السلام دوره في استقامة أمور العرب واستقرارهم وإنه من الذين ساقوها أمامهم ودفعوها للإسلام والإيمان وهذا واضح سليم فإن نظرة واحدة إلى معارك الإسلام وغزواته يقف الإنسان على مدى ما قدمه الإمام في هذا السبيل ويرى بأعينه دوره في نشر الإسلام والقضاء على الكفر وهكذا بقي مجاهدا حتى تولت الجاهلية بكل عاداتها وتقاليدها وموارثها السخيفة، لم يعجز عن أداء مهمة أو ينكل في موقف أو يتخاذل ويخاف من عدو في حال بل هو القوي في كل موقف والشجاع أمام كل حادثة وأمام كل بطل...

(وإن مسيري هذا لمثلها فلأنقبن الباطل حتى يخرج الحق من جنبه) يشد عزائم أتباعه وأنصاره ويقوي شوكتهم بأنه لن يجبن ولن يضعف وهو كما كان سيقى وهذه المسيرة التي هو فيها والتي يقودها مثل التي كانت مع رسول الله على الحق وسوف يشق الباطل فيقضي على البغاة من أجل أن تتحد الأمة وتتوحد وتقيى الفئة الباغية إلى حكم الله أو يقضى عليها..

(ما لي ولقريش، والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنهم مفتونين وإني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم) استفهم عليه السلام عما تنكر عليه قريش استفهما استنكاريا وإنه ليس عليه شيء يمكن أن يؤخذ عليه حتى تقف منه هذا الموقف العدائي...

ثم أراد أن يذكرهم بماضيهم ويخوفهم من مستقبلهم بأنه قد قاتلهم على زمن رسول الله وقد كانوا كفارا فهداهم الله بسيفه وجهاده وهو الآن سيقاتلهم بغاة ضلالا منحرفين وأنا كما عهدوني بالأمس، أنا صاحبهم الذي يعرفونه جيدا ويعرفون موافقه المشهورة وأنا صاحبهم اليوم أيضا.. أنا الذي يقف في جوههم ويقاومهم ويردهم إلى الطاعة والانقياد ويخلصهم من الفتنة والانحراف.. أنا لهم اليوم مفتونين كما كنتم لهم بالأمس كافرين..

(والله ما تقم منا قريش إلا أن الله اختارنا عليهم فأدخلناهم في حيزنا فكانوا كما قال الأول:

أدمت لعمرى شريك المحض صابحا\*\*\* وأكلك بالزبد المقشرة البجرا

ونحن وهبنك العلاء ولم تكن\*\*\* عليا وحننا حولك الجرد والسمرا)

أقسم عليه السلام أن قريشا لا تشكو من علي خاصة وأهل البيت عامة إلا اختيار الله لهم واصطفائهم عليهم وهذه هي عقدة النقص في قريش ترى نفسها قاصرة عن بني هاشم لا- تدرك علاها ولا- تبلغ ذراها فيؤذيها أن ترى من هو أفضل منها، وبهذه الفضيلة الإلهية والاختصاص الرباني كان الطريق لإدخال قريش في الحيز الذي عم البشرية وهو إدخالهم في الإسلام وقد أصبح لهم عزا وقوة واقتدارا... و استشهد بهذين البيتين من الشعر على أن ما هم فيه من الفضل والنعيم فضل جهاد أهل البيت و تضحياتهم و ما قدموه في سبيل انتشار الإسلام وبسط سلطانه الذي منه استمدت قريش مقامها وأمجادها..

ص: 265

## إشارة

في استنفار الناس إلى أهل الشام بعد فراغه من أمر الخوارج، وفيها يتأفف بالناس، وينصح لهم بطريق السداد أفّ لكم (1)! لقد سئمت (2) عتابكم (3)! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضاً (4)؟! وبالذّلّ من العزّ خلفاً (5)؟! إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم دارت أعينكم (6)، كأنكم من الموت في غمرة (7)، و من الذّهول (8) في سكرة (9). يرتج (10) عليكم حواري (11) فتعمهون (12)، و كأنّ قلوبكم مألوسة (13)، فأنتم لا تعقلون. ما أنتم لي بثقة سجيس اللّياالي (14)، و ما أنتم بركن (15) يمال بكم، و لا زوافر (16) عزّ يفتقر إليكم. ما أنتم إلا كابل ضلّ (18) رعاتها (19)، فكلّما جمعت من جانب انتشرت من آخر، لبس - لعمر الله - سعر (20) نار الحرب أنتم! تكادون و لا تكيدون، و تنتقص (21) أطرافكم فلا تمتعضون (22)؛ لا ينام عنكم و أنتم في غفلة ساهون (23)، غلب و الله المتخاذلون (24)! و ايم الله إني لأظنّ بكم أن لو حمس (25) الوغى (26)، و استحرّ الموت (27)، قد انفرجتكم عن ابن أبي طالب انفراج الرّأس. و الله إن امرأ يمكن (28) عدوّه من نفسه يعرق لحمه (29)، و يهشم (30) عظمه، و يفري (31) جلده، لعظيم عجزه، ضعيف ما ضمتّ عليه جوانح صدره. أنت فكن ذاك إن شئت؛ فأما أنا فو الله دون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفيّة (32) تطير منه فراش الهام (33)، و تطيح (34) السّواعد و الأقدام، و يفعل الله بعد ذلك ما يشاء.



## طريق السداد

أيها النَّاسُ، أنَّ لي عليكم حَقًّا، و لكم عليَّ حَقٌّ : فأما حَقُّكم عليَّ فالنَّصيحة لكم، و توفير فينكم (35) عليكم، و تعليمكم كيلا تجهلوا، و تأديبكم كيما تعلموا. و أما حَقِّي عليكم فالوفاء بالبيعة، و النَّصيحة في المشهد و المغيب، و الإجابة حين أدعوكم، و الطَّاعة حين أمركم.

## اللغة

- 1 - أف: كلمة تضجر، و استقذار و مهانة.
- 2 - سئم: ضجر و ملّ .
- 3 - العتاب: اللوم، الإنكار عليه بشيء من فعله.
- 4 - العوض: البذل.
- 5 - الخلف: العوض.
- 6 - دارت أعينكم: اضطربت من الجزع.
- 7 - الغمرة: من الغمر و هو الستر.
- 8 - الذهول: النسيان.
- 9 - سكرة: الموت غشيته و شده و السكر ضد الصحو.
- 10 - يرتج: يغلق.
- 11 - الحوار: المحاوره.
- 12 - تعمهون: من عمه تحير و تردد.
- 13 - المألوسة: المخلوطة بمس الجنون.
- 14 - السجيس: الأبد.
- 15 - الركن: ما يقوى به، العز و المنعة و من البناء الجانب الأقوى منه، الشريف.
- 16 - الزوافر: جمع زافرة و زافرة الرجل أنصاره و عشيرته.
- 17 - الإبل: الجمال.

18 - ضل: ضاع وذهب.

19 - الرعاة: مفردھا الراعي كل من ولي أمر قوم و من يتولى تدبير شؤون قطع من الحيوانات.

ص: 267

- 20 - السعير: جمع ساعر موقد النار.
- 21 - تنتقص: من نقص الشيء ذهب منه شيء بعد تمامه.
- 22 - تمتعضون: تغضبون و تأنفون.
- 23 - ساهون: غافلون.
- 24 - المتخاذلون: من خذل إذا ترك نصرته و معونته.
- 25 - حمس: كفرح اشتد و صلب في دينه.
- 26 - الوغى: الحرب و ساحة الوغى ساحة الحرب و في الأصل للصوت و الجلبة.
- 27 - استحر: بلغ في النفوس غاية شدته.
- 28 - يمكّن: عدوه منه يجعل له سلطانا عليه و قوة.
- 29 - يعرق لحمه: يأكل اللحم حتى لا يبقى منه شيء على العظم.
- 30 - هشم: العظم كسّره.
- 31 - يفري: لحمه أي يمزقه.
- 32 - المشرفية: السيف.
- 33 - فراش الهام: العظام الرقيقة التي تلي القحف.
- 34 - تطيح السواعد: تسقط.
- 35 - الفيء: الخراج و ما يحويه بيت المال.

## الشرح

(أف لكم لقد سئمت عتابكم أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا و بالذل من العز خلفا) بعد انتهاء أمر الخوارج في النهروان أراد الإمام أن يكمل شوطه في جهاد معاوية فدعاهم للخروج فورا إليه و لكنهم أصروا أن يدخلوا الكوفة و يرجعوا إلى أهلهم فيستعدوا فرجع بهم إلى النخيلة فعسكر هناك و أمرهم أن يلزموا ذلك المكان فكانوا يتسللون و يدخلون الكوفة فتركوه عليه السلام و ما معه من الناس إلا رجال من وجوههم قليل و بقي المعسكر خاليا فلا من دخل الكوفة خرج إليه و لا من أقام معه صبر فلما رأى ذلك دخل الكوفة فخطب الناس و حثهم فلم ينفروا فتركهم أياما ثم خطبهم هذه الخطبة...

«أف لكم» لم يقلها الإمام إلا بعد أن طُفح الكيل.. إنهم لم يستجيبوا له ولم يمثّلوا أمره وقد خطبهم أكثر من مرة وحثهم فلم يجد منهم استجابة فأذاه تمردهم وعدم

ص: 268

استجابتهم فبادرهم بكلامه «أف لكم لقد سئمت عتابكم» مللت من كثرة تأنيبكم و ذكر سقطاتكم و لم يعد بإمكانني أن أعدد أفعالكم.

أرضيتم أن تبيعوا الآخرة الباقية و ما فيها من النعيم و الحور و الخير بالدنيا الزائلة الفانية؛ إنها صفقة خاسرة من غير راشد و رضيتم بالذل يطالكم بعودكم و سكوتكم و عدم قيامكم بالجهاد.. و هذا استفهام استنكاري تويخي يقصد به الحث و الدفع..

(إذا دعوتكم إلى جهاد عدوكم دارت أعينكم كأنكم من الموت في غمرة و من الذهول في سكرة) إذا دعاهم الإمام لحرب معاوية و الخروج إليه أصيبوا بالخوف و الفزع و كان حالهم كحال الذي يغشى عليه من الموت و هو الذي قرب من حال الموت و غشيتته أسبابه فيذهل و يذهب عقله و يشخص بصره فلا يطرف و هذا تصوير لشدة كراحتهم للحرب بحيث صارت دعوتهم إليه مؤذية لهم منغصة عليهم هدوهم و سكونهم..

(يرتج عليكم حوارى فتعمهون و كأن قلوبكم مألوسة فأتم لا تعقلون) بين حاله معهم عند ما يحاورهم و يطرح عليهم القضايا و يحشرهم في أفعالهم و تصرفاتهم فيترددون و يضطربون و هذه حالة العاجز الذي يرى خطأه و لا يستطيع أن يجيب على تصرفه جوابا صحيحا مقنعا فينغلق عليه الجواب و يعجز عن الرد و يصبح حالهم كمن أصابه مس في عقله فهو يتصرف بغير شعور و بالتالي لا تكون تصرفاته محكومة بالسداد و التوفيق فهم لا يفكرون و لا عقل لهم يحكم تصرفاتهم..

(ما أنتم لي بثقة سحيس الليالي) نزع الإمام ثقته منهم حيث كانوا يعدونه ثم لا يفون دخلوا الكوفة على أمل الخروج منها لحرب عدوهم فاستطابوا الجلوس بين الأهل و العيال و امتنعوا و هكذا كانوا يخالفون ما يقولون فأنا لا أثق بكم أبدا و على طول الدهر و هذا لشدة ما رأى منهم من المخالفات..

(و ما أنتم بركن يمال بكم) نفى عنهم أن يكونوا قوة يعتمد عليها في انتزاع النصر أو قوة تقهر الأعداء و ينتصر بهم عليهم..

(و لا زوافر عز يفقر إليكم) لستم أنصار عز لمن. يحتاج إليكم لأنكم أذلاء فلا تدفعون ضيما و لا ترفعون حيفا..

(ما أنتم إلا- كإبل ضل رعاتها فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر) لاختلاف آرائهم و تشتت كلماتهم و عدم اجتماعهم على أمر واحد شبههم بالجمال التي غاب عنها المسئولون عن حفظها و رعايتها فلغيابهم عنها إذا اجتمعت من جهة تفرقت من أخرى

لعدم الرابط بينها و عدم الجامع فكل فرد يختار ما يحب و يتجه كيف يشاء..

(لبس - لعمر الله - سعر نار الحرب أنتم) بئس الرجال أنتم للحرب إذا اشتعلت نارها لأنها تحتاج إلى رجال أشداء أقوياء و أنتم لستم على مستوى ذلك..

(تكادون و لا تكيدون و تنتقص أطرافكم فلا تمتعضون) يرسم لكم الأعداء طرق الاحتيال و المكر التي تضر بكم و تؤذيكم و لا تردون لهم أمثالها أو تقابلونها بأشباهاها فهم أقدر منكم على الفتك.

و أما بلادكم فإنها تتقلص من نواحيها حيث يشن عدوكم عليها الغارات فيستولي على بعضها و بذلك يحوزها و لا تتأثرون أو تغضبون شأن من لا يعينهم الأمر و لا يخصصهم و هذه صفات رذيلة يجتنبها الشرفاء..

(لا ينام عنكم و أنتم في غفلة ساهون غلب و الله المتخاذلون) معاوية كان يخطط باستمرار للتغلب على أهل العراق يستدعي عمروا من فلسطين و يشتري الضمائر و يرشي الرؤساء و يحيك المؤامرات.. في الشام مركزه و لكن عملاؤه في عاصمة حكم الإمام ينقلون إليه ما يجري بحذافيره، كانوا يكتبون إليه و يبينون له مواطن الضعف.. إنه لم ينم بل يفكر في الوسائل التي يغلب بها الإمام و أنصاره و لكن في مقابل هذه اليقظة من قبل أهل الشام و قيادتهم كان أهل العراق في غفلة لا يتنبهون و لا يتحسسون و كان الإمام يعيش هذا الفارق الكبير فينذرهم و يرشدهم و يحرك فيهم الهمم و يبعث فيهم روح الاندفاع كأنه يقرأ بين القبور فلا أحد يسمع.

ثم أراد أن يعطيهم النتيجة التي سيصلون إليها إن استمروا على ذلك و هي أن كل متخاذل غير مندفع في تحصيل حقه سينهزم و يغلبه خصمه فلا تكونوا متخاذلين لئلا تغلبوا..

(و أيم الله إني لأظن بكم أن لو حمس الوغى و استحر الموت قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس) و هذا قسم منه و هو صادق فيما يقسم أنه إذا كان في قلب المعركة و قد اشتد أوراها و حمى وقعها و ارتفعت حراراتها و بلغت من الشدة مداها، في تلك اللحظات الصعبة سيفرون عنه و يتركونه وحيدا لا يعودون إليه أبدا كما لا يعود الرأس إلى الالتئام إذا تحطم و تهشم و تكسر..

(و الله أن أمرا يمكن عدوه من نفسه يعرق لحمه و يهشم عظمه و يفري جلده لعظيم عجزه ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره) أقسم عليه السلام بأن أي إنسان يتخاذل عن مقارعة الأعداء و يتوانى فيمكّنهم من نفسه يمارسون عليه أنواع الذل و الانتقام فيأخذون

أمواله و يسلبون كرامته و يدوسون مقدساته فهذا من أعجز الناس فكرا و منطقا و قوة لا- يملك قلبا شجاعا و لا قوة يواجه بها جبروت الظالمين و في هذا الكلام حث على أن لا يكونوا كذلك..

(أنت فكن ذاك إن شئت فأما انا فوالله دون ان اعطى ذلك ضرب بالمشرقية تطير منه فراش الهام و تطيح السواعد و الأقدام و يفعل الله بعد ذلك ما يشاء) بعد أن بين أن الأقوياء و الشرفاء لا يسلمون أنفسهم إلى أعدائهم ليمارسوا عليهم أنواع الذل و القهر أبي لنفسه أن يكون من أولئك الضعفاء الذين استسلموا للأعداء و خاطب من تقبل نفسه ذلك بأنك أنت إذا اخترت أن تكون ذلك الذي يمكّن عدوه من نفسه فأنت و شأنك و ما اخترت، تختار الذل فأنت و ما تختار تتحمل مسؤولية نفسك و تختار ما تريد من أنواع الذل أما أنا علي بن أبي طالب فلن أمكن أعدائي مني و لن أقبل أن أدفع إليهم بنفسى يمارسون ما يشاءون من إذلال عليها و قهر و اضطهاد،.. لا يكون ذلك بل سأعطيهم السيف الذي به تطير رؤوسهم و تنفصل سواعدهم و أقدامهم و بعد هذه المقاومة ليكن ما يريد الله و ما يشاء أغلب أم أغلب.. فهو عليه السلام أخذ على نفسه و علمنا كيف تكون الصلابة في مواجهة الباطل و إن العاقل لا يعطي عدوه شيئا يمكنه به من نفسه بل يبذل قصارى جهده في مواجهته و يدفعه بكل وسيلة حتى لو كانت المقارعة بالسيوف التي تنال الرؤوس و الأطراف..

(أيها الناس إن لي عليكم حقا و لكم عليّ حق فأما حاكم علي فالنصيحة لكم) الحقوق بين الحاكم و المحكوم متبادلة فليس الحاكم طاغوتا يتحكم في رقاب الناس و يمارس عليهم ما يشاء و ما يحب دون ضوابط تحكم تصرفاته و تحد من صلاحياته، بل إنه محكوم لقانون شرعي لا يخرج عنه أو يتعداه و هو بعد ذلك كله مسئول عن رعيته و يذكر الإمام جملة من هذه الواجبات و المسؤوليات فأولها النصيحة للرعية بأن يتوخى لهم ما ينفعهم و يفيدهم فيرشدهم إليه و يأمرهم به و ينصحهم بممارسته و القيام به، فيدلهم على الطريق السليمة التي يسعدوا بها في دنياهم و آخرتهم.

(و توفير فيئكم عليكم) و هي أموال المسلمين و ما جنته سيوفهم تكون لهم فلا يصرفها الحاكم في شهواته و قراباته كما فعل ذلك الخليفة الثالث فأثار المسلمين عليه و كانت من جملة الأسباب التي دعت للتخلص منه.. ففيء المسلمين و ما في بيت المال هو للمسلمين يقسم بينهم بالسوية و قد كانت سيرة الإمام مع ابن أمه هي نفسها التي أجراها مع جميع المسلمين و عليهم دون تفاوت أو تمييز..

(و تعليمكم كيلا- تجهلوا) فالجهل و الأمية وراء كل تأخر و تهقر و لم ترتق الأمم إلا بالعلم و المعرفة و واجب الحاكم أن يوفر للرعية الظروف المناسبة كي يتعلموا بل فرض الإسلام على المسلم المعرفة و أشاد بالعلم و العلماء و حث على ذلك.. و إن الدول الراقية تفرض على شعبها أن يتعلم و تسلك جميع الطرق من أجل القضاء على الأمية و الجهل..

(و تأديبكم كيما تعلموا) و كذلك من واجبات الحاكم أن يؤدب المسيئين الذين يتجاوزون القانون و ردهم إلى الطاعة فمن قتل قتل و من اعتدى اقتص منه و من تجاوز الحد أقيمت عليه الحدود و هكذا دواليك فيأخذ قصاصه المجرم و يتأدب به غيره و يعلم الحكم من يجهله، و إقامة الحدود و الاقتصاص من المنحرفين و وظيفة الحاكم و له هذا المقام و عليه تجري هذه الأمور..

(و أما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة) بعد أن ذكر ما للرعية من حقوق على الحاكم ذكر هنا حقه عليهم و أول الحقوق و أهمها أن يكونوا أوفياء له فيما بايعوه عليه.. بايعوه على أن يكون خليفة يقوم بشئونهم و يدبر أمورهم فيجب عليهم أن يفوا بذلك فلا يبايعوا غيره و لا يعطوا يدا لسواه و لا يقبلوا إلا به.. إنهم رضوا به قائدا لهم و خليفة عليهم فليس لهم بعد ذلك أن يعطوا لغيره ما أعطوه له..

(و النصيحة في المشهد و المغيب) بأن يكونوا في حال غيابه كما هم في حال حضوره إذا رأوا أمرا فيه مصلحة بادروا إلى بيانه و الافصاح عنه و إذا رأوا عورة بينوها و أوضحوا معالمها فإن النصيحة - بيان الصالح و ما فيه منفعة و فائدة - تجري بين المسلمين عامة و تتأكد فيما بين الحاكم و المحكوم لأثرها على المجتمع فيما لو تركت و لم يخبر بها الحاكم..

(و الإجابة حين أدعوكم و الطاعة حين أمركم) فإذا دعوتكم لأمر لبيتم الأمر و استجبتم لدعائي فبادرتم بدون تسويق أو تأخير فليس لكم أن تتمردوا أو تتوقفوا أو تتعللوا و تتساءلوا فإن الحاكم يبحث عن مصلحة شعبه و ما ينفعهم فهو عند ما يأمرهم يجب عليهم الامتثال و الطاعة و الانقياد لتحصيل منافعهم و ما فيه مصلحتهم..



إشارة

بعد التحكيم و ما بلغه من أمر الحكّمين و فيها حمد الله على بلائه، ثم بيان سبب البلوى

الحمد على البلاء

الحمد لله و إن أتى الدهر (1) بالخطب (2) الفادح (3)، و الحدث (4)، الجليل. و أشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له، ليس معه إله غيره، و أنّ محمّدا عبده و رسوله، صلّى الله عليه و آله.

سبب البلوى

أمّا بعد، فإنّ معصية النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمَجْرَبِ (5) تورث الحسرة (7)، و تعقب (8) التّدامة (9). و قد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري، و نخلت (10) لكم مخزون رأيي، لو كان يطاع لقصير أمر! فأبيتم (11) عليّ إياء المخالفين الجفافة (12)، و المنابذين (13) العصاة، حتّى ارتاب (14) النَّاصِحُ بنصحه، و ضنّ (15) الرّند (16) بقدحه (17)، فكنت أنا و إيتاكم كما قال أخو هوازن (18):

أمرتكم أمري بمنعرج اللّوى (19) \*\*\* فلم تستبينوا (20) التّصح إلا ضحى الغد

- 1 - الدهر: الزمن.
- 2 - الخطب: الأمر العظيم.
- 3 - الفادح: من فدحه الأمر إذا أعاله وأبهظه وأعجزه.
- 4 - الحدث: الحادث.
- 5 - المجرب: الذي تجربته الأمور وأحكمته.
- 6 - تورث: ترك و تخلف.
- 7 - الحسرة: التلهف، والحسران من اشتدت حسرته وندامته على أمر فاته.
- 8 - تعقب: تخلف.
- 9 - الندامة: الحزن والأسف.
- 10 - نخل: الدقيق صفاه وأخلصه.
- 11 - أيتيم: من أبى الشيء إذا كرهه ولم يرضه وأبى عليه امتنع وأبى الشيء عليه منعه عنه.
- 12 - الجفأة: هم الخشن الغلاظ الذين لا يؤلفون.
- 13 - المنابذين: من نبذ الشيء إذا طرحه.
- 14 - ارتاب: أشك وأتردد.
- 15 - ضنّ: بخل.
- 16 - الزند: العود الذي يقدح به النار.
- 17 - القدح: بالزند محاولة إخراج النار منه.
- 18 - هوازن: قبيلة عربية.
- 19 - منعرج اللوى: اسم المكان.
- 20 - تستينوا: من أبان الشيء إذا اتضح واستبان الشيء وضح.

(الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح و الحدث الجليل) ابتداءً عليه السلام بحمد الله على ما جاء به الزمن من الضراء و البلاء فإنه أتى بأمر عظيم و حادث كبير ألا و هو انحراف الحكمين في حكمهما و عدولهما عن الحق إلى الضلال من حيث خلعا الخليفة الشرعي بدون مبرر و هو حمد على السراء و الضراء..

(وأشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له ليس معه إله غيره وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله) اعتراف وإقرار للبركة والتذكير تعليما لنا وتاديبا بأن الله واحد لا شريك له وأراد تأكيد هذا المضمون بنفي الشريك معه واتباع ذلك بالشهادة لمحمد بأنه عبد الله ورسوله..

(أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة) قبل أن يدخل في مقصوده أراد أن يبين كبرى كلية و قضية حقيقية و مفادها أن رفض قبول رأي الإنسان الناصح الذي يؤدي النصيحة و هي لا تؤدي إلا إذا قلب الناصح وجه الأمور و صدرها و عرف أسفلها و أعاليها و دخل إلى عمقها الشفيق الذي دفعه العطف و الحب و من كان شفوفا على إنسان بحث عما يريحه و ينفعه...

العالم الذي يعرف الأمور و له خبرة بها و اطلاع عليها المجرب، الذي تتبع القضايا و أدرك صحتها فإن هذا الإنسان الذي اجتمعت فيه هذه الصفات إذا خالفه أحد كان خلافه و رفض قوله و عدم قبوله يورث الألم و الحسرة و يأتي بالندامة و الملامة..

(و قد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري) إشارة منه بل تصريح إلى أنه رفض التحكيم و لم يقبل به و قال لأهل العراق لا تضعوا سيوفكم إلا بعد النصر و تحقيق الأمر و إن معاوية و عمرو بن العاص و من خلفهما لم يرفعوا المصاحف طاعة لحكمها و إنما رفعوها خدعة و غدرا فأبوا عليه و رفضوا قوله و خرجت الخوارج عليه و أجبرته على قبول التحكيم..

(و نخلت لكم مخزون رأيي لو كان يطاع لقصير أمر) استخلصت لكم الرأي الصحيح مما جربته و وقفت عليه و علمته و هو رفض التحكيم و متابعة القتال و لكن لم تطيعوا رأيي بل عصيتم و تمردتم.

و الحق معي و مع ما ذهبت إليه من الرأي و قوله لو كان يطاع لقصير أمر فهو مثل يضرب لكل ناصح عصي و هو مصيب في رأيه.

و أصله: إن جذيمة الأبرش من ملوك العرب كان قد قتل أبا الزباء ملكة الجزيرة و بعد فترة بعثت إليه ليتزوجها خدعة منها له و سألته القدوم عليها فأجابها إلى ذلك و خرج إليها في ألف فارس و خلف باقي جنوده مع ابن أخته عمرو بن عدي و كان قصير مولى له أشار عليه أن لا يتوجه إليها فلم يقبل رأيه فلما قرب جذيمة من الجزيرة استقبله جنود الزباء بالعدة و لم ير منهم إكراما له فأشار عليه قصير بالرجوع عنها و قال: إنها امرأة و من شأن النساء الغدر فلم يقبل فلما دخل إليها غدرت به و قتلته فعندها قال قصير:

«لا يطاع لقصير أمر» فذهبت قولته مثلاً...

(فأيتهم عليّ إباء المخالفين الجفأة و المنابذين العصاة) امتنعتم عن قبول رأيي امتناع المعاندين البعداء عني في جفاء و غلظة المحاربين لي المتمردين على أمري و هكذا كانوا فلم يحاوروا الإمام و يستمعوا منه بل بخشونة و رعونه كان حديثهم معه و منطقتهم، لم يقبلوا إلا التحكيم و لم يسمعوا لكلام الإمام و مقولته و قد كان الخوارج بهذه الصفات و عاملوه بأشد ما يكون حتى هددوه بأنه إذا لم يقبل بالتحكيم سوف يقتلونه كما قتل عثمان.. إلى كلام جاف غليظ حتى حملوه على القبول كرها و قسراً...

(حتى ارتاب الناصح بنصحه و ضن الزند بقدحه فكنت انا و إياكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى \*\*\* فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد)

هذا منه بيان لكثرة ما اجتمع منهم على رأي واحد يخالف الحق حتى أن الناصح عند ما يراهم مجتمعين على رأي واحد يشكك في رأيه حيث يذهب إلى أن هذه الكثرة لم تكن لتذهب كلها إلى الباطل و يجتمع رأيها على غير الحق.

و أما قوله و ضن الزند بقدحه أي امتنعت عن ابداء الآراء المفيدة الصائبة عند ما رأيت رفضكم و امتناعكم عن قبول رأي و هو مثل يضرب لمن يبخل بفوائده لما يجده من رفض قوله...

ثم إنه كان أمره و أمرهم كما قال أمرهم و نصحهم و أرشدهم فلم يقبلوا منه و لكنهم أدركوا خطأهم و ندموا على تمردهم عند ما اتضحت لهم الأمور فتبين لهم سوء اختيارهم بعد حين...

و هذا البيت من الشعر لدريد بن الصمة يشرح قصته مع أخيه و تفصيلها أن أخاه عبد الله غزا بني بكر بن هوازن فغنم منهم و استاق إبلهم فلما كان بمنطقة منعرج اللوى قال: و الله لا أبرح حتى أنحر البقيعة و هي ما ينحر من النهب قبل القسمة و أجيل السهام فقال له أخوه دريد: لا تفعل فإن القوم في طلبك فأبى عليه فأقام و نحر البقيعة و بات فلما أصبح هجم القوم عليه فطعنوه فاستغاث بأخيه دريد فدفع عنه فطعن أيضاً و حال الليل فنجا دريد و مات أخوه فقال دريد قصيدة من جملتها هذا البيت من الشعر.

## تاريخ و موقف:

بايع المهاجرون و الأنصار علياً خليفة بعد قتل عثمان و لكن طلحة و الزبير و أم

المؤمنين عائشة خرجوا إلى البصرة فكانت موقعة الجمل الذي قتل فيها جمع غفير من المسلمين بما فيهم طلحة والزبير ونجت المرأة و بعد ذلك النبأ المروع تمرد معاوية في الشام و لم يكن قد أعطى الطاعة أو أعلن البيعة فجرت الرسل فأبى ابن أبي سفيان إلا تمردا و عنادا فما كان من الإمام إلا- أن جهز جيشا لقتاله و هو أيضا في مقابله جهز جيشا بعد أن استدعى عمرو بن العاص و اتخذه وزيرا و أعطاه مصرا طعمة...

و في أواخر سنة ست و ثلاثين كان الجيشان في مواجهة بعضهما و هما على أهبة الاستعداد للقتال و لكنهما توادعا في شهر محرم من سنة سبع و ثلاثين على أن يتركا الحرب هذا الشهر لعلهما يصلان إلى صلح فلما انقضى أنذرهم الإمام و دعاهم إلى الطاعة فأبوا و تمردوا فكانت موقعة صفين التي ذهبت بأعيان الصحابة و وجهاء الأمة و زعماء الملة و التي خلفت جرحا أعقبه شهادة الإمام و انتقال الخلافة إلى ابن هند...

و نحن سنوجز الواقعة و نقتصر في تفاصيلها و نبين منها رأي الإمام و كيف رفض الهدنة مع معاوية و لم يقبل بوقف الحرب و لكنه غلب على رأيه و رأي الأشر و من معهما...

كان القادة من جيش علي الأشر النخعي على خيل الكوفة و سهل بن حنيف على جند البصرة و عمار بن ياسر على رجالة الكوفة و قيس بن سعد على رجالة البصرة و هاشم بن عتبة المرقال معه الراية و جعل مسعر بن فدكي على قراء الكوفة و أهل البصرة.

و أما معاوية فجعل على ميمنته ذي الكلاع الحميري و على ميسرته حبيب بن مسلمة الفهري و على مقدمته أبا الأعور السلمي و على خيل دمشق عمرو بن العاص و على رجالة دمشق مسلم بن عقبة المري و على الناس كلهم الضحاك بن قيس...

ابتدأ القتال في أول صفر من سنة سبع و ثلاثين و أخذ يشتد و يقوى حتى بلغ ذروته و مداه في ليلة هي أعظم ليلة لم يشهد مثلها العرب من ذي قبل تسمى ليلة الهرير.

و قد أشرف الأشر في صبيحتها على عسكر معاوية ليدخله حتى وصل الأمر بمعاوية أن وضع رجله بالركاب و أراد الفرار.

و عندئذ أشار عمرو على معاوية بقوله الق إلى القوم أمرا إن قبلوه اختلفوا و إن ردوه اختلفوا أدعهم إلى كتاب الله حكما فيما بينك و بينهم فإنك بالغ به حاجتك في القوم و إنني لم أزل أؤخر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه.

فعرف معاوية ذلك و قال: صدقت.

ثم أمر معاوية بالمصاحف أن ترفع فرفع خمسمائة مصحف من جملتها مصحف المسجد الأعظم.

ثم نادوا يا معشر العرب الله الله في النساء والبنات والأبناء من الروم والترك وأهل فارس غدا إذا فنيتم.. الله الله في دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم.

وعند ما سمع أصحاب الإمام ذلك اختلفوا فيما بينهم فطائفة قالت: القتال، وطائفة قالت: المحاكمة إلى كتاب الله ولا يحل لنا الحرب و قد كان الأشعث قد خطب في أصحابه من كندة و لوح بوقف الحرب.

وعند ما رأى الإمام من أصحابه هذا الاختلاف قام خطيباً فقال: «أيها الناس إني أحق من أجاب إلى كتاب الله ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وابن أبي سرح وابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن إني أعرف بهم منكم صحبتهم صغاراً و رجالاً فكانوا شر صغاراً و شر رجالاً و يحكم إنها كلمة حق يراد بها باطل إنهم ما رفعوها وإنهم يعرفونها و يعلمون بها ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة أعيروني سواعدكم و جماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه و لم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا...

فجاءه من أصحابه زهاء عشرين ألفاً مقنعين في الحديد شاكبي سيوفهم على عواتقهم و قد اسودت جباههم من السجود يتقدمهم مسعر بن فدكي و زيد بن حصين و عصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد فنادوه باسمه لا بأمره المؤمنين: يا علي أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه و إلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان فو الله لنفعلنها إن لم تجبهم.

فردهم الإمام و بين لهم أنها المكيدة و المكر فأبوا و طلبوا منه أن يبعث وراء الأشر و يرده عن القتال فأرسل وراءه فاستمهله الأشر عدو الفرس فأصروا عليه حتى أنباء أن القوم خيروه بين قتل الإمام أو يرجع الأشر فرجع الأشر و سبهم و سبوه.

و ابتدأت المفاوضات على أن يحيوا ما أحيا القرآن و يميتوا ما أمات القرآن...

فاختار أهل الشام عمرو بن العاص.

فقال الأشعث و القراء الذين صاروا خوارج اخترنا أبا موسى الأشعري.

فقال الإمام: لا أرضى بأبي موسى و لا أرضى أن أوليه فهذا ابن عباس.

قالوا: و الله ما نبالي أكنت أنت أو ابن عباس و لا نريد إلا رجلاً هو منك و من

معاوية سواء ليس إلى واحد منكما بأدنى من الآخر.

قال عليه السلام: فإني أجعل الأشر.

فقال الأشعث: وهل سَعَر الأرض علينا إلا الأشر و هل نحن إلا في حكم الأشر.

قال عليه السلام و ما حكمه ؟.

قال: حكمه أن يضرب بعضنا بعضا بالسيف حتى يكون ما أردت و ما أراد.

فلما أبى الناس إلا أبا موسى و الرضا(1) بالكتاب و أرادوا أن يكتبوا الكتاب.

كتبوا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين فقال عمرو: اكتب اسمه و اسم أبيه هو أميركم و أما أميرنا فلا.

فقال الأحنف: لا تمح اسم إمارة المؤمنين فإني أخاف إن محوتها أن لا ترجع إليك أبدا، لا تمحها و إن قتل الناس بعضهم بعضا فأبى ذلك علي مليا من النهار ثم أن الأشعث بن قيس قال: امح هذا الاسم فمحي فقال علي: الله أكبر سنة بسنة و الله إني لكاتب رسول الله (صلى الله عليه و آله) يوم الحديدية فكتب محمد رسول الله و قالوا: لست برسول الله و لكن اكتب اسمك و اسم أبيك فأمرني رسول الله (صلى الله عليه و آله) بمحوه فقلت: لا أستطيع.

فقال: أرنيه فمحا بيده و قال: إنك ستدعى إلى مثلها فتجيب...

و كتب الكتاب: هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان قاضي علي أهل الكوفة و من معهم و قاضي معاوية علي أهل الشام و من معهم. إننا ننزل على حكم الله و كتابه و أن لا يجمع بيننا غيره و إن كتاب الله بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحي ما أحيا و نميت ما أمات فما وجد الحكمان في كتاب الله و هما أبو موسى عبد الله بن قيس و عمرو بن العاص عملا به و ما لم يجدها في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة و أخذ الحكمان من علي و معاوية و من الجندين من العهود و المواثيق أنهما آمنان على أنفسهما و أهليهما و الأمة لهما أنصار على الذي يتقاضيان عليه و علي عبد الله بن قيس و عمرو بن العاص عهد الله و ميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة لا يرادها في حرب و لا فرقة حتى يعصيا و أجل القضاء إلى رمضان و أن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه و إن مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة و أهل الشام و شهد الشهود من الطرفين و أبى الأشر أن يشهد.7.

ص: 279

1- تاريخ ابن الأثير ج - 3 حوادث سنة 37.



اجتمع الحكمان في دومة الجندل و مع كل منهما فرقة من أتباعه.

وبعد أخذ ورد و طول جدال أرتأ أبو موسى الأشعري أن يخلع الرجلين و يجعل الأمر شورى فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا.

فقال عمرو: الرأي ما رأيت فأقبلا إلى الناس و هم مجتمعون.

فقال عمرو: يا أبا موسى أعلمهم أن رأينا قد اتفق فتكلم أبو موسى.

فقال: إن رأينا قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به أمر هذه الأمة.

فقال عمرو: صدق و بر تقدم يا أبا موسى فتكلم، فتقدم أبو موسى.

فقال له ابن عباس: ويحك و الله إني لأظنه قد خدعك، إن كنتما اتفقتما على أمر فقدمه فليتكلم به قبلك ثم تكلم به بعده فإنه رجل غادر و لا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا بينكما فإذا قمت في الناس خالفك.

و كان أبو موسى مغفلا فقال: إنا قد اتفقنا و قال: أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لأمرها و ألم لشعثها من أمر قد أجمع رأيي و رأي عمرو عليه و هو أن نخلع عليا و معاوية و يولي الناس أمرهم من أحبوا و إني قد خلعت عليا و معاوية فاستقبلوا أمركم و ولوا عليكم من رأيتموه أهلا ثم تنحى.

و أقبل عمرو فقام و قال: إن هذا قد قال ما سمعتموه و خلع صاحبه و أنا أخلع صاحبه كما خلعه و أثبت صاحبي معاوية فإنه ولي ابن عفان و الطالب بدمه و أحق الناس بمقامه.

فقال سعد: ما أضعفك يا أبا موسى عن عمرو و مكايده.

فقال أبو موسى: فما أصنع؟ وافقني على أمر ثم نزع عنه.

فقال ابن عباس: لا ذنب لك يا أبا موسى، الذنب لمن قدّمك في هذا المقام.

قال: غدر فما أصنع؟

فقال ابن عمر أنظروا إلى ما صار أمر هذه الأمة، صار إلى رجل ما يبالي ما صنع و إلى آخر ضعيف.

و قال أبو موسى لعمرو: لا وفقك الله غدرت و فجرت إنما مثلك «كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث».

فقال عمرو: إنما مثلك «كمثل الحمار يحمل أسفارا» و بين الكلب و الحمار ضاع أمر الأمة و توجهت إلى غير وجهتها السليمة.

فعاد أصحاب الإمام إلى الكوفة في هم وغم أرادوا مع إمامهم أن يهيئوا أنفسهم ليخرجوا إلى قتال معاوية ورجع أصحاب معاوية إليه بالبهجة و السرور و لم تهمل الأيام عليا أو تتركه حتى ينفجر الموقف مع أهل النهروان من أصحاب الإمام فيقتلهم ثم يقتل الإمام بيد خارجي كافر و ينتقل الأمر إلى الحسن عليه السلام و لظروف صعبة يذكرها التاريخ يستولي معاوية على مقاليد الحكم و يتولى الأمر بالغبلة و القهر...

و مقصودنا من سرد ما أوردناه أن الإمام رفض مبدأ التحكيم و حذر أصحابه من قبوله و لكنهم رفضوا أمره و أبوا عليه إلا القبول.. و بعد القبول فرضوا عليه أبا موسى الأشعري و الإمام يعرفه و يعرف موقفه منه و هكذا كانت مسيرة الأحداث..

ص: 281

إشارة

في تخويف أهل النهروان (1) فأنا نذير (2) لكم أن تصبحوا صرعى (3) بأثناء هذا التّهر (4)، و بأهضام (5) هذا الغائط (6)، على غير بيّنة (7) من ربّكم، و لا- سلطان (8) مبين معكم: قد طوّحت (9) بكم الدّار، و احتبلكم (10) المقدار (11)، و قد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فأبيتم (12) عليّ إباء المنابذين (13)، حتّى صرفت (14) رأبي إلى هواكم، و أنتم معاشر (15) أخفّاء الهام (16)، سفهاء الأحلام (17)؛ و لم آت - لا أبالكم - بجرا (18)، و لا أردت لكم ضرّاً (19).

اللغة

- 1 - النهروان: بلدة قريبة من بغداد.
- 2 - النذير: المنذر و هو المخوف و النذير هو الذي يعلم بالشيء و يحذر من عواقبه.
- 3 - صرعى: جمع صريع أي طريق.
- 4 - أثناء النهر: منعطفاته.
- 5 - الأهضام: جمع هضم و هو المطمئن من الوادي.
- 6 - الغائط: من الأرض ما انخفض منها.
- 7 - البيّنة: الدليل و الحجّة ما يظهر به الشيء.
- 8 - السلطان: جمعه سلاطين.
- 9 - طوّحت: من طاح إذا هلك و سقط و طوح به رماه.
- 10 - احتبلكم: أوقعكم في حبالته.

11 - المقدار: القدر الإلهي.

12 - أَيْتَم: من أبى الشيء إذا كرهه و أبى عليه امتنع و أبى الشيء عليه منعه عنه.

13 - المنابذين: من نبذ الشيء إذا طرحه.

14 - صرفت: الرأي عن كذا حولته عنه و دفعته.

15 - معاشر: مفردة معشر الجماعة.

16 - أخفاء الهام: الهام الرأس و الخفة في العقول الطيش.

17 - سفهاء الأحلام: السفهاء الحمقى و الأحلام العقول.

18 - البجر: بالضم الشر و الأمر العظيم و الداهية.

19 - الضر: ضد النفع، الشدة و الضيق، سوء الحال.

## الشرح

## إشارة

(فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر) وجّه الإمام كلامه إلى الخوارج المعبر عنهم أيضا في لسان الأحاديث النبوية بالمارقين و قد أخبر صلوات الله عليه أنهم شرار الناس و أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية و كانوا قد أجبروا الإمام على التحكيم ثم حكموا بكفر من رضي به بما فيه أنفسهم و لكنهم تابوا و أمروا غيرهم بالتوبة منه فوعظهم الإمام و خوفهم و أنذرهم و كانت هذه الخطبة بمثابة إنذار لهم و تهديد بأنه لن يتركهم يعيشون في الأرض فسادا بل سيأخذهم و يقضي عليهم.

خوفهم و حذرهم من أن يكونوا ضحايا و أمواتا في أطراف هذا النهر و منعطفاته حيث يتجمعون و يلتقون لقتاله و قد أنذرهم الإمام و حاورهم و ناقشهم و أوضح لهم السبيل و بين لهم الحق و لكن لقصورهم الفكري و الثقافي و ضيق أفقهم الذي يرونه كانوا مصرين على موقفهم الخاطئ...

(و ياهضام هذا الغائط على غير بينة من ربكم و لا سلطان مبين معكم) حذرهم و أنذرهم أن يكونوا قتلى في منعطفات النهر و تعرجاته و في منبسط الأرض و سهلها و موتهم هذا يكون بدون بينة لهم و لا حجة تدعم موقفهم و ما ذهبوا إليه من الرأي و الموقف و هذا إسقاط لإعذارهم و أنهم حمقى يقدمون على الموت بدون مبرر شرعي أو حجة...

(قد طوحت بكم الدار و احتبلكم المقدار) دفعتمكم الدنيا و طرحتمكم بعيدا في

مهأوي الهلكة وقضت عليكم شهواتكم و تعصبكم الأعمى و كبلتكم أقدار الله في حباله لا يمكنكم الفكك منها..

(وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة فأبئتم عليّ إباء المنابذين) رفض الأمام التحكيم و لم يقبل به و قال للناس إن هذه خدعة و نهاهم عن قبوله و لكنهم رفضوا قوله و قالوا له: إن أن تقبل و إن أن تقتلك كما قتلنا ابن عفان فقد رفضوا رأيه رفض الأعداء الحاقدين و التاريخ يتقل رفض الإمام و تحذيره لهم و كلماته في هذا الرفض..

(حتى صرفت رأبي إلى هواكم) فما ذهب إليه الإمام من رفض التحكيم و الإصرار على متابعة الحرب حتى النهاية هو الرأي الصائب الذي يجب أن يعمل به و لكن الإمام تنازل عنه أمام ضغط الرأي المخالف الذي اجتمع عليه القراء و أصحاب الأهواء ممن كانت نظرتهم محدودة أو محكومة بحكم الهوى و لكن الإمام سجله للتاريخ و قاله أمام الناس ليكون له حجة عليهم إذا غيروا مواقفهم و بدلوها و قد كان ما حسب الإمام و قدره.. (وأنتم معاشر أخفاء الهام سفهاء الأحلام و لم آت - لا أبأ لكم - بجرا و لا أردت لكم ضرا) و أنتم جماعات لضعف عقولكم تتحولون في كل وقت عن آرائكم و تغيرون مواقفكم لم تبلغوا الرشد في تصوراتكم و تقديراتكم للأمر و هذا الوصف منه لهم في موقعه فقد عرفوا بقصور النظر و الانكماش على الذات و عدم إمكان التهاور، و الإصرار على ما يرون مع خطأ مصدره و مقصده فالعقول ضعيفة و الأحلام خفيفة ثم بين أنه لم يأت بسينة أو شر و لا أراد لهم ضرا عند ما قبل معهم و تحت ضغوطهم و ما أجبروه عليه من التحكيم حفظا لوحدتهم و عدم تشتتهم خوفا عليهم أن يضرب بعضهم بعضا و تذهب ريحهم..

## الخوارج:

### إشارة

الخوارج جماعة انشقت من جيش الإمام علي عليه السلام و قد ذهبت أول أمرها إلى إجباره و من كان على رأيه إلى التحكيم عند ما رفع معاوية المصاحف أمامها و دعاها إلى النزول على حكمه ثم عدلت عن رأيها و رأت خطأ ما ذهبت إليه من التحكيم و عدته كفرا يحتاج إلى التوبة منه و الإقلاع عنه و قد أرادوا من الإمام ذلك و أصروا عليه أن يرفض التحكيم بعد أن أجبروه عليه فكان جوابه أبعد أن أعطاهم العهد و رضي بالحكومة ينتقضها دون مبرر فما كان منهم إلا أن اعتزلوه و نابذوه و نحن ننقل بعض أخبارهم بشكل موجز يتناسب و المقام الذي نحن فيه...

## إخبار النبي (صلى الله عليه وآله) عنهم:

وردت الأخبار عن النبي بهذه الفرقة المارقة وقد رواها أصحاب الصحاح ونقلها المفسرون وبلغت في كثرتها حد التواتر أذكر منها.

1 - عن أبي سعيد الخدري كما في صحيح البخاري (1) قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم.

فقال: يا رسول الله أعدل.

فقال: ويحك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أعدل.

فقال عمر: يا رسول الله انذن لي فيه فاضرب عنقه.

قال: دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية (إلى أن قال) آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدر در ويخرجون على خير فرقة من الناس.

(قال أبو سعيد) فأشهد أنني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت إليه على نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي نعت... .

2 - روى بسنده عن عبدة عن علي كما في صحيح مسلم في باب التحريض على قتل الخوارج قال: ذكر الخوارج فقال: فيهم مخدج اليد أو مؤذن اليد أو مثدون اليد لو لا أن تبطروا لحدثتكم بما وعد الله الذين يقتلونهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم قال: قلت: أنت سمعته من محمد صلى الله عليه وسلم؟ .

قال: إي ورب الكعبة إي ورب الكعبة... .

وروى مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج روى بسنده عن زيد بن وهب الجهني إنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي الذين ساروا إلى الخوارج.

فقال علي: أيها الناس إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يخرج قوم من أمي يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا

ص: 285

1- صحيح البخاري باب بدء الخلق.

صيامكم إلى صيامهم بشيء يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لو يعلم الجيش الذي يصيبونهم ما مضى لهم على لسان نبهم لا تكلوا على العمل وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض (إلى أن قال) وقتل بعضهم على بعض و ما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلا.

فقال علي: التمسوا فيهم المخدج فالتمسوه فلم يجده فقام علي بنفسه حتى أتى أناسا قد قتل بعضهم على بعض قال: أخرجوهم فوجدوه مما يلي الأرض فكبر ثم قال:

صدق الله وبلغ رسوله فقام إليه عبدة فقال: يا أمير المؤمنين الله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ قال: إي والله الذي لا إله إلا هو حتى استحلفه ثلاثا وهو يحلف له.

وروى مضمون هذا الحديث في قتال الخوارج.

ابن ماجة في صحيحة باب ذكر الخوارج وكذلك أبو داود في باب قتال الخوارج وأحمد بن حنبل في مسنده ورواه في مستدرک الصحيحين وفي الطبقات لابن سعد وفي الحلية لأبي نعيم و تاريخ بغداد و الهيثمي في مجمعهم و كنز العمال.

و بالجمله فكما قلنا بلغ حد التواتر عن النبي (صلى الله عليه وآله) ...

### قصة الخوارج:

رفع معاوية المصاحف على الرماح بعد أن كاد يهلك و قال جماعته بيننا وبينكم كتاب الله من لشغور الشام بعد أهله؟! من لشغور العراق بعد أهله؟...

فلما رآها الناس قالوا: نجيب إلى كتاب الله...

فقال لهم علي: عباد الله أمضوا على ححكم و صدقكم و قتال عدوكم فإن معاوية و عمرا و ابن أبي معيط و حبيبا و ابن أبي سرح و الضحاك ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن أنا أعرف بهم منكم قد صحبتهم أطفالا ثم رجلا فكانوا شر أطفال و شر رجال و يحكم و الله ما رفعوها إلا خديعة و وهنا و مكيدة.

فقالوا له: لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله فقال لهم علي: فإني إنما قاتلتهم ليدنوا لحكم الكتاب فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم (1) و نسوا عهده و نبذوا كتابه

ص: 286

فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي في عصابة من القراء الذين صاروا خوارج فيما بعد: يا علي أجب إلى كتاب الله عز وجل إذا دعيت إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم أو نفعل بك ما فعلناه بابن عفان.

قال الإمام: فاحفظوا عني نهبي إياكم واحفظوا مقاتلكم لي فإن تطيعوني فقاتلوا وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم...

وفي شرح النهج لأبن أبي الحديد.

فجاءه من أصحابه - أصحاب الإمام (1) - زهاء عشرين ألفا مقنعين في الحديد، شاكى سيوفهم على عواتقهم وقد أسودت جباههم من السجود يتقدمهم مسعر بن فدكي وزيد بن حصين وعصابة من القراء الذين صاروا خوارج من بعد فنادوه باسمه لا بأمره المؤمنين: يا علي أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان فوالله لنفعلنها إن لم تجبهم...

فقال لهم: ويحكم! أنا أول من دعا إلى كتاب الله وأول من أجاب إليه وليس يحل لي ولا يسعني في ديني أن أدعى إلى كتاب الله فلا أقبله، إني إنما قتلتهم ليدينوا بحكم القرآن فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم وتقضوا عهده ونبذوا كتابه ولكني قد أعلمتكم أنهم قد كادوك وأنهم ليس العمل بالقرآن يريدون..

قالوا: فابعث إلى الأشتر ليأتينك وقد كان الأشتر صبيحة ليلة الهرير أشرف على عسكر معاوية ليدخله..

تنبيه: يجب أن تنتبه إلى أمرين مهمين.

الأول: إن الإمام كان يرفض التحكيم ويأباه ويصر على مواصلة المعركة حتى نهايتها فإن النصر بعد ساعات وهذا ما صرح به في كلماته واستشهد القوم عليه.

الثاني: إن الخوارج كانوا أسرع الناس إلى قبول فكرة التحكيم وإنهم هددوا الإمام بتسليمه لمعاوية أو قتله إن هو لم يوقف المعركة ويقبل بالتحكيم..

### اعتزال الخوارج علياً:

تحت ضغط الخوارج ومن يجتمع معهم في الرأي اضطر الإمام أن يوقف معركة

ص: 287



صفين وقد قهروه أيضا على اختيار من يفاوض عنه بارتضائهم لأبي موسى الأشعري مع رفض الإمام له..

و كتبت صحيفة الهدنة و اختيار الحكمين و بعد أن تم ذلك و رجع الإمام إلى الكوفة و الهدنة قائمة ينتظر الناس ما يرجع به الحكمان و إذا بالخوارج يعلنون التمرد و العصيان و ينشقون عن جيش الإمام متخذين لأنفسهم حكومة حرب مؤقتة في حروراء في إثني عشر ألفا من الزهاد و العباد و نادى مناديتهم: إن أمير القتال شيبث بن ربعي التميمي و أمير الصلاة عبد الله بن الكوايشكري و الأمر شورى بعد الفتح و البيعة لله عز و جل و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر...

و سمع الإمام بموقف الخوارج و جاءته أخبارهم فأرسل ابن عباس و أمره أن لا يعجل في خصومتهم حتى يقدم عليهم...

قدم الإمام عليهم و هم يخاصمون ابن عباس فقال له: ألم أنك عن كلامهم...

ثم تكلم فقال: اللهم هذا مقام من يفلج فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة.

ثم قال لهم: من زعيمكم؟

قالوا: ابن الكوا.

قال: فما أخرجكم علينا؟

قالوا: حكومتك يوم صفين.

قال: أنشدتكم الله أتعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف و قتلتم نجبيهم قلت لكم إني أعلم بالقوم منكم إنهم ليسوا بأصحاب دين؟ و ذكر ما كان قال لهم، ثم قال لهم قد اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن و يميتا ما أمات القرآن فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف و إن أبا فنحن عن حكمهما براء...

قالوا: فخبّرنا أترأه عدلا تحكيم الرجال في الدماء.

قال: إنا لسنا حكمنا الرجال، إنما حكمنا القرآن و هذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق إنما يتكلم به الرجال.

قالوا: فخبّرنا عن الأجل لما جعلته بينكم؟

قال: ليعلم الجاهل و يثبت العالم و لعل الله يصلح في هذه الهدنة هذه الأمة...

ثم لم يقتنعوا بمقالة الإمام و لم يحجوه بشيء عندهم بل كانوا يعكرون صفو

الجماعة و ينادونها و يرون الأمة كلها قد كفرت بهذا التحكيم و عليها أن تتوب و رفعوا شعار «لا حكم إلا لله» فكان الإمام يقول: لا حكم إلا لله يريد به غير ما أرادوا و يطلب غير ما طلبوا.. حتى قال له بعض قاداتهم: تب من خطيئتك و ارجع عن قضيتك و اخرج بنا إلى عدونا حتى نلقى ربنا فقال له علي عليه السلام: أردتكم على ذلك فعصيتموني و قد كتبنا بيننا و بين القوم كتابا و شرطنا شروطا و أعطينا عليها عهودا و قد قال الله تعالى:

«وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ» ..

فقال حرقوص بن زهير: ذلك ذنب ينبغي أن تتوب عنه.

فقال علي: ما هو بذنوب و لكنه عجز عن الرأي و قد نهيتكم.

فقال زرعة أحد قاداتهم: يا علي لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقتلنك أطلب وجه الله تعالى.

فقال علي: بؤسا لك ما اشقاك كأنني بك قتيلا تسفي عليك الرياح...

قال: وددت لو كان ذلك...

و خطب الإمام ذات يوم فحكمت المحكمة في جوانب المسجد «قالوا لا حكم إلا لله».

فقال الإمام: كلمة حق أريد بها باطل إن سكتوا غممناهم و إن تكلموا حججناهم و إن خرجوا علينا فاتلناهم...

ثم خطب الإمام في يوم آخر فقام رجل فقال: «لا حكم إلا لله» ثم توالى عدة رجال يحكمون.

فقال علي: الله أكبر، كلمة حق أريد بها باطل.

أما إن لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمونا: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه و لا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، و لا نقاتلكم حتى تبدءونا و إنما فيكم أمر الله.

ثم إن الخوارج التقوا في منزل عبد الله بن وهب الراسبي فخطبهم و زهدهم في الدنيا فأثروه عليهم بعد أن رفضها غيره...

قرروا جميعا أن يخرجوا عن دائرة حكم الإمام و ينفصلوا عنه و خططوا لذلك بنصب رئيس لهم بايعوه فكان عبد الله بن وهب الراسبي و خرجوا إلى جسر النهروان و كتبوا إلى إخوانهم في الآفاق أن يوافوهم...

خرجت الخوارج وقد جرى التحكيم على غير كتاب الله وقد اتخذوا موقفا من الإمام على مستوى عدائهم لمعاوية...

وكتب الإمام إلى الخوارج المجتمعين بالنهر: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين وعبد الله بن وهب ومن معهما من الناس: أما بعد فإن هذين الرجلين اللذين ارتضينا حكمين قد خالفا كتاب الله واتبعا هواهما بغير هدى من الله فلم يعملوا بالسنة ولم ينفذا القرآن حكما فبرئ الله منهما ورسوله والمؤمنون فإذا بلغكم كتابي هذا فاقبلوا إلينا فإننا سائرون إلى عدونا وعدوكم ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه.

فكتبوا إليه: أما بعد فإنك لم تغضب لربك وإنما غضبت لنفسك فإن شهدت على نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بيننا وبينك وإلا فقد نبذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين.

فلما قرأ الكتاب يئس منهم فرأى أن يدعهم ويمضي لحرب أهل الشام.

ثم كتب الإمام إلى ابن عباس في البصرة أن يشخص إليه من أهلها المقاتلة فخرج إليه ثلاثة آلاف و مائتان و كتب إلى سعد بن مسعود في المدائن بإرسال من عنده من المقاتلة.

وفي تلك الأثناء، ترتفع بعض الأصوات بقتال الخوارج والتخلص منهم حتى يتفرغوا لقتال أهل الشام وتكون أظهرهم في أمن وكذلك أموالهم وذريتهم...

فقال لهم الإمام: بلغني إنكم قتلتم كيت وكيت وإن غير هؤلاء الخارجين أهم إلينا فدعوا ذكرهم وسيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا جبارين ملوكا ويتخذوا عباد الله خولا فناداه الناس: أن سربنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت..

## الخوارج و الإفساد في الأرض:

أخذ الإمام على نفسه أن لا يقاتل الخوارج طالما أنهم لم يقاتلوه ولم يفسدوا في الأرض أو يروعوا الناس ويعتدوا عليهم.. ولكن هذه العصابة المتحجرة غير الواعية لم تكتف بالاعتزال عن الإمام ومخالفته في نهجها الفكري الخاطئ حتى سلكت طريق الإفساد وترويع الناس بل هددت نظام حكم الإمام عند ما عمدت إلى المسلمين تقتل من خالفها منهم في الرأي والمعتقد ومن ذلك كما يرويه التاريخ و أنقل نص ابن الأثير في كامله فيقول:

لما أقبلت الخارجة من البصرة حتى دنت من النهروان رأى عصابة منهم رجلا يسوق بامرأة على حمار فدعوه فانتهره فأفرغوه وقالوا له: من أنت.

قال: أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له: أفرعناك؟

قال: نعم.

قالوا: لا روع عليك، حدثنا عن أبيك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعنا به.

فقال: حدثني أبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت فيها بدنه يمسي فيها مؤمنا و يصبح كافرا و يصبح كافرا و يمسي مؤمنا.

قالوا: لهذا الحديث سألتناك.

فما تقول في أبي بكر و عمر؟ فأثنى عليهما خيرا.

قالوا: ما تقول في عثمان في أول خلافته و في آخرها؟

قال: إنه كان محقا في أولها و في آخرها.

قالوا: فما تقول في علي قبل التحكيم و بعده؟

قال: إنه أعلم بالله منكم و أشد توقيا على دينه و أنفذ بصيرة.

فقالوا: إنك تتبع الهوى و توالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها و الله لنقتلنك قتلة ما قتلناها أحدا.

فأخذوه و كنفوه ثم أقبلوا به و بامراته و هي حبلى متم حتى نزلوا تحت نخل مواير فسقطت منه رطبة فأخذها أحدهم فتركها في فيه.

فقال آخر: أخذتها بغير حلها و بغير ثمن فألقاها، ثم مرّ بهم خنزير لأهل الذمة فضره أحدهم بسيفه فقالوا: هذا فساد في الأرض فلقى صاحب الخنزير فأرضاه.

فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال: لئن كنتم صادقين فيما رأى فما عليّ منكم من بأس، إني مسلم ما أحدثت في الإسلام حدثا و لقد آمنتموني، قلت: لا- روع عليك فاضجعه فذبحوه فسال دمه في الماء، و أقبلوا إلى المرأة فقالت: أنا امرأة ألا تتقون الله فبقروا بطنها و قتلوا ثلاث نسوة من طيء و قتلوا أم سنان الصيداوية.

فلما بلغ عليا قتلهم عبد الله بن خباب و اعتراضهم الناس بعث إليهم الحارث بن مرة العبدي ليأتيهم و ينظر ما بلغه عنهم و يكتب به إليه و لا يكتبه فلما دنا منهم يسألهم قتلوه و أتى عليا الخبر و الناس معه.

فقالوا: يا أمير المؤمنين علام ندع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في عيالنا و أموالنا؟ سربنا إلى القوم فإذا فرغنا منهم سرنا إلى عدونا من أهل الشام...

فخرج إليهم الإمام بالناس و لما وصل إليهم قال لهم: ادفعوا إلينا قتلة إخواننا منكم فقالوا: كلنا قتلهم و كلنا مستحل لدمائكم و دمائهم فدار حوار و نقاش و خطبهم الإمام بقوله:

إني نذير لكم أن تصبحوا تلعنكم الأمة غدا صرعى بأثناء هذا الوادي و بأهضام هذا الغائط بغير بينة من ربكم و لا برهان مبين.. الخطبة المتقدمة...

فتنادى الخوارج: لا تخاطبوهم و لا تكلموهم و تهيئوا للقاء الله.. الروح الروح إلى الجنة فعاد علي عنهم.

ثم إن الخوارج قصدوا جسر النهر و كانوا غربه فقال لعلي أصحابه: إنهم قد عبروا الجسر.

فقال: لن يعبروا فأرسلوا طليعة فعاد و أخبرهم أنهم عبروا النهر و كان بينهم و بينه عطفة من النهر فلخوف الطليعة منهم لم يقربهم فعاد فقال: إنهم عبروا النهر.

فقال علي: و الله ما عبروه و إن مصارعهم لدون الجسر و والله لا يقتل منكم عشرة و لا يسلم منهم عشرة و تقدم علي إليهم فرأهم عند الجسر لم يعبروه و كان الناس قد شكوا في قوله و ارتاب به بعضهم فلما رأوا الخوارج لم يعبروا كبروا و أخبروا عليا بحالهم فقال:

و الله ما كذبت و لا كذبت ثم أنه عبأ أصحابه فجعل علي ميمنته حجر بن عدي و علي ميسرته شيب بن ربعي أو معقل بن قيس الرياحي و علي الخليل أبا أيوب الأنصاري و علي الرجالة أبا قتادة الأنصاري و علي أهل المدينة و هم سبعمائة أو ثمانمائة قيس بن سعد بن عبادة.

و عبأت الخوارج فجعلوا علي ميمنتهم زيد بن حصين الطائي و علي الميسرة شريح بن أوفى العبسي و علي خيلهم حمزة بن سنان الأسدي و علي رجالتهم حرقوص بن زهير السعدي.

و أعطى علي أبا أيوب الأنصاري راية الأمان فناداهم أبو أيوب فقال: من جاء تحت هذه الراية فهو آمن و من لم يقتل و لم يستعرض و من انصرف منكم إلى الكوفة أو إلى المدائن و خرج من هذه الجماعة فهو آمن لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا منكم في سفك دمائكم فقال فروة بن نوفل الأشجعي: و الله ما أدري على أي شيء نقاتل عليا أرى

أن أنصرف حتى يتضح لي بصيرتي في قتاله أو أتابعه فانصرف في خمسمائة فارس حتى نزل البندنجين و الدسكرة، و خرجت طائفة أخرى متفرقين فنزلوا الكوفة و خرج إلى علي نحو مائة و كانوا أربعة آلاف فبقي مع عبد الله بن وهب ألف و ثمانمائة فرحفوا إلى علي و كان علي قد قال لأصحابه كفوا عنهم حتى يبدءوكم فتنادوا الرواح إلى الجنة و حملوا على الناس فافتقرت خيل علي فرقتين.. فأهلكوا في ساعة فكأنما قيل لهم موتوا فماتوا...

و لما فرغ علي من المعركة أمر أصحابه أن يلتمسوا المخدج فالتمسوه فقال بعضهم: ما نجده حتى قال بعضهم ما هو فيهم فقال الإمام: و الله إنه لفيهم، و الله ما كذبت و لا كذبت ثم إنه جاءه رجل فبشره فقال يا أمير المؤمنين قد وجدناه و قيل بل خرج علي في طلبه قبل أن يبشره الرجل و معه سليم بن ثمامة الحنفي و الريان بن صبرة فوجده في حفرة على شاطئ النهر في خمسين قتيلاً فلما استخرجه نظر إلى عقده فإذا لحم مجتمع كشدتي المرأة و حملة عليها شعرات سود فإذا مدت امتدت حتى تحاذي يده الطولى ثم ترك فتعود إلى منكبيه فلما رآه قال: الله أكبر ما كذبت و لا كذبت لو لا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قص الله على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم لمن قاتلهم مستبصراً في قتالهم عارفاً للحق الذي نحن عليه.

و قال حين مر بهم و هم صرعى: بؤسا لكم لقد ضركم من غركم.

قالوا: يا أمير المؤمنين من غرهم؟

قال: الشيطان و أنفس أمارة بالسوء غرتهم بالأمانى و زينت لهم المعاصي و نبأتهم أنهم ظاهرون.

و لم يقتل من أصحاب علي إلا سبعة كان فيهم يزيد بن نويرة الأنصاري و له صحبة و سابقة و شهد له رسول الله صلى الله عليه و سلم بالجنة و كان أول من قتل..

### الخلاصة:

إن الخوارج كانوا على ضلال في خروجهم و قد خرجوا على الخليفة الشرعي بدون مبرر إلا ما تصوّروه حجة لديهم و هي حجة قد بين الإمام فسادها و أوضح لهم طريق الحق...

ثم إنهم لو خالفوه في وجهة النظر و اقتصروا على المعارضة السياسية لما حاربهم

الإمام وقتلهم ولكن باعتبار خروجهم عليه بقوة السلاح والعسكر والتجمعات ثم منابذته وإعلان الحرب عليه كان لا بد له من محاربتهم وقاتلهم وردهم إلى الطاعة أو القضاء عليهم...

ثم لا ننسى ما أخبر به من أنه لن ينجو منهم إلا دون العشرة ولن يقتل من جيشه إلا دون العشرة وأيضا يجب أن نتذكر ذو الثدية وكشف الإمام عن هذه العلامة وبيانها للناس وإنه قد أخبر النبي به وبما يجري عليه وبما هو فيه من الضلال..

ص: 294

## إشارة

يجري مجرى الخطبة وفيه يذكر فضائله - عليه السلام - قاله بعد وقعة النهروان فقامت بالأمر (1) حين فشلوا (2)، و تطلّعت (3) حين تقبّعوا (4)، و نطقت حين تعتوا (5)، و مضيت بنور الله حين وقفوا. و كنت أخفضهم (6) صوتا، و أعلاهم فوتا (7)، فطرت (8) بعنانها (9)، و استبددت (10) برهانها (11). كالجبل لا تحركه القواصف (12)، و لا تزيهه (13) العواصف. لم يكن لأحد في مهمز (14) و لا لقائل في مهمز (15)، الدليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له، و القوي عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه. رضينا عن الله قضاءه، و سلّمنا (16) لله أمره. أتراني أكذب على رسول الله صلّى الله عليه و سلّم؟ و الله لأنا أول من صدّقه، فلا أكون أول من كذب عليه. فنظرت في أمري، فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي، و إذا الميثاق (17) في عنقي لغيري.

## اللغة

1 - قمت بالأمر: نهضت به.

2 - فشلوا: من الفشل و هو الخور و الجبن.

3 - تطلّعت: أشرفت.

4 - تقبّعوا: اختبئوا و أصله من تقبّع القنفذ إذا أدخل رأسه في جلده.

5 - تعتوا: من التعتة و هي التردد و الاضطراب في الكلام من عي أو حصر.

ص: 295



6 - أخفضهم: خفض صوته ضد رفعه غضه و أخفاه.

7 - الفوت: سبق.

8 - طار به: سبق به و سارع.

9 - العنان: سير اللجام الذي تضبط به الفرس.

10 - استبد: بالأمر انفرد به و استقل.

11 - الرهان: الجعل الذي وقع التراهن عليه.

12 - القواصف: من قصف العود إذا كسره.

13 - أزاله: نحاه، و محاه.

14 - المهمز: من الهمز الواقعة بالعيب.

15 - المغمز: من الغمز. و هو الطعن.

16 - سلّمنا: رضينا و انقدنا.

17 - الميثاق: العهد.

## الشرح

(فقلت بالأمر حين فشلوا) يذكر عليه السلام بعض مفاخره ردا لمن أتهمه بما لا يليق به فذكر أنه نهض بأمر الإسلام و الدعوة له بلسانه و سنانة فقد عرفته ساحات الوغى و في كل غزوة لسيفه صولة حتى قيل ما قام الإسلام إلا بسيف علي و مال خديجة و نظرة سريعة نحو غزوات النبي تتضح الأمور و تتبين فلم تخل غزوة من حضوره بل كان في كل واحدة بطلها غير المنازع و فارسها غير المقارع و في مقابل ذلك ترى غيره يجبن و يتردد و يخور و لا يقدر على مواجهة الأعداء حتى قالوا عن عمر عند ما أرسله النبي لفتح خيبر رجع و هو يجبن أصحابه و أصحابه يجبنونه، نعم كان من دأب عمر أن يقول للنبي إذا جاءه أسير: دعني يا رسول الله أضرب عنقه أو إذا كان أحد من أصحابه الضعفاء يقول:

انذن لي يا رسول الله أن أضرب عنق هذا المنافق..

(و تطلعت حين تقبعوا) بحثت عن الأمور الغامضة و عما يفيد الأمة و سألت رسول الله عن كل صغيرة و كبيرة و لم يشغلني شاغل عن محادثته و الاستفادة منه و قد كان الإمام تربي في بيت النبي و سمع منه ما لم يسمعه أحد حتى قال: علمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب.. و في المقابل كان غيره يضم جوانحه و ينزوي خلف تجارة يديرها أو مصالح يبحث عنها فكان ضعيف الهممة عن طلب ما يطلبه الإمام.



(و نطقت حين تعتصوا) أفصحت عن المسائل المهمة والمشكلات المدلهممة في حين أصيبوا بالعجز والعي ولم يستطيعوا أن يدركوا ما أدركت وقد ثبت أن الخلفاء عادوا إلى الإمام وسألوه عما أشكل عليهم حتى قال عمر قولته المشهورة لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن.. وقوله: لو لا علي لهلك عمر..

(و مضيت بنور الله حين وقفوا) سرت وفق الأمر الإلهي و اهتديت إليه، فإنه عليه السلام فتح عينيه على رسالة الله و ما رسمته لهذا الإنسان من منهج عقيدي و حركي بينما غيره وقف عن هذا الوحي الإلهي و هذه الرسالة المنجية..

(و كنت أخفضهم صوتا و أعلاهم فتوا) و على عادة أهل الحركة، الذين يعملون بهدوء و صمت فقد كان عليه السلام بهدوء المؤمن الواعي الذي لا يملأ الدنيا إعلاما و أخبارا كان يجري نحو الهدف الإلهي المرسوم و لذا مع هذا الهدوء كان له قصب السبق في كل الحقول و على كل المستويات و في جميع الميادين..

(فطرت بعنانها و استبددت برهانها) تملك الإمام ناصية الفضائل و الكمالات و لم تقدر أن تزّل قدمه في موقف و لذا كان يؤخذ عليه موقفه المبدئي الرسالي الذي لا يساوم عليه و لا يتنازل عنه، لقد ذهب بالفضائل كلها و اجتمع فيه ما تفرق في غيره. و قد انفرد بها و فاز بنتيجتها التي أهلته للإمامة و قيادة الأمة و بالحقيقة لقد كان هذا الرجل يتيم المعدن جاد به الدهر فردا لم يشفع بنظير أو شبيهه، حارت العقول و الأبواب في تفسيره و بعد تطواف كبير حول أعتاب هذه الشخصية أقرت بالعجز و تيقنت الفشل في الوصول إلى تفسير معقول لهذه الشخصية الإلهية و صدق رسول الله الذي قال له: يا علي لم يعرفك إلا الله و أنا...

(كالجبل لا تحركه القواصف و لا تزيله العواصف) و أي جبل كان ابن أبي طالب..

كان جبل الإيمان و العقيدة و التقوى و إن الجبل ليفل منه و ابن أبي طالب لا يفل منه وقف في حروبه مع النبي موقفا ينفرد فيه و يعز على غيره مثله.. و تلك مواقفه مسطورة مذكورة و ضرباته مشهورة مذكورة يتحدث بها الجبناء فتشد من عزائمهم و تطرد فشلهم و يتذكرها أهل الشجاعة فتقوى شجاعتهم و تشدد.. و ليس الأمر بمقتصر على فترة النبوة بل في كل مراحل حياته كان ثابت الجنان قوي البرهان لم تقل منه الأيام ضعفا و لم تصبه بوهن و إنما كان يزداد صلابة و قوة و ثباتا على الموقف الذي يتبناه و يذهب إليه قال أحمد شوقي أمير الشعراء مخاطبا الإمام قائلا:

يا جبلا تآبى الجبال ما حمل \*\*\* ما ذا رمت عليك ربة الجمل

(لم يكن لأحد في مهمز ولا لقائل في مغمز) وبأي شيء يعاب ابن أبي طالب ولا عيب فيه فهو طاهر من الذنوب نقي من العيوب نعم إذا كانت تعاب الفضائل والمكارم فلا بن أبي طالب أن يعاب لأنه جمع ما تفرق في غيره والتقى فيه ما توزع في سواه..

وهل يعاب الإيمان والسبق إليه؟ وهل يعاب الجهاد في سبيل الله ودفع الظلم والجور؟..

(الذليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له والقوي عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه) الحق هو الميزان في نظر الإمام وقد عاش الإمام هذا الميزان ولم يغير عنه أو يبدله بسواه وقد أجراه على نفسه حتى جاء معه في لسان النبي عند ما قال له: الحق مع علي وعلي مع الحق وأراد أيضا أن يجري بين الناس فيصغر الكبير العزيم أمام هذا الحق ويكبر الضعيف الحقير الذي له هذا الحق...

الذليل.. الضعيف.. الذي ليس له عشيرة تحميه وتدفع عنه هو عند علي عزيز طالما أن له الحق وهو يبقى كذلك حتى يأخذ له الحق وأما العزيز بقوته وعشيرته وماله وسلطانه فهو الضعيف أمام الحق وسيبقى هكذا حتى يأخذ منه الحق..

(رضينا عن الله قضاءه وسلمنا لله أمره) يقول شراح النهج أن هذا الكلام منه كان لما تقرّس في قوم من عسكره أنهم يتهمونه فيما يخبر به عن النبي (صلى الله عليه وآله) من أخبار الملاحم والغائبات وقد كان شك منهم جماعة في أقواله ومنهم من واجهه بالشك والتهمة.

وهو هنا يرضى بقضاء الله الذي يحكمه ويسلم بأمره الذي يأمره من حيث أنه يواجه بهذه التهم الباطلة والشكوك الزائفة..

(أتراني أكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله؟ والله لأننا أول من صدقه فلا أكون أول من كذب عليه) استفهام استنكاري وإن ذلك لا يكون أبدا.. وإنه عليه السلام لا يجري في حقه أن يكذب على رسول الله ويقول عنه ما لم يقله وقد بين صدق ذلك بأنه أول من صدقه و آمن بنبوته وتابعه في مسيرته يوم لا منافع ولا أطماع فهل يكون أول من يكذب عليه وهو المحامي والمدافع عنه ومن بادر إلى الإيمان بشيء لا يبادر إلى نقضه وإبطاله وهو قد آمن بالنبي و صدقه فلن يخالفه أو يفترى عليه وهو بالنسبة إليه..

(فنظرت في أمري فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي وإذا الميثاق في عنقي لغيري) قالوا إنه ينظر إلى بيعة الخلفاء الذين تقدموه وإلى وصية النبي له بالصبر عليهم والكف عن مواجهتهم بأنه نظر فيما آل إليه أمره بعد البيعة لهم وتسلطهم فإذا طاعته لهم بوصية النبي له سبقت بيعته لهم فهو مأمور بطاعتهم وعدم منابذتهم قبل أن يأخذوا البيعة منه وإذا

الميثاق الذي أمرني به النبي بعدم قتالهم في عنقي لهؤلاء الجماعة المغتصبين للحق.

ويمكن أن يكون مراده - والله وقائله أعلم - نظرت فيما أنا عليه فإذا طاعتي واجبة على القوم لأنني الوصي وصاحب الحق وهذا ثابت قبل البيعة لي منهم وإذا العهد بالقيام في شئون الإمارة الذي هو في رقبتني ومن مهمتي إذا به لغيري ممن اغتصب الحق وتولى الأمر..

ص: 299

### إشارة

وفيها علة تسمية الشبهة شبهة ثم بيان حال الناس فيها وإتّما سمّيت الشبهة شبهة لأنّها تشبه الحقّ: فأما أولياء (1) الله فضيأؤهم (2) فيها اليقين (3)، و دليلهم (4) سمت (5) الهدى و أمّا أعداء الله فدعاؤهم فيها الضلال (6)، و دليلهم العمى، فما ينجو (7) من الموت من خافه (8)، و لا يعطى البقاء من أحبّه.

### اللغة

1 - الأولياء: مفردا ولي النصير، المحب التابع الحليف، كل من ولي أمر أحد، المطيع لله.

2 - الضياء: النور و أضاء البيت إذا أناره.

3 - اليقين: إزاحة الشك و تحقيق الأمر/العلم الحاصل عن استدلال و نظر.

4 - الدليل: جمعه أدلة و أدلاء، المرشد، البرهان، الهادي.

5 - سمت: الطريق.

6 - الضلال: ضد الهدى، الانحراف عن الدين و عن الطريق.

7 - ينجو: نجا من كذا إذا خلاص منه و النجاة الخلاص.

8 - خافه: من الخوف و هو الفزع.

### الشرح

(وإنما سميت الشبهة شبهة لأنها تشبه الحق) سميت الشبهة شبهة لشبهها بالحق أي فيها جانب يشبه الحق و لو صورة...

و الشبهة تغرّ الإنسان و تحرفه إذا كان بسيطا ضعيفا و يتمسك بها أهل الأهواء و الميول فيلوحون بها أمام البسطاء و الجماهير و يستغلونهم من خلالها بحجة أنها الحق لوجه الشبه الموجود بينها و بين الحق و قد استغل كثيرون من الناس بعض الشعارات المشتبه بها و بعض المواقف و عن طريقها استغلوا الناس و وصلوا إلى مآربهم و قد وردت الأحاديث عن النبي و الأئمة و قسمت الأشياء إلى ثلاثة أمور..

1 - قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : حلال بين (1) و حرام بين و شبهات بين ذلك فمن ترك الشبهات نجا من المحرمات و من أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات و هلك من حيث لا يعلم.

2 - و عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) الأمور ثلاثة: أمر تبين لك رشده فاتبعه و أمر تبين لك غيّه فاجتنبه و أمر اختلف فيه فردّه إلى الله عز و جل..

(فأما أولياء الله فضياؤهم فيها اليقين و دليلهم سمت الهدى) قسّم الإمام الناس إلى قسمين بحسب موقفهما من الشبهة فهذا القسم الأول و هو الواعي المثقف المتعلم الملتزم الذي يرى بنور الله فأمامهم أضواء كاشفة يستطلعون بها الحق و وجه الصواب..

إنهم الذين عرفوا من علوم الإسلام و وقفوا على أصول الشريعة الذين وصلوا إلى درجة عالية من العلم و المعرفة هؤلاء بنور اليقين الذي هو العلم الصحيح يسرون نحو تبديد ما يعترضهم من شبهات و دليلهم الذي يقودهم و يرشدهم هو الهدى و نور العلم و المعرفة..

(و أما أعداء الله فدعاؤهم فيها الضلال و دليلهم العمى) و هذا هو القسم الثاني الذين هم أعداء الله البعيدون عنه العاصون لأمره هؤلاء يستغلونها في سبيل الانحراف و الضلال و يتخذونها ممسكا بأيديهم يدخلون من خلاله إلى الإفساد و الإضلال و لا دليل لهم صحيح على مدعاهم و إنما الجهل و عدم الوعي و عدم العلم وراء هذا الانحراف و السلوك الشاذ..

(فما ينجو من الموت من خافه و لا يعطى البقاء من أحبه) من خاف الموت و فزع منه لا ينجو منه أو يقدر على التخلص من ملاقاته و هذه حقيقة واقعية و إسلامية قال تعالى: «أَيُّنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ» (2)..

و هذا منه عليه السلام تذكير بهذه الحقيقة التي سوف يصل إليها الإنسان فيجب أن 8.

ص: 301

1- وسائل الشيعة كتاب القضاء باب 12.

2- سورة النساء، آية - 78.

يعد العدة لما بعدها و ما ينتظره وراءها...

و من أحب البقاء و دوام الحياة فلن يعطاه و أي إنسان يحب الموت و الخروج من الدنيا إنهم قلة بل صفوة الناس و خيرتهم الذين عرفوا الله و ما عنده فأطاعوه و اشتاقوا إلى رحمته و لم يقدرُوا على الصبر عما عنده و هذه أيضا حقيقة تذكّر الإنسان بقيمة هذه الحياة و إن هذا الإنسان لن يخلد فيها و لن يبقى أكثر مما كتبه الله له فيها..

ص: 302



## إشارة

خطبها عند علمه بغزوة النعمان بن بشير صاحب معاوية لعين التمر، وفيها يبدي عذره، ويستنهض الناس لنصرته منيت (1) بمن لا يطيع (2) إذا أمرت و لا- يجيب (3) إذا دعوت، لا- أبا لكم! ما تنتظرون بنصركم ربكم؟ أما دين يجمعكم، و لا حمية (4) تحمشمكم (5)! أقوم فيكم مستصرخا (6)، و أناديكم متغوّثا (7)، فلا تسمعون لي قولا، و لا تطيعون لي أمرا، حتى تكشف (8) الأمور عن عواقب (9) المساءة (10)، فما يدرك بكم ثار (11)، و لا يبلغ (12) بكم مرام، (13)، دعوتكم إلى نصر إخوانكم فجرجتم (14) جرجرة الجمل الأسرّ (15)، و تناقلتم (16) تناقل النضو (17) الأذبر (18)، ثم خرج إلي منكم جنيد (19) متذائب (20) ضعيف «كأنما يساقون إلى الموت و هم ينظرون».

قال السيد الشريف: أقول: قوله عليه السلام: «متذائب» أي مضطرب، من قولهم:

تذابت الريح، أي اضطرب هبوبها. و منه سمي الذئب ذنبا، لاضطراب مشيته.

## اللغة

1 - منيت: ابتليت.

2 - يطيع: ينقاد.

3 - أجا: عن السؤال رد له الجواب.

4 - الحمية: النخوة و المروة.

ص: 303

5 - تحمّشكم: تجمعكم و تغضبكم.

6 - المستصرخ: المستنصر.

7 - متغوّثا: قائلًا و اغواثاه و الغوث الإغاثة.

8 - تكشّف: تنجلي، و تظهر.

9 - العواقب: آخر كل شيء، الجزاء.

10 - المساءة: الحزن أو فعل ما يكرهه.

11 - الثار: الدم و الطلب به، الذحل.

12 - يبلغ: يوصل، و البلاغ الإيصال إلى الشيء المطلوب.

13 - المرام: جمعه مرامات المطلب، المقصود.

14 - جرجرتم: الجرجرة صوت يردده الجمل و أكثر ما يكون عند الإعياء.

15 - الأستر: داء يأخذ البعير في سرته.

16 - تفاقتم: تباطأتم و تماهلتم و أثقل إلى الدنيا ركن إليها و الأصل الثقل الذي هو ضد الخفة.

17 - النضو: المهزول.

18 - الأذبر: المعقور، القرح يصيب الدابة و غيرها من حمل و شبهه.

19 - جنيد: تصغير الجند للتحقير.

20 - متدائب: مضطرب.

## الشرح

## إشارة

(منيت بمن لا يطيع إذا أمرت و لا يجيب إذا دعوت) ففي حين تبتلى الشعوب بقاداتها و حكامها ابتلي علي بشعبه و رعيته فكان هو المظلوم بينهم المبتلى بهم و في هذه الخطبة ألم شديد من أصحابه الذين تقاعسوا عن نصرته و لم يدفعوا معه غارات معاوية التي كان يشنها على أطراف البلاد التي تحت حكمه خطبها عند ما أغار النعمان بن بشير من قبل معاوية على عين التمر الذي كان يتولاها مالك بن كعب الأرحبي من قبل الإمام و لم يكن معه إذ ذاك سوى مائة رجل فكتب مالك إلى الإمام يخبره الخبر فصعد عليه السلام على المنبر و حثهم

على الخروج إليه ونجدته فلم يخرج منهم إلا ثلاثماية رجل فقام عندها وخطب بهم بهذه الخطبة التي تحكي مدى ألمه وأساه وعمق جرحه وأذاه.

ابتليت بشعب لا يطيع أمري أو يلتزم به إذا أمرت مع إن ما أنشده إنما هو لصالحهم

ص: 304

و من أجل منافعهم و إذا دعوتهم إلى قتال عدوهم لا يلبون و لا يسرعون و أي أذية أكبر من قائد يريد العزة لشعبه و هو يتمنّع عنها و يرفض قبولها..

(لا- أبالكم ما تنتظرون بنصركم ربكم أما دين يجمعكم و لا- حمية تحمّشكم) أراد أن يستفزهم و يحثهم عن طريق هذا الاستفهام الاستنكاري بانكم لأي شيء تؤخرون الانتصار لله و المقاتلة من أجله؟. أي شيء تنتظرون حتى تنتصروا لله و تدفّعوا الظالمين، و تحققوا إرادة الله؟!..

ثم بيّن لهم دوافع القتال و الإثارة لعلهم يعودون لأنفسهم فيتحركون و ينهضون و قد حرك فيهم الحس الديني الذي يدفع عنه الإنسان برغبة و شوق و يشعر من خلاله أنه مع الله و إن جهوده مقبولة، أما دين يجمعكم و تلتقون عليه فتحاربون من أجل عدوكم؟ و لا غيرة و أنفة تغضبكم و تحرك فيكم ردّ الاعتداء و دفع الأعداء...

(أقوم فيكم مستصرخا و أناديكم متغوّثا فلا تسمعون لي قولا و لا تطيعون لي أمرا) استصرخكم و أطلب نصركم و أقف على أعواد المنبر أدعوكم لإعانتني في دفع الأعداء..

إنني في كل يوم أقف خطيبا أطلب منكم المساعدة و العون و لكن لا تسمعون ندائي...

نزلهم منزلة من لم يسمع من حيث الأثر و لا تطيعون لي أمرا بل تتكاسلون و تتأفّفون و لا تستجيبون...

(حتى تكشف الأمور عن عواقب المساءة فما يدرك بكم ثار و لا يبلغ بكم مرام) و سألني استنصركم و أناديكم و لكن ستبّقون تتمردون و لا تستجيبون حتى تظهر العواقب السيئة لعدم هذه الاستجابة ثم أراد أن يحكي لهم واقعهم و ما هم عليه و ما يشعر به نحوهم لعلهم يتحفزون و يتحركون قال لهم: إن من يريد أن يطلب ثاره و حقه المهذور لا يحصل عليه و لا يناله لأنكم أعجز من أن تحصلوا لطالب الثأر حقه كما إن من أراد مقعدا و مطلبا بكم لا يدركه و لا يصل إليه لأنكم عاجزون عن البلوغ به إلى مطلبه و مقصده...

(دعوتكم إلى نصر إخوانكم فجرجتم جررة الجمل الأسر و ثقاقتم ثقاقل النضو الأديب) دعوتكم إلى الخروج لنصرة إخوانكم المهديين من قبل العدو فكنتم كالجمل المريض الذي يتحرك بإعياء و كلل لا طاقة له و لا قدرة و تباطأتم تباطوء المهزول المقروح فإنه يعجز عن الحمل و يتوجع منه و هم كانوا بصورتهم كذلك كانت كلمات الإمام لا تحركهم و لا تدفعهم بل كانوا يسوّفون و يتأخرون و يطلبون الدعة و البعد عن الحرب و كانت كلماته عليه السلام تؤذيهم و تؤلمهم مع إنها كانت الحق و العدل و لكنهم لا يطيقون سماعها لحبهم للسلامة. و إن جرت إلى الهوان و المذلة...

(ثم خرج إلي منكم جنيد متذائب ضعيف «كإنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) تصغير لشأنهم و بيان لقلّة من خرج منهم و لبي نداءه إنهم جنود قليلون ثلاثماية لا غير بغير استقرار و لا عزيمة إنني أشعر من القراءة في صفوفهم و من النظر إليهم إنهم خارجون كرها عنهم، حياء و خجلا فكانهم يساقون إلى الموت قهرا عنهم و إلى ما لا يرغبون فيه..

### ترجمة النعمان بن بشير:

النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي و أمه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة ولد في السنة الأولى للهجرة و كان أول مولود للأنصار بعد الهجرة كما كان عبد الله بن الزبير أول أولاد المهاجرين بعد الهجرة و كان النعمان من جملة من لم يبايع الإمام علي و قد كان عثمانى الهوى و عند ما قتل عثمان أخذ قميصه و أصابع زوجته نائلة فلحق بالشام و سلمهم لمعاوية الذي رفعهم أمام أهل الشام و أخذ يحرك عواطفهم للشأر له من الإمام علي الخليفة الشرعي و هناك رواية ينقلها ابن (1) أبي الحديد في شرحه عن صاحب الغارات نقلها مع التحفظ عليها بل استبعادها عن مثل النعمان الذي لم يبايع عليا بل هرب بقميص عثمان و أصابع نائلة إلى معاوية تقول الرواية:

إن النعمان بن بشير قدم هو و أبو هريرة على علي عليه السلام من عند معاوية بعد أبي مسلم الخولاني يسألانه أن يدفع قتلة عثمان إلى معاوية ليقيدهم بعثمان لعل الحرب أن تطفأ و يصطالح الناس و إنما أراد معاوية أن يرجع مثل النعمان و أبي هريرة من عند علي عليه السلام إلى الناس و هم لمعاوية عاذرون و لعل لائمون و قد علم معاوية أن عليا لا يدفع قتلة عثمان إليه فأراد أن يكون هذان يشهدان له عند أهل الشام بذلك و أن يظهر عذره.

فقال لهما: إئتيا عليا فأنشده الله و سلاه بالله لما دفع إلينا قتلة عثمان فإنه قد آواهم و منعهم ثم لا حرب بيننا و بينه فإن أبي فكونوا شهداء الله عليه.

و أقبل على الناس فأعلماهم بذلك فأتيا إلى علي عليه السلام فدخلا عليه فقال له أبو هريرة: يا أبا حسن: إن الله قد جعل لك في الإسلام فضلا و شرفا، أنت ابن عم محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد بعثنا إليك ابن عمك معاوية، يسألك أمرا تسكن به هذه الحرب

ص: 306

و يصلح الله تعالى ذات البين، أن تدفع إليه قتلة عثمان ابن عمه فيقتلهم به و يجمع الله تعالى أمرك و أمره و يصلح بينكم و تسلم هذه الأمة من الفتنة و الفرقة ثم تكلم النعمان بنحو من ذلك..

فقال لهما علي: دعا الكلام في هذا: حدثني عنك يا نعمان أنت أهدى قومك سييلا؟ يعني الأنصار.

قال: لا. قال: فكل قومك قد اتبعني إلا شذاذا منهم ثلاثة أو أربعة، أفتكون أنت من الشذاذ فقال النعمان: أصلحك الله، إنما جئت لأكون معك و أزمك و قد كان معاوية سألني أن أؤدي هذا الكلام و رجوت أن يكون لي موقف أجتمع فيه معك و طمعت أن يجري الله تعالى بينكما صلحا فإذا كان غير ذلك رأيك فأنا ملازمك و كائن معك.

فأما أبو هريرة فلحق بالشام و أقام النعمان عند علي عليه السلام فأخبر أبو هريرة معاوية بالخبر فأمر أن يعلم الناس ففعل و أقام النعمان بعده شهرا ثم خرج فارا من علي عليه السلام حتى إذا مر بعين التمر أخذه مالك بن كعب الأرحبي - و كان عامل علي عليه السلام عليها فأراد حبسه و قال له: ما مرّ بك بيننا.

قال: إنما أنا رسول بلغت رسالة صاحبي ثم انصرفت فحبسه و قال: كما أنت حتى أكتب إلى علي فيك فناشده و عظم عليه أن يكتب لعلي فيه فأرسل النعمان إلى قرظة بن كعب الأنصاري و هو كاتب عين التمر يجبي خراجها لعلي عليه السلام فجاءه مسرعا فقال لمالك بن كعب: اخل سبيل ابن عمي يرحمك الله فقال: يا قرظة: اتق الله و لا تتكلم في هذا فإنه لو كان من عباد الأنصار و نساكهم لهم يهرب من أمير المؤمنين إلى أمير المنافيين.

فلم يزل به يقسم عليه حتى خلى سبيله و قال له يا هذا لك الأمان اليوم و الليلة و غدا و الله إن أدركتك بعدها لأضربن عنقك فخرج مسرعا لا يلوي على شيء و ذهبت به راحلته فلم يدر أين يتسكع من الأرض ثلاثة أيام لا يعلم أين هو فكان النعمان يحدث بعد ذلك و يقول: و الله ما علمت أين أنا حتى سمعت قوله قائلة تقول و هي تطحن..

شربت مع الجوزاء كاسا ردية \*\*\* و أخرى مع الشعري إذا ما استقلت

معتقة كانت قريش تصونها \*\*\* فلما استحلوا قتل عثمان حلّت

فعلمت أني عند حي من أصحاب معاوية و إذا الماء لبني القين فعلمت أني قد انتهيت إلى الماء.

ثم قدم على معاوية فخبره بما لقي و لم يزل معه مصاحباً لم يجاهد علياً و يتبع قتلة عثمان حتى غزا الضحاك بن قيس أرض العراق ثم انصرف إلى معاوية و قد كان معاوية قال قبل ذلك بشهرين أو ثلاثة. أما من رجل أبعث به بجريدة خيل حتى يغير على شاطئ الفرات فإن الله يرفع بها أهل العراق فقال له النعمان: فابعثني فإن لي في قتالهم نية و هوى و كان النعمان عثمانياً.

قال: فانتدب على اسم الله فانتدب و ندب معه ألفي رجل و أوصاه أن يتجنب المدن و الجماعات و ألا يغير إلا على مسلحة.

فأقبل النعمان بن بشير حتى دنا من عين التمر و بها مالك بن كعب الأرحبي الذي جرى له معه ما جرى و مع مالك ألف رجل و قد أذن لهم فرجعوا إلى الكوفة فلم يبق معه إلا مائة أو نحوها فكتب مالك إلى علي عليه السلام أما بعد فإن النعمان بن بشير قد نزل بي في جمع كثيف فأريك سددك الله و ثبتك و السلام.

فوصل الكتاب إلى علي عليه السلام فصعد المنبر و قال للناس: اخرجوا هداكم الله إلى مالك بن كعب أخيكم فإن النعمان بن بشير قد نزل به في جمع من أهل الشام ليس بالكثير فانهضوا إلى إخوانكم لعل الله يقطع بكم من الكافرين طرفاً ثم نزل.

فلم يخرجوا فأرسل إلى وجوههم و كبرائهم فأمرهم أن ينهضوا و يحثوا الناس على المسير فلم يصنعوا شيئاً و اجتمع منهم نفر يسير نحو ثلاثمائة أو دونها فقام عليه السلام و خطب خطبته المتقدمة «منيت بمن لا يطيع».

ثم ورد الخبر عليه بهزيمة النعمان بن بشير و نصرته مالك بن كعب..

و في مقابل هذه اليد البيضاء عند معاوية كافأه بولاية الكوفة حيث نصبه أميراً عليها سنة 59.

و قد تزوج بنائلاً بنت عمارة الكلابية بعد - أن طلقها معاوية و تزوجها حبيب بن مسلمة الفهري و طلقها منه - و قد كان على الكوفة حتى كتب أهلها إلى الحسين يستقدمونه إليهم...

و قد التحق بالشام عند ما ولي يزيد لابن زياد الكوفة و قد أرسله يزيد إلى أهل المدينة حيث كانت تعيش الغليان و كان عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة يحدثهم بأفعال يزيد القبيحة و سيئاته و يدعوهم إلى الثورة عليه.

فجاء النعمان ليهدأ المدينة و كان الأنصار(1) فيها فأتى قومه و أمرهم بلزوم الطاعة و خوفهم الفتنة و قد كان بالشام عند قدوم السبائيا و الرءوس إليها و لما مات يزيد بن معاوية و استخلف معاوية بن يزيد عن قرب دعا النعمان(2) إلى ابن الزبير ثم دعا إلى نفسه فواقعه مروان بن الحكم بعد أن واقع الضحاك بن قيس فقتل النعمان بن بشير و ذلك سنة خمس و ستين....

ص: 309

---

1- ابن الأثير ج/ 4 ص 104.

2- الإصابة ج - 3..



إشارة

في الخوارج لما سمع قولهم: «لا حكم إلا لله» قال عليه السلام: كلمة حق يراد بها باطل! نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرأة (1) إلا لله، وإنه لا بد للناس من أمير برّ (2) أو فاجر (3) يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع (4) فيها الكافر، ويبلغ (5) الله فيها الأجل (6)، ويجمع به الفياء (7)، ويقاتل به العدو، وتأمين به السبل (8)، ويؤخذ (9) به للضعيف من القوي؛ حتى يستريح (10) برّ، ويستراح من فاجر.

وفي رواية أخرى أنه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال:

حكم الله أنتظر فيكم.

وقال: أما الإمرة البرّة فيعمل فيها التقيّ؛ وأما الإمرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقيّ؛ إلى أن تنقطع مدّته، وتدركه منيته (11).

اللغة

1 - الإمرة: الولاية.

2 - البر: جمعه أبرار المحسن الخير.

3 - الفاجر: الفاسق المسترسل في عمل المعاصي، الزاني..

4 - يستمتع: يتمتع ويتلذذ.

5 - يبلغ: من بلغ إذا وصل.

6 - الأجل: الوقت، نهاية العمر.

ص: 310

7 - الفيء: مال الخراج و الغنيفة و ما يحويه بيت مال المسلمين.

8 - السبل: الطرق.

9 - يؤخذ به: يقتص به.

10 - يستريح: يسكن و يجد الراحة.

11 - المنية: الموت.

## الشرح

قال عليه السلام: كلمة حق يراد بها باطل نعم إنه لا حكم إلا لله) هذا هو الشعار الذي رفعه الخوارج و نادوا به و حاربوا من أجله شعار «لا حكم إلا لله».. و هو شعار صحيح و براق.. شعار يحرك الناس و يصطاد قلوبهم و يجعلهم أسرى تحت حروفه لا يستطيعون مواجهته أو رده أو مجابته.. الحكم لله وحده.. الأمر لله و النهي لله بيده التحريم و بيده التحليل.. شعار منتزع من عمق عقيدة المؤمن و التزامه.. بهذا يدين الله و بمضمونه يعتقد و لكن هذا الشعار الصحيح السليم قد استغل من أجل تمرير موقف أراذه الخوارج.. إنهم انحرفوا به و فسروه بما يلائم طبيعة تعقيدهم و انكماشهم على أنفسهم و تحجرهم الفكري و الثقافي...

كلمة حق و لكن يراد بها باطل، يراد من خلال هذا الشعار تعطيل دورة الحياة، يريدون الفوضى و اختلال النظام و التسبب.. يريدون كما يقول الإمام:

(و لكن هؤلاء يقولون: لا أمر إلا لله) إنهم ينفون الأمر التي تتولى تسيير شؤون الناس و تنظر في قضاياهم و تحكم في منازعتهم و تفصل في مشكلات حياتهم... ينفون الإمرة التي تستتبع أمرا أو نهيا لم ينص الشارع عليه بخصوصه فكأنهم ينظرون إلى أن الأمير لا يجوز له الخروج عن المنصوص من القضايا و الأمور و من هنا لا حاجة للأمير طالما أن القضايا ظاهرة و أفرادها محصورة و مصاديقها معدودة و أما غير المنصوص فلا يمكن للأمير أن يدخل فيه فمن هنا ينفون الإمارة التي تتولى تنفيذ بعض القضايا التي تعترض مسيرة الأمة و من هنا قالوا «لا حكم إلا لله»...

و لكن هؤلاء الخوارج نسوا أن النصوص الشرعية أغلبها عامة و محدودة فيها قواعد عامة تندرج تحتها مصاديق القضايا التي كانت يوم صدورها كما تدخل تحتها المستجدات من الأمور و القضايا الحادثة.

ص: 311

و من أعجب ما رأيت أنني رأيت بعض العلماء المتدينين والمعروفين بصدق الإيمان يشن حملة عنيفة على من يذهب لعيادة الطبيب بحجة أن هذا يتنافى والإيمان بالله و لحسن الصدف وجدته يضع نظارته على عينيه فقلت له و كيف أنت حصلت على هذه النظارات و كيف تستعملها و هي لم تكن على عهد رسول الله و تتنافى أيضا مع الإيمان بالله فعندها غمغم القضية و ارتبك و لم أحب أن أخرج أكثر من ذلك أو أتابع معه الحديث في هذا الشأن...

ثم بين الإمام العلل و الأسباب الداعية لوجوب الإمارة.

(و إنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن و يستمتع فيها الكافر) لا بديلة الإمارة على الناس أمر يفرضه العقل فإن الجسد لا بد له من رأس يديره و يدبر شئونه و يوجهه لما فيه المصلحة، و الناس لا يصلحهم إلا أمير المؤمنين يرعى شئونهم و يصلح أحوالهم و إلا دبت الفوضى و سواء كان هذا الأمير برا أم فاجرا فإنه ضروري الوجود و لا بد من حضوره أما إذا كان برا فيعمل المؤمن بتكاليفه المفروضة عليه و تعميم شعائره المطلوبة منه و يؤدي واجباته كاملة غير منقوصة بحرية و إرادة و أما في إمرة الفاجر فيتمتع بها الكافر حيث تباح له المحرمات و لا يمنعه عن ممارستها مانع.

و بعضهم أرجع ضمير في إمرته إلى الأمير الفاجر بخصوصه و لكن لا داعي لذلك بعد أن كان الأقرب إلى الفهم و ما ينسجم مع التفسير أن يرجع الأول للأول و الثاني للثاني بحيث يعمل في إمرة البر المؤمن و يستمتع في إمرة الفاجر الكافر...

(و يبلغ الله فيها الأجل) أي هذه الإمرة لا بد و أن تنتهي إلى أجلها المضروب لها عندها تنتهي و تتوقف و يتعطل مفعولها و يرجع الإنسان إلى الله و في هذا تذكير للإنسان بنهايته و إن مدة بقائه قصيرة محدودة...

(و يجمع به الفيء و يقاتل به العدو و تأمن به السبل و يؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح بر و يستراح من فاجر) و هذه من خصائص الإمرة و من ضروريات وجودها إنها تجمع ما توفر من الأموال العامة العائدة إلى المسلمين و مصالحهم من خراج و جزية و غنيمة و غيرها من الموارد فتوزعها على أهلها و المستحقين منهم...

كما إنها تجمع الجند و تنظمه و تبعث به إلى قتال العدو و فتح البلاد...

و بهذه الإمرة و ما لها من سطوة و سلطة و قهر و قوة و عزيمة و شوكة يخالفها الأشرار و قطاع الطرق و السراق فلا يقدمون على هذه الأفعال خوفا منها فتأمن الطرق و يعم الأمن و السلام و يطمن الناس إلى أعمالهم و أموالهم.

وبهذه الإمرة يؤخذ من القوي الظالم للضعيف المظلوم وهذا يمكن تحقيقه من حيث أنه لا يضر بمصلحة الحاكم ومقامه.

وهذه الأمور تتحقق في إمرة الفاجر كما تتحقق في إمرة البر ويشهد به الواقع وما نشاهده ونراه من حكومات الجور ودول الضلال حيث يقومون بذلك و تتحقق في أيامهم هذه الأمور.

وهكذا تبقى الأمور حتى يستريح بربموته أو بتبديل حكم الظالم الذي هو في عهده أو يستراح من فاجر بموته أو عزله و اقتلاع جذوره...  
و أما على الرواية الأخرى.

(حكم الله أنتظر فيكم) أي سوف أنفذ فيكم حكم الله من القتل إذا تجاوزتم الكلام إلى الإخلال بالأمن والنظام والاعتداء على الناس...

(وقال: أما الإمرة البرة فيعمل فيها التقي) تكون له الساحة مفتوحة والفرص متوفرة فيستطيع أن يؤدي واجباته ويسارع إلى مغفرة من ربه و جنة عرضها السموات والأرض...

(و أما الإمرة الفاجرة فيتمتع فيها الشقي إلى أن تنقطع مدته وتدركه منيته) ففي دولة الظالمين يأخذ المنحرف قسطه الأوفر من المملكات المحرمة حيث أنها توفر له الأجواء لمثل هذه الأفعال القبيحة ويبقى يمارس الرذائل والقبايح حتى تنتهي مدته المحدودة ويأتيه الموت فينقلب من داره القبيحة إلى دار الحساب والعذاب..

إشارة

وفيهما ينهى عن الغدر ويحذر منه أيها الناس، إنّ الوفاء (1) توأم (2) الصدق، و لا أعلم جنّة (3) أوقى (4) منه، و ما يغدر من علم كيف المرجع (6). و لقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيسا (7)، و نسبهم (8) أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة (9). ما لهم! قاتلهم الله! قد يرى الحوّل القلب (10) وجه الحيلة (11) و دونها مانع من أمر الله و نهيه، فيدعها (12) رأي عين بعد القدرة عليها، و ينتهز (13) فرصتها (14) من لا حريجة له في الدين.

اللغة

- 1 - الوفاء: بالوعد اتمامه و المحافظة عليه.
- 2 - التوأم: جمعه توأم المولود مع غيره في بطن واحدة.
- 3 - الجنة: بالضم الوقاية و أصلها ما استتر به من درع و نحوه.
- 4 - أوقى: من الوقاية، الحفظ و الصيانة.
- 5 - يغدر: يخون، من الغدر و هو الخيانة و نقض العهد.
- 6 - المرجع: محل الرجوع، الآخرة.
- 7 - كيسا: فطنة و ذكاء.
- 8 - نسبهم: وصفهم.
- 9 - الحيلة: القدرة على التصرف.
- 10 - الحول القلب: البصير بتحويل الأمور و تقليبها.
- 11 - وجه الحيلة: مأخذها و سبلها.

12 - يدعها: يتركها.

13 - ينتهز: يبادر.

14 - الفرصة: جمعها فرص الوقت المناسب و النهزة يقال انتهز الفرصة أي اغتتمها.

15 - الحريجة: التحرج و التحرز من الآثام.

## الشرح

### إشارة

(أيها الناس إن الوفاء توأم الصدق).

### الوفاء:

الوفاء كلمة مضمونها العمل بما تقول او تعطي.. أن تقف عند كلامك الذي تأخذه على نفسك و تشرطه للآخرين عليها.. أن يتوافق عملك و قولك و تتسجم مع نفسك و مع موافقتك... أعطيت لله عهدا أن تعبد لا تشرك به شيئا فهل و فیت ؟ و شهدت بأن محمدا رسول الله فهل تقبلت ما جاء به و نفذته على نفسك و على الحياة و الأحياء.. هل و فیت لله و للناس و لنفسك بما أخذت على نفسك؟...

الوفاء كلمة جفّ معناها في سلوك الناس و نضب معيها عند الناس، فلا وفاء إذا أضرت بمصلحتك و أفسد عليك بعض هدوئك.. و لا وفاء إذا تعارض مع بعض متع الدنيا و شهواتها...

الوفاء سمة المؤمنين و شيمة المسلمين و أخلاق المتدينين و هو مع الصدق أشقاء تربيا في رحم واحدة و في نفس الوقت معا فمن و في فقد صدق...

وقد مدح الله الأوفياء في كتابه فقال: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلا و قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): من كان (1) يؤمن بالله و اليوم الآخر فليف إذا وعد و عن هشام بن سالم قال: سمعت (2) أبا عبد الله عليه السلام يقول: عدة المؤمن أخاه نذر لا كفارة له، فمن أخلف فبخلف الله بدأ و لمقته تعرّض و ذلك قوله: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون»..

ص: 315

1- الكافي ج - 2 ص 364 باب خلف الوعد.

2- الكافي ج - 2 ص 364 باب خلف الوعد.

(ولا أعلم جنة أوقى منه) من عرف ثواب الوفاء وأجره وإنه مصداق من مصاديق الطاعة لله وعرف أن طاعة الله تأخذ بيد الإنسان الوفي إلى الجنة عرف أنه من أشد الأمور وقاية من النار وحجابا عنها وهو ترغيب في الوفاء وحث عليه لما فيه من التزام بأوامر الله وتكاليفه التي التزم بها الإنسان وعليه الوفاء بها وتطبيقها...

(وما يغدر من علم كيف المرجع) من عرف الآخرة والحساب وإن هذا الإنسان سوف يرجع إلى الله ليوفيه حسابه ويعطيه جزاءه ثوابا و عقابا لم يغدر أبدا بما أعطى من العهود والمواثيق ولا يخالفها أو ينقضها بل يلتزم بها وينفذها وإن أدت إلى ضرره أو خسارته...

(ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيسا ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة).. على عليه السلام زمانه وهو قد اختبره عن قرب وعاش في قلب الحركة الحياتية ووقف على مراحل الحياة وما يعترض سبيل الرجال.. عرف الرجال واختبرهم في المواقف وفي الحديث وفي الصبر وفي الولاية وفي جميع مجالات الحياة فرأى أن أكثرهم استعمل فطنته ومهارته في الغدر ونكث العهد وعدم الوفاء بما يقطع على نفسه وقد أعدّ أهل الجهل ذلك التصرف منهم لباقة ودراية في شئون الحياة وكيفية اصطیادها والوقوف عليها، فمن وصل إلى الزعامة والرياسة بالغدر والخيانة فهو الفطن اللبيب الواعي المدرك الملهم الذي يعرف كيف يعيش.. نسبوا إليه الذكاء وحسن التدبير والدراية وإن كانت كلها وليدة الغدر والخيانة...

(ما لهم قاتلهم الله قد يرى الحول القلب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي عين بعد القدرة عليها وينتجز فرصتها من لا حريجة له في الدين).

### الحاجز هو تقوى الله:

دعى عليهم لأنهم رموه بقصور في السياسة متجاهلين معرفته وما له من خبرة ودراية ولذا يضع هنا المبرر لسلوكه وسياسته كما إنه يرسم بذلك قانون السياسة الإسلامية.

يقول إن المحنك المجرب الذي عاش تقلبات الحياة وتحولاتها وعرف ما فيها من أحداث ومشاكل ووقف على كل أسبابها ومسبباتها و شروط النجاح فيها والفشل هذا الإنسان يستطيع أن يقتطف ثمارها وينال رغباته منها ويحقق شهواته ولكن مع ذلك يحتاج لكي يحقق ذلك أن يتحلل من دينه ويتخلى عن معتقداته ويبيع شرفه وضميره..

فالفُرصة مؤاتية و الطريق مفتوحة و الباب على مصراعيه يستطيع الدخول منه بيسر و سهولة و لكن شرط أن يتنازل عن دينه و تقواه و يرتكب المعصية و الإثم...

و لكن هذه الأمور يتنازل عنها بعض الناس فتأتيه فرصة يصطاد منها ما يتمناه و يحقق طموحاته الظالمة و شهواته الباطلة...

فالفُرصة لكلا الرجلين متاحة و لكنّ الأول يمتنع عن الإقدام عليها لأنها تخالف دينه و عقيدته بينما الآخر يقدم عليها دون مانع من دين أو حاجز من شرف و كرامة...

و هذا يصدق مطابقة على علي و معاوية فعلي كان يعرف الأبواب التي بها يستطيع أن يحقق لشخصيته منزلة عظيمة و يعرف السبل التي يقضي بها على معاوية و لكن الالتزام الشرعي كان يقف دون اقتحامه لتلك الأبواب.. بينما معاوية كان لا يحجزه شيء و لا يردعه أو يقف في وجهه شيء...

علي يريد لها بيضاء صافية طاهرة لا تشوبها شائبة و لا يعكر صفوها شيء... يريد لها إسلامية في مقدماتها و نتائجها عكس معاوية يريد لها كيف جاءت و عن أي طريق كانت..

و لذا رفع قميص عثمان بدون حق.. و رفض بيعة علي بدون حق.. و جمع إليه عمرو بن العاص بدون حق و أعطاه مصر طعمة بدون حق و هكذا عدد ما شئت تجد كل خطواته معصية و انحرافا و تمردا و عصيانا و إن عليا يعرف كل تلك الطرق و لكن تقوى الله كانت تحجزه عن ممارسة مثل هذه الأفعال...

و إن معاوية الرمز أضحى تلامذته اليوم من الكثرة بحيث نعجز عن الإحاطة بعددهم، إنهم كثيرون.. و كثيرون جدا.. عن يديه تخرجوا و إلى مدرسته انتموا و ببراعة أدوا دوره.. لقد احتلوا الصدارة و تربعوا كراسي الحكم و تولوا أمر الأمة.. لهم الكلام و بيدهم مفتاح الحل و العقد.. استغلوا الظروف باعوا الدين و تخلوا عنه و راحوا وراء مناصبهم يلهثون...

علي الرمز تخرج من مدرسته ثلة قليلة و قليلة جدا آثروا الحرمان و الجوع و العري.. آثروا الصمت و العزلة و الاضطهاد آثروا كل ذلك على أن يعطوا من دينهم و عقيدتهم شيئا و أنت ترى الأحرار و الشرفاء يلزمون بيوتهم بينما الأشرار و الفساق يصلون و يجولون و ما جلوس الشرفاء لعجز و عدم قدرة و لكن تقوى و إيمانا و عقيدة و التزاما..



إشارة

وفيه يحذر من اتباع الهوى و طول الأمل في الدنيا أيها الناس، إنَّ أخوف (1) ما أخاف عليكم اثنان: اتِّباع الهوى (2)، و طول الأمل؛ فأما اتِّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، و أمّا طول الأمل فينسي الآخرة. ألا و إنَّ الدّنيا قد ولّت حدّاء (5)، فلم يبق منها إلاّ صباية (6) كصباية الإناء اصطبتّها (7) صابّها (8). ألا و إنَّ الآخرة قد أقبلت، و لكلّ منهما بنون (9)، فكونوا من أبناء الآخرة، و لا تكونوا من أبناء الدّنيا، فإنّ كلّ ولد سيلحق بأبيه يوم القيامة، و إنَّ اليوم عمل و لا حساب، و غدا حساب، و لا عمل.

قال الشريف: أقول: الحداء، السريعة، و من الناس و من يرويه «جدّاء».

اللغة

1 - الخوف: الفزع.

2 - الهوى: جمعه أهواء إرادة النفس و ميلانها إلى مستلذاتها.

3 - صد: منع.

4 - ولت: راحت و أدبرت.

5 - حدّاء: بالتشديد الماضية السريعة.

6 - الصباية: بالضم البقية من الماء و اللبن في الإناء.

7 - اصطبتّها: سكبها.

8 - صابها: ساكبها.

9 - بنون: أولاد.

ص: 318

(أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان اتباع الهوى و طول الأمل) يتخوف الإمام علينا و ضمن هذا الخوف تحذير لنا لا يخاف علينا من شيء كما يخاف علينا من اثنين:

اتباع الهوى و طول الأمل...

و اتباع الهوى هو السير وفق ما تشتهي النفس و ترغب فيه دون النظر إلى حكم الله و مراقبة ما ينبغي و من عادة النفس أنها تأمر بالسوء إلا من عصم الله و لذا يجب أن يكون المؤمن في حالة يقظة باستمرار و في حالة طوارئ مع نفسه يدقق فيما ترغب و تشتهي و يحاسبها فيما تريد...

و أما طول الأمل فهو أن يمتد بصره إلى الأفق البعيد من الدنيا فيطلب ما فيها و يقطع النظر عن الآخرة...

(فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، و أما طول الأمل فينسي الآخرة) و هذه علة خوف الإمام علينا من اتباع الهوى و طول الأمل و هنا يمكن الخطر، هنا تزلّ الأقدام و يعثر الفطن اللبيب و تضع الأحكام و يسقط الحق صريعا.. الهوى الذي يصد عن الحق و يمنع من الحكم بالعدل...

عند ما يتحكّم الهوى في نفس الفرد يقوده إلى الردى، فالهوى هو الذي يمنعك من الحكم بالحق، و الهوى هو الذي يدفعك لترى شرار أهلك أفضل من غيرهم من الكرام.. و الهوى هو الذي يدفعك لتقف إلى جانب عشيرتك الظالمة و أرحامك المعتدين.. الهوى هو الذي يصدك و يمنعك عن قبول الحق و العدل و من مشى وراء هواه يتردى و يسقط في نار جهنم و أما من يعدل عن ذلك و يخالف هواه فإن الجنة هي المأوى كما قال تعالى(1): «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ» ..

و في الحديث عن الصادق قال: احذروا(2) أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس بشيء أعدي للرجال من اتباع أهوائهم و حصائد ألسنتهم..

و عن أبي الحسن: لا تدع النفس و هواها فإن هواها في رداها و ترك النفس و ما

ص: 319

1- وسائل الشيعة كتاب الجهاد باب 81 حديث 1-3.

2- وسائل الشيعة كتاب الجهاد باب 81 حديث 1-3.

تهوى أذاها وكفّ النفس عما تهوى دواؤها..

وأما علة الخوف من الأمل فإنه ينسى الآخرة و من هنا يأتي الخطر في الأمل و هو أن يمتد أمله فيسيء عمله و ينسى آخرته.. أمله أن يصبح صاحب ثروة ضخمة فيعمل من أجل ذلك و يسعى في سبيل ذلك فيروح بجمع المال من حله و من حرامه من الطرق المشروعة و الأخرى الممنوعة ناسيا آخرته و إنه سيعود إلى ربه فيحاسبه على المال الحرام...

و يمتد أمله إلى بناء شخصيته فيعمل على قطع أرحامه و منازعة أصحاب الحق حقوقهم و يعتدي و يتجاوز المرسوم و هكذا ينسى الآخرة و حسابها و هذا هو الأمل المذموم المكروه..

و أما إذا كان الأمل مع حفظ الآخرة و عدم نسيانها فإن الإسلام يرغب فيه و لولاه لانتقطع العمل.. لولاه لم يسع الإنسان لعزته و لم بين الحياة و يسعدها أو ينطلق في أجواء الحضارة.. لولا الأمل ما أرضعت أم ابنها و لا سعى والد من أجل ولده و لا وضع الإنسان حجرا فوق حجر..

و من هنا ورد الظم للأمل المنسي للآخرة ففي الصحيفة السجادية:

اللهم صلّ على محمد و آل محمد و اكفنا طول الأمل و قصّره عنا بصدق العمل حتى لا نُؤمل استتمام ساعة بعد ساعة و لا استيفاء يوم بعد يوم و لا اتصال نفس بنفس و لا لحوق قدم بقدم و سلمنا من غروره و أماننا من شروره...

(ألا و إن الدنيا قد ولّت حدّاء فلم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء اصطبتها صابّها) تزهيد في الدنيا و ترغيب في الآخرة أما الدنيا فإنها مضت مسرعة و ما أسرعها في عمر الإنسان و لم يبق منها إلا قليل جدا لا ينظر إليه و لا يهتم به و شبهها ببقايا الإناء التي شرب ماؤها و لم يبق إلا حثالة قليلة لا ينظر إليها كذلك من مضت أيامه و انقضت أوقاته و لم يبق له من الدنيا إلا هذه الجرعة الباقية من عمره يجب أن يزهد فيها و ينعي وجودها عنده...

(ألا و إن الآخرة قد أقبلت) لأن الدنيا إذا ذهبت و مضت و جاءت الآخرة و ما أسرع ما يصل إليها الإنسان.. إنه يمشي نحوها بسني عمره القصيرة فكل يوم يمضي يقترب من الآخرة و بمقدار بعده عنه يلتقي مع آخرته...

(و لكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة و لا تكونوا من أبناء الدنيا فإن كل ولد

سيلحق بأبيه يوم القيامة وإن اليوم عمل ولا حساب و غدا حساب ولا عمل) للدنيا أبناء إنهم الذين يعبدونها و يقدسونها و يسعون فيها الفساد ناسين أوامر الله و نواهيه ضاربين عرض الجدار دعوات الأنبياء و المصلحين.. أبناء الدنيا هم الذين عصوا الله فيها و تمردوا على إرادته و حاربوا أوليائه.. أبناء الدنيا هم الذين استعلوا على الناس و تكبروا عليهم و استعبدوهم و حطموا فيهم شعور العزة و الكرامة...

و كما إن للدنيا أبناء فلاآخرة أبناء و أبناء الآخرة هم الذين نظروا إلى الله نظرة الربوبية و إنه الحاكم المطلق بيده الأمر و بيده النهي.. أبناء الآخرة هم المطيعون لله العاملون بأمره الذين يعمرن الدنيا ياخلاصهم لله و عبادتهم له و طاعتهم لحكمه.. أبناء الآخرة هم المصلون، الصائمون العابدون، الخاشعون، المتصدقون، المحسنون، العاملون.. و إن كل ولد سيلحق بأبيه يوم القيامة فمن كان من أبناء الآخرة و نظر إليها و أعد لها عدتها و سينال ما أعدده الله فيها و هي باقية له لأنها باقية بينما أبناء الدنيا سيلتحقون بها و هي لا دوام لها و لا بقاء، و ابناؤها لن يبقوا و لن يدوموا و لن يحصلوا منها على شيء لأنها زائلة فانية و كذلك ابناؤه تبعاً يفنون و لا يبقون...

ثم رغب في العمل و حصّ عليه بأن دار الدنيا هي دار العمل و دار الجهاد.. الدار التي يتقرّر بها مصير هذا الإنسان فإن عمل و جدّ و اجتهد فإلى الجنة مصيره و إن أهمل و ضيّع و سوّف و لم يعمل فهناك الخسارة الكبيرة التي لا يستطيع معها أن يعوض أو يستدرك لأنه متى وصل إلى الآخرة انقطع العمل و توقف السعي فمن يزرع في الدنيا يحصد في الآخرة و من لا يزرع فإنه لن يحصد إلا الندامة و العذاب...

و إذا كانت الدنيا هي شوط الإنسان الوحيد للعمل فيجب أن يغتنم الفرص و لا- يفوت وقتاً إلا يكتسب فيه عملاً صالحاً يقربه من الله و يدرك نتيجته في الآخرة سرورا و سعادة و جنة و حريراً..

إشارة

وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام بعد إرساله جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية و لم ينزل معاوية على بيعته إنَّ استعدادي (1) لحرب أهل الشّام و جرير عندهم، إغلاق (2) للشّام، و صرف (3) لأهله عن خير إن أرادوه. و لكن قد وُقّت (4) لجرير وقتاً لا يقيم بعده إلاّ مخدوعاً (5) أو عاصياً. و الرّأي عندي مع الإنّاة (6) فأرودوا (7)، و لا أكره لكم الإعداد (8).

و لقد ضربت أنف هذا الأمر و عينه، و قلبت ظهره و بطنه، فلم أر لي فيه إلاّ القتال أو الكفر بما جاء محمّد صلّى الله عليه. إنّه قد كان على الأمة وال (10) أحدث أحداثاً (11)، و أوجد الناس مقالا (12)، فقالوا، ثمّ نقموا فغيّروا (14).

اللغة

1 - الاستعداد: التهيؤ.

2 - إغلاق: الباب عدم فتحه.

3 - صرفه: رده و منعه و دفعه.

4 - وُقّت: جعل له وقتاً محدوداً.

5 - المخدوع: من خدع إذا مكر به و احتال عليه.

6 - الأنّاة: التّأني الثّبت، الرّفق.

ص: 322

7 - أروودوا: أرفقوا.

8 - الإعداد: التهيئة.

9 - قلبت: من قلب الشيء إذا حوله جعل باطنه ظاهره و أعلاه أسفله و يراد هنا اختبره.

10 - وال: حاكم.

11 - الأحداث: مفردة حدث الأمر الحادث المنكر.

12 - المقال: مصدر القول و هو الكلام.

13 - نقموا: كرهوا.

14 - غيروا: حولوا و بدلوا ما كان عليه و هنا قتلوه.

## الشرح

### إشارة

(إن استعدادي لحرب أهل الشام و جرير عندهم إغلاق للشام و صرف لأهله عن خير إن أرادوه) كان همّ الإمام أن يقيم الحجة القاطعة على معاوية و أهل الشام و يعذر إن هو حاربهم و قاتلهم و لذا أرسل جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية يدعوه إلى بيعته و لزوم طاعته و كتب له كتابا يبيّن له فيه أن القوم الذين بايعوا من تقدمه قد بايعوه و إن بيعته قد لزمته و هو في الشام و ليس له أن يختار أو يفسخ و صورة الكتاب: إنني قد عزلتك ففوض الأمر إلى جرير و السلام.

و قال لجرير: صن نفسك عن خداعه فإن سلم إليك الأمر و توجه إليّ فأقم أنت بالشام و إن تعلق بشيء فارجع.. فلما عرض جرير الكتاب على معاوية تعلق بمشاوره أهل الشام و هكذا بقي يدافع بجرير و يسوفه و يؤخره و هنا طلب أنصار الإمام و أتباعه أن يستعد لحرب أهل الشام علنا و يشهر ذلك فأجابهم الإمام إن الاستعداد لحرب أهل الشام و جرير عندهم لم يعد فهذا معناه إننا اتخذناهم أعداء و ابتدأنا في حربهم و هذا يثير حفاظهم و يجعل بيننا و بينهم سدا لانتفاهم بعده و يمنعهم أيضا من البيعة التي هي خير جامع إن أرادوا الخير و أحبوه...

(و لكن قد وقت لجرير وقتا لا يقيم بعده إلا مخدوعا أو عاصيا) و الإمام هنا في غاية الضبط للأمر و الدقة فيها إنه قد حدّد لجرير وقتا معينا لا يتجاوزه فإن مضى الوقت و لم يعد جرير فإن ذلك يكون لأحد أمرين إمّا أن معاوية خدعه و أخذ يماطله في الجواب

و يسوّف في الرد وإمّا أن جريرا نفسه قد تمرد وعصى وأحب معاوية و البقاء عنده وعلى كل حال فالوقت المعين يأتي بالخبر اليقين...

(و الرأي عندي مع الأناة فأرودوا و لا أكره لكم الإعداد) ثم بيّن لهم رأيه و هو الرأي الصحيح و السليم و هو الثاني و الرفق و الانتظار و عدم استعجال الأمور فتمهلوا قليلا عسى أن تتضح الأمور و تستبين و مع ذلك لا أكره لكم أن تستعدوا و لكن ليس بشكل ظاهر لأن ذلك كما تقدم يغلق الشام و يمنع أهلها من خير إن أرادوه..

(و لقد ضربت أنف هذا الأمر و عينه و قلبت ظهره و بطنه فلم أر لي فيه إلا القتال أو الكفر بما جاء محمد صلى الله عليه) بين الإمام نقطة ذات أبعاد كبيرة أوضح فيها مشروعية قتاله لمعاوية بل و جوبها عليه بحيث يكون التباطؤ بها و عدم الإقدام عليها يعادل الكفر و ذلك بأنه فحص الأمر بينه و بين معاوية من جميع جوانبه و درسه بكل أحواله و شئونه و فكر فيه باستيعاب و استيفاء فلم يجد إلا الكفر أو القتال و ذلك لأن النص قد ورد عن النبي و هو الصادق الأمين: يا علي ستقاتل بعدي الناكثين و القاسطين و المارقين و معاوية رأس الفرقة القاسطة و لا يجوز الاجتهاد في مورد النص - إن قلنا إن الأئمة يجتهدون - و إلا فهم أصحاب الشرع و الدين أقوالهم و أفعالهم حجة و بما أن الكفر على الإمام محال فتعين القتال إن أصرّ معاوية على الشقاق و العناد...

ثم مضافا إلى ذلك فإنه الولي الشرعي الذي انعقدت له الخلافة - على مبنى القوم - و لا يجوز للإمام أن يهمل قضية تهدد وحدة المسلمين التي هي من أهم مصالحهم إذ بها عزتهم و قوتهم و هنا لا بد من قتال معاوية حتى يرده إلى الطاعة و عليه فتوى الجميع و إن الخارج عليه باغ عاد يجب قتاله و إلا إذا لم يقم الإمام بذلك كان فاسقا متهاونا و هو على حد الكفر بل في لسان بعض الأحاديث يصدق عليه ذلك...

(إنه قد كان على الأمة وال أحدث أحداثا و أوجد الناس مقالا، فقالوا ثم تقموا فغيروا) ثم أشار الإمام إلى عثمان و أضرب عن تسميته تكريما و ترفعا فقال: إنه الخليفة المتولي لأمر الأمة الإسلامية أحدث أمورا منكرا عظيمة خالفت العدل و الحق و ما عليه شريعة الله. من استشاره بالفىء و تولية أقاربه على رقاب الأمة بدون كفاءة أو جدارة و اقطاعهم القطايح و إبطاله الحدود و بعبارة جامعة حوّل الإسلام إلى منافع العصابة الأموية التي لم تؤمن بالله و لهذه الأسباب و غيرها مما هو مذكور في محله جعل للمسلمين عليه سبيلا إلى الطعن فيه و القدح في تصرفه و كانت هذه هي الخطوة الأولى التي سلكوها ثم لما أصر على عمله و لم يرتدع أو يرجع و عجزوا عن إصلاحه بالوعظ و الإرشاد و النقد البناء أظهروا معانيه و اتخذوا المواقف السلبية منه ثم أخيرا بعد اليأس من

إصلاحه عمدوا إلى قتله و كان لا بد من هذا التغيير الدموي الذي يقضي على رأس الضلال و الانحراف و يمنع الأمويين من استغلال الإسلام و تحويله لمصالحهم الشخصية و إن عثمان الذي كانت سيرته على هذا النهج المنحرف لا يثار له و خصوصا من معاوية الذي كان يقدر على نصرته فأخرها عنه عمدا حتى قتل ثم عمد إلى الطلب بالثار له خدعة منه و مكرا يطلب من وراء ذلك منصب الخلافة و الجلوس محله و هكذا كان و عليه جرت الأحداث..

### ترجمة جرير بن عبد الله البجلي:

جرير بن عبد الله بن جابر(1) بن مالك بن نضرة بن ثعلبة بن جشم بن عوف بن خزيمة بن حرب بن علي البجلي يكنى أبا عمر و قيل أبا عبد الله الصحابي الشهير.

جزم ابن عبد البر بأنه أسلم قبل وفاة النبي (صلى الله عليه و آله) بأربعين يوما و قد غلّطه صاحب الإصابة و قال إنه في حجة الوداع قد استنصت الناس و جزم الواقدي أنه وفد على النبي في شهر رمضان سنة عشر..

و ذكر الشيخ الطوسي في رجاله أنه من أصحاب الرسول فقال: جرير بن عبد الله أبو عمرو و يقال أبو عبد الله البجلي سكن الكوفة و قد الشام برسالة أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية و أسلم في السنة التي قبض فيها النبي (صلى الله عليه و آله) و قيل أن طوله كان ستة أذرع.

و في حواشي الخلاصة للشهيد الثاني - أقول - إن إرسال علي عليه السلام و إن دل على مدح أولا لكن مفارقتة له عليه السلام و لحوقه بمعاوية كما هو معلوم مشهور يدفع ذلك المدح و يخرج من هذا القسم و سيرته و تخريب علي داره بالكوفة بعد لحوقه بمعاوية مشهور.

و في منهج المقال بعد نقله - أقول - و كذا ما روي أن مسجده بالكوفة من المساجد المحدثثة فرحا بقتل الحسين عليه السلام و كذا انحرافه عن أهل البيت...

تولى جرير همدان من قبل عثمان و كان عليها واليا عند ما قتل عثمان فبعث وراءه الإمام علي و عزله عنها و أرسله إلى معاوية ثم إنه بعد رجوعه إلى العراق لم يطل به المقام حتى هرب إلى معاوية أو إلى قرقيسيا و هي أيضا من البلدان الخاضعة لسلطان معاوية و توفي سنة إحدى و خمسين و قيل أربع و خمسين..

ص: 325



إشارة

لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية، و كان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام و أعتقهم، فلما طالبه بالمال خاس به و هرب إلى الشام قَبِحَ اللهُ (1) مصقلة! فعل فعل السادة (2)، و فرّ (3) فرار العبيد! فما أنطق مادحه (4) حتّى أسكته، و لا صدّق واصفه حتّى بكتّه (5)، و لو أقام لأخذنا ميسوره (6)، و انتظرنا بماله وفوره (7).

اللغة

1 - قبحه الله: نحاه عن الخير.

2 - السادة: الأشراف، المقدمون عند الناس.

3 - فرّ: هرب.

4 - المادح: من مدح أحسن الثناء عليه، ضد ذمه.

5 - بكتّه: عتقه و قرّعه.

6 - الميسور: ما تيسر له ضد المعسور.

7 - الوفور: مصدر وفر المال إذا تم.

الشرح

إشارة

(قَبِحَ اللهُ مصقلة فعل فعل السادة و فرّ فرار العبيد) سبب هذا الكلام من الإمام أن الخريت بن راشد الناجي قد شهد مع الإمام في صفين ثم انحرف عنه و جمع معه جموعاً

و هدد أمن المواطنين حتى قتل بعضهم فوجّه إليه الإمام معقل بن قيس فتعقبه نحو جبال رامهرمز فانهمز الخريت ولكنه هرب مع جماعة إلى بلاد فارس حتى انتهوا إلى أسياف البحر و كان هناك قوم نصارى قد ارتدوا عند ما رأوا ما يحدث بين المسلمين فأكمل معقل طريقه و هجم على الخريت فقتله و انهزم أتباعه فأعمل السيف في مستحقهم ثم أخذ النصارى أسرى و سار بهم حتى مرّ على مصقلة بن هبيرة الشيباني و هو عامل الإمام علي على أردشير خرة و هم خمسمائة إنسان فبكى إليه النساء و الصبيان و تصايح الرجال و استغاثوا به فاشتراهم بخمسمائة ألف درهم و أطلقهم و أكمل معقل مسيره حتى وصل إلى أمير المؤمنين فأخبره الخبر و ما كان من أمر مصقلة فقال له: أحسنت و أصبت و وفقت و انتظر الإمام أن يبعث مصقلة بالمال فأبطأ به فكتب إليه أن يدفع المبلغ المرقوم و إلا فليأتي إليه فأتى إلى الكوفة فأقره أياما ثم طالبه بالمال فأدى إليه مائتي ألف درهم و عجز عن الباقي ثم فر إلى معاوية فكانت هذه الكلمة المباركة من الإمام في حقه فقد دعا عليه أن يبعده الله عن الخير و يقذفه به جانبا عن فعل المعروف لما أرتكبه من فعل شائن حيث أنه فعل فعل ذوي الكرامة و الشهامة الذين إذا استغاث بهم مغيث لبوا استغاثته و استجابوا لطلبه.. فعل ذوي المروءات الذين لا تغمض لهم عين و عيون اللاجئين إليهم ساهرة و لكنه مقابل هذا الفعل الشريف فرّ من الحق و العدل فرار العبيد خوفا من المواجهة فإن الجبان العاجز لا يقدر على مواجهة خصمه فيلوذ بالفرار و كذلك حال العبيد....

(فما أنطق مادحه حتى أسكته و لا صدق و اصفه حتى بكته) فلم يكذ يسمع السامع بفعله الكريم و يبتدأ بمدحه و الثناء عليه و الإشادة بهذا العمل الشريف حتى يطرق سمعه نبأ فراره و هربه من وجه العدالة فلا يكمل المدح و لا يستمر بالإطراء...

و كذلك لم يصدق و اصفه بالفعل الكريم و العمل الشريف حتى يضطر أن يعنفه و يسبه و يتكلم عليه بما يشينه لأنه أتبع الفعل الجميل بفعل قبيح فغطى عليه و قضى على حسنه...

(و لو أقام لأخذنا ميسوره و انتظرنا بماله وفوره) ثم بيّن الإمام أسلوبه و طريقة عمله فيما لو بقي الشريف على مقامه المحمود و لم يفر بأنه كان سيتخذ معه طريق الكرام فيقبل ما هو متيسر له و موجود عنده ثم يمهل بالباقي إلى وقت وجوده و توفره فيأخذه و بذلك يحفظ ماء وجه الكريم كما يحفظ أموال الأمة و عامة المسلمين.

## ترجمة مصقلة بن هبيرة الشيباني:

ذكر ابن أبي الحديد فقال:

مصقلة بن هبيرة بن شبل بن تيري بن امرئ القيس بن ربيعة بن مالك بن ثعلبة بن شيبان بن عكاية بن صععب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.. ولاة الإمام علي على أردشير خرة..

ولما مرّ به بنو ناجية اشتراهم وافتداهم من معقل بن قيس الذي سباهم و لما عجز عن أداء ما التزم به هرب إلى معاوية فكتب إليه الإمام هذه الكلمات الكريمة التي مرّ ذكرها..

ص: 328

إشارة

و هو بعض خطبة طويلة خطبها يوم الفطر، وفيها يحمد الله و يذم الدنيا

حمد الله

الحمد لله غير مقنوط (1) من رحمته، و لا مخلوّ (2) من نعمته، و لا مأبوس (3) من مغفرته، و لا مستتكف (4) عن عبادته، الذي لا تبرح (5) منه رحمة، و لا تققد (6) له نعمة.

ذم الدنيا

و الدّنيا دار مني (7) لها الفناء (8)، و لأهلها منها الجلاء (9)، و هي حلوة خضراء، و قد عجلت (10) للطالب، و التبتت (11) بقلب الناظر؛ فارتحلوا منها بأحسن ما بحضرتكم من الزّاد (12)، و لا تسألوا فيها فوق الكفاف (13)، و لا تطلبوا منها أكثر من البلاغ (14).

اللغة

1 - مقنوط: القنوط هو اليأس.

2 - مخلو: من خلا إذا انفرد، و مضى، ترك و ألقى.

3 - مأبوس: من اليأس و هو القنوط.

4 - مستتكف: من الاستتكاف و هو الاستكبار.

5 - لا تبرح: لا تزال يقال ما برح غنيا أي لم يزل كذلك..

6 - تققد: تغيب.

ص: 329

7 - مني: قَدَّر من مَنَّا الله إذا قَدَّرَه.

8 - الفناء: الهلاك ضد البقاء.

9 - الجلاء: الخروج عن الوطن.

10 - عجلت: من عجل ضد بطؤ، أسرع.

11 - التبتت: اختلطت وامتزجت.

12 - ارتحلوا: من رحل عن المكان إذا تركه وانتقل عنه.

13 - الزاد: ما يتخذ من الطعام للسفر.

14 - الكفاف: ما أغنى عن الناس، سد الحاجة.

15 - البلاغ: الكفاية.

## الشرح

(الحمد لله غير مقنوط من رحمته) حمد الله سبحانه في هذه المواطن لم لها من المواقع والأهمية وأولها أنه لا ييأس من رحمة الله ولا يصاب بهذا المرض من عرف الله وعرف رحمته فهو الرحمن الرحيم ومن صفاته الرحمة وبها أوجد هذا الإنسان وأخرجه من زاوية العدم إلى الوجود، وبها رزقه وأعطاه وحسّن صورته، وبها كانت الخيرات والعطايا.. الرحمة التي هي عين كفاية المرء وعطائه وإمداده وإرفاده.. وما الرحمة التي يعيش بها الناس وتسري فيما بينهم إلا جزء من تلك الرحمة الإلهية الكبرى...

(ولا مخلو من نعمته) لا تخلو من نعم الله وعطاياه ونعمه علينا متتالية متتابعة مترادفة من أصل الوجود إلى كل موجود وكما قال تعالى: «وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» وهي نعم ظاهرة تراها الأبصار وهناك نعم باطنة تراها البصائر وفي كل نفس نعمة وفي كل حركة نعمة وفي كل مقام ومقال ومكان وزمان نعمة، جلّت نعمك يا ربّ وبوركت عطاياك...

(ولا مأبوس من مغفرته) وهذه هي عقيدة المؤمنين فإنهم قوم لا يدب اليأس في قلوبهم، فمهما أساؤا وأخطأوا وتكبوا عن الطريق يبقى أملهم في الله كبير وأملهم في غفران ذنوبهم عظيم، إن ذنوب العباد ليست أكبر من عفو الله ومن ظن ذلك كان ظنه أكبر من خطيئته.. الأمل في غفران الذنوب عقيدة إيمانية في قلب كل مسلم قال تعالى: «يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا»..

وقال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» ..

(و لا مستتكف عن عبادته) لا يتكبر المخلوق عن عبادة الخالق و كيف ؟ و الله سبحانه هو الكمال المطلق المستحق للعبادة دون غيره فلا يتكبر عن عبادته و قد أذعن لهذه الحقيقة الأنبياء و الملائكة و الصالحون و كل ذي عقل فطن لبيب...

قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ» .

(الذي لا تبرح منه رحمة و لا تققد له نعمة) فالله كله رحمة و رحماته تتوزع على خلقه و تنال الجميع لا تنفذ تلك الرحمت و لا تنتهي بل هو الغني بها و ما في الخلق إلا رشحات منها أفاضها عليهم و هي أيضا من رحماته و أما نعمه فلا تققد في موقع و لا تنعدم في محل بل هي حتى فيما يظن أنها نعمة فلربما كانت هي نعمة كما هو المشاهد في ابتلاء الأنبياء و الصالحين و ما يمر على الأولياء و المخلصين...

(و الدنيا دار مني لها الفناء و لأهلها منها الجلاء) و هذه دخول في الموعظة و تذكير لنا بحال الدنيا و صفاتها و إنها الدار التي قدر الله لها الفناء فلن تدوم و لن تستمر بل وجودها إلى زوال و بقاؤها إلى فناء.. فالأحياء يموتون و عنها يرحلون و لا يبقون و الأشياء ينسفها ربي نسفا فيجعلها قاعا صافصفا...

و إذا كانت إلى فناء و أهلها إلى جلاء عنها فكيف يتعامل معها الإنسان و كيف يحول وجوده فيها؟ إن على هذا الإنسان أن ينظر إلى ما وراءها من الحياة الباقية التي لا تنفى...

(و هي حلوة خضراء و قد عجلت للطالب و التبتت بقلب الناظر) بين أسباب التهلك عليها و الركون إليها و الاطمئنان بحالها إنها حلوة المنظر تسر من رآها و تدفعه لطلبها، إنه يرى الحكم و السلطة فيغره ذلك و يسعى للسيطرة و الحكم ناسيا أن ملوكا تعاقبوا عليها و لم يبقوا...

و إنه يرى المال فيعجبه اقتناؤه فيسعى من أجله من الحلال و الحرام و ينسى أن قارون جامع المال قد مات و هكذا مات من أتى بعده...

يرى الطيبات فيسعى إليها ناسيا من أكلوها و استلذوا بها فإن ديدان الأرض و حشراتهما قد أكلتهم و هكذا...

إنها قد توفرت عند من يطلبها و يرغب فيها و يريد ما قال تعالى: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ»

«الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا» .

وهذه الدنيا الحلوة إذا نظر إليها الإنسان فإنها تدخل إلى قلبه وخصوصا إذا كانت ملائمة للطباع موافقة للمزاج فيصبح مولعا بها متيما بحبها.

(فارتحلوا منها بأحسن ما بحضرتكم من الزاد) وإذا كان لا بد من الارتحال عنها والجلء منها و كان لا بد لهذا السفر من زاد فليكن أفضل الزاد و أحسنه ألا وهو التقوى كما قال تعالى: «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» .

(ولا- تسألوا فيها فوق الكفاف) نهى عليه السلام أن يطلب الإنسان فوق حاجته و ما يسد عوزه لأن الزيادة تتطلب السعي لها و في ذلك صرف للعمر فيما يفنى و لا- أجر فيه ثم إنه إذا حصل عليه فإنه سيرتحل عنه و يتركه لغيره فإن كان من العصاة يكون قد أعان غيره على المعصية و إن كان من أهل الطاعة فإنه يسعد به غيره فلو صرف من أوقاته الزائدة عن تحصيل كفافه فيما فيه سعادته من طاعة الله لكان فيه كل الخير و السعادة الدائمة...

قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : اللهم ارزق محمدا و آل محمد و من أحب محمدا و آل محمد العفاف و الكفاف و ارزق من أبغض محمدا و آل محمد المال و الولد...

و عن الصادق عليه السلام: طوبى لمن أسلم و كان عيشه كفافا..

(ولا- تطلبوا منها أكثر من البلاغ) اتركوا طلب ما زاد منها عن حاجتكم و قدر كفايتكم لئلا تندموا على ما تخلفونه منها و ما زاد عن قدر الحاجة فهو للحوادث أو للوارث.

### إشارة

عند عزمه على المسير إلى الشام وهو دعاء دعا به ربه عند وضع رجله في الركاب اللهم إني أعوذ (1) بك من وعثاء (2) السفر (3)، وكآبة (4) المنقلب (5)، وسوء المنظر (6) في الأهل والمال والولد. اللهم أنت الصاحب في السفر، وأنت الخليفة في الأهل، ولا يجمعهما غيرك؛ لأنّ المستخلف لا يكون مستصحباً، والمستصحب لا يكون مستخلفاً.

قال السيد الشريف رضي الله عنه: وابتداء هذا الكلام مروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد فقاه أمير المؤمنين عليه السلام بأبلغ كلام وتممه بأحسن تمام؛ ومن قوله: «ولا يجمعهما غيرك» إلى آخر الفصل.

### اللغة

1 - أعوذ: أستجير.

2 - الوعثاء: المشقة وأصل الوعث المكان السهل الكثير الدهس تغيب فيه الأقدام ويشق المشي فيه.

3 - السفر: قطع المسافة والخروج من المكان المقيم فيه.

4 - الكآبة: الحزن.

5 - المنقلب: الرجوع.

6 - المنظر: المرأى وسوء المنظر قبح المرأى.

### الشرح

(اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال والولد) هذا الدعاء من أمير المؤمنين عند ما وضع رجله في الركاب من منزله بالكوفة

ص: 333



متوجها إلى الشام لحرب معاوية وأصحابه وقد ورد عن الأئمة أدعية كثيرة لمن أراد السفر وهذا تعبير عن ولاء المسلم لله و توجهه إليه و إنه يبتدىء مسيره في طاعة الله و يستمد منه القوة و العون..

و الإمام يستجير بالله و يطلب منه العون أن لا يلحقه مشقة في سفره و لا يصيبه حزن و أسى عند عودته و لا تقع عيناه على ما يسؤه و يؤذيه في أهله و ماله و ولده..

و السفر مهما كان قصيرا طالما إنه سفر ففيه مشقة و تعب و مخالفة للعادة التي اعتادها الإنسان فإن من عادة كل واحد أن يقيم في وطنه و يستقر فيه و ذلك موجب لاستقرار النفس و ارتياحها و لذا يطلب الإمام و يعلمنا كيف نستجير بالله من تعب السفر..

كما يطلب من الله و يدعوه أن يرجع بدون حزن بل يرجع بسرور من تجارة رابحة و زيارة مقبولة و جهاد مبارك ميمون يرضي الله و كذلك إذا عاد أن يكون أهله و أمواله و أولاده على ما أحب لا يرى فيهم سوءا أو أذية.

(اللهم أنت الصاحب في السفر) أنت تصحبني في سفري و أنت رفيقي في رحلتي و من كان الله صاحبه و رفيقه فإنه لن يتخلى عنه أو يهمله بل سيوفر له كل ما يسعده و يخفف عنه الأذى، إنه يكفيه مهمات الأمور...

(و أنت الخليفة في الأهل) أي المتولي لأمر أهلي و المدبر لشئونهم و القائم بأمرهم و من كان الله خليفته على أهله أطمأن و ارتاح و ذهب في سفره و هو في غاية القوة و هدوء الأعصاب و الفكر...

(و لا يجمعهما غيرك، لأن المستخلف لا يكون مستصحبا و المستصحب لا يكون مستخلفا) لا يجمع الصحبة و الاستخلاف غير الله لأنه القادر المطلق و العالم المطلق المحيط بالأمر كلها و هي تحت يده و مستجيبة له و أما غيره فإنه إذا كان في مكان خلى منه آخر و هكذا يستحيل أن يكون غيره مستخلفا و مستصحبا لأن المستخلف هو الباقي خليفة على الأهل و المستصحب هو المرافق في السفر و هذا لا يجتمع مع الأول..

## إشارة

في ذكر الكوفة كأني بك يا كوفة (1) تمدين مدّ (2) الأديم (3) العكاظي (4)، تعركين (5) بالنّوازل (6)، و تركيبين (7) بالزلازل، و إني لأعلم أنّه ما أراد بك جبار سوءا (8) إلاّ ابتلاه الله بشاغل، و رماه بقاتل!

## اللغة

- 1 - الكوفة: بلدة على شط الفرات اتخذها الإمام علي عاصمة حكمه.
- 2 - مدّ: بسط و تمدد انبسط.
- 3 - الأديم: الجلد المدبوغ.
- 4 - العكاظي: نسبة إلى عكاظ و هو سوق قرب مكة كانت تجتمع فيه العرب ببضاعتها و تتفاخر و تنشّد أجود أشعارها.
- 5 - تعركين: من العرك و هو الدلك.
- 6 - النوازل: المصائب.
- 7 - تركيبين: من ركب الدابة إذا علاها، وضع الشيء فوق الشيء.
- 8 - السوء: الشر، الفساد، الآفة.

## الشرح

## إشارة

(كأني بك يا كوفة تمدين مد الأديم العكاظي، تعركين بالنوازل و تركيبين بالزلازل) علاقة الإنسان بالأرض علاقة طبيعية و حب الوطن من الإيمان فمن نشأ في تربة أحبها و ألفها فإذا أراد فراقها صعب عليه فراقها و عز عليه تركها.

فكيف إذا كانت ملتقى الأحبة والأتباع وفيها العز والوفاء وبالأخص إذا كان فيها مضافا إلى ذلك بركة و قدسية و بعض الخصوصيات الإيمانية فإن الإنسان يزداد تعلقه بها وارتباطه بكل ذرة تحويها، تشده إليها هذه الخصوصيات فيدافع عنها و يكافح من أجلها..

و الإمام كان يرتبط بالكوفة برابطة قوية، فقد كانت عاصمة حكمه، و ملتقى أصحابه و فيها مسجدها الجامع المبارك الذي صلى فيه النبي و قد كانت تضم بيوتات العرب و أشرفها و الإمام ينظر بعين الغيب فيحكي ما سيجري على الكوفة بعده و ما سيصيبها و يحل بأهلها، يقول ذلك بحسرة و ألم...

كأنني بك يا كوفة، كأنني أبصرك و أشاهدك و أرى رؤية العين حالك و قد حكم فيك الجبابة و ما رسوا عليك أفسى أنواع الظلم و الاضطهاد و القهر، تصيبك الحوادث المؤلمة و المصائب المرعبة و قد لاقت الكوفة من الأمويين و عملاؤهم الشيء الكثير فقد صبوا جام غضبهم عليها لكثرة من بها من الشيعة...

(وإني لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوءا إلا ابتلاه الله بشاغل و رماه بقاتل) و بعد أن أخبر بما يجري على الكوفة و يمر عليها من المصائب و المحن أخبر أيضا بأن كل جبار عنيد يخالف الله في عبادته و يقصدها بسوء لا بد و أن يأخذه الله أخذ عزيز مقتدر فيبتلي بعضهم بشغل في نفسه بأن تصيبه آفة أو عاهة لا تدعه يكمل مخططه الجهنمي الرهيب، كزياد بن أبيه الذي جمع أهل الكوفة للبراءة من علي فأصابه الفالج و شغل بنفسه عن غيره و منهم من رماه الله بقاتل أذاقه حر الحديد و النار كابن زياد و ابنه عبيد الله و الحجاج و ابن الزبير و غيرهم..

## الكوفة:

بعد فتح العراق كتب حذيفة إلى عمر: إنا لعرب قد رقت بطونها و جفت أعضائها و تغيرت ألوانها و كان مع سعد فكتب عمر إلى سعد: أخبرني ما الذي غير ألوان العرب و لحومهم؟.

فكتب إليه سعد: إن الذي غيرهم و خومة البلاد و إن العرب لا- يوافقها إلا- ما وافق إبلها من البلدان فكتب إليه عمر أن إبعث سلمان (الفارسي) و حذيفة (ابن اليمان) رائدين فليرتادا منزلا برياً بحريا ليس بيني و بينكم فيه بحر و لا جسر فأرسلهما سعد، فخرج سلمان حتى يأتي الأنبار فسار غربي الفرات لا يرضى شيئا حتى أتى الكوفة و سار حذيفة

في شرقي الفرات لا يرضى شيئا حتى أتى الكوفة - وكل رمل و حصباء مختلطين فهو كوفة - فأتيا عليها وفيها ديرات ثلاثة: دير حرمة و دير أم عمرو و دير سلسلة و خصاص فأعجبتهما البقعة فنزلا فصليا و دعوا الله تعالى أن يجعلها منزل الثبات فلما رجعا إلى سعد بالخبر و قدم كتاب عمر إليه أيضا كتب سعد إلى القعقاع بن عمرو و عبد الله بن المعتم أن يستخلفا على جندهما و يحضرا عنده ففعلا و كان بين نزول الكوفة و وقعة القادسية سنة و شهران..

و أول شيء خط فيها و بني مسجدها ثم رمى رجل شديد النزع بسهم و أمر أن يبني فيما وراء ذلك..

و بنوا لسعد دارا بحياله و هي قصر الإمارة الذي لا يزال أثره إلى اليوم.

ثم اتخذها الإمام علي عاصمة لحكمه لكثرة من بها من شيعته و لقبها من دمشق حيث معاوية الذي أعلن التمرد...

و لقد نالت نصيبا و أفرا من غضب الحكام و سوطهم و خصوصا في زمن عبيد الله بن زياد و أبيه و الحجاج و عموم الأمويين، و هي إلى الآن قاعدة التشيع و ولاؤها لأهل البيت ثابت راسخ قوي لم يتزعزع أو يتزلزل بل كلما اشتدت الأزمات يشتد التمسك بالعترة و الرجوع إليها..

ص: 337

## إشارة

عند المسير إلى الشام قيل: إنه خطب بها وهو بالنخيلة خارجاً من الكوفة إلى صفيين الحمد لله كلما وقب (1) ليل وغسق (2)، و الحمد لله كلما لاح (3) نجم و خفق (4)، و الحمد لله غير مفقود (5) الإنعام (6)، و لا مكافا (7) الإفضال (8).

أما بعد، فقد بعثت مقدّمتي (9)، و أمرتهم بلزوم (10) هذا الملطاط (11) حتّى يأتيهم أمري، و قد رأيت أن أقطع هذه النّطفة (12) إلى شرذمة (13)، منكم، موطنين (14) أكناف (15) دجلة (16)، فأنهضهم (17) معكم إلى عدوّكم، و أجعلهم من أمداد (18) القوّة لكم.

قال السيد الشريف: أقول: يعني - عليه السلام - بالملطاط هاهنا السّمت الذي أمرهم بلزومه، وهو شاطئ الفرات، و يقال ذلك أيضاً لشاطئ البحر، و أصله ما استوى من الأرض.

و يعني بالنطفة ماء الفرات، و هو من غريب العبارات و عجيبتها.

## اللغة

1 - وقب: دخل.

2 - الغسق: من غسق الليل إذا أظلم.

3 - لاح: بدا و ظهر.

4 - خفق: غاب.

5 - مفقود: من فقد غاب عنه و عدم.

6 - الإنعام: العطايا.

ص: 338

7 - مكافأ: مجازاة.

8 - الإفضال: الإحسان وقيل الابتداء به بدون علة.

9 - مقدمتي: من المقدمة وهي طليعة الجيش التي تتقدم عليه.

10 - لزوم: ثبت ودام.

11 - الملطاط: ساحل البحر، عدم المفارقة، التعلق بالشيء.

12 - النطفة: الماء الصافي.

13 - الشردمة: النفر القليلون.

14 - موطين: من وطنه واستوطنه اتخذه وطناً.

15 - الأكناف: الجوانب واحدها كنف.

16 - دجلة: نهر ينبع من جبال طوروس في تركيا ويمر بديار بكر والموصل وبغداد.

17 - أنهضهم: من نهض بمعنى قام وأنهضهم أقامهم.

18 - الإمداد: جمع مدد وهو ما يمد به الجيش تقوية له.

## الشرح

(الحمد لله كلما وقب ليل وغسق) الحمد لله صيغة افتتح الله بها قرآنه، إنها اعتراف وإقرار بحق الله وإنه المستحق للحمد ولكي تنطلق الشفاه بها وتكون صادقة يجب أن يكون ناطقها ملتزماً بأوامر الله وأحكامه يقوم بالواجبات ويترك المحرمات ولا يتعدى حدود ما رسمه الله له في شريعته..

- عن الصادق عليه السلام قال: الشكر للنعم اجتناب المحارم وتمام الشكر قول:

الحمد لله رب العالمين.

- وورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: لا إله إلا الله نصف الميزان والحمد لله يملأه.

- وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) من ظهرت عليه النعمة فليكثر قول الحمد لله..

و الإمام سيد العابدين وأصدق العارفين يحمد الله في كل أوقاته ولكنه يخصص هذه الأوقات والحالات لما فيها من خصوصية تنبه الفرد إليها فهو يحمد الله كلما دخل الليل وأظلم لما في تلك الآية من لفت النظر وإنها موضع السكون والهدوء والاستقرار.

(و الحمد لله كلما لاح نجم و خفق) و كذلك الحمد أمام هذه الظاهرة الكونية العظيمة التي يشير ظهور الكواكب و غيابها إلى عظمة خالقها و مبدعها و لما فيها من الزينة

ص: 339

و الجمال و الأنس لدى النفوس و إن كانت بعيدة عنه لا تطالها يده...

(و الحمد لله غير مفقود الإنعام و لا مكافأ الإفضال) و الحمد لله الذي لا تفقد نعمه بل هي متوالية متتالية متكررة مستمرة من أصغر النعم إلى أعظمها كما أن له الحمد لعدم قدرتنا على مجازاته على هذه النعم و هذا الإحسان و كيف يقابل من كان عطاؤه ابتداء و بدون استحقاق بل تفضلا و إحسانا...

(أما بعد فقد بعثت مقدمتي و أمرتهم بلزوم هذا الملطاط حتى يأتيهم أمري) عند ما توجه الإمام إلى صفين وجه زياد بن النضر و شريح بن هاني في إثنتي عشر ألف فارس مقدمة له و أمرهم أن يلزموا جانب الفرات فساروا حتى وصلوا إلى عانات و أما هو فقد خرج من الكوفة إلى المدائن و إليها أشار بأنه سيقطع الفرات إلى الجانب الآخر حيث تقع المدائن..

(وقد رأيت أن أقطع هذه النطفة إلى شردمة منكم موطنين أكناف دجلة) إنه رأى أن يعبر النهر إلى الجهة الأخرى حيث أهل المدائن القلة القليلة الساكنة و المستوطنة هناك في جوانب دجلة...

(فأنهضهم معكم إلى عدوكم و اجعلهم من أمداد القوة لكم) استنهضهم و أحثهم على الخروج إليكم ليقاتلوا معكم عدوكم معاوية و أصحابه و اجعلهم المدد لكم و القوة على عدوكم..

ص: 340



إشارة

وفيه جملة من صفات الربوبية والعلم الإلهي الحمد لله الذي بطن (1) خفيات (2) الأمور، و دلّت (3) عليه أعلام (4) الظهور، و امتنع (5) على عين البصير (6)؛ فلا عين من لم يره تنكره (7)، و لا قلب من أثبتته (8) يبصره: سبق في العلوّ فلا شيء أعلى منه، و قرب في الدنوّ (9) فلا شيء أقرب منه. فلا استعلاؤه بأعده عن شيء من خلقه، و لا قرينه ساواهم (10) في المكان به. لم يطلع (11) العقول على تحديد (12) صفته، و لم يحجبها (13) عن واجب معرفته، فهو الذي تشهد (14) له أعلام الوجود، على إقرار قلب ذي الجحود (15)، تعالى الله عمّا يقوله المشبهون (16) به و الجاحدون له علوًّا كبيرًا!

اللغة

1 - بطن: بطن الوادي إذا دخلته و بطنت الأمر علمت باطنه.

2 - الخفيات: المستورات، البواطن، الأسرار.

3 - دلت: أرشدت و هدت.

4 - الأعلام: الأعلام جمع العلم المنار يهتدى به ثم جعل لكل ما يستدل به على شيء.

5 - امتنع: العزيز، الشديد الذي لا يقدر عليه و حصن منيع يتعذر الوصول إليه.

6 - البصير: المبصر الذي يرى بنظره.

7 - أنكره: جحده، جهله.

8 - أثبتته: عرفه حق المعرفة، بينه بالبينات.

ص: 341

9 - الدنو: القرب.

10 - ساواهم: ماثلهم، وساوى الشيء عادله.

11 - يطلع: يعلم.

12 - التحديد: رسم حدود الشيء عن الشيء الآخر وتميزه عنه.

13 - حجبه: منعه وستره.

14 - تشهد: تقر، تخبر.

15 - الجحود: الإنكار.

16 - المشبهون: قوم شبهوا الله بخلقه أي صوّروا مثلهم..

## الشرح

(الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور) هذه جملة من الصفات الربوبية التي يصفه بها الإمام وهي في غاية التنزيه لله عن كل نقص أو عيب.

1 - إنه يعلم بواطن الأشياء و خفاياها لا يعزب عن علمه شيء من الذرة التائهة الصغيرة إلى المجرة الهائلة العظيمة. وعلمه بالأشياء الحادثة كعلمه بما لم يحدث لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

(ودلت عليه أعلام الظهور) ما ظهر من هذه الموجودات و بان كلها تدل على أن الله هو صانعها لحدوثها المفتقر إلى موجد لها غني بالذات ألا- وهو الله، فمن الأثر نكتشف وجود المؤثر و من المعلول نضع أيدينا على وجود العلة و من وجود الكون و ما فيه نعرف أن له صانعا حكيما هو الله تعالى. و قد استدل الأعرابي ببساطته و صفاء فكره عند ما سئل عن الله فقال: البعرة تدل على البعير و أثر الأقدام يدل على المسير أفسماء ذات أبراج و أرض ذات فجاج ألا يدلان على اللطيف الخبير.

(و امتنع على عين البصير) فالبصير بأدق ما يبصر يعجز عن رؤية الله لأن الرؤية تستدعي تحديد الجهة للمرئي و أن يكون جسما و الله سبحانه منزّه عن الجسمية و الجهتية فلا جهة تحويه و لا تخلو منه جهة و هو ليس بجسم فلا يمكن رؤيته...

و عند ما طلب موسى الرؤية قال: «لَنْ تَرَانِي» (1) فهو نفي مؤبد يشمل الآخرة

ص: 342

فضلا عن الدنيا.. وقال تعالى(1): «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» ...

(فلا- عين من لم يره تنكره ولا- قلب من أثبتته يبصره) ليست الأشياء على مستوى واحد ولا- ذات خصائص واحدة بل كل صنف له خصوصية وعناصر ذاتية تحكمه وتخرجه عن غيره ولذا لا يمكن إخضاعها جميعا لمقياس واحد كما لا يمكن أن يحكمها قانون واحد و قد كانت أمور كشفها العلم الحديث تقرب هذا المعنى وتوضحه فالجراثيم مثلا تقتك ببدن الإنسان وتقوض حركته وهو لا يراها بالعين المجردة - إنه يراها بالمجهر الذي يكبرها ملايين المرات - ولو لا ذلك لأمكنه إنكارها لأنه لم يرها ولكنه يكون مخطئا في إنكاره لأنه لم يستعمل لها أدواتها المعدة لها...

والله سبحانه وتعالى جلت قدرته له صفات ذاتية تفوق تصور هذا الإنسان ولا يقع سبحانه تحت نظر هذا الإنسان العاجز فإذا استعمل بصره فلن يرى الله لقصور البصر و جلال الله عن ذلك ولكن مع ذلك لا يستطيع أن ينكر وجوده ويتنكر لجوده لأن العقل يحكم بوجوده و يصدق به...

وكذلك من أثبت وجود الله لعقله لا يمكن أن يدعي رؤيته بعينه لأن الأول طريق معرفته دون الآخر...

وبعبارة أخرى مختصرة إن طريق معرفة الله والإيمان به هو العقل فإذا حكم بوجوده فليس معنى ذلك أن يخضع للرؤية البصرية فذلك ما لا يمكن إدراكه كما أن من لم يره لا يقدر أن ينفيه لأن البصر ليس هو الطريق الصحيح لمعرفة...

(سبق في العلو فلا شيء أعلى منه) علوه كما له المطلق الذي تتفرع منه الكمالات النسبية الأخرى... فهو العالم، الحي، الدائم السرمدى الأزلي وجميع صفات الكمال الذي لا يقاس بها كمال آخر مما نعرف أو نرى...

(وقرب في الدنو فلا شيء أقرب منه) فهو مع كل شيء و كما قال تعالى:(2)«وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» ...

(فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه ولا قربه ساواهم في المكان به) أراد عليه السلام أن يطرد من أذهاننا ما ربما نتخيله ونتوهمه من أن استعلاؤه يبعده عنا فلا نلتقي به6.

ص: 343

1- سورة الأنعام، آية: 103.

2- سورة ق، آية: 16.

أو أن قربه منا يساويها معه في المكان والزمان فنجتمع معه كلاً- فليس ذلك مراده لأنه منزه عن المكان والزمان والجهة وعن الأين والكيف...

(لم يطلع العقول على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته) معرفة الله بحقيقته وكنهه أمر لا تدركه العقول القاصرة وهذا هو الشيء الذي ينفيه الإمام ويمنع العقول أن تدركه لأن كل ما يتصوره الإنسان من صفات وخصائص فهي أمور تخيلها وركبها وهي تتنافى مع ذات الله وما هو عليه وكما في الحديث: لعل النمل ترى أن لله زبائنين كمالها لأنها تتصور الكمال بهما...

نعم نحن أدركنا الصفات بحسب ما أعطانا من المعرفة وبهذا المقدار زدنا الله من العلم وأعطانا من العقل لندرك قدر الواجب في معرفة الصفات فهو سبحانه وهب لكل نفس قسطاً من المعرفة يعرف بها هذه الصفات قدر طاقته وقدرته...

(فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود تعالى الله عما يقوله المشبهون به والجاحدون له علواً كبيراً) فإن هذه الآيات الظاهرة والكائنات الحادثة كلها تحكي عن وجوده وتدل على ذاته، فكما أن الجاحد يستدل بالأثر على المؤثر والمعلول على العلة في غير هذه القضية فيجب أن يستدل هنا ويعرف أن للكون خالقاً ومانعاً فهذه حجة عليه وكما قال تعالى: (1) «وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ» تعالى الله وجل أن يشبهه بغيره وعلا علواً كبيراً عما يقوله المنكرون الذين هم جاحدون...4.

ص: 344

إشارة

وفيه بيان لما يخرب العالم به من الفتن و بيان هذه الفتن إنّما بدء (1) وقوع الفتن (2) أهواء (3) تتبّع، و أحكام تبتدع (4)، يخالف (5) فيها كتاب الله، و يتولّى (6) عليها رجال رجالا، على غير دين الله. فلو أنّ الباطل خلص من مزاج (7) الحقّ لم يخف على المرتادين (8)؛ و لو أنّ الحقّ خلص (9) من لبس (10) الباطل، انقطعت عنه ألسن المعاندين؛ و لكن يؤخذ من هذا ضغث (11)، و من هذا ضغث، فيمزجان (2) فهنالكَ يستولي الشيطان على أوليائه، و ينجو «الذين سبقت لهم من الله الحسنى».

اللغة

- 1 - البدء: بفتح الباء و سكون الدال الابتداء، الأول.
- 2 - الفتن: مفردا الفتنة الاختبار، الامتحان، الابتلاء، الضلال، الاختلاف.
- 3 - الأهواء: مفردا الهوى إرادة النفس و ميلانها إلى مستلذاتها.
- 4 - تبتدع: من البدعة إحداث أمر لم يكن و شرعا إدخال أمر في الدين على أنه منه.
- 5 - يخالف: ضد يوافق.
- 6 - يتولى: يتبّع.
- 7 - مزاج: من المزج و هو الخلط.
- 8 - المرتادين: الطالبين.
- 9 - خلص: صفى.
- 10 - اللبس: لبس عليه الأمر خلطه و جعله مشتبهها بغيره خافيا.

11 - الضغث: بكسر الصاد قبضة من حشيش تشتمل على الرطب و اليايس.

12 - يمزجان: من مزج الشراب بالماء إذا خلطه.

## الشرح

(إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله و يتولى عليها رجال رجالا على غير دين الله) أشار عليه السلام في هذا الكلام إلى ما وقع بين المسلمين من الاختلاف بعد وفاة رسول الله - ويمكن أن يعمم الكلام لكل أمر يشبهه - و هو أن أول نشوء الاختلاف في الآراء و انتشار المذاهب الباطلة و تعدد وجهات النظر إنما كان من جهة هوى النفس و الرغبة في المنصب و الرياسة و اصطياد الدنيا فهذا الإنسان له هوى في الزعامة فيبتدع من رأسه رأيا شخصيا و فكرا فطيرا يخالف به عمومات القرآن و ما أنزل الله ثم إنه بما له من سلطة و قوة أو بما له من رصيد شعبي يتبعه و يحبه ترى الناس خلفه يأخذون بآرائه و يروجون لها و ينشرونها بين الناس دعاة و مبشرين دون أن يتلفتوا إلى دين الله و حكمه و دون أن يعودوا إلى المنزل من كتابه لكي يفتشوا عن صحة هذا الرأي أو فساده.. إنهم يغلقون أفكارهم و يقلدون الرجل بل يكونون دعاة من دعائه و بوقا إعلاميا من أبواقه...

إن أصحاب المذاهب الباطلة و الفرق الفاسدة كانت أول ما ابتدأت وليدة الهوى ثم سارت الرجال خلف مبتدعيها دون فكر أو دراية و هكذا...

(فلو أن الباطل خالص من مزاج الحق لم يخف على المرتادين و لو أن الحق خالص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندين و لكن يؤخذ من هذا ضغث و من هذا ضغث فيمزجان فهنالک يستولي الشيطان على أوليائه و ينجو الذين سبقت لهم من الله الحسنی) بيّن عليه السلام أسباب و دواعي اتباع الناس للرجل المبتدع و هو أن التمويه و التضليل طريق يسلكه و منهج يتخذه. فلو أن الباطل كان ظاهرا بينا لم يخف على طلاب الحق و رواده الذين يهمهم الالتزام به و اتباعه، إذ ليس بين الناس و بين الحق عداوة و لو أن الباطل كان واضحا ظاهرا لاجتنبه الناس و ابتعدوا عنه..

و لكن هذا المبتدع يأخذ من الباطل مضمونه و حقيقته و من الحق شعاره و ثوبه ثم يلبس الثوب للمضمون و يأخذ بعرض ذلك أمام الناس فيستهوي الضعفاء و أصحاب العقول الخفيفة فيجرهم إليه و إلى نهجه و يدعوهم إلى الإيمان بما يطرحه و يذهب إليه

ص: 346

فترى الكثير يتبعون أثره و يرفعون شعاره و يحاربون من أجله.. لقد خلط الحق بالباطل فاشتبه الأمر على من لا معرفة لهم بالأمر و لا دارية لهم في تمييز الحق من الباطل و هذا النموذج ما أكثر مصاديقه في الدنيا و في كل يوم شعار يرفع و ناس تتبع و في زماننا شيوعية و اشتراكية و رأس مالية و دارونية و هندوسية و هكذا تتعدد المدارس و تكثر الآراء و تختلف النظريات...

و لكن الإنسان المسدد المؤيد بقوة عقلية الذي يرى بنور الله و ما وضعه له من العلامات و نصبه له من الأدلة يهتدي إلى تزييف الباطل و رفضه و معرفة الحق و الإيمان به فهو من الذين سبقت لهم من الله الحسنی و أما غيرهم فمن أولياء الشيطان و اتباعه الذين يمشون في ضلال و عمى...

ص: 347

إشارة

لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة الفرات بصفين و منعوهم الماء قد استطعموكم القتال (1)، فأقروا (2) على مذلة (3)، و تأخير محلّة؛ أو روّوا (4) السيوف من الدماء ترووا من الماء؛ فالموت في حياتكم مقهورين (5)، و الحياة في موتكم قاهرين. ألا وإنّ معاوية قاد (6) لمة (7) من الغواة (8)، و عمّس (9) عليهم الخبر، حتّى جعلوا نحورهم (10) أغراض (11) المنية (12).

اللغة

- 1 - استطعموكم القتال: طلبوا القتال منكم.
- 2 - أقروا: أما من الإقرار و هو الاعتراف أو من القرار و هو الثبوت و السكون.
- 3 - المذلة: الهوان.
- 4 - روّوا: من روى إذا شبع من الماء.
- 5 - المقهور: المغلوب، الذليل.
- 6 - قاد: الدابة مشى أمامها آخذاً بقيادها و زمامها..
- 7 - اللمة: الجماعة القليلة.
- 8 - الغواة: مفردا الغاوي و هو الضال المتقاد للهوى.
- 9 - عمّس: أبهم و عمي.
- 10 - النحور: مفردا نحر و هو أعلى الصدر.
- 11 - الأغراض: جمع غرض و هو الهدف.
- 12 - منية: الموت.



(قد استطعموكم القتال فأفروا على مذلة و تأخير محلة أورووا السيوف من الدماء ترووا من الماء).

### وهذا فارق آخر بين علي و معاوية:

سبق معاوية إلى شريعة الماء في صفين وقد أجمع وأصحابه أن يمنعوه عن علي وأصحابه و وصل النبأ إلى الإمام فدعا صعصعة بن صوحان فقال: انت معاوية وقل له:

إنّا سرنا إليك مسيرنا هذا وإنّا نكره قتالكم قبل الإعذار إليكم وإنك قدّمت خيلك فقاتلتنا قبل أن نقاتلك و بدأتنا بالحرب و نحن ممن رأينا الكف حتى ندعوك و نحتج عليك و هذه أخرى فقد فعلتموها قد حلتم بين الناس و بين الماء فحلّ بينهم و بينه حتى ننظر فيما بيننا و بينكم و فيما قدمنا له و قدمتم له و إن كان أحب إليك أن تدع ما جئنا له و ندع الناس يقتتلون حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا.

فلما مضى صعصعة برسالته إلى معاوية، قال معاوية لأصحابه ما ترون؟.

قال الوليد بن عقبة: امنعهم الماء كما منعوه ابن عفان.

قال عمرو بن العاص: خلّ بين القوم و بين الماء فإنهم لن يعطشوا و أنت ريان و لكن لغير الماء فانظر فيما بينك و بينهم.

عاد الوليد مقالته.

وقال عبد الله بن سعد بن أبي سرح - وكان أخا لعثمان من الرضاعة. امنعهم الماء إلى الليل فإنهم إن لم يقدروا عليه رجعوا و كان رجوعهم هزيمتهم.

ثم إن معاوية قرر أن يمنعهم الماء فعندها قام الإمام خطيبا و خطب هذه الخطبة التي يحثهم فيها على انتزاع الشريعة و الاستيلاء عليها بقوة السلاح...

و فعلا دخل الأشر و الأشعث و أصحاب الإمام و أزالوا أبا الأعور و من معه من جند معاوية و استولوا عليها.

فقال عمرو بن العاص لمعاوية: ما ظنك يا معاوية بالقوم إن منعوك اليوم الماء كما منعتمهم أمس، أترأى تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه، ما أغنى عنك أن تكشف لهم السؤة.

فقال معاوية: دع عنك ما مضى فما ظنك بعلي؟.

قال: ظني إنه لا يستحل منك ما استحللت منه وإن الذي جاء له غير الماء...

ثم قال أصحاب الإمام للإمام: امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك.

فقال: لا خلوا بينهم وبينه لا أفعل ما فعله الجاهلون سنعرض عليهم كتاب الله وندعوهم إلى الهدى فإن أجابوا وإلا ففي حد السيف ما يغني إن شاء الله يقول الراوي:

فو الله ما أمسى الناس حتى رأوا سقاتهم وسقاة أهل الشام ورواياتهم وروايا أهل الشام يزدحمون على الماء ما يؤدي إنسان إنسانا...

و الإمام يقول لأصحابه في هذه الخطبة إنهم طلبوا منكم القتال وأرادوا أن تطعموهم إياه عند ما منعوكم من ارتياد المشرعة وأنتم بين أحد خيارين.

إما أن تقبلوا بذلك فلا تحركوا ساكننا ترضون بالذل والهوان وتأخرون عن المحلة الرفيعة والمقام الكريم وهذا ما لا يرضاه الله لكم ولا ترضونه لأنفسكم فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

و إما أن تسقوا السيوف من دمائهم وعندها تسقون من الماء، فالمقدمة لكي تشربوا وترتوا أن تشرب سيوفكم من دمائهم فهي التي تمهد لكم الدخول إلى المشرعة وتسهل لكم شرب الماء وما أعظم هذا البيان العلوي الذي يحرك الجماد ويدفع بالجبان إلى لهوات المعارك والقتال ويؤهله ليكون من الشجعان...

(فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين).

### نشيد الأحرار:

هذا نشيد رائع وضعه الإمام إمام القادة والأحرار فأخذوا يرددونه باستمرار أمام جيوشهم ورعيتهم يتغنون به ويعزفون معه موسيقى النصر وآيات المجد.. كلمات معدودة تختصر الموت كما تختصر الحياة.. على أساسها نعرف حياة الأمم ونعرف موتها كما نعرف حياتنا وموتنا.. ميزان صحيح وسليم يضعه الإمام بين أيدينا يدفعنا من خلاله أن نكون أحياء.. فحياة الذل والهوان والضعة والعار هي موت حقيقي وإن كانت في ثوب الأحياء، فالشعوب المستعمرة التي يمارس عليها الظلم وتستلب خيراتها وتصادر حرياتنا هي شعوب ميتة وإن كانت تتنفس وتحرك كالأحياء... فالموت هو في الحياة الذليلة الوضيعة المهانة...

و أما الحياة فهي في الموت الشريف الذي يزلزل بنيان الحكم الظالم وقواعده المستبدة، الحياة هي التي تخرج من الموت منتصرة تعيش على ألسنة الأحرار و الثوار فالموت حياة عند ما يموت الحر من أجل هدفه و غايته و أصدق شاهد على هذا ثورة أبي عبد الله الحسين أبي الضيم الذي خرج على الحكم الأموي فهشم بنيانه و حطم قواعده و أتى على كل شيء فيه فهده من أساسه و ارتفع ذكره و عاش خالدًا منتصرًا.. إنها هي الحياة في الموت... الملايين في شرق الأرض و غربها تقدسه تحتفل بذكرى ولادته و ذكرى شهادته و أضحت عاشوراء رمزا و منارا لكل نائر من أجل الله و الحق...

مئات السنين بعد الألف قد مضت و كأنه يعيش في كل أمة و في كل جيل.. يعيش في قلوبهم و في ضمائرهم و في حركة حياتهم.. أضحي رمزا و شعارا يعيش ما عاش إنسان على هذه الأرض... الحياة في الموت الشريف العزيز الذي يذل الطغاة و الظالمين و يقضي على جبروتهم و ظلمهم...

(ألا و إن معاوية قاد لمة من الغواة و عمس عليهم الخبر حتى جعلوا نحورهم أغراض المنية) ثم بين حال معاوية مع من معه و كيف سار بهم، إنهم قلة من الذين أضلهم بحيله و أعمى عليهم الخبر الصحيح من وراء قتاله حيث رفع قميص عثمان و طالب بالثأر له و أخذ من هذا شعارا يقاتل الحق به و قد هياكل الأمور التي تدعّمه في هذه الحرب من شراء بعض الصحابة الضعفاء في إيمانهم كأبي هريرة و عمرو بن العاص و الضحّاك بن قيس و غيرهم ممن لا يعرف غير مصلحته و منفعته في الحياة ثم اشترى من الرؤساء أنفسهم فوزع عليهم الأموال و أعطاهم الأعطيات و مناهم و أغراهم حتى ذلل كل صعب و عسير و استطاع من خلال ذلك أن يبني جبهة قوية دفعها بكل ما تملك لتقاتل تحت شعار الثأر لعثمان و إن كان يطلب من وراء ذلك الملك و الإمارة على الناس...

و قد قدم أهل الشام أنفسهم و بذلوا دماءهم من أجل ما نادى به معاوية فاصطاد بذلك قلوبهم و أدرك أمنيته في دفعهم لقتال الخليفة الشرعي و إن معاوية و إن مات شخصه و لكنه لا يزال يعيش برمزه..

### إشارة

وهي في التزهيد في الدنيا، و ثواب الله للزاهد، و نعم الله على الخالق

### التزهيد في الدنيا

ألا وإنّ الدّنيا قد تصرّمت (1)، و أذنت (2) بانقضاء، و تنكّر معروفها و أدبرت (4) حدّاء (5)، فهي تحفز (6) بالفناء (7) سكّانها، و تحدو (8) بالموت جيرانها، و قد أمرّ (9) فيها ما كان حلوا (10)، و كدر (11) منها ما كان صفوا (12)، فلم يبق منها إلّا سملة (13) كسملة الإداوة (14) أو جرعة (15) كجرعة المقلّة (16)، لو تمزّزها (17) الصّديان (18) لم ينقع (19). فأزمعوا (20) عباد الله الرّحيل عن هذه الدّار المقدور (21) على أهلها الرّوال؛ و لا يغلبنكم (22) فيها الأمل، و لا يطولنّ عليكم فيها الأمد (23).

### ثواب الزهاد

فو الله لو حننتم حنين الولّه (24) العجال (25)، و دعوتهم بهديل الحمام (26)، و جارتم (27) جوار متبتلي (28) الرّهبان (29)، و خرجتم إلى الله من الأموال و الأولاد، التماس القربة (30) إليه في ارتفاع درجة عنده، أو غفران سيّئة أحصتها (31) كتبه، و حفظتها رسله، لكان قليلا فيما أرجو لكم من ثوابه، و أخاف عليكم من عقابه.

## نعم الله

و تالّله لو انماثت (32) قلوبكم انمياثا، و سألت (33) عيونكم من رغبة (34) إليه أو رهبة (35) منه دما، ثم عمّرتم (36) في الدّنيا، ما الدّنيا باقية، ما جزت (37) أعمالكم عنكم - و لو لم تبقوا شيئا من جهدكم (38) - أنعمه (39) عليكم العظام، و هداه إياكم للإيمان.

## اللغة

- 1 - تصرمت: انقطعت و فنيت.
- 2 - أذنت: أعلمت.
- 3 - تنكر: جهل.
- 4 - أدبرت: ولت و ذهبت من أدبر إذا جعله وراءه.
- 5 - حذاء: سريعة.
- 6 - تحفز: تسوق.
- 7 - الفناء: العدم، الهلاك، خلاف البقاء.
- 8 - تحدو: تسوق.
- 9 - أمرّ: الشيء صار مرا.
- 10 - الحلو: ضد المر، الطيب اللذيذ.
- 11 - كدر: تعكر و تغيّر لونه و اختلط بما لا يستساغ شربه.
- 12 - صفوا: خالصا نقيا.
- 13 - السملة: البقية من الماء في الإناء.
- 14 - الإداوة: المطهرة، الإناء يتطهر به.
- 15 - الجرعة: من الماء البلعة.
- 16 - المقلة: بفتح الميم و تسكين القاف حصاة يضعها المسافرون في الإناء ليعرف قدر ما يشرب كل منهم.
- 17 - التمزز: الامتصاص قليلا قليلا.

18 - الصديان: العطشان.

19 - لم يتقع: لم يرو.

ص: 353

- 20 - أزمعوا: أزمعوا.
- 21 - المقدور: المكتوب.
- 22 - لا يغلبنكم: لا ينتصر عليكم و يقهركم.
- 23 - الأمد: الغاية.
- 24 - الوله: في الأصل ذهاب العقل، كل أنثى فقدت ولدها.
- 25 - العجال: جمع عجول و من النوق من فقدت ولدها.
- 26 - هديل الحمام: صوت الحمام عند بكائه لفقد إلفه، صوت نوحه.
- 27 - جأرتم: الجوار الصوت المرتفع.
- 28 - متبتلي: من المتبتل وهو المنقطع للعبادة.
- 29 - الرهبان: المبالغ في الخوف، من اعتزل عن الناس إلى الدير طلبا للعبادة.
- 30 - التماس القربة: طلبا للقربة.
- 31 - أحصتها: عدتها و ضبطتها.
- 32 - انماثت: ذابت و انماث الملح إذا ذاب.
- 33 - سالت: جرت.
- 34 - رغب إليه: أراه و أحبه و رغب عنه أعرض عنه و تركه.
- 35 - الرهبة: الخوف، الفزع.
- 36 - عمرتم: عشتم عمرا طويلا.
- 37 - جزت: وفّت و كفت.
- 38 - الجهد: الطاقة و القدرة.
- 39 - أنعمه: الأنعم جمع نعمة، العطية.

(ألا وإن الدنيا قد تصرمت و آذنت بانقضاء) بيّن عليه السلام حال الدنيا وزوالها ونقرّ منها و من الركون إليها ألا وإن الدنيا قد انقضت و مضت شيئاً فشيئاً فكل فرد يوجد فيها يتقضي من عمره ساعة فساعة و يوماً فيوماً و إنها أعلمت بانقضائها و أخبرت بزوالها حيث لم تبق لغيرنا ممن سبقنا و هي تحكي زوالها بمرورها علينا في كل يوم فلسان حالها كأنه ينطق بزوالها...

(و تنكّر معروفها و أدبرت حذاء) فما كنت تعرفه قد يأتي زمان تجهله، فالصورة التي كنت تحملها لأحبتك قد انمحت من ذهنك بعد غيابهم الطويل، و ما كنت تعرفه من



العلوم والمعارف قد تجهله وتتنكر له ولم يعد لك صلة به، إنها تمشي بسرعة و تنقضي على عجل بل ما أعجل أيامها وأسرع سنين العمر فيها وعودة سريعة إلى ما اختزنه الإنسان في عقله أو حوته مفكرته عن ماضيه يدرك كيف مرت الأعمار وانقضت الأيام...

(فهي تحفز بالفناء سكانها وتحدو بالموت جيرانها) هذه الدنيا تسوق سكانها وتدفعهم إلى الفناء فإن كل يوم يمر يدفع بهذا الإنسان نحو الموت والفناء فالموت في كل يوم ومع كل لحظة فانت مجموعة أيام كلما مرّ يوم مات شطر منك فكأن الدنيا هي التي تدفعك إلى الفناء و إنها لتسوق جيرانها الذين هم الناس باعتبار قربهم منها إلى الموت وإن دنيا تدفع بهذا الإنسان إلى الموت جدير به أن يزهّد فيها ويعدّد العدة لما بعدها.

(وقد أمرّ فيها ما كان حلوا وكدر منها ما كان صفوا) ما كان حلوا لذيد الطعم طيب المذاق قد يصبح مرا علقما فالمريض يتحول العسل في فمه إلى خل والحلو إلى مرّ ويرى الأمور الجميلة قبيحة وتتحول الدنيا بسعتها إلى أضيق من سم الخياط،.. إن أيام الصفاء والهدوء قد تكدرت فالشباب أتى عليه المشيب والغنى أتى عليه الفقر والصحة أتى عليها المرض، والحياة أتى عليها الموت وهكذا عدّد ما شئت و اذكر من شئت فستجد كل لذة يعقبها مرارة حتى ما تتصور اللذة فيه كالآكل والنكاح يتحول إلى أسباب للمرض والضغث والانحلال و يسرّع في فناء الإنسان وزواله عن الدنيا...

(فلم يبق منها إلا سملة كسملة الإداة أو جرعة كجرعة المقلة لو تمزّزها الصديان لم ينقع) هذا تحقير للدنيا وتصغير لشأنها إذ أنه لم يبق منها إلا شربة قليلة وبقية حقيرة شبّه ما فيها وما يطمع الإنسان به منها ببقية الإناء التي يتطهّر به أو بما يتنازع به من الماء فلقته، يجعل لكل واحد قليل منه لو أراد أن يشربها الإنسان لا ترويه ولا تطفئ ظمأه والدنيا بما فيها حقيرة بهذا المستوى لا يأكل منها إلا بمقدار شبعه ولا يشرب منها إلا بمقدار ما يرتوي ولا يلبس فوق حاجته وهكذا دواليك وهذا جزء قليل مما فيها وحقير لا يستحق التنازع عليه والقتال من أجله...

(فازمعوا عباد الله الرحيل عن هذه الدار المقدور على أهلها الزوال ولا يغلبنكم فيها الأمل ولا يطولن عليكم فيها الأمد) بعد أن بيّن هذه الدنيا وحقارتها وإنها لا تستحق الاهتمام قال اجمعوا أمركم واعزموا على الرحيل عنها فإن الرحيل مكتوب على أهلها فكل نفس ذائقة الموت ثم نهانا عن غلبة الأمل بأن يمتّينا بأن أماننا آمال يجب أن نحققها. يجب أن نملك المال والثروة والجاه والسلطان.. يجب أن نسعى ونكد من

أجل تحقيق ما نصبو إليه هكذا وبهذا اللسان يدفعنا الأمل لننسى أننا على أهبة الاستعداد للرحيل وأنه لا بد منه وقد يكون طول العمر من أسباب نسيان الرحيل، فلأنه تقدم في العمر وفي صحة جيدة وعافية يظن أنه لا يزال الوقت بعيد... كلا فإن الذي يطلب الصغير يطلب الكبير فعلى كل واحد أن يستعد...

(فو الله لو حننتم حنين الوّله العجال و دعوتهم بهديل الحمام) أقسم عليه السلام بالله بأنهم لو عاشوا لوعة الشوق و الألم الذي يبلغ منتهاه و أصبحوا كما هو الحال عند النياق إذا فقدن صغارهن فإنهن يظهر عليهن ذلك في حركاتهن و حيرتهن...

أو يكونوا في الوفاء لله كالحمام التي تفقد إلفها فتبقى تعيش الألم و الحزن و تكاد تموت حزنا..

(و جأرتهم جوار متبتلي الرهبان) كنتم في انقطاعكم لله و نداءكم له و استغاثتكم به كالرهبان الذين يعرفون بذلك في الزمن الأول كما هو معروف يوم كان للمسيح مريدون أما الآن فأكثر ما يسمى رهبان عراة من هذه الصفة...

(و خرجتم إلى الله من الأموال و الأولاد) بأن قدمتم أموالكم أمامكم حقوقا و صدقات و إحسان و خيرات.

و أما الأولاد فقد آثرتم الله عليهم و طلبتم رضی الله و حبه على حبههم و رضاهم.

(التماس القربة إليه في ارتفاع درجة عنده أو غفران سيئة أحصتها كتبه و حفظتها رسله لكان قليلا فيما أرجو لكم من ثوابه و أخاف عليكم من عقابه) لو قمتم بكل ما ذكرت و فعلتم كل ما قلت من أجل الله و من أجل القرب منه و تحقيق رضاه لكان ذلك قليل في جنب ما أعده الله للمطيعين العاملين و لو كان ذلك أيضا يطلب به غفران ذنب واحد لكان ذلك قليل مما أعده الله من عقابه...

و بعبارة مختصرة الإنسان يعمل من أجل أن يصل إلى درجة معينة أو من أجل أن يمحي سيئة معينة و كل ذلك لا يعد شيئا مقابل ما أعده الله للمطيعين من الثواب و للعاصين من العقاب...

(و تالله لو انمائت قلوبكم انميئا) أي لو ذابت قلوبكم و تفتت.

(و سألت عيونكم من رغبة إليه أو رهبة منه دما) بلغت بكم الحال مبلغا عظيما بحيث بكيتم بدل الدموع دما و رغبة في ثوابه و ما أعده الله لأهل طاعته أو خوفا منه و فزعا لما أعده لأهل معصيته...

(ثم عمرتم في الدنيا ما الدنيا باقية) أي بقيتم على ذلك الذي تقدم طيلة أعماركم التي لو كانت بعمر الدنيا وامتدادها لفعلتم كل ذلك طيلة الحياة...

(ما جزت أعمالكم عنكم - ولو لم تبقوا شيئاً من جهدكم أنعمه عليكم العظام وهداه إياكم للإيمان) لو فعلتم كل ما تقدم بجهدكم وطاقتم ولم تتركوا شيئاً إلا - بذلتموه ما وفّت كل هذه الأعمال والأتعاب بعطايا الله و منحه العظام فإن نعم الله لا تعد ولا تحصى و أعمالكم محصورة محدودة و لعل أعظم نعمة و أهم نعمة هي نعمة الإيمان و الهداية إليه فإن الإيمان بالله و رسوله و الالتزام بشرع الله و منهاجه من أعظم المنح و العطايا على الإطلاق لأن بهذه الهداية يرتفع الإنسان من الحضيض إلى أرفع درجات الكرامة و يؤهل لخطاب الله و تكاليفه.. بهذه الهداية و هذا الإيمان أصبح الإنسان من أهل جنة الله و أهل كرامة الله... و ما قيمة الأتعاب و الجهد و العناء في مقابل ما أعده الله...

ص: 357

### إشارة

في ذكرى يوم النحر و صفة الأضحية و من تمام (1) الأضحية (2) استشراف أذنها (3)، و سلامة عينها، فإذا سلمت الأذن و العين سلمت الأضحية و تمت، و لو كانت عضباء القرن (4) تجرّ (5) رجلها إلى المنسك (6).

قال السيد الشريف: و المنسك هاهنا المذبح.

### اللغة

1 - التمام: الكمال.

2 - الأضحية: جمعها أضاحي الشاة التي تذبح ضحى عيد الأضحى.

3 - استشراف أذنها: تقعد أذنها حتى لا تكون مجدوعة أو مشقوفة.

4 - عضباء القرن: مكسورة القرن.

5 - تجر: تسحب و تجذب.

6 - المنسك: المذبح.

### الشرح

(و من تمام الأضحية استشراف أذنها و سلامة عينها فإذا سلمت الأذن و العين سلمت الأضحية و تمت و لو كانت عضباء القرن تجر رجلها إلى المنسك) هذه فقرة التقطها الرضي من خطبة خطبها الإمام يوم النحر و يذكر فيها الأضحية و هي ما يذبح من

ص: 358

الحيوانات ضحى ذلك النهار وقد بين عليه السلام شروطها لتكون كاملة تامة وهي أن تكون سليمة الأذن غير مجدوعة ولا مشقوقة وقد عبر عن ذلك باستشراف أذنها أي طولها الدال على سلامتها وكذلك يجب أن تكون سليمة البصر غير عمياء فإذا تم ذلك فيها فقد كملت و سلمت وصحت أن تكون أضحية ولو كانت مكسورة القرن والرجل أو هزيلة...

هذا ما ذكره الإمام ولكن الفقهاء قالوا إن من حج حج التمتع وجبت عليه الأضحية المعبر عنها بالهدى ويجب أن يكون من الإبل أو البقر أو الغنم ويحددون لكل صنف سنه الذي يجب أن يكون عليه ليجزي كما بينوا أنه يعتبر فيه أن يكون تام الأعضاء فلا يجزي الأعور والأعرج والمقطوع أذنه والمكسور قرنه الداخل ونحو ذلك وهناك بعض الاحتياطات التي أحببنا أن نعرض عنها..

ويقولون: يستحب أن يكون الهدى.

1 - أن يكون بدنة ومع العجز فبقرة ومع العجز فكبش.

2 - أن يكون سمينا غير هزيل.

3 - أن يباشر المضحي الذبح بنفسه فإن لم يتمكن فليضع السكين بيده ويقبض الذابح على يده ولا بأس بأن يضع يده على يد الذابح.

ص: 359

إشارة

وفيها يصف أصحابه بصفتين حين طال منعهم له من قتال أهل الشام فتداكوا (1) عليّ تداك الإبل (2) الهيم (3) يوم وردها (4)، و قد أرسلها (5) راعيها (6)، و خلعت (7) مثنائها (8)؛ حتى ظننت أنهم قاتليّ، أو بعضهم قاتل بعض لديّ (9). و قد قلبت (10) هذا الأمر بطنه و ظهره حتى منعي التوم، فما وجدتي يسعني إلا قتالهم أو الجحود (11) بما جاء به محمد صلى الله عليه و سلم؛ فكانت معالجة (12) القتال أهون (13) عليّ من معالجة العقاب، و موتات الدنيا أهون عليّ من موتات الآخرة.

اللغة

- 1 - تداكوا: ازدحموا.
- 2 - الإبل: الجمال.
- 3 - الهيم: العطاش.
- 4 - الورد: الشرب.
- 5 - أرسلها: بعثها و أطلقها، وجهّها.
- 6 - الراعي: جمعه رعاة ورعيان ورعاء، المتولى لأمر قوم، المسئول عن الماشية.
- 7 - خلعت: نزعت.
- 8 - مثنائها: المثنائي حبل من صوف أو شعر يعقل به البعير.
- 9 - لديّ: ظرف مكاني، عندي.
- 10 - قلبت: الأمر فكرت فيه، و اختبرته.

11 - الجحود: الكفر.

12 - المعالجة: الممارسة، الدفاع.

13 - أهون: أسهل، أخف.

## الشرح

### إشارة

(فتداكوا عليّ تذاك الإبل الهيم يوم وردها وقد أرسلها راعيها و خلعت مثنائها حتى ظننت أنهم قاتلي أو بعضهم قاتل بعض لديّ)..

### الناس وبيعة علي:

يصف الإمام حال بيعته وكيف اجتمع الناس عليه و ازدحموا لمبايعته و قد شبههم بالجمال التي حلّ راعيها عقالها و أرسلها نحو مشربها المعدّ لها فإن من رأى ذلك رأى شيئاً عجيباً في المسابقة و التدافع من أجل الوصول إلى الماء، و قد كان المسلمون بعد مقتل عثمان يتعطشون لحكم الإمام و خلافته فلذا ازدحموا عليه يبائعونه و لم يتخلف منهم ألا بضعة نفر أصحاب مصالح و منافع أو كان في قلوبهم حقد و حسد على الإمام و يصف ذلك الازدحام بحيث بلغ مبلغاً ظن أنهم سيقتلونه أو يقتل بعضهم لبعض عنده و هو تصوير لمدى اندفاع الناس و مسارعتهم إلى بيعته.

و قد ذكر أرباب التاريخ و أصحاب السير كيف كانت بيعته و ما جرى فيها و تلتخص في أن الإمام لم يرغب فيها لما يعرف من ظروفها و أحداثها و ما سوف يعترض طريقه فيها و قد ذكر ابن أبي الحديد أن المهاجرين<sup>(1)</sup> و الأنصار اجتمعوا و تداولوا الأمر و استقر رأيهم على أن يولوا الإمام على الناس «فأتوا علياً فاستخرجوه من داره و سألوه بسط يده فقبضها فتداكوا عليه تذاك الإبل إليهم على و ردها حتى كاد بعضهم يقتل بعضها فلما رأى منهم ما رأى سألهم أن تكون بيعته في المسجد ظاهرة للناس و قال: إني كرهني رجل واحد من الناس لم أدخل في هذا الأمر.

فنهض الناس معه حتى دخل المسجد فكان أول من بايعه طلحة فقال قبيصة بن ذؤيب الأسدي: تخوفت ألا يتم له أمره لأن أول يد بايعته شلاء ثم بايعه الزبير و بايعه المسلمون بالمدينة إلا محمد بن مسلمة و عبد الله بن عمر و أسامة بن زيد و سعد بن أبي

ص: 361

1- ابن أبي الحديد ج - 4 ص 8.

وقاص وكعب بن مالك و حسان بن ثابت و عبد الله بن سلام...

وقال ابن أبي الحديد أن هؤلاء الرهط إنما اعتذروا بما اعتذروا به لما ندبهم إلى الشخصوس لحرب أصحاب الجمل وأنهم لم يتخلفوا عن البيعة وإنما تخلفوا عن الحرب...

(وقد قلبت هذا الأمر بطنه و ظهره حتى منعني النوم فما وجدتنى يسعني إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه و سلم، فكانت معالجة القتال أهون علي من معالجة العقاب و موتات الدنيا أهون علي من موتات الآخرة) فكّر الإمام في قتال هؤلاء القوم أو السكوت عنهم و كلا- الطريقين مرّ و صعّب ففي الأول إزهاق النفوس و القضاء عليها و في الثاني الكفر بما جاء به النبي إما لأن الرسول أخبره و أمره كما في الحديث الصحيح «يا علي ستقاتل بعدي الناكثين و القاسطين و المارقين» و إما لأن سكوت ولي الأمر يؤدي إلى تمزيق الدولة الإسلامية و توزيعها بين أهل المطامع و الولي دوره دور المحافظ على هذه الوحدة و الحامي لها و المدافع عنها و سكوته خلاف ما نصب من أجله و كان والياً، و قد رأى سلام الله عليه إنّ مباشرة القتال و شن الحرب مع ما فيها من قساوة و مرارة و إسالت دماء و عذاب و ألم أسهل من عذاب الله في الآخرة و ما فيها من العقاب لأن عذاب الدنيا و مصاعبها إلى انتهاء بينما عذاب الآخرة لا انتهاء له...

ص: 362



## إشارة

وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين أما قولكم: أكل ذلك كراهية (1) الموت؟ فوالله ما أبالي (2)؛ دخلت إلى الموت أو خرج الموت إليّ . وأما قولكم شكّا في أهل الشام! فوالله ما دفعت (3) الحرب يوماً إلّا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي، و تعشو (4) إلى ضوئي، و ذلك أحب إليّ من أن أقتلها على ضلالها، وإن كانت تبوء (5) بآثامها (6).

## اللغة

1 - الكراهية: البغض.

2 - ما أبالي: لا أهتم.

3 - دفعت: الحرب أخرجتها وأبعدتها.

4 - تعشو: تبصر بصراً خفيفاً، والأعشى هو الذي لا يرى بالليل إلا قليلاً.

5 - تبوء: ترجع.

6 - الآثام: الذنوب.

## الشرح

(أما قولكم: أكل ذلك كراهية الموت؟ فوالله ما أبالي دخلت إلى الموت أو خرج الموت إليّ ) يجيب الإمام في كلامه هذا عن حديث جرى بين أنصاره و أتباعه و مجمل القضية مع قولهم: إن الإمام بعد احتلاله لمشرعة الماء و استيلائه عليها من جند معاوية

ص: 363

بقي أياما دون أن يرسل إلى معاوية رسولا أو معاوية يرسل إليه خبرا أو رسولا، يتوقع الإمام من أصحاب معاوية أن يروا عدله و حسن سيرته و سمته فيتهدي إلى الحق من أراد و في هذه الفترة ضج أهل العراق و ضاقت صدورهم و أخذوا يتحدثون فيما بينهم فهذا يقول إن الإمام كره الموت و خافه و لذا يؤخره و ذاك يقول: إنه شك في قتال أهل الشام و لم يظهر له جواز قتالهم فلما سمع الإمام منهم ذلك قال كلمته ردا عليهم مفندا مدعاهم و أنهم على خطأ و باطل من القول...

أما قولهم إن تأخير القتال كراهيته الموت و بغضا به فهذا ما لا يفكر فيه علي و يقسم بالله و هو البار الصادق في قسمه إنه لا يهمله الموت و لا يحسب له حسابا سواء قصده الموت أم هو قصد الموت فإن الموت لا يخيف المتقين الصادقين فكيف يخيف الأولياء المقربين...

(و أما قولكم شكنا في أهل الشام فوالله ما دفعت الحرب يوما إلا و أنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي و تعشوا إلى ضوئي و ذلك أحب إليّ من أن أقتلها على ضلالها و إن كانت تبوء بآثمها) بعد أن رد علي من قال إنه يؤخر الحرب خوفا من الموت رد هنا علي من قال إنه يؤخرها شكنا في أهل الشام يقول لهم: إنه لم يؤخرها لشكها في جواز قتالهم فإن جوب قتالهم ظهر للعيان و هو عنده من المسلمات حيث أخبره النبي بقتاله لهم أو من حيث أنه الخليفة الشرعي الذي يجب أن يرد الناس إلى الطاعة و الجماعة و من خرج عن ذلك و جب قتاله و أهل الشام من هذا القبيل و لكن تأخيره للقتال كان ينظر من ورائه إلى غاية سامية عظيمة هي رجاؤه في أن يتبصّر بعض الناس و يدرك الحقيقة فيتهدي إلى طريق النجاة و ما هو عليه فيلحقه و يدرك حفظه في الخير و الحق و هذا هو هدف كل الأنبياء و المصلحين فليس الحرب هدفا في نفسها و إنما هي من أجل غاية أسمى؛ من أجل هداية الناس و إرشادهم و ردهم إلى الطريق المستقيم و الإمام لا يريد أن يقتل الكافر أو الفاسق و إنما يريد أن يقتل الكفر و الفسق المتجسد في نفسه فإذا أدرك ذلك فلا يهمله قتله، فتأخير القتال رجاء عودة بعض الضالين و المنحرفين و هدايتهم إلى الحق أحب إليه من قتلهم و إن كان فيما لو قتلهم كانوا من أهل المعصية و عادوا إلى النار بما انحرفوا و ارتكبوا من المحرمات.. لقد كان همّ الإمام و الأئمة من ولده أن يرشدوا الناس إلى الحق و يسعوا من أجل ذلك و قد كان يؤذيه إصرار الناس و عنادهم على الكفر و الضلال فكانوا لا يتركون فرصة إلا و اغتتموها من أجل هدايتهم و إرشادهم...

إشارة

يصف أصحاب رسول الله و ذلك يوم صفين حين أمر الناس بالصلح و لقد كُتبا مع رسول الله صَلَّى الله عليه و آله؛ نقتل آباءنا و أبناءنا و إخواننا و أعمامنا: ما يزيدنا ذلك إلا إيمانا و تسليما، و مضيا على اللقم (1)، و صبرا على مضض (2) الألم، و جدّا في جهاد العدو؛ و لقد كان الرّجل مئا و الآخر من عدونا يتصاولان تصاول (4) الفحلين (5) يتخالسان (6) أنفسهما:

أيهما يسقي صاحبه كأس المنون (7)، فمرة لنا من عدونا و مرة لعدونا مئا، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت (8)، و أنزل علينا التّصر، حتى استقرّ الإسلام ملقيا جرائه (9)، و متبوتا (10) أوطانه. و لعمرى لو كُتبا نأتي ما أتيتم، ما قام للدين عمود، و لا اخضرّ للإيمان عود. و ايم الله لتحتلبنّها دما (11)، و لتتبعنّها ندما!

اللغة

1 - اللقم: من الطريق الجادة الواضحة منها.

2 - المضض: لذع الألم و برحاؤه.

3 - الجد: الاجتهاد.

4 - التصاول: أن يحمل كل واحد من القرنين على صاحبه.

5 - الفحل: الذكر من كل حيوان و فحول الشعراء المفضلون عموما..

6 - التخالس: التسالب و الانتهاب.

7 - المنون: الموت.

ص: 365

8 - الكبت: الإذلال.

9 - الجران: للبعير مقدّم عنقه.

10 - تبوأ: المنزل نزله و سكن فيه.

11 - الاحتلاب: استخراج ما في الضرع من اللبن.

## الشرح

(و لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه و آله نقتل آباءنا و أبناءنا و إخواننا و أعمامنا ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً و تسليماً و مضياً على اللقم و صبراً على مفضض الألم و جداداً في جهاد العدو) هذا الكلام منه عليه السلام و وجهه إلى أصحابه يريد من خلاله أن يحثهم على الجهاد و الثبات و يدفعهم إلى القتال و قد شرح واقع المسلمين الذين عاشوا مع النبي و أحوالهم التي كانوا عليها بين فيها كيف كانوا يتخلون عن أقرب الناس إليهم و أشدهم لحمة بهم بل كانوا يقتلون الآباء و الأبناء و الإخوة و الأعمام من أجل الإسلام فلا يزيدهم ذلك إلا إيماناً بالله و تسليماً له و لرسول الله و سيراً واضحاً على الطريق الواضحة المستقيمة التي هي رائدة أصحاب النبي (صلى الله عليه و آله) و كانوا يصبرون على شدة الألم و العذاب و يجتهدون في الجهاد حتى يحققوا إرادة الله و بعبارة أخرى كانوا مع النبي يتخلون عن كل عزيز، يطيعون أمر الله و يسلمون له و يصممون على السير نحو الهدف المرسوم لهم في صبر و اجتهاد..

(و لقد كان الرجل منا و الآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون) بيان لقوة صبر المسلمين و جلدتهم و يذكر الإمام هذا المشهد الحي و يرسمه بريشته الصادقة التي أكثر ما تنطق عليه و هي أن الرجل من المسلمين و الآخر من الكافرين كانا يتعاركان و يتجادلان في ساحة المعركة كل واحد منهما يريد القضاء على الآخر و استلاب روحه و إنهاء وجوده، كل واحد من الخصمين يريد أن ينتهي من صاحبه فهي معركة إنهاء الوجود، فالمسلم يريد إنهاء الكافر و كذلك الكافر يريد إنهاء المسلم...

(فمرة لنا من عدونا و مرة لعدونا منا فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت و أنزل علينا النصر) و بقيت القضية هكذا مرة تكون الغلبة لنا على عدونا و أخرى تكون لعدونا علينا فلما رأى الله أننا نصدقها فيما أنزل من بينات و نعدّ العدة و نجاهد في سبيله أنزل علينا النصر و على عدونا الهزيمة و القهر...

ص: 366

وهكذا في كل وقت عند ما يلتزم المسلمون بقواعد الجهاد وأوامر الله ويعلم الله صدق التوجه ينزل نصره عليهم...

(حتى استقر الإسلام ملقيا جرانه و متبونا أوطانه و لعمري لو كنا نأتي ما أتيتم ما قام للدين عمود و لا أخضر للإيمان عود، و أيم الله لتحتلبنها دما و لتتبعنها ندما) ما كان من الجهاد و الصبر فإنما كان من أجل الإسلام و بقي الجهاد مستمرا حتى استطاع الإسلام أن يبسط سلطانه على الأرض و ينشر تعاليمه في قلوب الناس و يستقر في أعمالهم و تصرفاتهم...

ثم يقسم أن المسلمين لو كانوا يتعاملون مع النبي و هو القائد العام و يتعاملون مع بعضهم و فيما بينهم كما هم يتعاملون الآن معه و مع الإسلام و أحكام الجهاد لم استطع الإسلام أن يقوى أو يصبح له دولة و لم استطع المؤمنون أن يجهروا به أو يعملوا بأحكامه...

ثم أقسم أنهم سيحصدون نتيجة هذا التصرف الأرعن و التمرد و العصيان... إنهم و نتيجة تقصيرهم لن يستطيعوا إحقاق الحق و إزهاق الباطل و دفع الظالم و كبت العدو بل هذا التخاذل سيجر عليهم المآسي و الويلات و يأتي على كرامتهم و عزتهم و دينهم و أخيرا سيندمون على تقصيرهم و تأكلهم الحسرة و لكن لا ينفع الندم..

ص: 367

## إشارة

في صفة رجل مذموم، ثم في فضله هو عليه السلام أمّا إنّه سيظهر عليكم (1) بعدي رجل رحب (2) البلعوم (3)، مندحق (4) البطن، يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه، و لن تقتلوه! ألا وإنّه سيأمركم بسبّي و البراءة منّي؛ فأما السّبّ (5) فسبوني، فإنّه لي زكاة (6)، و لكم نجاة؛ و أمّا البراءة فلا تتبرأوا منّي؛ فإنّي ولدت على الفطرة (7)، و سبقت إلى الإيمان و الهجرة.

## اللغة

1 - سيظهر عليكم: سيغلب من ظهر عليه إذا غلبه.

2 - الرحب: الواسع.

3 - البلعوم: مجرى الطعام.

4 - المندحق: البارز.

5 - السّبّ: الشتم.

6 - الزكاة: النمو.

7 - الفطرة: الخلق، و هنا الإسلام.

## الشرح

## إشارة

(أمّا إنّه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مندحق البطن يأكل ما يجد و يطلب ما لا يجد)..

ص: 368

هذا الكلام من الإمام يتطابق و ما ورد من الأخبار عن النبي في حق معاوية و إنه المراد في هذا الحديث فقد ذكر ابن أبي الحديد عن صاحب كتاب الغارات عن الأعمش عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: سيظهر على الناس رجل من أممي عظيم السرم واسع البلعوم يأكل و لا يشبع يحمل وزر الثقلين يطلب الإمارة يوما فإذا أدركتموه فابقروا بطنه قال: و كان في يد رسول الله صلى الله عليه و آله قضيب قد وضع طرفه في بطن معاوية...

و هذا هو ما استظهره ابن أبي الحديد و ذهب إليه و أيضا هو الذي يساعد عليه واقع الحال و ما جرى على الإمام و شيعته من بعده...

يخبر عليه السلام أنه سيتغلب عليهم بعد الإمام معاوية و لم يسمه ترفعا عن ذكر اسمه و إلا فإن الأوصاف عليه تنطبق و الحر تكفيه الإشارة و الكناية أبلغ من التصريح...

و من صفته أنه رحب البلعوم أكل ذو بطن بارز منتفخ يأكل ما يجد و لشدة نهمه يطلب ما لا يجد و ينقل الرواة أن معاوية كان بهذه الصفات فقد دعى عليه النبي (صلى الله عليه و آله) فقال: لا أشبع الله بطنه...

فقد أخرج مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه كان يلعب مع الصبيان فجاء له النبي (صلى الله عليه و آله) فهرب و توارى فجاء النبي و ضربه بين كتفيه ثم قال: اذهب فادع لي معاوية قال: فجئت فقلت: هو يأكل ثم قال: اذهب فادع لي معاوية: قال: فجئت فقلت هو يأكل فقال (صلى الله عليه و آله): «لا أشبع الله بطنه».

و قد استجاب الله للنبي دعوته فكان يأكل فلا يشبع و سيرته مروية حتى أصبح يضرب به المثل و قال بعضهم...

و صاحب لي بطنه كالهواية \*\*\* كأن في أمعائه معاوية

و روى محمد بن إسحاق الأصبهاني عن مشايخه أن الإمام النسائي المحدث المعروف و المشهور خرج إلى دمشق فسئل عن معاوية ما يروي من فضائله فقال: «ما أعرف له فضيلة ألا لا أشبع الله بطنه»...

(فاقتلوه و لن تقتلوه) أمرهم بقتله لفساده و ضلاله و ما عليه من الانحراف ثم أخبرهم بأنهم لن يستطيعوا قتله... (ألا و إنه سيأمركم بسبي و البراءة مني: فأما السب فسبوني فإنه لي زكاة و لكم نجاة

و أما البراءة فلا تتبرءوا مني فإني ولدت على الفطرة و سبقت إلى الإيمان و الهجرة) بعد أن بيّن حال هذا الطاغية و بعض أوصافه و أخبرهم أنهم لن يقدروا على قتله بيّن أفعاله الشنيعة و ما سيرتكبه في حق الإمام و ما سيكلف القوم من القيام به و هذه مفردة من مفردات الإمام التي أخبر أنها ستجري في المستقبل فجاءت كفلق الصبح...

ألا و إنه سيأمركم بسبي... و قد حملت الأيام مضمون هذا النبأ.. لقد أمر معاوية عماله أن يسبوا الإمام على منابر المسلمين و قد جعلها سنة في خطبة الجمعة يذكر بها إمام الجماعة إن نسيها أو أهملها...

و كذلك البراءة من علي كانت تعرض الرجال على السيوف فمن تبرأ من أبي تراب عاش و من أبي قتل و قد حصدت سيوف معاوية أشرف الناس و أهل الولاء لعلي...

و عند ما وليّ المغيرة بن شعبة على الكوفة جعلها وصيته التي لم تسمح له نفسه بتجاوزها...

قال له: «قد أردت إيصاءك<sup>(1)</sup> بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتمادا على بصرك و لست تاركا إيصاءك بخصلة: لا تترك شتم علي و ذمه و الترحم على عثمان و الاستغفار له و العيب على أصحاب علي و الإقصاء لهم»...

و قال ابن أبي الحديد:

(و قد كان معاوية يلعنه<sup>(2)</sup> على رءوس الأشهاد و على المنابر في الجمع و الأعياد في المدينة و مكة و في سائر مدن الإسلام...).<sup>0</sup>

ص: 370

1- الطبري حوادث سنة 51.

2- شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد ج ص - 130 5.



## إشارة

كلم به الخوارج حين اعتزلوا الحكومة و تنادوا: أن لا حكم إلا لله أصابكم (1) حاصب (2)، و لا بقي منكم آثر (3). أبعد إيماني بالله، و جهادي مع رسول الله صلى الله عليه، أشهد على نفسي بالكفر! «لقد ضللت (4) إذا و ما أنا من المهتدين!» فأويوا (5) شرّ مآب، و ارجعوا على أثر الأعقاب (6). أما إنكم ستلقون بعدي ذلاً (7) شاملاً، و سيفاً قاطعاً، و أثره (8) يتخذها الظالمون فيكم سنة (9).

قال الشريف: قوله عليه السلام «و لا بقي منكم أبر» يروى على ثلاثة أوجه:

أحدها أن يكون كما ذكرناه: «أبر» بالراء، من قولهم للذي يأبر النخل - أي: يصلحه - و يروى «آثر» و هو الذي يأثر الحديث و يرويه أي يحكيه، و هو أصح الوجوه عندي، كأنه عليه السلام قال: لا بقي منكم مخبر! و يروى «آبز» - بالزاي المعجمة - و هو الواثب - و الهالك أيضاً يقال له: آبز.

## اللغة

1 - أصاب: أدركه، استأصله، و السهم أصابه لم يخطئه.

2 - الحاصب: ريح شديدة تحمل الحصى و التراب.

3 - الآثر: الذي يروي الحديث و يحكيه.

4 - ضللت: ما اهتديت، جرت عن دين الله.

5 - أويوا: من آب بمعنى رجع.

6 - الأعقاب: جمع عقب بكسر القاف و هو مؤخر القدم.

7 - الذل: الهوان.

8 - الأثرة: الاستبداد بالشيء والتفرد به.

9 - سنة: الطريقة، والعادة.

## الشرح

(أصابكم حاصب ولا بقي منكم أثر) الخطاب موجّه إلى الخوارج الذين طلبوا منه على أثر قبول التحكيم أن يرجع عنه ويشهد على نفسه بالكفر من جراء قبوله له ثم يتوب ويقودهم إلى قتال معاوية فتوجه إليهم بالدعاء عليهم أن يصيبهم الله بالبلاء الشديد الذي يفقدوا فيه الرؤية ويكون فيه العذاب ولا بقي منهم أحد ينقل خيرا أو يرفع أثرا...

(أبعد إيماني بالله و جهادي مع رسول الله صلى الله عليه أشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت إذا و ما أنا من المهتدين) رد عليهم بإنكار ما أرادوه منه وإبطاله بأنه بعد إيمانه بالله والإقرار بوجوده وحدانيته و جهاده مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) الدال على تصديقه و الإيمان برسالته أبعد ذلك أشهد على نفسي بأني كفرت لا كان ذلك و لم يكن شيء منه فإن من يشهد على نفسه بالكفر فهو ضال منحرف و ليس من أصحاب الهداية أو ممن عرف طعم الإيمان،.. و حاشا لعلي أن يخامرته شك في الله أو في رسول الله... و هو القائل: «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا» تعبير عن أنه وصل إلى مرتبة عليا تفوق الحس و لا يبلغها إنسان مثله...

إن من يؤمن بالله و يجاهد بين يدي رسول الله و يلقي نفسه في قلب المعارك و يعرض نفسه للأخطار حاشاه أن يشك أو يتردد في الله أو في رسول الله...

(فأوبوا شر مآب و ارجعوا على أثر الأعقاب) عودوا كما شئتم كفارا فإنه شر رجوع أردتموه و ارجعوا إلى الإيمان كما كنتم بمعنى أنكم إذا أردتم الكفر فأنتم و شأنكم و لكنه عود باطل يعقبه العودة إلى الإيمان و العودة إليه كما خرجتم منه...

(أما إنكم ستلقون بعدي ذلا شاملا و سيفا قاطعا و أثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة) أخبار بما سيجري عليهم بأن الطغاة سيمارسون عليهم الذل و يسومونهم الهوان و يسلطون عليهم السيف و يسرون فيهم بالحرمان بحيث تصبح فيهم سنة يتداولها الخلفاء الظالمون و قد كان هذا الأمر يجري عليهم و فيهم فقد جرد الولاة فيهم السيف و عرضوا عليه في كل مكان و حرّمهم السلطان العطاء كما منعهم من بيت المال...

ص: 372

قال ابن أبي الحديد في شرحه: واعلم أن (1) الخوارج على أمير المؤمنين (ع) كان أصحابه وأنصاره في الجمل و صفين قبل التحكيم و هذه المخاطبة لهم و هذا الدعاء عليهم، و هذه الأخبار عن مستقبل حالهم و قد وقع ذلك فإن الله سلط على الخوارج بعده الذل الشامل و السيف القاطع و الأثرة من السلطان و ما زالت حالهم تضحل حتى أفناهم الله تعالى و أفنى جمهورهم و لقد كان لهم من سيف المهلب بن أبي صفرة و بنيه الحنف القاضي و الموت الزؤام.2.

ص: 373

---

1- شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد ج - 4 ص 132.

### إشارة

لما عزم على حرب الخوارج، و قيل له:

إن القوم عبروا جسر النهروان! مصارعهم (1) دون النطفة (2)، و الله لا يفلت (3) منهم عشرة، و لا يهلك (4) منكم عشرة.

قال الشريف: يعني بالنطفة ماء النهر، و هي أفصح كناية عن الماء و إن كان كثيرا جما.

وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم عند مضي ما أشبهه.

### اللغة

1 - مصارعهم: هلاكهم و أصل الصرع الطرح على الأرض.

2 - النطفة: ماء النهر، الماء الصافي.

3 - يفلت: ينجو و يخلص.

4 - يهلك: يموت.

### الشرح

### إشارة

(مصارعهم دون النطفة و الله لا يفلت منهم عشرة و لا يهلك منكم عشرة).

### أخبار علي بالغيث:

قال الإمام هذه الكلمة ردا على من جاءه قائلا: البشرى يا أمير المؤمنين..

قال: ما بشراك؟.

قال: إن القوم عبروا النهر لما بلغهم وصولك فابشر فقد منحك الله أكتافهم.

قال: أنت رأيتهم قد عبروا النهر.

قال: نعم فأحلفه ثلاث مرات في كلها يقول: نعم. فقال: والله ما عبروا ولن يعبروا وإن مصارعهم لدون النطفة...

قال الشارح المعتزلي: هذا الخبر من الأخبار التي تكاد تكون متواترة لاشتهاره ونقل الناس له كافة وهو من معجزاته وأخباره المفصلة عن الغيوب...

ثم جاء أصحابه يخبرونه أنهم عبروا النهر وفي كل مرة كان الإمام ينكر ذلك.

وقالوا أنه كان شاب من الناس قال: والله لأكونن قريباً منه فإن كانوا عبروا النهر لأجعلن سنان رمحي في عينيه أيدعي علم الغيب فلما انتهى علي إلى النهر وجد القوم قد كسروا جفون سيوفهم وعرقبوا خيولهم وحبوا على ركبهم وتحكموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زجل فنزل ذلك الشاب.

فقال: يا أمير المؤمنين إني كنت شككت فيك آنفاً وإني تائب إلى الله وإليك فاغفر لي.

فقال علي: إن الله هو الذي يغفر الذنوب فاستغفره وما انكشفت المعركة... إلا وهناك تسعة رجال قد أفلتوا من الخوارج وكان المقتول من جيش الإمام ثمانية.

ص: 375

إشارة

لما قتل الخوارج فقييل له: يا أمير المؤمنين، هلك القوم بأجمعهم! كلاً (1) و الله؛ إنهم نطف (2) في أصلاب (3) الرجال، وقرارات النساء (4) كلما نجم (5) منهم قرن (6) قطع (7)، حتى يكون آخرهم لصوصا (8) سلابين.

اللغة

1 - كلاً: نفي و ردع.

2 - نطف: مفردھا النطفة و هي ماء الرجل.

3 - الأصلاب: مفردة صلب و هي فقرات الظهر.

4 - قرارات النساء: الأرحام.

5 - نجم: ظهر و طلع.

6 - قرن: رئيس.

7 - قطع: الشيء جزؤه و أبانه و فصله.

8 - لصوصا سلابين: سراق مختلسون.

الشرح

(كلا و الله، إنهم نطف في أصلاب الرجال و قرارات النساء كلما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصا سلابين) و هذا إخبار منه ورد على من قال إن الخوارج قد ماتوا و لم يبق منهم بعد قتلهم أحد فأجابهم الإمام كلا و الله ليس الأمر كما تقولون من أنهم قد ماتوا بل إن هناك على رأيهم من لا يزال في أرحام النساء ينتظر السقوط و منهم

من هو في أصلاب الرجال، إن هناك من يحمل أفكارهم ويعيش برأيهم وقد ثبت ذلك وظهر.

ثم أخبر أنهم كلما ظهر منهم رئيس أو قائد قتل وهكذا يبقى السيف قائماً فيهم حتى يتحولوا في نهاية المطاف إلى سراق مختلسين و أصحاب سلب و نهب يقول ابن أبي الحديد:

وقد صحّ إخباره عليه السلام عنهم أنهم لم يهلكوا بأجمعهم في وقعة النهروان و أنها دعوة سيدعو إليها قوم لم يخلقوا بعد و هكذا وقع و صح إخباره عليه السلام أيضا أنه سيكون آخرهم لصوصا سلابين فإن دعوة الخوارج اضمحلت و رجالها فنيت حتى أفضى الأمر إلى أن صار خلفهم قطاع الطريق متظاهرين بالفسوق و الفساد في الأرض.

ص: 377

إشارة

لا تقاتلوا الخوارج بعدي؛ فليس من طلب (1) الحق فأخطأه (2)، كمن طلب الباطل فأدركه (3).

قال الشريف: يعني معاوية وأصحابه.

اللغة

1 - طلب: أراد وسعى.

2 - أخطأ: من الخطأ وهو ضد الصواب.

3 - أدركه: بلغه.

الشرح

(لا- تقاتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه) قاتل الإمام الخوارج و أباد خضراءهم في حياته و هو يوصي أن لا يقاتلوا بعده: أما قتالهم فلأنهم مفسدون خارجون يهددون أمن الناس و ينشرون الفوضى و الذعر في أركان الدولة فكان على ولي الأمر أن يقاتلهم لئلا يغتر بهم الجاهلون و يشتبه الأمر على الآخرين...

و أما نهيه عن قتالهم بعده فلأنهم سيمثلون الشوكة الجارحة في عين الحكم الأموي و هو حكم ظالم فيجب أن لا يستقر و لا يرتاح فينشغل بهم عن الشيعة و ملاحقتهم...

يضاف إلى ذلك أن حروب الخوارج للحكم الأموي أضعفته كثيرا و أغرت به الكثيرين.

و أيضا فإن الخوارج و إن كانوا في نهجهم الفكري على ضلال و انحراف لكنهم أقل



خطرا من معاوية وأصحابه ففي حين أن الخوارج كانوا يطلبون الحق ولكنهم أخطئوا فيه فإن معاوية كان يطلب الباطل ويسعى له وقد كان له من القوة والسلطة ما يدرك به ذلك وقد أدركه حيث تولى أمر الخلافة وهو ليس من أهلها، فهو يطلبها ويعلم أنه على باطل لأنه ليس من أهلها ولا تحل لطلق مثله..

ص: 379

إشارة

لما خوّف من الغيلة وإنّ عليّ من اللّٰه جنّة (1) حصينة، فإذا جاء يومي انفرجت (3) عنيّ وأسلمتني (4)؛ فحينئذ لا يطيش السهم (5)، و لا يبرأ (6) الكلم (7).

اللغة

1 - الجنة: بالضم ما يستتر به من درع و ترس، الوقاية.

2 - الحصينة: المنيعه، المحكمة.

3 - انفرجت: انكشفت.

4 - أسلمتني: تركتني و شأني.

5 - طاش: جاز و لم يصب هدفه.

6 - يبرأ: يشفى.

7 - الكلم: الجرح.

الشرح

(وإنّ عليّ من اللّٰه جنّة حصينة فإذا جاء يومي انفرجت عنيّ وأسلمتني فحينئذ لا يطيش السهم و لا يبرأ الكلم) هذه الكلمة قالها ردا على من خوّفه الغيلة إذ كان أعداؤه كثيرون و كان بعضهم يجهر بعدائه بل يسمعه بعض ذلك.

فقال لهم عليه السلام إن هناك عناية إلهية تحفظني و تمنع وصول الأسباب القاتلة إليّ و لا يقدر أحد من اغتيايي أو النيل مني و قد كان عليه السلام في الصفوف الأولى

للمجاهدين، كان يقذف بنفسه في وسط المعارك و يخوض الحروب مع الأبطال و الفرسان و أصحاب الشجاعة فلا يعود إلا مظفراً منتصراً و نظرة سريعة إلى حروب الإسلام و معاركه في أيام الرسول تجد علياً بطلها غير المنازع و فارسها غير المدافع فقد كانت العناية الإلهية تحرسه و توفر له أسباب الحماية و لكل واحد من الناس حماية خاصة تدفع عنه الموت طالما أنه بعد الموت لم يأت... .

ثم يقول فإذا جاء يومي - وقت الموت - تخلت هذه الحماية عني و ابتعدت عن ساحتي فنفذت أسباب الموت إليّ و استطاعت أن تؤثر عليّ... . عند ما تسقط و سائط الدفاع و تنهار يسهل الغزو و الدخول و التأثير، عندها يدخل الموت و ينهي هذه الحياة و تقع إصابته في الصميم صائبة في الهدف التي أرادته و توجهت نحوه و لا يكون فيها زلل أو انحراف و لا شفاء من جرح يصيبه سهم المنون.. .

ص: 381

إشارة

يحذر من فتنة الدنيا ألا إن الدنيا دار لا يسلم (1) منها إلا فيها، و لا ينجى (2) بشيء كان لها:

ابتلي (3) الناس بها فتنة (4)، فما أخذوه منها لها أخرجوا منه و حوسبوا عليه، و ما أخذوه منها لغيرها قدموا عليه (5) و أقاموا فيه، فإنها عند ذوي العقول (6) كفيء (7) الظلّ، بينا تراه سابغا (8) حتى قلص (9)، و زائدا حتى نقص.

اللغة

1 - يسلم: ينجى و يخلص.

2 - ينجى: من النجاة و هو الفوز و الخلاص...

3 - ابتلي: الابتلاء، الاختبار.

4 - الفتنة: الاختبار و الامتحان.

5 - قدموا عليه: أتوه و أقبلوا عليه.

6 - ذوي العقول: ذوي الألباب.

7 - الكفيء: الظل.

8 - السابغ: التام.

9 - قلص: انقبض.

الشرح

(ألا إن الدنيا دار لا يسلم منها إلا فيها) تحذير من الدنيا و تنبيه منها بذكر بعض خصوصياتها و صفاتها لعل هذا الإنسان يتنبه إلى خطرها و أثرها فيبادر إلى علاجها و استصلاحها و السير على هدى الله و منهاجه فيها. و قد بين عليه السلام أن السلامة من

عيوب الدنيا لا يكون إلا فيها أما باجتتاب كل محرّم و ممنوع وفي ذلك سلامة لهذا الإنسان رأسا و نجاة فورا، فمن لم يعص الله فقد سلم و أما أن يكون بالتوبة و العودة إلى الله و هذا أيضا فيها و لا يمكن أن يقع في غيرها...

(و لا ينجي بشيء كان لها) بيان لسبب النجاة و الفوز و إن من عمل للدنيا و أراد النجاة بعمله فلا يوفق للنجاة و لا يدرك أسباب الفوز...

من عمل للدنيا ربما أدرك ذلك و فاز به و لكنه لا ينفعه في الآخرة.. فمن سعى وراء الجاه و السلطان و الحكم ربما أدرك ذلك و لكنه إذ أراد بذلك الزعامة لنفسها و الحكم لنفسه فقد خاب و لم يدرك أسباب النجاة...

و من طلب المال و سعى له و كد و تعب من أجل أن يقال عنه أنه ثري غني فحسب فهذا المال لن ينفعه أو يحقق له الفوز و النجاة من النار و هكذا كل من سعى في الدنيا لأجل الدنيا فإنه لن يدرك النجاة و الفوز...

(ابتلى الناس بها فتنة) فما كلف به العباد و ما أصابهم من صعاب و شدائد أو منح و محن فإنما هي اختبار و امتحان لهذا العبد كي يرى صبره و إيمانه و مدى تحمّله و هل يقدر على الصمود أمام صعوبة الامتحان و هل ينجح فيه؟.. هل يقدر نعمة الله فيحمده عليها فلا يبطر و يعصي الله فيها؟... إن الله و إن كان عنده علم الغيب و يعلم ما يؤول إليه أمر هذا الإنسان من طاعة أو معصية لكنه يريد أن يقيم عليه الحجة الفعلية ليقطع عذره و يمنعه من توجيه السؤال لو ابتليت لصبرت و لو أعصيت لشكرت...

(فما أخذوه منها لها أخرجوا منه و حوسبوا عليه و ما أخذوه منها لغيرها قدموا عليه و أقاموا فيه) هذا ترغيب للعمل من أجل الآخرة و تزهيد و تباعد عن العمل الذي يكون للدنيا..

فإن من جمع المال من الدنيا لأجل الدنيا زال عنه المال بموته و حوسب عليه لتقصيره في أخذه من غير حله أو لوضعه في غير محله.

و من أحب السلطة و الحكم لأجل السلطة و الحكم و ليس لله و من أجل إقامة حكم الله فهذا سوف يزول عنه الملك و السلطان إن حصل عليه ثم يحاسب عليه في الآخرة، و هكذا كل ما أخذ من الدنيا لأجل الدنيا فإن الإنسان سوف يخرج منه و يتركه رغما عنه و قهرا عن أنفه ثم يحاسب عليه...

و أما ما أخذ من الدنيا لأجل الآخرة فإنه يكون قد قدّمه أمامه و سوف يقدم عليه

وراءه و يتنعم به و يسرّ بلقائه، فمن طلب المال من أجل مساعدة الفقراء و المساكين و التخفيف عنهم فإن هذا سوف يلاقي في الآخرة نتيجة عمله و سيجزى به الجزاء الأوفى، نعيم مقيم و ظل ظليل و حور عين...

(فإنها عند ذوي العقول كفيء الظل بينا تراه سابغا حتى قلص و زائدا حتى نقص) ثم أشار إلى الدنيا بنظر أهل العقول و إنها عندهم كظل ما أسرع ما يزول فإنك تجد الظل صباحا يمتد طويلا إلى المغرب ثم تأتي الساعات القليلة فتمحو آثاره و لا تبقي له وجود و هكذا الدنيا سريعة المحور بينما العمر في ابتدائه طفولة لاهية و غير مسئولة فإذا بالشباب ثم المشيب ثم إلى القبر الحبيب و كما يقول الإمام في بعض كلماته: ما أسرع الساعات في اليوم و ما أسرع الأيام في الشهر و ما أسرع الشهور في السنة و ما أسرع السنين في العمر...

و إنني في يومي هذا أتذكر أول مجيئي إلى بلدي في سنة 1967 و هي المرة الأولى التي ابتدأت فيها العمل فإنني كنت أصلي جماعة في مسجد نبي الله شيث و كان خلفي بضع عشر رجلا لم يبق منهم اليوم مخبر و إنني أجد قوتي قد انهارت و قد مر عليّ منذ ذلك التاريخ إلى كتابة هذه الكلمات ما يقارب ربع قرن من الزمن...

## إشارة

في المبادرة إلى صالح الأعمال فاتقوا الله عباد الله، وبادروا (1) آجالكم (2) بأعمالكم، وابتاعوا (3) ما يبقى لكم بما يزول عنكم، و  
ترحلوا (4) فقد جدّ بكم (5)، واستعدّوا للموت فقد أظلمكم (6)، وكونوا قوماً صريحاً بهم (7) فانتبهوا (8)، وعلّموا أنّ الدنيا ليست لهم بدار  
فاستبدلوا (9)؛ فإنّ الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً (10)، ولم يترككم سدى (11)، و ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلاّ الموت أن ينزل به  
(12).

وإنّ غاية تنقصها اللحظة، و تهدمها (13) الساعة، لجديرة (14) بقصر المدّة (15) وإنّ غائباً يحدوه (16) الجديدان: الليل والنهار،  
لحريّ (17) بسرعة الأوبة (18). وإنّ قادماً يقدم بالفوز أو الشّقوة (19) لمستحقّ لأفضل العدّة (20) فتزوّدوا (21) في الدنيا، ما تحرزون  
(22) به أنفسكم غداً. فاتقوا عبد ربّه، نصح نفسه، وقدم توبته، و غلب شهوته، فإنّ أجله مستور (23) عنه، وأمله خادع (24) له، والشيطان  
موكّل به، يزيّن (25) له المعصية ليركبها، ويمنّيه (26) التوبة ليسوّفها (27)، إذا هجمت (28) منيته (29) عليه أغفل ما يكون عنها. فيا لها  
حسرة (30) على كلّ ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجّة، وأن تؤدّيه (31) أيّامه إلى الشّقوة! نسأل الله سبحانه أن يجعلنا وإياكم ممّن لا  
تبطره (32) نعمة، ولا تقصّر به عن طاعة ربّه غاية، ولا تحلّ به بعد الموت ندامة (33) ولا كآبة (34).

- 1 - بادروا: سارعوا.
- 2 - آجالكم: مفردھا الأجل وقت الموت.
- 3 - ابتاعوا: اشترؤا.
- 4 - ترحلوا: من الترحل و هو الانتقال.
- 5 - جذببكم: حثتم و أزعجتهم إلى الرحيل.
- 6 - أظلكم: دنا منكم حتى ألقى بظله عليكم.
- 7 - صيح بهم: هلكوا.
- 8 - انتبهوا: استيقظوا.
- 9 - استبدلوا: من أبدل الشيء إذا أخذ عوضا عنه و بادلہ أخذ منه مثل ما أعطاه.
- 10 - العبث: اللهو بما لا فائدة فيه.
- 11 - سدى: مهملين.
- 12 - نزل به: حلّ .
- 13 - تهدمها: تنقضها و تسقطها.
- 14 - جديرة: بكذا: خليفة به و أهل له.
- 15 - قصر المدة: قلتها و صغرها.
- 16 - يحدوه: يسوقه.
- 17 - لحرى: لتحقيق، و جدير.
- 18 - الأوبة: الرجعة.
- 19 - الشقوة: ضد السعادة، الشدة و العسر.
- 20 - العدة: ما هيأته و أعدده من سلاح.



21 - تزودوا: من الزاد و هو ما يأخذه المسافر من الطعام.

22 - تحرزون: تحفظون و تصونون.

23 - المستور: المغطى.

24 - خدعه: مكر به و احتال عليه.

25 - يزين: يزخرف و يحسن.

26 - يمنيّه: يرغبه في الأمر الباطل كذبا.

27 - يسوّفها: يؤخرها.

28 - هجم: عليه انتهى إليه بغتة على غفلة منه، أسرع دخوله.

29 - المنية: الموت.

ص: 386

30 - الحسرة: التهلف و التأسف.

31 - تؤديه: توصله.

32 - البطر: الطغيان.

33 - ندامة: من ندم إذا حزن و أسف.

34 - كآبة: حزن.

## الشرح

(فاتقوا الله عباد الله و بادروا آجالكم بأعمالكم) أمر عليه السلام بتقوى الله و الاحتراز من معصيته و باعتبار أن الموت يأتي مسرعا و قد يأتي فجأة فأمرنا بأن نسبقه بأعمالنا بأن نسارع إليها و نجعل الموت نصب أعيننا و نبني على أننا و إياه في سباق فهو يريد أن يسبقنا بالقضاء علينا و الانتهاء منها و نحن نريد أن نسبقه بالأعمال الصالحة و الخيرات و المبرات...

(و ابتاعوا ما يبقى لكم بما يزول عنكم) اشترى الآخرة بهذه الدنيا و اجعلوا زينة الدنيا و ما فيها عوضا عن الآخرة فإن الدنيا فانية زائلة غير باقية فإذا باعها الإنسان و اشترى الآخرة فقد ربح الخلود و البقاء و النعيم المقيم و بيع الدنيا الفانية ليربح الآخرة إنما يكون بطاعة الله و التزام أمره سواء كان في الكلمة أو الموقف في السياسة أو الاقتصاد أو في أي مجال من مجالات الحياة...

(و ترحلوا فقد جد بكم) تأهبوا و خذوا زادكم معكم فإنكم بعنف و على عجل تساقون نحو الموت و من قطع المسافة بإزعاج كان لا بد له من الزاد...

(و استعدوا للموت فقد أظلكم) هيئوا العدة لمقابلة الموت الذي هو فوق رؤوسكم لا تدرون متى يختطفكم و يحطّ بثقله عليكم و السلاح الذي يواجه به الموت و ينتصر الإنسان به عليه هو سلاح الإيمان بالله و رسوله و الأئمة من أهل بيت نبيه و العمل بكل ما أمر و الوقوف عما نهى، سلاح الإيمان و الالتزام ينتصر الإنسان على الموت كما قال أمير المؤمنين عليه السلام عند ما سقط شهيدا «فرت و رب الكعبة» فإنها الكلمة التي تعبر عن الانتصار على الموت و الحياة الدنيا و كل مشاكلها...

(و كونوا قوما صيحيهم فانتبهوا و علموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا) كونوا من الذين نودي عليهم فأيقظهم النداء و أسمعهم الحق صوته فانتبهوا لأنفسهم و تيقظوا لها

ص: 387

فإن العاقل إذا تحرك عقله توجه نحو الخير والهدى وإذا اتبه علم أن الدنيا فانية زائلة فبحث عن البقاء والخلود ولن يجد ذلك إلا في رحاب الله وطاعته فإن عاقبته جنة خالد فيها أبدا...

(فإن الله سبحانه لم يخلقكم عبثا ولم يترككم سدى) إن الله لم يخلق هذا الإنسان للهو واللعب والأمور الباطلة بل خلقه من أجل هدف عظيم كبير وهو تكامله وصلاحه وقد استنكر الله هذه المقولة بقوله: (1) «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ» ...

كما إنه لم يتركنا بدون تكليف في الدنيا بل أرسل إلينا الرسل وأنزل الكتب وبيّن لنا ما هو المطلوب منا وما هو الواجب علينا، إنه سبحانه كلفنا بتكاليف والتكليف تشريف حيث أخرجنا به من زاوية الحيوانات إلى كرامة الإنسان وشرفه... (وما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا الموت أن ينزل به وإن غاية تقصصها اللحظة وتهدمها الساعة لجديرة بقصر المدة) كل واحد منا يتحدد مصيره بعد عبور هذا الحاجز المعبر عنه بالموت فإن هذه المحطة تحتوي على بايين باب إلى الجنة والآخرة إلى النار فما بين المطيع لله والعامل بأمره إلا أن يقطع هذا الجسر المعبر عنه بالموت حتى يدخل إلى جنة النعيم وما بين العصي والنار إلا أن يقطع نفس هذا الجسر ليدخل عذاب السعير...

ثم نبه إلى قصر عمر الإنسان في الدنيا وإن الحياة هي أنفاس المرء ولحظاته كناية عن سرعة أيام الإنسان في الدنيا وعدم استقراره بها وبالنهاية تهدمه ساعات الموت ومن كانت حياته بهذه السرعة من الانقضاء والزوال يجب أن يتنبه لها ويستعد لما بعدها...

(وإن غائبا يحدوه الجديان: الليل والنهار لحري بسرعة الأوية) وإن الموت الذي هو غائب عنا يسوقه إلينا الليل والنهار فكلما مضى ليل أو نهار قرب الموت منا وهكذا وما أسرع ما يصلان به إلينا، إنه سيعود إلينا بسرعة الليل والنهار...

(وإن قادما يقدم بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة) باعتبار أن الموت عند ما يقدم علينا ويحل بنا سوف يحمل معه أحد أمرين إما الفوز بالجنة أو الشقاء بالنار فمثل هذا القادم علينا يحتاج إلى استعداد له وإعداد بأشد ما يكون الاستعداد والإعداد وأفضل عدة هي الإيمان والعمل الصالح وحسن الظن بالله...

(فتزودوا في الدنيا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم غدا) أمر عليه السلام أن يتزود5.

ص: 388

1- سورة المؤمنون، آية: 115.

كل منا ونحن في الدنيا أحياء أن نتزود منها بما فيها من خيرات و حسنات ما نحفظ به أنفسنا غدا من النار و من عذاب الملك الجبار فإن في الدنيا كثير من الأعمال التي بها يحفظ الإنسان نفسه يوم القيامة من العذاب...

(فاتقى عبد ربه، نصح نفسه و قدم توبته، و غلب شهوته) و هذه مفردات الزاد التي أمرنا عليه السلام بها و هي تقوى الله باجتنب معاصيه و العمل بأوامره و طاعته في كل صغيرة و كبيرة و نصح النفس هو توخي الخير لها و كل ما يقربها نحو الله من أعمال البر و الصدقات و البعد عن الفساد و السيئات.

و تقديم التوبة قبل الموت من جملة الزاد و التوبة تعني الرجوع إلى الله و العودة إليه و هي واجبة عند التمرد و العصيان و قبل حلول الموت.

و أما غلبته لشهوته فهو أن لا يطيع نفسه فيما تشتهي و ترغب و النفس ترغب في ترك التكليف لأنه يحللها من كل التزام ففي حين أن الصلاة و الصوم و الحج و غيرها تكاليف و هي موجبة لشيء من التعب فإن النفس تريد الراحة منها و التحلل من الالتزام بها و من غلب شهوته قام بالواجبات و ترك المحرمات... (فإن أجله مستور عنه و أمله خادع له و الشيطان موكل به يزين له المعصية ليركبها و يمني التوبة ليسوفها إذا هجمت منيته عليه أغفل ما يكون عنها) و هذه جملة أمور أولها أن وقت موت الإنسان مطوي عنه لا يعلمه إلا علام الغيوب و إذا كان الأجل مستورا فيجب على الإنسان أن يكون دائما على طاعة الله لئلا يأتيه الموت و هو على أمر يكرهه الله.

و ثانيا: فإن أمل الإنسان في الحياة و ما فيها من شباب و مال و قوة يخدع الإنسان و يجعله يعتد بهذه الأمور و يسوف عمل الخير و يؤخر في أعمال البر و هذه سيئة الأمل الخادع الذي يضل الإنسان و يحرفه عن الطاعة إلى المعصية...

و منها أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق كما في الحديث يأخذ في الوسوسة لهذا الإنسان و يزين له المعصية بأنها لذينة و طيبة و إن في العمر سعة بعد ذلك يرمم ما هدم و يصلح ما فسد و يتوب إلى الله و يرجع فيكون قد أدرك لذة الدنيا و نعيمها و الآخرة و نعيمها و لكن هذا الإنسان قد تدركه منيته قبل توبته فيخسر الآخرة و ذلك هو الخسران المبين...

(فيا لها حسرة على كل ذي غفلة أن يكون عمره عليه حجة و أن تؤديه أيامه إلى الشقوة) تحسّر عليه السلام و تأسف على كل إنسان غافل عن التوبة و عما ينفعه و يقربه من

اللّٰه لأن عمره يكون حجة عليه فإن اللّٰه أعطاه العمر ليؤدي الطاعة فإذا به يؤدي المعصية فبدلاً من أن يشهد عمره له يشهد عليه و تكون أيامه المملوءة بالمعصية و التمرد مؤدية به إلى العذاب و الشقاء...

(نسأل اللّٰه سبحانه أن يجعلنا و إياكم ممن لا تبطره نعمة و لا تقصر به عن طاعة ربه غاية و لا تحل به بعد الموت ندامة و لا كآبة) ثم دعا له و للحاضرين و نسأل اللّٰه أن نكون مشمولين بهذا الدعاء...

1 - ممن لا تبطره نعمة أي لا تكون النعمة من مال أو جاه أو أولاد سبباً للانحراف و الطغيان فنستعلي بها على عباد اللّٰه أو نمارس بها الظلم أو نستعملها في الحرام فإن كثيراً ممن أنعم اللّٰه عليهم قد حولوا نعمه إلى وسائل للمعصية و التمرد عليه...

2 - أن لا تكون أي غاية أو هدف أو أمر مهم ينظر إليه الإنسان أن لا يكون ذلك من أسباب التقصير في طاعة اللّٰه بل تكون طاعة اللّٰه هي المقدمة على كل غاية مهما كانت تلك الغاية محبوبة أو مرغوبة...

3 - أن لا يحل بعد الموت به و بنا حزن أو يلحقنا ندم بأن نكون من أصحاب الجنة و لا نكون من أصحاب النار فإن أصحاب النار هم النادمون المحزونون..

## إشارة

وفيها مباحث لطيفة من العلم الإلهي الحمد لله الذي لم تسبق له حال حالاً، فيكون أولاً قبل أن يكون آخره، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً؛ كلّ مسمّى بالوحدة غيره قليل، وكلّ عزيز غيره ذليل، وكلّ قويّ غيره ضعيف، وكلّ مالك غيره مملوك، وكلّ عالم غيره متعلّم، وكلّ قادر غيره يقدر ويعجز، وكلّ سميع غيره يصمّ (1) عن لطيف الأصوات (2)، ويصمّه كبيرها، ويذهب عنه ما بعد منها، وكلّ بصير غيره يعمى عن خفيّ الألوان ولطيف الأجسام، وكلّ ظاهر غيره باطن، وكلّ باطن غيره غير ظاهر. لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان، ولا تخوّف من عواقب زمان، ولا استعانة على نذ (3) مثاور (4)، ولا شريك مكائر (5)، ولا ضدّ منافر (6)؛ ولكن خلائق مربوبون (7)، وعباد داخرون (8)، لم يحلل في الأشياء فيقال: هو كائن، ولم ينأ (9) عنها فيقال: هو منها بائن (10). لم يؤده (11) خلق ما ابتداء، ولا تدبير ما ذراً (12)، ولا وقف به عجز (13) عمّا خلق، ولا ولجت (14) عليه شبهة فيما قضى وقدر، بل قضاء متقن (15)، و علم محكم (16)، وأمر مبرم (17). المأمول مع التّقم (18)، المرهوب مع التّعم!

## اللغة

- 1 - يصمّ : مضارع صم إذا أصيب بالصمم وفقد السمع.
- 2 - لطيف الأصوات: المنخفض منها الذي لا يسمع.
- 3 - الند: المثل والنظير.
- 4 - المثارور: الموائب وهو المحارب.
- 5 - المكائر: المفتخر بالكثرة.
- 6 - الضد المنافر: الذي يحاكم ضده في الرقعة والنسب.
- 7 - مربوبون: مملوكون.
- 8 - داخرون: ذليلون من دخر بمعنى ذل.
- 9 - نأ: بعد.
- 10 - البائن: المنفصل.
- 11 - لم يؤده: لم يعجزه ويثقله.
- 12 - ذراً: خلق.
- 13 - العجز: عدم القدرة.
- 14 - ولجت عليه: دخلت عليه.
- 15 - المتقن: من اتقن الأمر إذا أحكمه.
- 16 - محكم: المبرم، المتقن.
- 17 - المبرم: المحكم.
- 18 - النقم: جمع نقامة وهي العقوبة.

## الشرح

(الحمد لله الذي لم تسبق له حال حالا- فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً) الله سبحانه وتعالى منزّه عن

الجسمية و المكانية و الزمانية لأن من يحتاج إلى هذه الأمور فهو الممكن و المخلوق و أما الخالق واجب الوجود فهو الذي أبدع هذه الأمور و هو الغني عنها و من هنا كان سبحانه و لم يكن زمان و لا مكان و لم يكن شيء في الوجود و جميع صفاته عين ذاته لا تتقدم عليه و لا تتأخر عنه و لا تتكثر بحسب الذات...

ليس له حال يتقدم بها على حال و ليس معنى كونه أولاً أنه في وقت آخر يكون آخراً

ص: 392



أو يكون ظاهراً ثم يكون باطناً فإن هذا يستحيل في حقه لأنه يؤدي إلى الحدوث و الله منزّه عن ذلك بل هو في نفس الوقت الذي يكون أولاً  
يكون آخرًا وفي نفس الوقت الذي يكون ظاهراً يكون باطناً...

و معنى أوليته أنه كان ولم يكن أحد معه و معنى آخريته أنه يبقى و يفنى كل شيء.

و معنى أنه ظاهر أي بين بآياته و علاماته فكل ما في الوجود يحكي عنه و ينطق بوجوده.

و معنى أنه باطن أي لا تدرك حقيقته أدق العقول و أعلمها...

و هناك تفاسير للظاهر و الباطن كثيرة نرى الإعراض عنها أولى...

(كل مسمى بالوحدة غيره قليل) باعتبار أن الواحد أقل الأعداد و أصغرهما فإذا وصفت واحداً به و سمّيته به فقلت جاء واحد فهو تقليل له و  
تحقير، و أما بالنسبة لله فالوحدة تعني الغنى و العز...

و ليس معنى الوحدة أنها العديدة لأن الله ليس له ثاني، بل الوحدة تعني أنه متفرد في صفاته لا يشبهه أحد فهو واحد في الذات و في  
الصفات و كل ما يقع في الأوهام فهو منزّه عنه...

(و كل عزيز غيره ذليل) لأن العزيز و هو الممتنع بالأهل و السلطان و العشيرة و المال و غيرها من أمور الدنيا مهما كان عزيزاً سيصرعه  
الموت إن نجا من مصائب الدنيا و محنها و ما يعترض طريقها و أما بالنسبة لله فهو العزيز المطلق الذي لا يطرأ عليه شيء مما يذل أو  
يهين...

(و كل قوي غيره ضعيف) لأن القوة نسبية و هي في البشر تسقط أمام الموت و الفناء بينما قوته هي القوة الحقيقية التي لا ضعف فيها و لا  
وهن يعتريها...

(و كل مالك غيره مملوك) كل مالك من الناس مهما كان يحوي و يملك فهو مملوك لله و تحت سلطانه لا يخرج عن إرادته و حكمه و الله  
وحده المالك المطلق الذي لا يعارضه في حكمه أحد...

(و كل عالم غيره متعلم) فالعلماء يتعلمون من بعضهم حتى يصبحوا كذلك و هم جميعاً يتعلمون مما أفاض عليهم و أذن لهم فيه بينما هو  
سبحانه علمه عين ذاته العالم بكل شيء و المطلع على كل شيء و لا يخفى عليه شيء بينما علوم الناس نسبية و تنتهي عند حدّ و تؤخذ  
ممن تقدم أو ممن هو أعلم...

(وكل قادر غيره يقدر ويعجز) فغير الله من مخلوقاته يقدر على شيء ويعجز عن شيء آخر ويقوم بشيء ويستحيل في حق شيء أما هو سبحانه فلأن قدرته عين ذاته فهو القادر المطلق الذي لا يعجزه شيء...

(وكل سميع غيره يصم عن لطيف الأصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها) كل إنسان له سمع يتوقف عند حد محدود من سماعه الأصوات ومهما كان سليما وصحيحا وفريدا فلن يدرك الأصوات الخفية كما إن الأصوات العالية تعطله عن السمع وتمنعه عنه فالصيحة إذا كانت عالية تصم الأذن وتفقد السمع لأن أدوات السمع لا تتحمل الضغط الشديد عليها كما إن الأصوات إذا خفيت عجز السمع عن إدراكها وإذا بعدت الأصوات عجز السمع عن التقاطها فهو يلتقط إلى مسافة معينة فإذا زادت لم يعد يسمع..

و أما الله فهو السميع لكل صوت مهما كان خفيا ولا يؤثر عليه صوت مهما كان قويا...

(وكل بصير غيره يعمى عن خفي الألوان ولطيف الأجسام) وحاسة البصر عند غير الله لها حد محدود لا يمكن أن تتجاوزه، فهي خاضعة للإمكان ومحدودة بحدوده فلا يرى الألوان في الظلمة ولا يرى ما دق وصغر من الأجسام وإنّ المكروبات أجسام لا يراها البصر ولا يقع عليها...

و أما الله فهو البصير الذي لا يخفى عليه أمر يرى كل صغيرة وكبيرة بدون استثناء...

(وكل ظاهر غيره باطن وكل باطن غيره ظاهر) الأشياء إما أن تكون ظاهرة غير باطنة كما هي الحال في الإنسان والحيوان والأشياء التي نراها حولنا وتظهر لنا وللعيان وإما أن تكون باطنة ندرك آثارها كالحب والبغض وغيرها وإن كنا لا نراها ولا نحس بها عند الآخرين وإن كنا نحس بها كل في انفراد...

و أما الله فإنه أظهر ما يكون وأخفى ما يكون ففي الوقت الذي يحكي وجوده كل ما في الكون وينطق بذلك الوجود كل موجود في نفس الوقت يخفى لشدة ظهوره عن أعين الناس ولا تقدر العقول على الوقوف على كنه ذاته واستكشاف حقيقته فهو حي قادر عليم حكيم لأننا وجدنا الأحياء وأصحاب القدرة والعلماء والحكماء...

(لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان) نفى عليه السلام أن يكون ما خلقه الله من أجل

غاية راجعة إليه و فائدة عائدة عليه فإنه سبحانه الغني المطلق من كل الجهات ليس في ذاته و لا في صفاته نقص و ذكر بعض ما يمكن أن يتصور كونه غاية ثم نفاه فلم يخلق سبحانه الخلق من أجل تقوية سلطانه و تشديده فإن أصحاب السلطان و القوة يدعمون قوتهم بما يبنون و يعملون لأنهم ضعفاء السلطان و القوة...

(و لا تخوف من عواقب زمان) لم يخلق ما خلق خوفا من غدر الزمان و نكباته كمن يجمع و يدخر تخوفا من ساعات العسر و الحاجة و هذا إنما يجري في البشر الذين يحكمهم الإمكان و الضعف و تؤثر عليهم عوامل الزمان أما الله فهو الذي خلق الزمان و المكان و لا يؤثر فيه شيء...

(و لا استعانة على ند مثاور) لم يخلق ما خلق من أجل أن يستعين به على شبيهه له محارب و مقاتل و جل الله أن يكون له نظير أو شبيه.

(و لا شريك مكاث و لا ضد منافر) فليس له شريك يفتخر بما يملك و يفاخر الله فيما له حتى يخلق الله هذا الخلق ليكاثره به و يفتخر به عليه و يعدد ما يملك أو يذكر ما خلق.

كما أنه ليس له ضد يواجهه و يقف في وجهه و يفتخر عليه بجاهه و سلطانه حتى يخلق هذا الخلق فيعلو و يرتفع قدرا عليه...

(و لكن خلائق مربوبون و عباد داخرون) فكل موجود مخلوق لله و كل مخلوق مملوك له و هو ربهم و هم له عباد أذلاء ضعفاء إما بالمقال أو بلسان الحال...

(لم يحلل في الأشياء فيقال: هو كائن و لم ينأ عنها فيقال هو منها بائن) لم يحلل في شيء من الأشياء فيكون مثلها و داخل في صميمها لأن الحلول يستلزم الجسمية و المشابهة و هو منزه عن ذلك كما إنه لم يتعد عنها بحيث ينقطع حبل الاتصال بينه و بينها فنسلبه سلطانه عليها و علمه بها بل هو في نفس الوقت الذي يكون بعيدا فهو قريب بل أقرب من كل قريب...

(لم يؤده خلق ما ابتدأ و لا تدبير ما ذرأ) لم يعجز أو يصاب بجهد و تعب من جراء ما خلق كما هي الحال عند البشر بل سبحانه بعلمه بالشيء و إرادته يتحقق المطلوب كما إنه لا يعجزه تدبير ما خلق من رزق له و تقدير حياة و ضبط نظام و قوام و استعداد...

(و لا وقف به عجز عما خلق و لا ولجت عليه شبهة فيما قضى و قدر) لم يعجز عما خلق بل بكلمة كن التي لم يكن هناك أخصر منها كان ما كان من مخلوقات و كائنات.

كما إنه لم تدخل عليه شبهة فيما قضى من أمر أو قدر من تدبير لأن الشبهة تكون

وليدة الجهل وعدم وضوح الرؤية و الله سبحانه العالم المطلق انكشفت له دقائق الأمور و جليلها، عظيمها و حقيرها...

(بل قضاء متقن و علم محكم و أمر مبرم) فما قضاؤه و أوجده في مكانه كان يسير وفق ما رسم له من دور و حركة في دقة و نظام و حكمة بل الأمور لديه منكشفة و هو خالقها في أمر محكم متقن لا نقص فيه أو خلل يعتريه...

(المأمول مع النعم المرهوب مع النعم) و هذه قاعدة إيمانية و هي أن الله مع شدة نعمته و عذابه هو المأمول لكل خير و رحمة كما إنه مع النعم و المنح و العطايا يجب أن يرهبه الإنسان و يخاف من سطواته و نعماته، فمع وجود النعمة الفعلية هناك أمل فيه كبير بالرحمة و رفع العذاب، و مع وجود النعم الفعلية هناك خوف و حذر من نزعها عن هذا الإنسان و تبديلها بعذاب و عقاب.

ص: 396

## إشارة

في تعليم الحرب و المقاتلة و المشهور أنه قاله لأصحابه ليلة الهيرير أو أول اللقاء بصفين معاشر (1) المسلمين: استشعروا (2) الخشية (3)، و تجلببوا (4) السكينة (5)، و عضوا (6) على التواجد (7)، فإنه أنبي (8) للسيوف عن الهام (9).

و أكملوا اللأمة (10)، و قلقلوا (11) السيوف في أغمادها (12) قبل سلها (13).

و الحظوا (14) الخزر (15)، و اطعنوا (16) السزر (17)، و نافحوا (18) بالظبا (19)، و صلوا السيوف بالخطا (20)، و اعلموا أنكم بعين الله، و مع ابن عم رسول الله. فعاودوا (21) الكر (22)، و استحيووا من الفر (23)، فإنه عار (24) في الأعقاب (25)، و نار يوم الحساب. و طيبوا (26) عن أنفسكم نفسا، و أمشوا إلى الموت مشيا سجحا (27)، و عليكم بهذا السواد الأعظم (28)، و الرواق (29) المطتب (30)، فاضربوا ثبجه (31)، فإن الشيطان كامن (32) في كسره (33)، و قد قدم للوثبة (34) يدا، و آخر للتكوص (35) رجلا. فصمدا صمدا (36)! حتى ينجلي (37) لكم عمود الحق «و أنتم الأعلون، و الله معكم، و لن يترككم (38) أعمالكم».

## اللغة

1 - معاشر: جمع معاشر و هي الجماعة.

2 - استشعروا: من الشعار و هو ما يلي الجسد من اللباس.

ص: 397

- 3 - الخشية: الخوف.
- 4 - تجلببوا: من الجلباب وهو الثوب الواسع.
- 5 - السكينة: الثبات والوقار.
- 6 - عضوا: العَضُّ هو الإمساك بالأسنان.
- 7 - النواجذ: جمع ناجذ وهو أقصى الأضراس.
- 8 - أنبى: من نبا السيف إذا لم يقطع.
- 9 - الهام: مفرد هامة وهو الرأس.
- 10 - اللامة: الدرع وتطلق على آلات الحرب.
- 11 - قلقلوا: من القلقله وهو التحريك.
- 12 - الأعماد: جمع غمد وهو جفن السيف.
- 13 - سلها: وسل السيف إذا أخرجه من الغمد.
- 14 - الحظوا: انظروا.
- 15 - الخزر: النظر بمؤخر العين عند الغضب.
- 16 - اطعنوا: من الطعن وهو الضرب والوخز.
- 17 - الشزر: الطعن عن اليمين والشمال.
- 18 - نافحوا: ضاربوا ودفعوا.
- 19 - الظبا: جمع ظبة وهي طرف السيف وحده.
- 20 - الخطا: جمع خطوة ما بين القدمين عند المشي.
- 21 - عاودوا: ارجعوا وعودوا إلى حالتكم الأولى.
- 22 - الكر: الرجوع.
- 23 - الفر: الفرار، الهرب.

24 - العار: العيب كل ما يعيب الإنسان من قول أو فعل.

25 - الأعقاب: أما جمع عقب بالضم أي العاقبة أو على وزن كتف الأولاد..

26 - طيبوا: هؤنوا.

27 - السجح: السهل.

28 - السواد الأعظم: عامة الناس و جمهورهم.

29 - الرواق: الفسطاط.

30 - المطنب: المشدود بالأطناب و هي جمع طنّب بضمّتين حبل يشد به سرادق البيت.

31 - الشيج: الوسط.

32 - كامن: مستخفى.

33 - كسره: بالكسر شقه الأسفل.

ص: 398

34 - الوثبة: الطفرة.

35 - النكوص: الرجوع.

36 - الصمد: القصد.

37 - ينجلي: ينكشف و يظهر.

38 - لن يترككم: لا ينقصكم.

## الشرح

(معاشر المسلمين استشعروا الخشية) تتضمن هذه الخطبة بعض الارشادات الحربية و التعاليم العسكرية و كذلك تحتوي على تقوية النفس معنويا حتى تكتمل القوتان العسكرية و المعنوية...

و هذا الخطاب إلى معسكره و صاهم أن يعيشوا الخشية و هي الخوف من الله لأن من خاف الله قام بأداء حقه و جهاد عدوه و لم يتهاون أو يتكاسل أو يفترّ، و من خاف من الله هانت عليه مصاعب الحياة و استطاع أن يطرد كل خوف من أي جهة و من أي شخص كان...

(و تجلببوا السكينة) أمرهم أن يكون الوقار شاملا في الحرب يعني ضبط الأعصاب و السيطرة عليها فلا تصاب بالاضطراب و يفقد صاحبها السيطرة عليها فإن ذلك يؤدي إلى اختلال في التوجه و عدم التركيز على المطلوب في تلك الساعات الصعبة...

(و عضوا على النواجذ فإنه أنبى للسيوف عن الهام) و هذا إما محمول على الحقيقة من أن العض على الأضراس الخلفية يوجب تصلب الجمجمة فلا يأخذ السيف منها مأخذه، أو كناية عن شدة الاهتمام بأمر الحرب و ترك الاضطراب و أن يفعل المحارب فعل المقهور الذي يريد أن يتخلص من قاهره و عدوه...

(و أكملوا الأمة) أي وزعوا آلات الحرب و لباسها على البدن كله كل واحدة في موقعها و مكانها المعد لها حتى لا يكون جزء من الجسد خاليا مما يجب أن يكون عليه...

(و قلقلوا السيوف في أعمادها قبل سلها) أي حركوا السيوف و هي في الأغمد لتتأكدوا من سهولة إخراجها عند ما تحتاجون إلى إخراجها...



(و الحظوا الخزر) انظروا نظرة الغضب ان الذي ينظر بمؤخرة عينه احتقارا للمنظور و احتقانا منه...

(و اطعنوا الشزر) اضربوا يمينا و شمالا عن جانبيكم فان ذلك يعم و يستطيع المحارب خلاله ان تأخذ يده مجالها برحابة و سهولة...

(و نافحوا بالظبا) اضربوا الأعداء و ادفعوهم بأطراف السيوف قبل أن تختلطوا بهم و تقتربوا منهم فيمنعكم القرب من حرية الحركة...

(و صلوا السيوف بالخطا) إن قصرت السيوف عن تناول الأعداء فلا تنتظروهم حتى يهجموا عليكم بل أتم بادروا إلى القفز نحو العدو و تناوله و أخذه...

(و اعلموا أنكم بعين الله و مع ابن عم رسول الله) أراد تسكين قلوبهم و إعطائهم الثقة و هذا من أهم الأمور و أفضلها أن يطمئن إلى أن الله يراه و يرعاه و يرضى عن سلوكه و الإمام يقول لهم إنكم تحت نظر الله و رعايته هو المطلع عليكم الناظر إليكم و من كان تحت نظر الله فاز و نجا ثم اتبع ذلك بإرشادهم و تذكيرهم إلى أنهم مع ابن عم رسول الله و لهذا الرجل موقعه و دوره و كل المسلمين يعرفون أنه القائم مقام النبي و إن الخلافة له و إن حربه كحرب رسول الله محقة مشروعة و إنه على المنهج الإلهي و إن عدوه عدو لله و لرسوله و لكل رسالات الأنبياء، و عند ما تستشعر النفوس هذا المعنى و تقف عليه تحل فيها السكينة و تطمئن القلوب...

(فعاودوا الكر) إذا حصل منكم فرّ لحالة ضعف أو تحيزتم إلى فئة أو انحرفتم لقتال فعودوا إلى الحرب و النزال و لا تستمروا على النكوص و الفرار...

(و استحيوا من الفر فإنه عار في الأعقاب و نار يوم الحساب) خوفهم من الفرار و الهروب من المعركة بأمرين عظيمين أحدهما في الدنيا و هو أنه يبقى سمة و علامة يعاب به الأولاد و الأحفاد فيكون الفار قد ترك لعقبه ميراثا قبيحا يخجلون به بين الناس و في المجتمع و يبقى يلاحقهم مدى الحياة...

و الثاني أن في الفرار من المعركة غضب الله و عذابه، فإن الفرار معصية كبيرة يستحق صاحبها النار لأنه يوهن قوة المجاهدين و يفت في عزائمهم و يقضي على معنوياتهم و من هنا كان جرما كبيرا يستحق به النار...

(و طيبوا عن أنفسكم نفسا) اسخوا بأنفسكم و جودوا بها عن رضى و قناعة و حب و وطنوها على القتل و الشهادة فإنكم ستنالون أفضل الجزاء و أحسنه و يعوض عليكم خيرا مما تقدمون...

(و امشوا إلى الموت مشيا سرجحا) أقبلوا على الموت و اطلبوه طائعين راغبين فإن من يستسهل الموت و يسعى إليه برغبة يحقق المعجزات و ينال الفوز و النصر...

(و عليكم بهذا السواد الأعظم و الرواق المطنب فاضربوا ثبجه) بين عليه السلام لهم هذا الهدف المهم الذي يدير المعركة عند العدو و يوجهها و جهتها و كان معاوية قد أقام خيمة التف بها الناس و اجتمع حولها العسكر فأمر عليه السلام بالهجوم عليه فإن مركز القيادة إذا ضرب اختلت التوازنات عند الجيوش و تضعضت الصفوف.. أمرهم أن يهجموا على مجتمع الناس حيث خيمة معاوية هناك و ليضربوا وسطه...

(فإن الشيطان كامن في كسره و قد قدم للوثبة يدا و آخر للنكوص رجلا) أشار عليهم بأن معاوية و سماه شيطانا لأنه مثل الشيطان في أفعاله و سلوكه و حكاة في جميع تصرفاته لأن الشيطان معاوية مختفي في جانبه ينتظر أحد أمرين فإن رأى ضعفا منكم هجم عليكم و طالككم بيده و أخذكم بقوة.

و إن رأى إنكم أقوىاء و قد قهرتموه و غلبتموه فإنه على استعداد للهروب و الفرار ناجيا بنفسه و من يلحق به...

(فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحق و أنتم الأعلون و الله معكم و لن يترككم أعمالكم) أمرهم بالصمود و الثبات و القتال من أجل حقهم حتى ينتصروا فينهزم معاوية و جنده و ينتصر الحق و أصحابه و أنتم الأعلون لأنكم أصحاب الحق الذين تقاتلون من أجل الله و في سبيله و الله معكم لأنكم معه و هو الذي ينزل نصره عليكم و لن ينقصكم شيئا من الثواب و الأجر على كل عمل تقومون به أو فعلت فعلونه..

إشارة

قالوا: لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة (1) بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال عليه السلام:

ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت منا أمير و منكم أمير؛ قال عليه السلام:

فهلأ (2) احتججتم عليهم (3) بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصى بأن يحسن إلى محسنهم، ويتجاوز (4) عن مسيئهم؟.

قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟.

فقال عليه السلام:

لو كانت الإمامة فيهم لم تكن الوصية بهم.

ثم قال عليه السلام:

فما ذا قالت قريش (5)؟ قالوا: احتجت بأنها شجرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال عليه السلام: احتجوا بالشجرة، وأضاعوا (6) الثمرة.

اللغة

1 - السقيفة: منتدى للأنصار كانوا يجتمعون فيه معمول من خوص النخيل.

2 - هلأ: كلمة تحضيض وحث على الفعل وهي مركبة من هل ولا.

3 - احتججتم عليهم: أتيتم بالحجة عليهم وهي الدليل والبرهان.

4 - تجاوز: المكان تخطاه وتجاوز عن سيئاته تركها ولم يؤاخذ بها.

ص: 402

5 - قريش: قبيلة عربية منها النبي (صلى الله عليه وآله).

6 - أضاعوا: الثمرة أهملوها، أتلفوها والضياع هو الهلاك.

## الشرح

(فهلا احتججتهم عليهم بأن رسول الله وصى بأن يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم) ذكرنا سابقا - في الخطبة الشقشقية - أبناء السقيفة و منطلق أهلها بحيث أعطينا صورة وافية لا تخل بالمطلوب و لا تزرع الملل و السأم عند من يريد أخبارها و بعبارة موجزة تنسجم مع كلام الإمام هنا نقول: اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة عند ما علموا بوفاة رسول الله و أرادوا أن يبايعوا أحدهم ليكون خليفة على المسلمين و لكن أبا بكر و عمر و عبد الرحمن بن عوف علموا بالاجتماع فتركوا النبي مسجى لم يتم تجهيزه و دفنه و دخلوا عليهم فأفسدوا عليهم خطتهم و حولوا الخلافة لصالح أبي بكر فبويع خليفة من قبل من كان في السقيفة و وصلت الأنباء إلى الإمام فكان منه هذا الحديث الذي رد فيه على الأنصار كما رد على قريش و ما احتجت فيه لصالحها عند ما حولت الخلافة لها دون الأنصار...

كان العزم من الأنصار أن يبايعوا سعد بن عباد و كادت كلمتهم تجتمع على ذلك و إذا بأبي بكر و عمر و عبد الرحمن بن عوف يفاجؤهم فيسقط ما في أيديهم و يدب الخلاف فيما بينهم و يدور حوار يصل فيه ضعف الأنصار أن قالو: منا أمير و منكم أمير..

و يصل هذا الأمر إلى الإمام فيقول في بيان فساد هذا الرأي لمن أخبره: فهلا احتججتهم عليهم بأن رسول الله وصى بأن يحسن إلى محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم و لكن المخاطبين لم يفهموا وجه الحجة في هذا الكلام العلوي فقالوا له: و ما في هذا من الحجة عليهم.

فقال مفسرا لهم و مفهما: لو كانت الإمامة فيهم لم تكن الوصية بهم أي لو كان الحكم لهم و بيدهم السلطان لم يكونوا بحاجة إلى الوصية بهم فإن الناس تخاف ظلم السلطان و جوره فلو كان السلطان لهم فقد أمنوا الظلم فتنفني الوصية بهم و لم يعد للوصية بهم من مبرر و لكن باعتبار أن النبي وصى بهم يدل ذلك على أنهم لا حظ لهم في الخلافة و لا تكون لهم.. ثم قال الإمام و ما ذا قالت قريش و ما هي حجتها في انتزاع الخلافة لنفسها؟.

قالوا له: احتجت بأنها شجرة الرسول فالرسول يرجع إليها و هو منها فيجب أن تعود إليها الفوائد و العوائد فقال لهم الإمام «احتجوا بالشجرة و أضاعوا الثمرة».

احتجوا بأن رسول الله منهم و بهذه القرابة ربحوا الجولة على الأنصار و انتصروا عليهم و عادوا بالخلافة و لكنهم نسوا أن أهله أقرب إليه من جميع قريش بما فيهم من تولى الخلافة، فإن الإمام من أقرب الناس إلى رسول الله فهو ابن عمه و زوج الزهراء ابنته و والد ولديه الحسن و الحسين.. فما احتجت به قريش على الأنصار يحتج به عليها فإن كانت حجتها صحيحة في انتزاع الخلافة يجب أن تنتزع منها الخلافة، إنها احتجت بالقرابة فنحن أقرب منها و إلا فالأنصار لهم الخلافة و لا يجوز انتزاعها منهم..

ص: 404

## اشارة

لما قلد محمد بن أبي بكر مصر فملكته عليه وقتل وقد أردت تولية (1) مصر هاشم بن عتبة؛ ولو وليته إياها لما خلى (2) لهم العرصة (3)، ولا أنهزهم (4) الفرصة (5)، بلا ذم لمحمد بن أبي بكر، ولقد كان إليّ حبيبا، وكان لي ربيبا (6).

## اللغة

1 - التولية: جعله واليا أي حاكما.

2 - خلى: ترك.

3 - العرصة: ساحة الدار، كل بقعة ليس فيها بناء والمقصود هنا دار الحرب.

4 - أنهزهم: أمكنهم.

5 - الفرصة: جمعها فرص، الوقت المناسب والنهضة.

6 - الريب: ابن زوجة الرجل من غيره إذا تربى عنده.

## الشرح

## اشارة

(وقد اردت تولية مصر هاشم بن عتبة و لو وليته اياها لما خلى لهم العرصة و لا أنهزهم الفرصة بلا ذم لمحمد بن أبي بكر و لقد كان إليّ حبيبا و كان لي ربيبا) عند ما تولى الإمام الخليفة أرسل قيس بن سعد إلى مصر واليا ثم استدعاه و ولي محمد بن أبي بكر فلما كانت وقعة صفين اضطرب الأمر في مصر و كان معاوية قد أعطاهم عمروا طعمة و وجهه إليها و معه ستة آلاف فارس...

عرف محمد بعمر و قدومه فانتدب الناس فخرج معه أربعة آلاف رجل فوجه منهم

ألفين مع كنانة بن بشر لاستقبال عمرو و بقي هو في ألفين فأبلى كنانة في ذلك اليوم بلاء حسنا وقاتل حتى قتل فلما علم أصحاب محمد بذلك تفرقوا عنه فهرب محمد و اختفى عن الأنظار ظنا منه أنه ينجو بنفسه فالتجأ إلى خربة أختبئ فيها و دخل عمرو الفسطاط و وجه معاوية بن خديج أحد قادة جنده يبحث عن محمد فوجده في الخربة فأخذه و قتله و وضعه في جيفة حمار و أحرقه و عند ما وصل نبأ شهادته إلى الإمام قال هذه الكلمة: قد أردت تولية مصر هاشم بن عتبة الملقب بالمرقال و لو وليته إياها لما ترك مصر و ساحة الحرب فيها و لا سمح لهم بوقت يستطيعون فيه تحقيق شيء من أحلامهم و آمالهم...

و هذا الكلام منه ثناء على هاشم بن عتبة و مدح له و خوفا من أن يفهم الحضور أنه يذم محمدا قال: بلا ذم لمحمد بن أبي بكر لأن محمدا كان مخلصا طيبا و لكن ليست له خبرة هاشم و تجربته و بين الإمام و علل عدم ذمه لمحمد بأمرين...

الأول: أنه كان حبيبا له و من كان يحبه الإمام لا شك أنه مؤمن طاهر مطيع لله و رسوله و قد كان محمد كذلك...

الثاني: أنه كان ربيبا له و بمستوى أولاده فقد عاش في بيته و رضع من لبناته و جاءته النجابة من تلك الأوقات الطيبة التي عاشها في كنفه و قد كان الإمام يقول: محمد ابني من ظهر أبي بكر..

### ترجمة محمد بن أبي بكر:

محمد بن أبي بكر و أمه أسماء بنت عميس الخثعمية ولدته في طريق المدينة إلى مكة في حجة الوداع سنة عشرة للهجرة.

تربى محمد في حجر الإمام علي لأنه تزوج أمه بعد وفاة أبي بكر و قد نشأه الإمام على الإسلام و رباه على الإيمان فجاء طيب القلب ناسكا عابدا محبا للخير..

و قد ولاه عثمان على مصر بدل ابن أبي سرح تحت ضغط المصريين المطالبين بإقالة عبد الله بن أبي سرح و لما كتب له كتاب الولاية و سار و من معه مسيرة ثلاث من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير و هو يخطب البعير خبطا كأنه رجل يطلب أو يطلب..

فقال له أصحاب محمد بن أبي بكر: ما قصتك؟ و ما شأنك؟ كأنك هارب أو طالب فقال لهم مرة: أنا غلام أمير المؤمنين و قال أخرى: أنا غلام مروان وجهني إلى عامل مصر برسالة ثم فتشوه فوجدوا معه كتابا من عثمان يأمر فيه ابن أبي سرح أن يحتال

لقتل محمد و إبطال الكتاب و أن يقر على عمله فلما قرأ محمد الكتاب عاد و من معه إلى المدينة و عرض الكتاب على أصحاب النبي (صلى الله عليه و آله) فنقموا على عثمان و تصرفاته بل ازدادت النعمة...

اشترك محمد في قتل عثمان كما في بعض الروايات و في بعضها أنه كاد و لم يفعل...

اشترك مع الإمام في حرب الجمل ضد أخته أم المؤمنين عائشة و ضد طلحة و الزبير.

و لما انجلت المعركة عن هزيمة أصحاب الجمل دخل على أخته عائشة فسلم عليها فلم تكلمه.

فقال لها: أنشدك الله أ تذكرين يوم حدثني عن النبي (صلى الله عليه و آله) أنه قال: الحق لن يزال مع علي و علي مع الحق و لن يختلفا و لن يفترقا.

فقلت: نعم.

ولاه الإمام مصر بعد قيس بن سعد و بعد صفين و اضطراب الأمر و جه معاوية عمرو بن العاص إلى مصر و كان قد أعطها له طعمة فدخلها و معه ستة آلاف رجل فقام محمد في أهل مصر و خطبهم و حضهم على قتاله فانتدب معه أربعة آلاف رجل فوجه منهم ألفين مع كنانة بن بشر لاستقبال عمرو و بقي هو في ألفين و قد أبلى كنانة بلاء حسنا و قاتل حتى قتل فلما رأى أصحاب محمد ذلك تفرقوا عنه فهرب متخفيا حتى انتهى إلى خربة فدخل عمرو و الفسطاط و خرج معاوية بن خديج في طلبه فظفر به و كاد يموت عطشا فأخذه و ضرب عنقه ثم وضع جثته في جيفة حمار و أحرقها و لما بلغ الإمام مقتله حزن عليه حتى رئي ذلك فيه و تبين في وجهه.

و عند ما قدم عبد الرحمن بن المسيب (1) الفزاري على الإمام و أخبره بفرح أهل الشام و سرورهم بقتله و قوله: ما رأيت يوما قط سرورا مثل سرور رأيت به بالشام حين أتاهم نبأ قتل محمد بن أبي بكر فقال علي: أما إن حزننا على قتله على قدر سرورهم به، لا بل يزيد أضعافا..

و لما بلغ عائشة مقتله جزعت جزعا شديدا و قنتت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية بن أبي سفيان و عمرو بن العاص و معاوية بن خديج و حلفت لا تأكل شواء بعد 1.

ص: 407

1- ابن أبي الحديد في شرح النهج ج - 6 ص 61.



قتل محمد فلم تأكل شواء حتى ماتت، و ما عثرت قط إلا قالت: تعس معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص و معاوية بن خديج.

قتل محمد سنة 38 للهجرة...

### ترجمة هاشم بن عتبة:

قال صاحب الإصابة:

هاشم بن عتبة بن أبي وقاص بن أهيب بن زهرة بن عبد مناف الزهري الشجاع المشهور المعروف بالمرقال ابن أخي سعد بن أبي وقاص.

لقب بالمرقال لأنه كان يرقل في الحرب أي يسرع من الارقال و هو ضرب من العدو.

وقال ابن الكلبي و ابن حبان له صحبة.

وقال أبو أحمد الحاكم يكنى أبا عمر و عده بعضهم في الصحابة.

وقال الخطيب: أسلم يوم الفتح و حضر مع عمه حرب الفرس بالقادسية و له بها آثار مذكورة.

و في أعيان الشيعة «و في كتاب لباب الآداب: أمد عمر بن الخطاب سعد بن أبي وقاص في حرب القادسية بجيش عليه هاشم بن عتبة المرقال فوصلهم و العسكران متواقفان المسلمون و رستم فوقف هاشم مقابل موكب منهم ثم أخذ سهمًا فوضعه في قوسه و رماهم فوق سهمه في أذن فرسه فخلها فضحك و قال: و اسوأته من رمية رجل كل من نرى ينتظره؛ أين ترون كان سهمه بالغًا لو لم يصب أذن الفرس قالوا: العتيق و هو نهر خلف ذلك الموكب فنزل عن فرسه ثم سار يضربهم بسيفه حتى أوصلهم العتيق ثم رجع إلى موقفه...

و قد حضر اليرموك و فقئت عينه بها و هو الذي افتتح جلولاء و كانت جلولاء تسمى فتح الفتوح...

و شهد صفين مع علي و كانت معه الراية و هو على الرجالة.

قتل هو و عمار بن ياسر في تلك الموقعة سنة 38.

ص: 408

إشارة

في توبيخ بعض أصحابه كم أداريكم (1) كما تدارى البكار (2) العمدة (3)، و الثياب المتداعية (4)! كلما حيصت (5) من جانب تهتكت (6) من آخر، كلما أطلّ (7) عليكم منسر (8) من مناسر أهل الشام أغلق كلّ رجل منكم بابه، و انجح (9) انجحار الضبّة في جحرها (11)، و الضبع (12) في وجارها (13). الدليل و الله من نصرتموه! و من رمي بكم فقد رمي بأفوق ناصل (14). إنكم - و الله - لكثير في الباحات (15)، قليل تحت الزّيات (16)، و إني لعالم بما يصلحكم، و يقيم أودكم (17)، و لكنّي لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي. أضرع الله خدودكم (18)، و أتعس جدودكم (19)! لا تعرفون الحقّ كمعرفتكم الباطل، و لا تبطلون الباطل كإبطالكم الحقّ!.

اللغة

1 - اداريكم: ألاطفكم.

2 - البكار: جمع بكر و هو الفتى من الإبل.

3 - العمدة: هي الإبل التي انشدخت اسنمتها من الداخل و ظاهرها صحيح لكثرة ركوبها.

4 - الثياب المتداعية: الخلقمة المتخرقة.

5 - حيصت: خيطة و الحوص الخياطة.

6 - تهتكت: تخرقت.

ص: 409

7 - أطل: أشرف.

8 - منسر: قطعة من الجيش.

9 - انجر: استتر في بيته.

10 - الضبة: أثنى الضب و الضب حيوان من الزواحف شبيه بالحرذون ذنبه كثير العقد.

11 - الجحر: جمعه أجحار مكان تحتفره السباع و الهوام لأنفسها.

12 - الضبع: ضرب من السباع معروف مؤنثة.

13 - الوجار: بيت الضبع.

14 - أفوق ناصل: الناصل المكسور الفوق، المنزوع النصل و الفوق موضع الوتر من السهم.

15 - الباحات: جمع باحة و هي ساحة الدار.

16 - الرايات: مفردها الراية العلم.

17 - أودكم: اعوجاجكم.

18 - اضرع الله خدودكم: أذل وجوهكم.

19 - أتعس جدودكم: حط من حظوظكم، و التعس الهلاك و الانحطاط.

## الشرح

### إشارة

(كم أداريكم كما تدارى البكار العمدة و الثياب المتداعية كلما حصيت من جانب تهتكت من آخر) عانى الإمام من أصحابه أشد العناء فخاطبهم و عاتبهم و وبخهم و أنكر عليهم و لكن دون فائدة فكأنه كان ينفخ في رماد و هذا الكلام منه لهم يدل على مدى هذه المعاناة و ما كانوا عليه من اللامبالاة.

و بين مدى ملاطفته لهم و أخذهم بالرفق و اللين و شبه هذه المداراة و الملاطفة بما كان يمارسه العرب من مداراة البكر العمدة و هو الفتى من الإبل الذي انشدخ سنامه فانهم يدارونه و يرفقون به و لا يحملونه كغيرهم من الاصحاء فهم مرضى القلوب يهربون من الحمل الثقيل و هو الجهاد و مع ذلك كان يداريهم و يرفق بهم..

ثم شبههم بالثياب البالية التي إذا خيطت و أصلحت من جهة انخرقت و تمزقت من جهة أخرى لعدم تماسكها و هم أيضا كذلك فلم يكذب يصلحهم من جهة إلا و قد فسدوا من



جهة أخرى، ولم يكذب يجمعهم للحرب من ناحية إلا وقد تفرقوا من أخرى...

(كلما أطلّ عليكم منسر من مناسر أهل الشام أغلق كل رجل منكم بابه وانجر انجر الضبة في جحرها والضبع في وجرها) بين عليه السلام شدة خوفهم وفرعهم وما هم عليه من الهلع والهزيمة وقد حكى واقع حالهم وسوء فعالهم وانه عند ما كانت تشرف كتائب معاوية وتطل عليهم وسمعوا بها فعوضا عن مقابلتها ومطاردتها وجهادها يغلق كل رجل منهم باب بيته ويدخله فزعا وخوفا أن يقع بين يدي ذلك الجيش الغازي المعادي وشبههم بأنثى الضب وأنثى الضبع في الجبن والغباء.

أقول: وما أشبه الليلة بالبارحة وما أشد انطباق هذا الكلام على واقعنا العربي والإسلامي حيث تعيش إسرائيل التي احتلت فلسطين وشردت أهلها تعيش بآلتها العسكرية تدمر وتخرب، تغزو سماء لبنان وتضرب العراق وتجتاز إلى أوغندا وتقتل الفلسطينيين في تونس وكل قطر يسأل الله العافية ويدعوه أن يرفع عنه بلاء إسرائيل ويقول: انج سعد فقد هلك سعيد...

(الدليل والله من نصرتموه) بين أن نصرهم لإنسان إذلال له وهزيمة لأنهم جناء المواقف لا يجمعهم رأي ولا يوحد كلمتهم مقام يهربون من مواجهة الأعداء ويجبنون عن ملاقاته الخصماء...

(ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل) ثم شبههم بالسهم المنزوع النصل المكسور الفوق الذي لا يرمى به وإذا رمى به لا يصيب وكذلك حالهم فإذا وجههم الإمام إلى جهة أو إلى عدو فلن يصيب بهم عدوه ولن ينتصر بهم عليه بل هم مصدر الهزيمة والتراجع...

(إنكم والله لكثير في الباحات قليل تحت الرايات) وهذه صفة ذم ودليل انهيار المجتمع وفساد الأمة يصف بها الإمام أهل العراق.. إنهم كثيرون في النوادي والملاهي والملتمى العام الذي يقصده الباطلون والعاطلون ولكنهم قليلون في ساحات الجهاد وفي مواجهة الأعداء، ففي المواطن التي يجب أن يكون فيها الرجال فهم مفقودون وفي المواطن التي يجب أن ينتزه عنها الشرفاء وأصحاب الكرامة فهم موجودون بكثرة...

(وإني لعالم بما يصلحكم ويقم أودكم ولكني لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي).

### علي عارف بما يصلح الناس:

وهذه حقيقة تمتع بها ابن أبي طالب وانفرد بها عن كل رجالات الحكم والسياسة ورد في هذه الكلمة على ما يمكن أن يكون قد سمعه من بعض أصحابه المخلصين له

الذين كانوا يشيرون عليه بما يكتسب به ود الناس و عطفهم عليه و إعانتهم له و هذه الكلمة يردّ بها على بعض من لا يفهم عليا و لا طريقته في الحياة. بعض الذين يتصورون عليا رجل الحكم و السلطة من أجل الحكم و السلطة كما اعتادوا و كما رأوا...

إن الإمام بدون شك على معرفة عظيمة بالحياة و بالأحياء و قد كان يتمتع بذكاء منقطع النظير و ثقافة اسلامية قرآنية محمدية إلهية لا يعدله أحد من المسلمين، و من قرأ سيرة هذا الرجل و وقف على علمه و حلمه و حكمته و عدله و معرفته بالأمر أدرك أنه نموذج فريد في نوعه هذا إذا انصفنا الرجل و كانت حساباتنا معه كما تحاسب الناس الذين لا يتمتعون بعصمة إلهية...

أما إذا كانت العصمة من مختصات فترتفع جميع التساؤلات و تسقط كل الاستفهامات لأن المعصوم لا يقع في خطأ بل يدرك وجه المصلحة و الحق و العدل في كل أمر...

أقول: إذا كان الإمام بحساب الناس أفضلهم عقلا و علما و دراية و حكمة هل يفوته معرفة ما يصلح الناس و خصوصا إذا أشير عليه و بالأخص إذا عرف أسلوب عدوه مع الناس و شراء ضمائر الناس...

إن الإمام يعرف ما يصلح الناس و هو يصرح بهذا في هذه الكلمة.. إنه السيف و السوط و شراء الضمائر و استمالة القلوب كان باستطاعة الإمام أن يأخذ الناس بالقوة كما كان يأخذهم غيره... ينكلّ بمن لا يطيع و يقتل من يتمرد و يقضي على من يخالف...

كان بمقدوره أن يرشي الزعماء و الوجهاء و المجتمع لا يزال يعيش روح القبيلة و العشيرة فيعين هذا حاكما و ذاك واليا و يعطي هذا من أموال المسلمين و يقتطع لذلك قطعة من الأرض و هكذا...

كان بمقدور الإمام أن يفعل كل ذلك و لكن في ذلك مخالفة لله و معصية لحكمه، في ذلك انحراف و إضلال ينتزه عنه الإمام...

الإمام رجل يسنّ الطريق لمن بعده و يؤسس للأجيال و للعالم منهجا عدلا فهل يبدأ طريقه بالانحراف و أساسه بالاختلال، إن هذا لا يكون فيمن أراد أن يرسم الدرب و يقيم العدل و يضع للأجيال المبدأ السليم...

إنه يعرف ما يصلحهم و ما يجعلهم على الحق و العدل و لكن ذلك يضرب به كمشرع يريد أن يرسم للناس الطريق السليم...

(أضرع الله خدودكم و أتعس جدودكم) دعى عليهم بالذل أن يصيبهم كما أدلوا

مواقفه و لم يواجهوا معه عدوه و أن يقلل حظوظهم و يهلكها فلا يرون خيرا لهروبهم من وجه الحق...

(لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل و لا تبطلون الباطل كإبطالكم الحق) و هذه علة دعائه عليهم إنهم لا يبحثون عن الحق و يتعرفون عليه كما يبحثون عن الباطل و يعرفونه، فمعرفتهم بالباطل عميقة و ضليعة على خلاف ما يجب أن يكون عليه الإنسان الصالح في المعرفة.

و أما في العمل فإنهم يسعون في إبطال الحق و يجدون في ذلك أكثر مما يجدون في إبطال الباطل عكس ما يجب أن يكون عليه السلام، فهم يخالفون قواعد الإيمان نظرة و عملا منهجا و التزاما...

ص: 413

## 70 - و قال عليه السلام في سحرة اليوم الذي ضرب فيه

### إشارة

ملككتني عيني (1) و أنا جالس، فسنح (2) لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت: يا رسول الله، ما ذا لقيت (3) من أمتك من الأود (4) و اللدد (4)؟ فقال: «ادع عليهم» (6) فقلت: أبدلني الله بهم خيرا منهم، و أبدلهم بي (7) شرّ الهم منّي.

قال الشريف: يعني بالأود الاعوجاج، و بالدد الخصام. و هذا من أفصح الكلام.

### اللغة

1 - ملككتني عيني: غلبني النوم.

2 - سنح: لي عرض لي و مرّ بي.

3 - لقيت: صادفت و استقبلت.

4 - الأود: الاعوجاج.

5 - اللدد: الخصام.

6 - دعا عليه: طلب نزول السوء به.

7 - أبدلني: به عوضني عنه و اخلف علي عوضه.

### الشرح

(ملككتني عيني و أنا جالس فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله ما ذا لقيت من أمتك من الأود و اللدد؟.

ص: 414



فقال: «ادع عليهم» فقلت: أبدلني الله بهم خيرا منهم و أبدلهم بي شرا لهم مني) منام صادق يحكيه الإمام: فبينما هو جالس و إذا به ينام فيرى رسول الله بطلعته المباركة الكريمة، يلتقي الحبيب بالحبيب و الروح بالروح.. طلعة غيبها الموت فاستحضرها المنام.. و ما أن يتم اللقاء حتى يقوم الولد البار بشرح مشاكله و ما يعترض سبيله أمام الوالد الحنون... في تلك اللحظات و من شدة المعاناة و من أشد الحالات صعوبة..

في تقاوم الأزمة وحدثها ينطلق لسان الإمام ليسكو إلى الرسول ما لاقاه من الأمة من الانحراف و من الخصام.. شرح له عناوين السقيفة و انحراف الخلافة و سلبها منه و غضب الزهراء حقها و ضرب متنها.. شرح له ما مارسه الظالمون من سلب الحقوق ثم لما عادت إليه الخلافة كيف قام القاسطون و المارقون و الباغون في قتاله...

لقد ضاق صدر الإمام من الأحداث و من الناس، فالأحداث متتالية متتابعة و الناس لا تسمع و لا تطيع فأخذت هذه من نفسه فراح يشرح لرسول الله ما جرى و يبثه الشكوى بحرارة.. و يستمع الرسول و هو لا شك متأثر حزين فيقول له: ادع عليهم.

فينطلق لسان الإمام من عذاباته و جراحاته و عمق مأساته فلا يجد إلا هذا الدعاء يطلب فيه أن يبدله الله أصحابا خيرا من أصحابه الذين عصوه و تمردوا على رأيه و عاندوه و رفضوا كل عروضه التي فيها عزتهم و كرامتهم و مقامهم الرفيع كما دعا عليهم أن يبدلهم شرا منه و هو لا شرف فيه و لكن بنظرهم أنه يوردهم موارد الحرب و القتال و هم لا يريدون ذلك و قد استجاب الله دعاءه فأبدله منهم مرافقة النبي محمد و آله و الشهداء و الصالحين كما أبدلهم به و لاة ظلمة ما رسوا عليهم أبشع صور الاضطهاد و القهر فكان معاوية الطاغية و حكام بني أمية و أزلامهم من الحجاج و ابن زياد و المغيرة بن شعبة فأذاقوهم المرارات و أكلوا لحومهم و هم أحياء..

إشارة

في ذم أهل العراق وفيها يوبخهم على ترك القتال والنصر يكاد يتم، ثم تكذبيهم له أمّا بعد يا أهل العراق، فإنّما أنتم كالمرأة الحامل (1)، حملت فلما أتمت (2) أملصت (3) و مات قيّمها (4)، و طال (5) تأيّمها (6)، و ورثها أبعدّها.

أما والله ما أتيتكم اختياراً؛ و لكن جئت إليكم سوقاً (7). و لقد بلغني أنّكم تقولون: عليّ يكذب، قاتلكم الله تعالى! فعلى من أكذب؟ أعلى الله؟ فأنا أوّل من امن به! أم على نبيّه؟ فأنا أوّل من صدّقه! كلاًّ والله، لكنّها لهجة (8) غبتم عنها، و لم تكونوا من أهلها، ويل أمّه (9) كيلاً (10) بغير ثمن! لو كان له وعاء (1). «و لتعلمنّ نبأه بعد حين».

اللغة

1 - الحامل: الحبل و الحمل بتسكين الميم ما في البطن من ولد.

2 - أتمت: أكملت.

3 - أملصت: المرأة ألقت ولدها سقاطاً.

4 - القيم: المتولي على الشيء و قيّم المرأة زوجها.

5 - طال: نقيض قصر، امتد و استمر.

6 - التأيم: من لا زوج له امرأة أم رجلاً.

7 - السوق: الاضطرار.

8 - اللهجة: اللسان، الكلام.

9 - ويل أمّه: في الأصل كلمة دعاء عليه و لكن تستعمل في مقام المدح أو استعظام الأمر.

10 - الكيل: آلة يكال بها مقابلة للموازين.

11 - الوعاء: ما يجمع فيه الشيء و يحفظ.

## الشرح

(أما بعد يا أهل العراق فإنّما أنتم كالمرأة الحامل حملت فلما أتمت أملصت و مات.

قيّمها و طال تأيمها و ورثها أبعدها) في صفين لاح النصر للإمام بل لم يبق بينه و بين الوصول إليه مقدار عدو الفرس حتى وصل الأمر بمعاوية أن وضع رجله في ركاب فرسه و همّ بالفرار في تلك الأثناء ترفع المصاحف و يدعو أهل الشام بخدعة عمرو بن العاص أنهم يحتكمون إليها و عرف الإمام و بعض أصحابه ذلك و لكن كثيرا من جنده لم يقف على الخدعة فاستجاب للنداء و أجبر الإمام على التحكيم و قد خطب الإمام فيهم و نبههم إلى ذلك و لكنهم لم يسمعوا له و لم يطيعوا له أمرًا فعزّ عليه أن يفوت النصر منه و بقيت غصة في حلقه يرددها لأهل العراق و بيّن حالهم و ما هم عليه من الخسارة و ما أصابهم من الهزيمة جراء مخالفة أمره...

و قد شبههم هنا بالمرأة الحامل التي فرحت بحملها و استبشرت به فلما أتمت أشهر الحمل و أشرفت على الوضع أسقطت مولودها ميتا بضربة أو لطمة أو حادثة فانقلب ذلك الفرح إلى حزن و ألم ثم مات بعلها الذي كان يتولى شؤونها و كفالتها فازداد حزنها و همها و كبرت مصيبتها و بقيت هكذا بدون خاطب حتى ماتت فورثها البعيد عنها الذي لا صلة له قريبة معها و هكذا كان فقد أشبهوا المرأة الحامل بأنهم كانوا على أتم الاستعداد و على أكمل عدة و أشبهوا إتمام حملها بمشارفتهم للنصر و اقتطاف ثمرته و أشبهوا إملاصها بتراجعهم عن القتال و قبول التحكيم، و ذلك رجوع غير معقول و ليس طبيعيا كما إن الاسقاط غير طبيعي من المرأة ثم شبّه عصيانهم له بموت قيم المرأة فكما أنها تفقد الراعي و القائم بالشؤون كذلك هو قد فقد ذلك بعصيانهم له و أخيرا أشبهوا المرأة التي فقدت الولد و الزوج و ورثها عند موتها البعيد كذلك هم فقد ملكهم من هو بعيد عنهم و من لا يستحق الخلافة أبدا و لا تحل له بوجه فقد حرم النبي الخلافة على الطلقاء و قال:

لا تحل الخلافة لطليق و معاوية واحد منهم...

(أما و الله ما أتيتكم اختيارا و لكن جئت إليكم سوقا) لم يأت الإمام إلى العراق و لم ينزل بأرضها اختيارا فقد عاش في المدينة المنورة و إلى جوار قبر الرسول طيلة حياته و لم يغادرها إلا عند ما خرج لقتال أهل الجمل و معاوية فاتخذ الكوفة مقرا لحكمه لقربها من

معاوية ولأن بها من أنصاره كثرة.. لقد جاءت به الأقدار وأحكام الاضطراب وقد ساق لهم ذلك ليبيّن كراهته للقيام بينهم وعدم محبته لهم...

(ولقد بلغني أنكم تقولون: علي يكذب قاتلكم الله تعالى فعلى من أكذب؟ أعلى الله؟ فأنا أول من آمن به! أم على نبيه؟ فأنا أول من صدقه كلا والله) خلق علي لغير زمانه وبدل أن يختلفوا إليه اختلفوا فيه، لم يعرفه أقرب الناس إليه حق معرفته، ضل فيه أناس فعبدوه لما وجدوا منه ما يعجز البشر ويفوق طاقتهم وقد كفره آخرون وكذبوه لأن عقولهم لم تقدر على استيعاب ما يعمل ويقول وبين هذا وذاك بقي علي مجهول القدر وإلى يومنا هذا لم يعط حقه ولم يدرك قعره ولم تعرفه الأمة أو تقف على كنهه...

كان الإمام قد تلقى العلم عن النبي (صلى الله عليه وآله) وقد وقف منه على ما كان وما يكون وما يجري عليه وعلى الأمة وما سيجري من أحداث وقضايا فكان يخبر بها أصحابه وأتباعه فتنتطلق الأفواه الكاذبة المكذبة لترميه بما هو برىء منه وبعيد عنه.. رموه بالكذب ووصلت أنباء تكذيبه إليه فكانت هذه الكلمات بما تحوي من مرارة وبيّن كذب مقاتلهم وبطالانها...

أبعدكم الله عن رحمته لأنكم لم تحفظوا حق الله في عبده حيث كذبتُموني بدون حجة.

وبيّن هل يكذب علي الله فهو أول من آمن بالله ومن كان السابق إلى الإيمان لا ينقض إيمانه وبيطله..؟ أم على رسول الله وهو أول من صدق وآمن به رسولا ونبياً فلن يكون مكذبا له أو كاذبا عليه إذن كلا لم تصدق دعواكم إني أكذب فيما أخبر وأقسم بالله على بطلانها وبطالان ما يدعون عليه من أنه يكذب تأكيدا لقوله.

(لكنها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من أهلها ويل أمه كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء وتعلمن نبأ بعد حين) أوضح سبب تكذبيهم له بأنهم لم يفهموا ما يقول لأن عقولهم لا تدرك ما يخبر به ولم تقف على تحليله ومعرفته لنقصانها وقصورها.. أو أن ما وصل إليه عن النبي كانوا في غياب عنه ولم يكونوا من أهله ومن أهل معرفته...

ثم قال لذلك المكذب ويل أمه وهو تعجب منه أو دعاء عليه فليأخذ ما أعطيه فإنه بغير ثمن وليستمع لما أقول فإنه ليس في مقابله شيء إنني ألقيه فليستمع إليه ولينصت ولكن من أين آتي بالقلوب القابلة المستجيبة التي تسمع وتعني ما أقول.

وسياتي بعد مدة أنباء ما أخبركم به بعد رحيلي عنكم واستيلاء معاوية على الحكم فإنكم ستبتلون بأشد المحن وأسى العذاب...

إشارة

علم فيها الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وفيها بيان صفات الله سبحانه و صفة النبي و الدعاء له

صفات الله

اللهم داحي (1) المدحوات (2)، و داعم (3) المسموكات (4)، و جابل (5) القلوب على فطرتها (6): شقيها و سعيدها.

صفة النبي

اجعل شرائف (7) صلواتك، و نوامي (8) بركاتك، على محمد عبدك و رسولك الخاتم لما سبق (9)، و الفاتح لما انغلق (10)، و المعلن (11) الحق بالحق، و آدافع جيشات (12) الأباطيل (13)، و الدامغ (14) صولات (15) الأضاليل (16)، كما حمل فاضطلع (17)، قائما بأمرك، مستوفزا (18) في مرضاتك، غير ناكل (19) عن قدم (20)، و لا واه (21) في عزم، و اعيا لوحيك (22)، حافظا لعهدك، ماضيا على نفاذ أمرك؛ حتى أوري (23) قيس القابس (24)، و أضياء الطريق للخابط (25)، و هديت به القلوب بعد خوضات (26) الفتن (27) و الآتام (28)، و أقام بموضحات (29) الأعلام (30)، و نيرات (31) الأحكام، فهو أمينك المأمون، و خازن علمك المخزون (32)، و شهيدك (33) يوم الدين (34)، و بعينك (35)، بالحق، و رسولك إلى الخلق.

## الدعاء للنبي

اللَّهُمَّ افسح (36) له مفسحا في ظلِّك (37)؛ و اجزه (38) مضاعفات الخير (39) من فضلك. اللَّهُمَّ وأعل على بناء البانين بناءه، وأكرم لديك منزلته، وأتمم له نوره، و اجزه (40) من ابتعائك له مقبول الشَّهادة، مرضيَّ، المقالة، ذا منطق عدل، و خطبة فصل. اللَّهُمَّ اجمع بيننا وبينه في برد العيش (41) و قرار التَّعمة (42)، و منى الشَّهوات (43)، و أهواء اللذات، و رخاء (44) الدعة (45)، و منتهى الطمأنينة، و تحف (46) الكرامة.

## اللغة

1 - داحي: باسط.

2 - المدحوات: المبسوطات و هي الأرضون.

3 - داعم: حافظ الشيء بالدعامة و هي ما يستند به فيمنع المسند من الوقوع.

4 - المسموكات: هي السماوات و المسموك هو المرفوع.

5 - الجابل: الخالق و جبلة الإنسان خلقتة.

6 - الفطرة: الخلقة التي يولد عليها الإنسان قبل أن تتلاعب به الأهواء و الآراء.

7 - الشرائف: جمع شريفة.

8 - نوامي: زوائد.

9 - الخاتم لما سبق: الختم الطبع و الأقفال و ما سبق هم الأنبياء.

10 - انغلق: من الغلق و هو الإقفال.

11 - المعلن: المظهر.

12 - جيشات: جمع جيشة من جاشت القدر إذا ارتفع غليانها.

13 - الأباطيل: جمع باطل إذا فسد و سقط حكمه.

14 - الدماغ: من دماغه إذا شجَّه حتى بلغت الشجَّة الدماغ.

15 - صولات: جمع صولة و هي السطوة.

16 - الأضاليل: جمع ضلال و هو الانحراف.

17 - اضطلع: بالأمر نهض به قويا و الضلعة القوة.

ص: 420

- 18 - مستوفزا: مسرعا.
- 19 - ناكل: ناكص، متأخر.
- 20 - القدم: المشي إلى الحرب.
- 21 - الواهي: الضعيف.
- 22 - واعيا لوحيك: فاهما و حافظا.
- 23 - أوري: وري الزند إذا أخرج ناره.
- 24 - و القبس: شعلة من النار و القابس هو الذي يطلب النار.
- 25 - الخابط: الذي يسير ليلا على غير جادة واضحة.
- 26 - خوضات: جمع خوضة و هي المرة الواحدة و خضت الماء دخلت فيه.
- 27 - الفتن: مفردها فتنة و هي الضلال و الكفر.
- 28 - الآثام: المعاصي.
- 29 - الموضحات: جمع موضحة و هي التي توضح الأمور و تكشفها.
- 30 - الأعلام: جمع علم و هو ما يستدل به على الطريق كالمنار و نحوها.
- 31 - نيرات: ذوات النور.
- 32 - المخزون: المحفوظ.
- 33 - شهيدك: شاهدك.
- 34 - يوم الدين: يوم الجزاء و الحساب.
- 35 - بيعثك: مبعوثك فعيل بمعنى مفعول.
- 36 - أفسح له: وسع له.
- 37 - أظل الله: بره و خيره و عطاياه.
- 38 - أجزه: من الجزاء و هو الأجر و المكافأة.



39 - مضاعفات الخير: أطواره و درجاته.

40 - المقالة: الكلام، و الحجّة.

41 - برد العيش: لا نزاع فيه و لا خصام.

42 - قرار النعمة: مستقرها.

43 - منى الشهوات: ما تتعلق به الأمانى من الشهوات.

44 - الرخاء: سعة الحال.

45 - الدعة: السكون و الطمأنينة.

46 - التحف: جمع تحفة ما يكرم به الإنسان من البر و اللطف.

ص: 421

(اللهم داحي المدحوات و داعم المسموكات و جابل القلوب على فطرتها شقيها و سعيدها) في هذه الخطبة تمجيد لله و بيان لعظيم قدرته و هذه مقدمة يدخل منها الإمام إلى الدعاء للنبي و بأنواع الأدعية التي يتصورها له.

دعاء لله بصيغة اللهم و ذكر بعض صفاته العظيمة التي فيها آيات لأولي الألباب إنه سبحانه باسط الأرضين لتستقر عليها الأحياء و الحياة و بسطها باعتبار ما يترأى للناظر قال تعالى: «وَأَلَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا» و رافع السماوات بدعائم قدرته و ما خلقه من الجاذبية و خالق القلوب الشقية و السعيدة و معطيها الاستعداد لكل منهما و تارك الاختيار لها لتتحمل المسؤولية عن الهدى و عن الضلال كما قال تعالى: «وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ» طريق الخير و طريق الشر و قد بين الله كل طريق و أظهر معالمه و أبان حدوده و رسم صورته و دعى الناس إلى طريق الخير و أظهر لهم محاسنه و عواقبه و نتائجه كما بين طريق الشر و أظهر معايبه و عواقبه و مخازيه...

(اجعل شرائف صلواتك و نوامي بركاتك على محمد عبدك و رسولك) بعد أن دعى الله بهذه الصفات الخاصة به ذكر المدعو له و هو النبي و سأله سبحانه أن يجعل أشرف رحماته و أعظمها و أكثرها عليه...

ثم وصف النبي بهذه الأوصاف الكريمة التي يستحق بها هذا التفضيل و هذه البركات و الرحمات و هي كونه عبد الله و العبودية لله صفة مدح كريمة وصف بها الله نبيه حيث قال: سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى... و هي من منظور إسلامي تعني التحرر من كل العبوديات الأخرى، من كان عبدا لله يتحرر من عبودية المادة و الحكم و السلطان و المال و الشهوة و كل الدنيا و ما فيها و بذلك يقترب من الله و يكون معه في كل حركاته و سكناته و يتحول نظره إلى إرادة الله و حكمه و لا يخرج عن أمره و نهيه فيرفض الآلهة البشرية و الوثنية المادية و المعنوية...

و وصفه أيضا بأنه رسول الله و هذه مرتبة لم يبلغها إلا من طابت طينته و طهر عنصره و نقى قلبه فعرف الله منه ذلك فأفاض عليه بركاته و اختصه برسالته يؤدي للناس عنه خطابه و يبلغهم مراده.. قال تعالى: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» .

(الخاتم لما سبق و الفاتح لما انغلق) فقد كان هناك أنبياء، قافلة ابتدأت بأبينا آدم

و استوعبت ابراهيم و نوح و لوط و شعيب و غيرهم من الأنبياء كموسى و عيسى و لكن هذه القافلة المباركة ختمت بمحمد فلا رسول و لا نبي إلى البشرية بعده.. إنه اللبنة الأخيرة في بناء الأنبياء و رسالته الإسلامية هي الأطروحة الأخيرة التي تستوعب الحياة فتخطط لمسيرة هذا الإنسان قبل مولده و إلى ما بعد الموت و على أساسها تحل كل مشاكل الحياة و ما يعترض سبيل هذا الإنسان...

ففي حين كان الأنبياء قبله يأتون من قبل الله بوصفات تعالج أمراض أممهم المؤقتة جاءت رسالة الإسلام لتعالج أمراض الأحياء على امتداد الحياة ما كان منها و ما سيكون و إلى آخر الدنيا...

و كذلك رسول الله هو الذي فتح أبواب الهدى بعد أن أغلقتها الجاهلية بغبانها و ظلمها و هو الذي فتح أبواب الجنة بعد أن كانت الجاهلية قد أغلقتها بشركها و إحادها و كفرها...

(و المعلن الحق بالحق، و الدافع جيشات الأباطيل و الدامغ صولات الأضاليل) و هذه من صفات رسول الله أنه أظهر الحق و هو الإسلام بالبراهين و البيئات المحققة الصادقة التي لا التواء فيها و لا تزوير و قيل أظهر الحق بالحرب المشروعة و هي أيضا تدخل تحت الأولى لأنها إحدى الأدلة التي لا يفهم بعض الناس إلا لغتها فتكون حقا ضروريا...

و كذلك دفع ثوران الأباطيل حيث كان الناس في الجاهلية يعيشون حالة كبيرة من الانحرافات سواء كان على المستوى الفكري أم على المستوى الاجتماعي فهناك الاسفاف في الفكر من عبادة غير الله و التوجه إلى الأصنام و الأوثان كما إن هناك الغارات و الحروب و الاعتداء و الظلم...

فعند ما جاء النبي دفع هذه الأباطيل و قضى عليها بإعادة الفكر إلى مقامه و بتشريع الإسلام في كل مجالات الحياة...

و كذلك قد أهلك المتوثبين إلى الانحراف فبعثته الشريفة كانت إذانا بإعدام الباطل و زواله من الوجود...

(كما حمل فاضطلع) فقد حمل الرسالة فحملها و كان قويا قادرا على ذلك فصل عليه على مقدار ما يناسب هذه القوة في حملها...

(قائما بأمرك مستوفزا في مرضاتك) حاملا رسالتك مع ما فيها من التكليف

والمشقة إذ هي أداة التغيير ووسيلة الصياغة للإنسان من جديد.

مستعجلا في القيام بكل ما يرضيك من فعل الواجبات وترك المحرمات والقيام في هداية الناس وإرشادهم وقد كان النبي يحرص أشد الحرص في الدعوة إلى الله و من أجل هداية الناس...

(غير ناكل عن قدم) لم يتأخر عما يجب أن يتقدم نحوه من جهاد وتبليغ وإرشاد فقد كان أشجع البرية وأشدّها جرأة وإقداما وكيف لا يكون كذلك وقد واجه العرب بل العالم كله وحيدا منفردا...

(ولا واه في عزم) فما يعتقد أنه قوي بما فيه لا يضعف عنه ولا يتردد فيما أخذه فيه من قرار...

(واعيا لوحيك) حافظا وفاهما لما أوحيت به إليه والرسول هو المبيّن للمبهمات، المفصّل للمجملات وقد فسر للمسلمين كتاب الله وبيّن لهم أحكامه وأوضح لهم ما ورد فيه...

(حافظا لعهدك) وقد أخذ الله على الأنبياء حمل الرسالة وأداء الأمانة وقد قام النبي بذلك فحملها وبلغها للناس ولم يترك شاردة أو واردة، صغيرة أو كبيرة إلا وقد أبلغها لهم حتى قال: ما من شيء يقربكم من الجنة إلا وقد أمرتكم به وما من شيء يباعدكم عن النار إلا وقد نهيتكم عنه...

(ماضيا على نفاذ أمرك) مجدا مجتهدا في سبيل تحقيق ما أمرت وإدراك ما طلبت وقد كان يتعب نفسه ويجهداها ويحملها على كل صعب وعسير من أجل حمل الناس على الإيمان والالتزام وطاعة الرحمن.

(حتى أورى قيس القابس) من كان يطلب الهداية ويبحث عنها فقد هداه وفتح أمامه أبواب النجاة، لقد حرك العقول من مكائنها وبيّن لها طريق رشدها، لقد فجر العلوم وحرك العواطف والنفوس فأخذت تعرف طريق الحق وتقتبس من علوم محمد وأنواره ما يضيء لها الطريق ويوصلها إلى جنة النعيم...

(وأضاء الطريق للخابط) فقد كان هناك من يطلب الحق ويبحث عنه وينشده ولكن كانوا لا يعرفون الطريق إليه أو كيفية الوصول فجاء الرسول صلوات الله عليه وعلى آله فبيّن الحق وأوضح الطريق ودل الناس على كل نافع ومفيد، لقد أضاء بيانه وكلامه الطريق الموصل إلى الجنة...

(وهديت به القلوب بعد خوضات الفتن والآثام) بعد أن عاش الناس في اضطراب اجتماعي و ثارت فيهم الفتن و انتشرت المعاصي و كانوا يتقلبون في الحرام و يعيشون الحرام و لا يتورعون عن الحرام بعد هذا جاء النبي فهداهم إلى الحق و ردهم إلى العدل و وجههم للإيمان بالله و العمل بأمره و البعد عن معصيته و نهيه...

(و أقام بموضحات الاعلام و نيرات الأحكام) بين الحجج الواضحة التي تقود إلى الحق و تأخذ بيد الناس إلى شاطئ السلامة كما أظهر الأحكام الشرعية و القوانين الإلهية التي ظهر حسننها و بان فضلها و عرف العالم فوائدها و نفعها...

(فهو أمينك المأمون) محمد هو الأمين قبل نبوته حتى أطلق عليه قومه ذلك و هو الأمين المأمون الذي لا يخون - بزيادة أو نقيصة - على وحي الله و حكمه بعد بعثته...

(و خازن علمك المخزون) فعند محمد من علم الله و أسراره ما ليس عند أحد من البشر لا نبي مرسل و لا ملك مقرب...

(و شهيدك يوم الدين) هو الذي يشهد يوم القيامة للمطيعين كما يشهد على العصيين، و يشهد أنه بلغ الرسالة و أدى الأمانة..

(و بعيتك بالحق) مبعوثك الذي أرسلته بالدين الحق الذي لا باطل فيه و من كان معه الحق و جب متابعتة و التزام أمره.

(و رسولك إلى الخلق) أرسله الله إلى الناس ليعملوا بأمره و يؤدوا ما و جب عليهم بحكمه...

(اللهم أفسح لهم مفسحا في ظلك) أراد عليه السلام أن يختم خطبته بما هو مطلوب من الدعاء و قد طلب للنبي هذه الخيرات و البركات أن يوسع له من رحمته و إحسانه فإن الظل كناية عن الرحمة و العطايا و النعمة...

(و أجزه مضاعفات الخير من فضلك) أعطه يا رب على ما كان من الخيرات على يديه أضعافا مضاعفة من فضلك لأن كل ما نحن فيه ببركاته و كرمه...

(اللهم و اعل على بناء البانين بناءه) اللهم ارفع منزلته فوق كل منازل الأنبياء و اجعل دينه ظاهرا على الأديان كلها فإن كل ما بناه الأنبياء مؤقت و أما ما بناه النبي و نشره من الإسلام فهو الباقي ببقاء الدنيا...

(و أكرم لديك منزلته) اجعله قريبا منك في ظلال رحمتك، في أكرم المنازل و أفضلها.

(وأتمم له نوره) أما في الدنيا فأن يظهر دينه على الأديان كلها حتى لا يبقى إلا المسلم الموحد الذي يرفع شعار الإيمان بالله وبمحمد و  
أما في الآخرة فأن يجعل له النور الكاشف الذي يسير بنوره المؤمنون...

(واجزه من ابتعائك له مقبول الشهادة) دعاء لله أن يعطي النبي أجر ما كان من بعثته و جهاده و أتعبه أن يعطيه قبول الشهادة على من أراد  
خلاصه من النار و قبول الشهادة على كل أمر أراد.

(مرضى المقالة) و أن يرضى الله قوله و الرسول لا يقول إلا الحق و إلا ما يرضى الله.

(ذا منطق عدل و خطبة فصل) حال كون كلامه عدل لا ظلم فيه، و فيه الفصل بين الحق و الباطل و هذه كلها طلبات لزيادة شرفه و مقامه و  
هو صلى الله عليه و آله كذلك و لكن واجب الدعاء و الوفاء و تحصيل الأجر يقتضي هذا المقال...

(اللهم أجمع بيننا و بينه في برد العيش و قرار النعمة و منى الشهوات و أهواء اللذات) سأل الله أخيرا أن يجمع بينه و بين الرسول في هذه  
الأمور الطيبة المطلوبة و الأشياء المحبوبة المرغوبة سأل الله أن يجمع بينه و بين الرسول في برد العيش و هي الجنة و نعيمها التي لا تعب  
فيها و لا نصب و برد العيش عند العرب أي الحالة التي لا حرب فيها و لا نزاع...

و أن يكون و الرسول في قرار النعمة و هي النعمة المستقرة التي لا تزول و هي الجنة و نعيمها.

(و منى الشهوات و أهواء اللذات) ما تتمناه شهوات الإنسان و ترغب فيه و تهواه و تحبه من الملذات من حور و قصور و بناء دور...

(ورخاء الدعة و منتهى الطمأنينة و تحف الكرامة) أن يكون هناك في سكون و هدوء ناعم واسع و اطمئنان في غاية الاطمئنان حيث السلامة  
من كل آفة و عاهة و عيب مع الاكرام بنفائس الكرامة في دار المقامة... حيث لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر..

إشارة

قاله لمروان بن الحكم بالبصرة قالوا: أخذ مروان بن الحكم أسيرا يوم الجمل، فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فكلماه فيه، فخلى سبيله، فقالا له: يبايعك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام:

أ ولم يبايعني (1) بعد قتل عثمان؟ لا حاجة لي في بيعته! إنَّها كفّ يهوديّة (2)، لو بايعني بكفّه لغدر (3) بسبّته (4). أما إنَّ له إمرة (5) كلعقة (6) الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش (7) الأربعة، وستلقى الأمة منه و من ولده يوما أحمرًا!

اللغة

1 - البيعة: عهد تعطيه الرعية بمتابعة الراعي و نصرته.

2 - كف يهودية: غادرة.

3 - غدر: لم يف.

4 - السببة: الاست.

5 - الإمرة: الولاية.

6 - اللعقة: اللحسة.

7 - الأكبش: مفردة كبش و هو الرئيس و في الحيوان الحمل إذا أثنى و قيل إذا أربع.

الشرح

إشارة

الحكم بن أبي العاص والد مروان كان من أشد أعداء النبي (صلى الله عليه وآله) لعنه الرسول ثم غرّبه إلى الطائف وقال: لا يساكنني و ولده و بقي هناك طيلة خلافة أبي بكر و عمر فلما

ص: 427

ولي عثمان ردهم وأكرمهم عصيانا لرسول الله و مخالفة لعمل الخلفاء قبله و لم يكتف بذلك بل قرّب مروان و جعله وزيره و مستشاره و موضع سره فأخذ يقوده كما أراد و يوجهه حيث شاء حتى أضحي مروان هو الخليفة و لكن في ثوب عثمان و قد كانت أحداث و قضايا كان مروان قطب رحي فتنتها حتى قضى على عثمان و لما قتل هرب مروان مع أنهم كانوا يحرصون على قتله و يؤكدون على تسلمه للاقتصاص منه و لما كانت معركة الجمل كان مع عائشة يقود الجمل الملعون و وقع أسيرا فأخذ إلى أمير المؤمنين فكانت هذه الكلمة الصادقة في حق مروان الحاكية لواقعه...

(أ و لم يبايعني بعد قتل عثمان؟) نعم لقد بايع و لكنه عاد فنكث البيعة و غدر ثم قام مع الناكثين بمحاربتة.

(لا حاجة لي في بيعته) تصغيرا له و تقليلا لأهمية بيعته و إنها كعدمها لا تزيد قوة و لا تعطي دعما و قد بيّن أسباب عدم الحاجة إلى بيعته أيضا بقوله...

(إنها كف يهودية) أي غادرة لا تقي بيعة و لا تلتزم بعهد و الغدر من صفات اليهود على امتداد التاريخ و في كل زمان و مكان و على كل المستويات...

(لو بايعني بكفه لغدر بسبته) و هذا كناية عن أنه سيغدر سرا و يكيد و لو بموضع عورته و ما لا يجوز في عرف الناس أن يسلكوه...

(أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه و هو أبو الأكبش الأربعة و ستلقى الأمة منه و من ولده يوما أحمر) و هذا أخبار منه عن أمر مجهول في زمانه صدقه الواقع بعد ذلك و يتضمن أمورا و هي:

1 - إن مروان سيتولى الأمور و لكن مدة إمارته لقصرها و تفاهتها و قتلها عبّر عنها بلعقة الكلب أنفه فإن الكلب إذا لحس أنفه فعلى العادة لا يستفيد منها شيئا ثم لقربه عبر بقلة المدة.

و قد صدق الإمام فيما أخبر فقد حكم مروان بعد معاوية بن يزيد و قالوا إن مدة خلافته تسعة أشهر على أكثر التقادير و إن ذهب بعضهم إلى أنها أربعة أشهر.

2 - أخبر أنه والد الأكبش و هم الرؤساء و الحكام الأربعة و قالوا أنهم أولاد ابنه عبد الملك و هم الوليد و سليمان و يزيد و هشام و لم يل الخلافة من بني أمية و لا من غيرهم أربعة إخوة إلا هؤلاء و قال ابن أبي الحديد بعد ذكر ما تقدم و عدم رضاه به «و عندي أنه يجوز أن يعني به بني مروان لصلبه و هم: عبد الملك و عبد العزيز و بشر و محمد و كانوا



كباشا أبطالا أنجادا أما عبد الملك فقد ولي الخلافة و أما بشر فولى العراق و أما محمد فولى الجزيرة و أما عبد العزيز فولى مصر و على كل حال سواء كان الأول هو الصحيح أو الثاني فلعن الله مروان و أبناءه و والده و ما ولد فإنهم أسوأ من جاء إلى الحكم و أشدهم ضررا على الإسلام...

3- أخبر عليه السلام بما سيجري على أيديهم من سفك الدماء و ما سيصيب الأمة منهم من بلاء و فتنة و قتل و تشريد و من رجع إلى تاريخهم الأسود وقف على المخازي و المآسي و ما نال الأمة من البلاء و العناء..

### ترجمة الحكم بن أبي العاص:

الحكم بن أبي العاص و هو عم عثمان بن عفان كان من مسلمة الفتح و من المؤلفة قلوبهم كان(1) خصّاء يخصي الغنم، كان جارا للنبي بمكة و من أولئك الأشداء عليه المبالغين في إيذائه شاكلة أبي لهب كما قال ابن هشام في سيرته.

غزبه النبي عن المدينة إلى الطائف و قال: لا يساكنني و لا ولده...

و اختلف في سبب نفيه و تعريبه كما ينقل ذلك الرواة فقد قالوا أنه كان يتحيل و يستخفى و يسمع ما يسره النبي إلى أكابر الصحابة في مشركي قريش و المنافقين و يفشي ذلك عنه حتى ظهر ذلك عنه.

وقيل كان يتجسس على رسول الله (صلى الله عليه و آله) و هو عند نسائه و يسترق السمع و يصغي إلى ما لا يجوز.

وقيل كان يحكي النبي في مشيته و قد رآه مرة يحكيه كذلك فقال له: كذلك فلتكن يا حكم فكان مختلجا يرتعش من يومئذ..

و قد لعنه رسول الله و روى عن عائشة أنها قالت لمروان «فاشهد أن رسول(2) الله صلى الله عليه و آله لعن أباك و أنت في صلبه».

و قال البلاذري في الأنساب:

إن الحكم بن أبي العاص كان جارا لرسول الله في الجاهلية و كان أشد جيرانه أذى

ص: 429

1- حياة الحيوان للدميري ج 1 ص 194 نقلا عن الغدير.

2- ابن أبي الحديد ج 6 ص 150.

له في الإسلام و كان قدومه المدينة بعد فتح مكة و كان مغموصا عليه في دينه فكان يمر خلف رسول الله فيغمز به و يحكيه و يخلج بأنفه و فمه و إذا صلى قام خلفه فأشار بأصابعه فبقى على تخليجه و أصابته خبلة و اطلع على رسول الله ذات يوم و هو في بعض حجر نسائه فعرفه و خرج إليه بعنزة (عصا) و قال: من عذيري من هذا الوزغة اللعين ثم قال: لا يساكنني و لا ولده فغربهم جميعا إلى الطائف فلما قبض رسول الله كلم عثمان أبا بكر فيهم و سأله ردهم فأبى ذلك و قال: ما كنت لأوي طرداء رسول الله (صلى الله عليه و آله) ثم لما استخلف عمر كلمه فيهم فقال مثل قول أبي بكر» انتهى..

فلما استخلف عثمان أدخلهم المدينة و قد دخلها الحكم و هو يلبس فزر خلق و يسوق تيسا و الناس ينظرون إليه و إلى سوء حاله و حال من معه حتى دخل دار الخلافة ثم خرج و عليه جبة خز و طيلسان...

و قد كان رده أحد الأسباب التي أوجبت النقمة على عثمان كما أن إعطاؤه صدقات قضاة التي بلغت ثلاثماية ألف درهم و هبة من الأسباب التي أوجبت نقمة الناس على عثمان.

توفي الحكم في خلافة عثمان قبل قتل بشهور.

### ترجمة مروان بن الحكم:

مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف و أمه آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية الكناني يكنى أبا عبد الملك.

ولد على عهد رسول الله سنة اثنتين من الهجرة و قيل عام الخندق و قيل يوم أحد.

و نفي مع أبيه إلى الطائف و كان طفلا لا يعقل و لم ير رسول الله فلم يزل بها حتى ولي عثمان فرده إلى المدينة فقدمها مع أبيه.

و كان مروان يدعى خيط باطل لأنه كان طويلا مضطربا تزوج أم أبان بنت الخليفة عثمان فكان صهره و ابن عمه فاستولى عليه و وجهه كيف شاء.

مارس مروان الخلافة و الحكم في عهد عثمان فكان هو الخليفة و لكن في ثوب عثمان و قد مارس الظلم و الانحراف و قاد الخليفة عثمان إلى الخطيئة و المعصية و الانحراف عن سنة النبي و سنة من تقدمه من الخلفاء و قد كانت الثورة تكاد تهدأ عند ما يعطي عثمان من نفسه و يرجع فيعود مروان فيلويه عن رأيه و يحرفه عن قصده و بقي هكذا حتى قضى عليه..

ثم هرب من وجه العدالة إلى مكة و التحق بأُم المؤمنين عائشة و قاد جملها إلى البصرة حيث كان مع الناكثين في حرب الإمام و قد وقع أسيرا فعفى عنه الإمام و خلى سبيله فارتحل إلى معاوية و بقي هناك حتى تم الصلح بين الإمام الحسن و معاوية و تولى الحكم فولى مروان المدينة ثم جمع له مكة و الطائف...

و بعد فترة عزله و ولى سعيد بن العاص فلما مات يزيد بن معاوية و تولى ابنه معاوية فلم يدم في الحكم إلا أربعين يوما و مات فقالت له أمه أم خالد اجعل الخلافة من بعدك لأخيك فأبى و قال: لا يكون لي مرّها و لكم حلوها...

ثم إن مروان وثب على الخلافة و قد بايعه الأمويون و انتصر على الضحاك و استقر في الشام و قد كانت الخلافة بعده إلى خالد بن يزيد بن معاوية فلما استقر به الأمر أراد أن يبايع لولديه عبد الملك و عبد العزيز فاستشار في ذلك فأشير عليه أن يتزوج أم خالد بن يزيد ليصغر من شأنه فلا يرشّح للخلافة فتزوجها..

ثم قال لخالد يوما في كلام دار بينهما و المجلس غاص بأهله اسكت يا ابن الرطبة الاست.

فقال خالد: أنت لعمرى مؤتمن و خبير.

ثم قام باكيا من مجلسه و كان غلاما حينئذ فدخل على أمه فأخبرها.

فقالت له: لا يعرفن ذلك فيك و اسكت فأنا أكفيك أمره فلما دخل عليها مروان قال لها: ما قال لك خالد؟ قالت: و ما عساه يقول؟.

قال: لم يشكني إليك؟.

قالت: إن خالدا أشد اعظاما لك من أن يشكيك فصدقها ثم مكثت أياما فنام عندها و قد واعدت جواريتها فقمن إليه فجعلن الوسائد و البراذع عليه و جلسن عليه حتى خنقنه و ذلك بدمشق في رمضان و عاش في الخلافة تسعة أشهر و قيل عشرة.

ص: 431

### إشارة

لما عزموا على بيعة عثمان لقد علمتم أنّي أحقّ النَّاس بها من غيري؛ ووالله لأسلمنّ ما سلمت أمور المسلمين؛ ولم يكن فيها جور (1) إلاّ عليّ خاصّة، التماسا (2) لأجر ذلك وفضله، وزهدا فيما تنافستموه (3) من زخرفه (4) وزبرجه (5).

### اللغة

1 - الجور: الظلم.

2 - الالتماس: الطلب.

3 - التنافس: الرغبة في الشيء على وجه المباراة.

4 - الزخرف: أصل الزخرف هو الذهب ثم أطلق على كل مزور مموه.

5 - الزبرج: الزينة.

### الشرح

### إشارة

(لقد علمتم أنّي أحقّ الناس بها من غيري ووالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلاّ عليّ خاصة التماسا لأجر ذلك وفضله وزهدا فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه).

### الوحدة قبل حق علي:

كان هذا الكلام منه عند ما انعقدت الشورى العمريّة لاختيار الخليفة بعده وقد التقى اعضاؤها وكان الأمر يدور بين علي وبين عثمان وكان عبد الرحمن هو عزّاب تلك

الجلسة و مديرها و مدير شئونها و قد كان هواه مع عثمان و قد بايعه بعد أن رفض الإمام الخلافة على شرط العمل بسيرة الشيخين...

تمت الصفقة و نجح عثمان في تولي الخلافة فوق الإمام من هذه المبايعة موقف الرفض لها المندد بأصحابها و بين لهم مظلوميته و أنه أحق الناس بها من عثمان و غيره ممن ترشح لها فلما هددوه بأن يبايع و إلا قتلوه رأى من المصلحة أن يبايع فبايع كرها عنه و قال كلمته هذه..

و مفادها و مضمونها أن هذه البيعة فيها ظلم عليه خاصة لأنها حقه و هو أولى الناس بها.

و لكن طالما أن الظلم يناله خاصة فإنه يقبل و يستسلم لإصابته طالما أن أمور المسلمين سالمة لم تصب بأفة أو حدث من تمزيق لوحدة الصف و بعثرة للشمل و إدخال الوهن و الضعف على قوتهم...

و هكذا كانت نظرتة صلوات الله عليه كان ينظر إلى وحدة المسلمين على أنها هدف مقدس لا يفرط فيه و لا يتنازل عنه و لذا كان موقفه من خلافة الخلفاء فمع بيان حقه و احتجاجة عليهم و معارضته السياسية لهم كان لا يعلن حربا و لا يسعى في فرقة بل كان يشير عليهم في كل أمر يقوي الإسلام و يعززه في نظر الأعداء...

ثم بين أن تركه لطلبها و المنافسة فيها إنما يريد من ورائه الأجر و الثواب لأنه تركه من أجل الله و في سبيله و أيضا بين أنه زهدا فيما يطلبونه و يتنازعون عليه من هذه الزينة المؤقتة التي لا تبقى و لا تدوم بل هي تغر الإنسان دون فائدة أو جدوى...

قال ابن أبي الحديد:

بعد أن بايع عبد الرحمن و الحاضرون عثمان و تلكأ هو عليه السلام عن البيعة (قال): إن لنا حقا أن نعطه نأخذه و أن نمنعه نركب أعجاز الإبل و إن طال السرى في كلام قد ذكره أهل السيرة و قد أوردنا بعضه فيما تقدم ثم قال لهم:

أنشدكم الله أفيكم أحد آخي رسول الله صلى الله عليه و سلم بينه و بين نفسه حيث آخي بين بعض المسلمين و بعض غيري؟.

فقالوا: لا.

فقال: أفيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» غيري.

فقالوا: لا.

ص: 433

فقال: أفيكم أحد قال له رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» غيري.

قالوا: لا.

قال: أفيكم من أؤتمن على سورة براءة و قال له رسول الله صَلَّى الله عليه و آله إنه لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني غيري؟

قالوا: لا.

قال: ألا تعلمون إن أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم فروا عنه في مأقط (موضع القتال) الحرب في غير موطن، و ما فررت قط.

قالوا: بلى.

قال: ألا تعلمون أنني أول الناس إسلاماً؟

قالوا: بلى.

قال: فأينا أقرب إلى رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم نسباً؟ قالوا: أنت.

فقطع عليه عبد الرحمن بن عوف كلامه و قال: يا علي قد أبي الناس إلا عثمان فلا تجعلن على نفسك سبيلاً.

ثم قال: يا أبا طلحة ما الذي أمرك به عمر.

قال: أن أقتل من شق عصا الجماعة.

فقال عبد الرحمن لعلي: بايع إذن و إلا كنت متبعاً غير سبيل المؤمنين و أنفذنا فيك ما أمرنا به فقال: «لقد علمتم أنني أحق بها من غيري و الله لأسلمن...» الفصل إلى آخر ثم مد يده فبايع...

ص: 434

### إشارة

لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان أ ولم ينه (1) بني أمية علمها بي عن قرفي (2)؟ أو ما وزع (3) الجهال سابقتي (4) عن تهمتي! ولما وعظهم (5) الله به أبلغ من لساني. أنا حجيج (6) المارقين (7)، و خصيم (8) الناكثين (9) المرتابين (10)، و على كتاب الله تعرض الأمثال، و بما في الصدور تجازى (11) العبادا.

### اللغة

- 1 - لم ينه: لم يزجر أو يمنع.
- 2 - قرفي: القرف: العيب و الاتهام.
- 3 - وزع: كف و ردع.
- 4 - سابقتي: فضيلتي و تقدمي.
- 5 - وعظهم: من الوعظ و هو النصح و ذكر ما يرق به القلب و يرجع إلى الله.
- 6 - الحجيج: المحاج من حج فلان فلانا إذا غلبه بالحجة.
- 7 - المارقين: الخارجين من الدين.
- 8 - الخصيم: المخاصم و المنازع و المجادل.
- 9 - الناكثين: أصل النكث هو النقض و صار علما على الخارجين على الإمام علي.
- 10 - المرتابين: المشككين.
- 11 - تجازى: تكافأ.

### الشرح

(أو لم ينه بني أمية علمها بي عن قرفي؟ أو ما وزع الجهال سابقتي عن تهمتي و لما وعظهم الله به أبلغ من لساني) كانت حجة الأمويين و على رأسهم معاوية في حرب صفين

دم عثمان، فقد اتهموا الإمام بأنه هو الذي قتله وأخذ معاوية والأسرة الأموية تغذي هذه الفكرة في عقول أهل الشام وراحت تشرق قميص عثمان وتلوح به أمام الجماهير الأموية وقد كان الإمام من أكثر الناس براءة من دم عثمان فقد نصحه وعظه وأوقفه على المحجة الواضحة ودله على الطريق المستقيم ولكنه رفض نصيحة الإمام فأجهز عليه عمله وقتله الصحابة والمسلمون لما وجدوه لا يتناه عن منكر ولا يرتدع عن حرام..

و الإمام لم يشارك في قتله وقد اتفقت كلمة المؤرخين بما فيهم مؤرخي السلطة الأموية ومن لا يحب الإمام ويريده كما أن التاريخ يشهد أنه كان ينصحه ويعظه فكان يعطيه من نفسه ويقبل معه ثم يقتله مروان عن رأيه ويصرفه عما أعطى حتى قتل...

وعند ما قتل عثمان اتهمه بنو أمية ووصلت أنباء الاتهام إليه فقال هذه الكلمة الكريمة.

ومفادها أن بني أمية يعرفون مقامي وجهادي وما قاله النبي عني وهذا يكفي أن لا أتهم في دم عثمان، فقد استنفهم تعجبا من جهلهم أن يتهموه بدم عثمان وهم يعلمون مقامه في الدين يقول ابن أبي الحديد: أما كان في علم بني أمية بحالي ما بينها عن قرفي بدم عثمان وحاله التي أشار إليها وذكر أن علمهم بها يقتضي أن يعرفوه بذلك هي منزلته في الدين التي لا منزلة أعلى منها وما نطق به الكتاب الصادق من طهارته وطهارة نبيه وزوجته في قوله: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وقول النبي صلى الله عليه وآله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى «وذلك يقتضي عصمته عن الدم الحرام كما إن هارون معصوم عن مثل ذلك» انتهى.

ولا شك أن الإمام لم يشترك في دم عثمان ولكنه لم يكن غاضبا لقتله...

ثم أكد هذا المعنى بأنه ألا يردع هؤلاء الجهال سابقتي وتقدمي في الإسلام عن اتهامي بقتله.

ثم بين أنهم لن يتعظوا بكلامه ولن يعتبروا به لأنهم لم يتعظوا ويعتبروا يعملوا بما هو أمضى حجة وأبلغ منطقا وأقوى بيانا وهو خطاب الله لهم حيث ينهاهم عن التهمة وظن السوء فلم يرتدعوا أو يجتنبوا الظن فكيف يرتدعوا ببياني ومنطقي...

(أنا حجيج المارقين وخصيم الناكثين المرتابين وعلى كتاب الله تعرض الأمثال وبما في الصدور تجازى العباد) بين قوة حجته على الذين خرجوا عن أحكام الدين باتهامه وعلى المشككين فيه بأنه قد شرك في دم عثمان وذلك بما اعتمدت عليه الشريعة



و تبناه الدين من أن الإنسان يؤخذ بفعله أو بقوله و هذا يعرض على كتاب الله و فيه يؤخذ الحكم و هو صلوات الله عليه لم يشارك مباشرة في قتل عثمان كما أنه لم يعهد من أحد أو يدعي على أحد أنه قال اقتلوه إذا فهو برىء بحكم الشرع.

و أما أن تحاسبوه عما في نفسه و ما يحب و يكره فهذا مرده إلى الله و هو الذي يجازي عباده عليه و ليس للإنسان أن يشق قلوب الناس و يحاسبهم على نياتهم في دار الدنيا و لم نر أحدا من العقلاء يحاسب أحدا على نيته و ما في ضميره و إنما الحساب يجري على الأفعال و الأقوال و ما يصدر من الإنسان.

ص: 437

إشارة

في الحث على العمل الصالح رحم الله امراً (1) سمع حكماً (5) فوعى (3)، ودعي إلى رشاد (4) فدنا (5)، وأخذ بحجزة (6) هاد فنجا. راقب ربّه، وخاف ذنبه، قدّم خالصاً، وعمل صالحاً. اكتسب مذخوراً (7)، واجتنب (8) محذوراً (9)، ورمى غرضاً (10)، وأحرز (11) عوضاً (12). كابر هواه (13)، وكذّب مناه (14). جعل الصبر مطيّة (15) نجاته، والتّقوى عدّة (16) وفاته. ركب الطّريقة الغرّاء (17)، و لزم المحجّبة (18) البيضاء. اغتتم المهمل (19)، وبادر (20) الأجل، و تزوّد من العمل.

اللغة

1 - المرء: مثلثة الميم الإنسان و يجمع على رجال من غير لفظه.

2 - حكماً: حكمة.

3 - وعى: حفظ و فهم.

4 - الرشاد: الهدى و الاستقامة.

5 - دنا: قرب.

6 - الحجزة: بالضم معقد الإزار و موضع التكة.

7 - المذخور: المخبأ لوقت الحاجة.

8 - اجتنب: ترك و ابتعد.

9 - المحذور: ما يتحرز منه، الممنوع.

10 - الغرض: الهدف.

ص: 438

11 - أحرز: أصاب و جمع.

12 - العوض: البذل.

13 - كابر هواه: غالبه وعانده.

14 - المنى: الأماني الباطلة ما يتمناه.

15 - المطية: المركب.

16 - العدة: جمعها عدد الاستعداد، ما أعدته لحوادث الدهر من مال و سلاح.

17 - الغراء: النيرة الواضحة.

18 - المحجة: جادة الطريق و معظمه مقابل جوانبه و متفرعاته.

19 - اغتتم المهل: الفرصة و سعة الوقت و المهل النظرة و التؤدة.

20 - بادر: أسرع.

## الشرح

(رحم الله امرأ سمع حكما فوعى) دعاء يراد من خلاله الترغيب في الاتصاف بهذه الأوصاف العالية و هي عشرون صفة.

أولها: أن يسمع حكمة فيقف عليها و يأخذها و يتأثر بها و يعمل بمضمونها و الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها فلا يترفع عنها أو يردّها إلى أصحابها...

ثانيها: (و دعي إلى رشاد فدنا) فإذا جاء الداعي إلى الهدى و الحق و العدل و كل ما يقرب الإنسان من الله و من عباده اقترب منه و تقرب إليه و عمل بمضمون ما يقول...

ثالثها: (و أخذ بحجزة هاد فنجا) فإن هناك عباد الله هداة يدلّون الناس على الخير و على طرق النجاة فإن كان هناك هاد فيجب التمسك به و الاعتماد على سيرته و المشي خلفه ليفوز بالسعادة و ينجو من النار...

رابعها: (راقب ربه) عاش حالة الرقابة المستمرة عليه و من عاش هذه الحالة كان من أقرب الناس إلى الله و أشدهم خوفا منه و أحسنهم عملا.. من عاش حالة الرقابة من الله عليه لم يرتكب محرما و لم يترك واجبا و كان باستمرار و في كل ما يقوم به مطيعا لله عاملا بأمره قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) : أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

خامسها: (و خاف ذنبه) خاف من ذنوبه أن يحاسب عليها فلذا يبادر إلى منع وقوعها و إذا وقعت تداركها بالتوبة و الرجوع إلى الله...

سادسها: (قدّم خالصا) أي عمل عملا خالصا لوجه الله لا يشوبه رياء أو عجب أو شك.

سابعها: (و عمل صالحا) أي عمل عملا صالحا تماما غير ناقص في أصله و لا في جوانبه و هيئاته بل جاء به كما أمر الله بجميع شرائطه و أجزائه.

ثامنها: (اكتسب مذخورا) سعى في كسب و ربح ما يحتاج إليه يوم فقره و فاقته في الآخرة و يتجسد هذا بالعمل الصالح و تقوى الله...

تاسعها: (و اجتنب محذورا) ترك محرما و ممنوعا فلم يرتكب ما نهى الله عنه.

عاشرها: (و رمى غرضا) أصاب بأعماله ما هدف إليه من طلب الجنة و نعيمها هذا إذا كان غرضا أما إذا كان غرضا أي ترك الدنيا و ما فيها من أشياء جانبا و تخلى عنها...

حادي عشرها: (و أحرز عوضا) فعند ما طلب الآخرة بدلا عن الدنيا أدرك ذلك و أحرزه.

ثاني عشرها: (كابر هواه) خالف هواه و عانده و انتصر عليه لأن الهوى يقود الإنسان إلى النار و مخالفته تدخل الجنة.

ثالث عشرها: (و كذب مناه) ما يلقي إليه الشيطان من الأمانى يكذبها بها و ينكرها عليه و لا يصدقه بها...

رابع عشرها: (جعل الصبر مطية نجاته) فمن تحلى بالصبر ظفر و ما من فرد أو أمة تمتعت بهذه الخصلة إلا نجحت في الحياة و حققت أعظم الإنجازات...

خامس عشرها: (و التقوى عدة وفاته) جعل التقوى عدته و ذخيرته و سلاحه الذي يواجه به الموت فيهون عليه ما فيه من شدائد و كرب و ما يواجهه من هول المطلاع...

سادس عشرها: (ركب الطريقة الغراء) مشى على الطريقة الشرعية الواضحة بأن تعلّم أحكامها و عمل بمضمونها، ترك المشتبه به و ما فيه مظنة عدم البراءة...

سابع عشرها: (و لزم المحجة البيضاء) أي لا يفارق الطريقة الشرعية الواضحة الظاهرة لأنها طويلة تحتاج إلى نفس طويل و إلى ملازمة دائمة...

ثامن عشرها: (اغتنم المهل) عمل في أيام عمره و ما أمهله الله فيه فإن الله أعطى هذا الإنسان فرصة عمره للعمل فليغتنم هذه الفرصة و يبادر إلى طاعة الله و العمل الصالح...

تاسع عشرها: (و بادر الأجل) سارع إلى العمل قبل حلول الموت فإنه لا يدري متى يفاجئه فيصرعه و يتوقف عندها عن العمل فليبادر بالعمل و يسبق الأجل بصالح العمل...

العشرون: (و تزود من العمل) فإن هذا العمر فرصة لا تعود مرة أخرى و بمقدار هذا الزاد ترتفع درجة المرء و تعلو رتبته...

ص: 441

### إشارة

و ذلك حين منعه سعيد بن العاص حقه إن بني أمية ليفوقوني (1) تراث (2) محمد صلى الله عليه وآله تفويقا، و الله لئن بقيت لهم لأنفضنهم (3) نفض اللحام الودام (5) التربة (6)!.  
قال الشريف: و يروى «التراب الودمة»، و هو على القلب.

قال الشريف: و قوله عليه السلام «ليفوقوني» أي: يعطوني من المال قليلا كفواق الناقة، و هو الحلبة الواحدة من لبنها. و الودام: جمع وذمة، و هي الحرّة من الكرش أو الكبد تقع في التراب فتنفض.

### اللغة

1 - ليفوقوني: ليعطوني القليل مثل فواق الناقة و هي الحلبة الواحدة من لبنها.

2 - التراث: الميراث.

3 - لأنفضنهم: من نفض الشيء إذا حركه ليزيل عنه ما علق فيه من غبار و نحوه.

4 - اللحام: القصاب.

5 - الودام: الكرش و المعى.

6 - التربة: اللاصقة بالتراب.

### الشرح

(إن بني أمية ليفوقوني تراث محمد صلى الله عليه وآله تفويقا و الله لئن بقيت لهم لأنفضنهم نفض اللحام الودام التربة) استبد بنو أمية بأموال المسلمين و قد عدوا ما في

بيت المال من أملا-كهم الخاصة يعطون و يمنعون دون موازين سليمة إلا- موازين مصالحهم و قراباتهم و عملائهم و كانوا يرسلون إلى الإمام جزءا يسيرا حقيرا لا يقيم أودا و لا يرفع حاجة و في يوم بعث سعيد بن العاص و كان أميرا على الكوفة بهدايا إلى المدينة و بعث بقليل إلى علي عليه السلام و كتب إليه: إني لم أبعث إلى أحد أكثر مما بعثت به إليك إلا إلى أمير المؤمنين (عثمان) فلما جاء الرسول و سلم الرسالة للإمام قال هذه الكلمة...

و مفادها: إن بني أمية يقسطون لي ميراث رسول الله من الفيء و الحق تقسيطا؛ يعطونني قليلا قليلا مع أن هذا التراث حق شرعي لي و أنا أولى الناس به و هذا من ظلمهم و انحرافهم و سلبهم حقوق الناس ثم أقسم لئن بقي لهم و امتد به العمر و أصبح الوالي و القيم على أمور المسلمين ليخرجنهم من هذه الأموال التي تمتعوا بها بدون حق و سلبوها من الناس و ليخرجنها عنهم و من أيديهم كما ينفذ القصاب ما يقع على الكبد و الكرش من التراب إذا وقع عليه فكيف أن القصاب لا يبقي عليها من التراب شيئا كذلك هو سيفعل ببني أمية إن جلس على كرسي الحكم...

أو يراد أنه يسقطهم من أعين الناس بذكر مثالبهم و فضح معاييبهم و تعداد انحرافاتهم و جنایاتهم...

## إشارة

من كلمات كان، عليه السلام، يدعو بها اللهم اغفر لي (1) ما أنت أعلم به مني، فإن عدت (2) فعد عليّ بالمغفرة. اللهم اغفر لي ما أيت (3) من نفسي، ولم تجد له وفاء (4) عندي.

اللهم اغفر لي ما تقرّبت به (5) إليك بلساني، ثم خالفه قلبي. اللهم اغفر لي رمزات (6) الألفاظ (7)، و سقطات (9) الألفاظ، و شهوات الجنان، و هفوات (10) اللسان.

## اللغة

1 - غفر له: أصل الغفر هو الستر و غفر له ذنوبه إذا سترها و صرح عنها و لم يحاسبه عليها.

2 - عدت: رجعت.

3 - وأيت: وعدت.

4 - الوفاء: بالعهد أو الوعد اتمامه و المحافظة عليه.

5 - تقرب به: إلى الله أتى به إليه تعالى و طلب القربة عنده.

6 - رمزات: جمع رمزة و هي الإشارة بالعين أو الحاجب أو الشفة.

7 - الألفاظ: جمع لحظ بفتح اللام و هو مؤخر العين.

8 - السقطات: السقط بالتحريك ردي المتاع و اللغو من القول أو الفعل.

9 - الجنان: القلب.

10 - الهفوات: جمع هفوة: الزلة.

## الشرح

(اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني، فإن عدت فعد عليّ بالمغفرة) النبي و الأئمة



صلوات الله عليهم معصومون عن الخطأ منزهون عن الزلل لا- يعصون الله ما أمرهم وهم بأمرة يعملون و ما ورد عنهم مما ظاهره أنهم عاصون فهو على مستوى ما ورد من أن حسنات الأبرار سيئات المقربين وقد يكون على شكل تعليم لنا و تدريب على الوقوف أمام الله و بين يديه نطلب منه المغفرة و الرحمة...

و الإمام هنا يعلمنا عمليا كيف يكون الوقوف بين يدي الله مع ما له من مواقف جهادية و بطولات إسلامية، يعلمنا أن الأبطال الشجعان يقفون أمام الله وقمة الذل و الصراعة يتوجهون إليه بالدعاء يطلبون منه العفو و المغفرة و الرحمة اللهم إنني أعلم ذنوبا قد ارتكبتها و قد أنسى بعضها و ارتكبت بعضها بدون علم أو دارية بها فاغفرها جميعا، اغفرها فأنت أعلم بها مني و بما اجتريته و ارتكبته و إن غفرت لي ثم عدت إلى المعصية فعد على بالمغفرة فإنك أهل العفو و المغفرة...

(اللهم اغفر لي ما و آيت من نفسي و لم تجد له وفاء عندي) و هذا استغفار لما أخذه على نفسه و عاهد الله على تركه أو فعله ثم خالفه و نقضه و نكث ما أعطى من العهود فهذا يحتاج إلى طلب المغفرة و العفو عنه.. إن الوفاء بالعهد واجب قال تعالى: «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئَلًا» ...

(اللهم اغفر لي ما تقربت به إليك بلساني ثم خالفه قلبي) و هذا أيضا يحتاج إلى طلب المغفرة منه و هو الرياء الذي يظهر الإنسان خلاف ما يبطن فيعلن بلسانه ما يخالف به قلبه يقول إنه المؤمن المجتهد في طاعة الله بينما هو المشكك المتردد الكسول...

(اللهم اغفر لي رمزات الألفاظ) فإن في بعض الحالات يستعمل الإنسان لحظ العيون كرمز للغمز في إنسان أو الطعن فيه أو غيبته و هذه معصية تحتاج إلى طلب المغفرة...

(و سقطات الألفاظ) الألفاظ الساقطة الرذيلة غير المؤدبة التي جرحت إنسانا أو نالت منه شيئا...

(و شهوات الجنان) أي شهوات القلوب و ما تميل إليه و ترغيب فيه مما فيه مخالفة للدين و تمرد على الشريعة...

(و هفوات اللسان) فإن زلات اللسان أشد و أصعب من عثرات الأقدام فربما خرجت الكلمة عن لسان إنسان فاشعلت فتنة دامية و تركت دمارا و خرابا و ربما أجهزت على صاحبها فأدخلته النار و مثل ذلك يستحق طلب المغفرة و العفو عنه...

إشارة

قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج، وقد قال له: إن سرت يا أمير المؤمنين، في هذا الوقت، خشيت ألا تظفر بمرادك، من طريق علم النجوم فقال عليه السلام أترعم (1) أنك تهدي (2) إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء (3)؟ و تخوف من الساعة التي من سار فيها حاق به (4) الضّرّ (5)؟ فمن صدّقك بهذا فقد كذب القرآن، واستغنى عن الاستعانة بالله في نيل (6) المحبوب و دفع المكروه؛ و تبتغي (7) في قولك للعامل بأمرك أن يوليك (8) الحمد دون ربّه، لأنك - بزعمك - أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع، و أمن الضّرّ!!.

ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال:

أيها الناس، إياكم و تعلّم النجوم، إلّا ما يهتدى به في برّ أو بحر، فإنّها تدعو إلى الكهانة، و المنجم كالكاهن (9)، و الكاهن كالسّاحر، و السّاحر كالكافر! و الكافر في النار! سيروا على اسم الله.

اللغة

1 - أترعم: الزعم هو القول الذي يشك فيه أو يعتقد كذبه.

2 - تهدي: ترشد.

ص: 446

3 - صرف عنه السوء: دفعه عنه و رده.

4 - حاق به: أحاط به.

5 - الضر: بضم الضاد، ضد النفع أو سوء الحال.

6 - النيل: الإدراك.

7 - تبتغي: تطلب.

8 - يوليئك: يعطيك إياه و يجعلك أولى به.

9 - الكاهن: جمعه كهان و هم الذين كانوا يخبرون عن الشياطين بكثير من الغائبات.

## الشرح

(أ تزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء؟ و تخوف من الساعة التي من سار فيها حاق به الضر) هذا الكلام قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج و قد قال له: إن سرت يا أمير المؤمنين في هذا الوقت خشيت ألا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم فقال عليه السلام:

أ تزعم و الزعم مبني على الباطل أ تزعم أنك بهذا العلم - علم النجوم تستطيع أن ترشد الناس إلى الساعة السعيدة التي من سار فيها صرف عنه السوء و الهزيمة فهي ساعة خير و بركة و فيها السعادة و النصر و الظفر و في مقابلها تخوفهم من ساعة النحس التي من سار فيها أحاط به الشقاء و الهزيمة و الانكسار...

و كأنه يريد أن يقول له إنك تدعي أنك تعرف الساعات التي يكون فيها النصر و الساعات التي تكون فيها الهزيمة و هذا أمر غير صحيح و لا مقبول و بين بطلان هذا الادعاء بقوله...

(فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن، و استغنى عن الاستعانة بالله في نيل المحبوب و دفع المكروه و تبتغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليئك الحمد دون ربه لأنك بزعمك - أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع و أمن الضر) بيان لفساد ما يذهب إليه المنجمون و حرمة تصديقهم و ذلك بأدلة:

الأول: إن من صدق المنجم فقد كذب القرآن و ذلك لأنه يدعي أنه يعلم الغيب باقتران الأجرام و الكواكب و كونها في وضع خاص و هذا يتنافى و قوله تعالى: (وَ عِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ) و قوله: «إن الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما

في الأرحام و ما تدري نفس ما ذا تكسب غدا و ما تدري نفس بأي أرض تموت»...

الثاني: إن من صدق منجما و اعتمد عليه انقطع إليه و استغنى عن الاستعانة بالله في نيل ما يحب و دفع ما يكره و ذلك من منظور أن المنجم يحقق ما يريده طالب الخير و ما يريده دافع الشر و يدل هذا الإنسان على موارد الصلاح و النصر و موارد الفساد و الهزيمة فلا يرجع الإنسان عندها إلى الله و يستغني عن الاستعانة به و طلب المدد منه بالتوجه إليه و الدعاء له و الخضوع لساحة قدسه و في هذا مخالفة لمسلمات الإيمان بالله و أوليات العقيدة التي تربط هذا الإنسان بالله الذي لا يمكن الاستغناء عنه سبحانه في استمرار الوجود الذي هو على مستوى الحاجة إليه في أصل الوجود...

الثالث: إن هذا المنجم يستحق الحمد من المتبع لأقواله لأنه يرشده إلى ساعات الهداية و دفع الضر و ساعات البلاء و النصر و هذا الحمد يستحقه من دون الله و في هذا فساد للعقيدة و انحراف عن الدين فإن الله وحده هو الذي يستحق الحمد بقول مطلق «الحمد لله رب العالمين..» و أما ما يرد من الخير عن أيدي الناس فشكرهم باعتبار أنهم وسائط الخير و أدلتهم و أنهم لا يدعون في جنب الله شيئا من الاستقلالية و الانفراد. (أيها الناس إياكم و تعلمم النجوم إلا ما يهتدى به في بر أو بحر فإنها تدعو إلى الكهانة، و المنجم كالكاهن و الكاهن كالساحر و الساحر كالكافر و الكافر في النار سيروا على اسم الله) بعد أن بين فساد التنجيم و ضلال المنجمين التفت إلى الناس و وجه إليهم النهي عن تعلم أحكام النجوم لما لها من أثر سيء على العقيدة من حيث يضل فيها الإنسان و يقطع صلته بالله و يعتمد على علم النجوم في حركاته و سكناته و استثنى من هذا النهي ما كان من هذا العلم يهتدى به إلى النجاة و الخلاص أو إلى عبادة فكل أمر ديني أو دنيوي يمكن أن يستفيدة من هذا العلم يباح له تعلمه قال تعالى في مقام المنّ على بني آدم(1)«وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» و قد ورد عن الأئمة تعيين القبلة ببعض الكواكب كالجدي وغيره...

ثم إنه عليه السلام بين أسباب النهي و دواعيه من حيث أنها تدعو إلى الكهانة التي حرمها الشارع أما لأن صاحب علم النجوم يحب تعلم الكهانة أو أنه يصبح كالكاهن يخبر عن الأمور الغائبة منقطعاً عن الله و لا يسندها إليه...

ثم شبه المنجم بالكاهن و قد كان الكاهن يخبر عن الأمور الغائبة و للعرب سهم6.

ص: 448

وافر من الكهان وقد اشتهر منهم شق و سطيح و وجه الشبه أن كلا من المنجم و الكاهن يخبر عن الأمور الغيبية بمقدمات ظنية بل قد تكون و همية و قد يسترسل فيكذب أو يسلك سبلا باطلة تتنافى و الإيمان...

ثم شبه الكاهن بالساحر و الساحر بالكافر و تكون النتيجة أن المنجم كالكافر يستحق النار و في ذلك تنفير و تحذير يجعل الإنسان يقف من التنجيم موقفا لا يتعاطاه أو يعمل به...

ثم أمرهم أخيرا بالسير نحو هدفهم من حرب الخوارج ليدفع قول المنجم و يبين فساد رأيه عمليا و قد ساروا يومها و انتصروا و فشلت نبوءة المنجم و خاب من صدقه و تابعه...

و خلاصة الحديث أن الإمام ينهى عن علم التنجيم الذي يبنى على الحدث و التخمين و يكون فيه شعوذة و خلط و لذا شبهه بالكاهن و الساحر و هما مشعوذان محتالان بينما أباح ما يفيد و ينفع و هو دعوة إلى الاستفادة و ترخيص إلى توجيه الناس إلى علم ينفع به البشرية في أمر دينها أو دنياها...

## إشارة

بعد فراغه من حرب الجمل، في ذم النساء ببيان نقصهن معاشر (1) النَّاس، إِنَّ النَّسَاء نواقص (2) الإيمان، نواقص الحظوظ (3)، نواقص العقول: فأما نقصان إيمانهنَّ فقعودهنَّ (4) عن الصَّلَاة و الصَّيَام في أيام حيضهنَّ (5)، و أما نقصان عقولهنَّ فشهادة امرأتين كشهادة الرَّجل الواحد، و أما نقصان حظوظهنَّ فمواريثهنَّ (6) على الأنصاف (7) من موارِيث الرَّجَال. فاتَّقوا شرار (8) النَّسَاء، و كونوا من خيارهنَّ (9) على حذر (10)، و لا تطيعوهنَّ في المعروف (11) حتَّى لا يطمعن في المنكر (12).

## اللغة

- 1 - معاشر: جمع معاشر و هي الجماعة.
- 2 - نواقص: من النقص و هو العيب.
- 3 - الحظوظ: النصيب و السهم.
- 4 - قعد: عن الصلاة، حبسه عنها.
- 5 - الحيض: العادة الشهرية للمرأة.
- 6 - الموارِيث: من الميراث و هو ما يتركه الميت من التركة.
- 7 - الأنصاف: بفتح الهمزة و كسرهما جمع النصف بتثليث النون و هو أحد جزئي الشيء.
- 8 - شرار: جمع شر و هو تقيض الخير اسم جامع للردائل.
- 9 - الخيار: من الشيء أفضله.
- 10 - الحذر: التحرز؛ التخوف و التنبه.
- 11 - المعروف: الخير و الإحسان، كل فعل حسن، ما فيه رضی لله.
- 12 - المنكر: كل فعل قبيح، ما ليس فيه رضی لله من قول أو فعل.

(معاشر الناس إن النساء نواقص الإيمان نواقص الحفظ نواقص العقول فأما نقصان إيمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن وأما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين كشهادة الرجل الواحد وأما نقصان حفظهن فموازيتهن على الأنصاف من موازيته الرجال) قال ابن أبي الحديد «وهذا الفصل كله رمز إلى عائشة» انتهى.. وهذا أمر ينطبق عليها وعلى غيرها وإن كانت هي سببه والداعية إليه...

و الإمام يبين نقصان المرأة في ثلاثة موارد.

الأول: إن النساء نواقص الإيمان وبيّن سبب ذلك بأنهن يقعدن عن الصلاة والصيام أيام حيضهن، وقعودهن والحالة تلك وإن كانت بأمر الشارع ولكنها لقصور فيهن من حيث كونهن في حالة لا- تؤهلن للقاء الله والقيام بين يديه فإن طبيعة كل مخلوق وما يتمتع به من مؤهلات وإلا فإن المعصومة من النساء لا تأتيها العادة وتبقى على اتصال بالله وتخرج استثناء عن القاعدة العامة في النساء...

وكلام الإمام يشير أيضا إلى أن الإيمان يقبل الزيادة والنقصان وقد وردت الأخبار بذلك...

الثاني: نقصانهن لنقصان عقولهن وبيّن ذلك بأن كل شهادة امرأتين تعادل شهادة رجل واحد.

قال تعالى: «فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ» وقد ثبت نقصان عقل المرأة بالنسبة إلى عقل الرجل وذلك بإلقاء نظرة سريعة على الحياة من أول ابتدائها وإلى اليوم فستجد المرأة تابعة للرجل ومقيدة به وتجد أنها لم تفلح في رأي يعارض الرجل، إنك تجد أصحاب الاختراعات وأهل الإبداع رجالا - إلا ما شذ وندر - تجد قادة الفتح وأهل الجهاد والكفاح - رجالا.. تجد الكتاب والشعراء وأهل الثقافة والفنون رجالا.. تجد حتى في أمور المرأة ومختصات أشهر من أبداع وأنتج إنما هم الرجال فأشهر الطبائخين من الرجال وأشهر الخياطين ومصممي الأزياء للنساء هم من الرجال...

إن هذه التبعية للرجل من المرأة مع تساوي الصنفين بل زيادة عدد النساء على الرجال أول دليل على نقصان عقلها...

الثالث: نقصانهن لنقصان حفظهن وبيّن ذلك بأن نصيب المرأة من الميراث نصف ما للرجل.

قال تعالى: (1) «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ» وقد كان هذا التفاوت بسبب أن المرأة مكفولة المعاش لا تصرف مما تأخذه حتى على نفسها فنفقتها على زوجها بينما الزوج يتحمل أعباء دفع المهر لها وإعالتها سكنها و مأكلا و ملبسا فلا بد و أن يناله أكثر مما ينالها حتى يتعادل ما يدفع إليه و ما يؤخذ منه و بمقدار الإيراد يكون الصرف...

(فاتقوا شرار النساء و كونوا من خيارهن على حذر و لا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر) بعد أن بين عليه السلام نقصان المرأة دينا و عقلا و حظا أمرنا باتقاء شرار النساء بأن نبتعد عنهن فلا نتزوج الشريفة و لا نخالطها أو نتعامل معها و قد امتازت المرأة بالمكر و الحيلة و هي قادرة على أن تلبس أثوابا متعددة و أقنعة متعددة و إذا أرادت ذلك فإنها تنجح...

و نعوذ بالله من شرار النساء فإن المرأة الشريفة تسخر جمالها و مالها و دموعها و بدنها من أجل أن تصل إلى مرامها و تنفذ كيدها قال تعالى و اصفا كيد المرأة (2) «إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ» بينما وصف كيد الشيطان بالضعف قال تعالى (3) «فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا» ...

ثم أمرنا أن نكون من خيارهن على حذر بحيث يبقى على مراقبة لها دائمة يعرف أين تذهب و أين تجيء و مع من تتعامل و لا يعطيها كل أسرارها و لا- يطلعها على كل قضايها لأنها بطبيعتها عاطفية تتأثر بأدنى الأمور و تتحسس من نظرة صغيرة بل في بعض الأحيان تأخذها الظنون إلى حيث لا يجوز و بمجرد أن تغضب تجرد زوجها من كل فضيلة و تبعد عنه كل حسنة و تقشي له كل أسرارها صغيرها و كبيرها حقيرها و خطيرها حتى الذي يؤدي إلى هلاكه و قد سمعت مباشرة ممن ساءت عشرتها مع زوجها من الأخبار عنه ما لا يحل ذكره - سمعته للمصلحة - ثم لما رضيت عنه و عادت إليه ندمت و لكن كانت قد كسرت الجرة و فاحت الأخبار و انتشرت...

ثم نهانا عن إطاعتهم حتى في المعروف و علل ذلك لئلا يطمعن بالمنكر فإن المرأة إذا أطعتها في أمر مباح مندوب كزيارة قريب أو ولي فإنها تطمع في زيارة السينما و الملهى فإذا كان الأمر معروفًا فليكن امثالك له و القيام به لأجل كونه معروفًا و لتفهم المرأة ذلك فتقطع عن مطالبتك بالمنكر و لا تطمع فيه...6.

ص: 452

1- سورة النساء، آية - 11.

2- سورة يوسف، آية - 28.

3- سورة النساء، آية - 76.



## إشارة

في الزهد أيها الناس، الزهادة (1) قصر (2) الأمل، و الشكر عند النعم (3)، و التورع (4) عند المحارم (5)، فإن عزب (6) ذلك عنكم فلا يغلب (7) الحرام صبركم، و لا تنسوا عند النعم شكركم، فقد أعذر (8) الله إليكم بحجج (9) مسفرة (10) ظاهرة، و كتب بارزة (11) العذر (12) واضحة.

## اللغة

- 1 - الزهادة: هو الزهد عدم الميل إلى الشيء.
- 2 - القصر: ضد الطول.
- 3 - النعم: العطايا.
- 4 - التورع: هو الكف عن المشتبهات خوف الوقوع في المحرمات.
- 5 - المحارم: ما حرمه الله و ما لا يحل انتهاكه.
- 6 - عزب: بعد، و غاب و ذهب.
- 7 - غلب: عليه قهره و عليه.
- 8 - أعذر: أظهر عذره، أزال عذره.
- 9 - الحجج: البراهين و الأدلة.
- 10 - المسفرة: المشرقة.
- 11 - بارزة: ظاهرة.
- 12 - العذر: الحجة التي يعتذر بها أي يرفع اللوم عنه.

## الشرح

(أيها الناس الزهادة قصر الأمل و الشكر عند النعم و التورع عن المحارم فإن عزب ذلك عنكم فلا يغلب الحرام صبركم و لا تنسوا عند النعم شكركم فقد أعذر الله إليكم

بحجج مسفرة ظاهرة و كتب بارزة العذر واضحة) الزهد خلة كريمة و خصلة شريفة يتطلع إليها الأتقياء و الصالحاء فيعيشون بها القرب من الله و الإخلاص له و قد وجهنا الإمام إليها و حصرها في أمور ثلاثة بها تتحقق و لها ترجع و هي:

1 - قصر الأمل: و من قصر أمله في الدنيا و رأى نفسه مسجى بين يدي غاسله و مجهزه هانت عليه الدنيا و سعى من أجل أن يجيد العمل و يقوم بكل واجب.. قصر الأمل لا يعني عدم العمل بل من لا يعمل يكون كسولا مقصرا يحاسبه الله بل معناه الاستعداد للرحيل و تهيئة الزاد له و ما يتطلبه السفر...

2 - و الشكر عند النعم فإن لكل نعمة شكرها و أهم شكر للنعمة أن تقع في موقعها فلا تتحول إلى أداة يعصى الله بها فمن أعطاه الله ما لا يجب أن يصرفه في محله على نفسه و على من يعول و على الفقراء فيتصدق عليهم و يتحنن على الأيتام و المساكين، و أما لو حول نعمة الله إلى ما حرمه الله فهو لم يشكر المنعم و لم يؤد شكر النعمة...

3 - التورع عند المحارم بأن يكف عن ارتكاب ما حرمه الله سواء كان صغيرا أم كبيرا جليلا أم حقيرا و على كل المستويات العبادية و الاقتصادية و السياسية و لا انفصال أو تفصيل في هذه الموارد خلافا لبعض الناس الذين يتحرزون في طهارتهم و صلاتهم و عبادتهم فيبحثون عن كل شيء يخل بها فيجتنبوه بينما هم في غيرها من العواهر الذين لا يتورعون فهو في طهارته على جانب عظيم من المحافظة عليها بينما في موقفه السياسي فاسد بدرجة عالية...

ثم إنه عليه السلام بعد أن بين أن الزهد يكون في هذه الأمور و شعر أن كثيرين من الناس قد لا يقومون بذلك رخص في ممارسة الأمل و بقاء الإنسان و أمله بقوله - فإن عزب ذلك عنكم - فلم تقدرُوا على القيام به جميعا فليكن صبركم عن الحرام قويا و لا يغلبكم الحرام فتمارسونه، و هذا أمر لا يمكن الترخيص فيه أو إباحته بل يجب أن يقوي الإنسان ملكة الصبر عنده فلا يرتكب حراما.

و كذلك لم يرخّص في شكر النعم التي يحكم العقل و النقل بوجوب شكرها و شكر من أنعم بها لأن كفرانها خروج عن الدين و الإيمان.

ثم أكد ملازمة الزهادة و علل لزومها بأن الله قطع أعداركم فلا حجة لكم لأنه أرسل إليكم الأنبياء و الأوصياء و أنزل الكتب و البينات و هي ظاهرة لا خفاء فيها و لم يعد لأحد حجة يحتج بها بعدم وصول البيان إليه و قيام الحجة عليه.

فلا حجة لكم بل الحجة لله عليكم و من كانت الحجة عليه فلا عذر له إلا بالقيام بما هو واجب عليه..

إشارة

في ذم صفة الدنيا ما أصف من دار أولها عناء (1)، و آخرها فناء! في حلالها حساب، و في حرامها عقاب (2). من استغنى فيها فتن (3)، و من افتقر (4) فيها حزن (5)، و من ساعاها (6) فاتته (7)، و من قعد عنها (8) و اتته (9)، و من أبصر بها بصّرتة، و من أبصر إليها أعمته.

قال الشريف: أقول: و إذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام: «و من أبصر بها بصّرتة» وجد تحته من المعنى العجيب، و الغرض البعيد، ما لا تبلغ غايته و لا يدرك غوره، لا سيما إذا قرن إليه قوله: «و من أبصر إليها أعمته» فإنه يجد الفرق بين «أبصر بها» و «أبصر إليها» واضحا نيرا، و عجيبا باهرا! صلوات الله و سلامه عليه.

اللغة

1 - العناء: التعب.

2 - العقاب: القصاص.

3 - فتن: من الفتنة و هي الضلالة.

4 - افتقر: احتاج.

5 - الحزن: الكآبة.

6 - ساعاها: جاراها سعيًا، غالبها.

7 - فاتته: ذهب عنه و لم يدركها.

8 - قعد عنها: لم يطلبها، و جلس عن طلبها.

9 - واتته: من المواتاة و هو حسن المطاوعة و الموافقة.

ص: 455

(ما أصف من دار أولها عناء و آخرها فناء في حلالها حساب و في حرامها عقاب) هذا الكلام من الإمام تحذير لهذا الإنسان من الدنيا و تنفير منها و قد وصفها بهذه الأوصاف التي تجعل من يقف عليها يشمئز منها و يتعد عنها و يعمل لما بعدها.

وصفها بأن أولها عناء أي تعب و نحن ندرك ذلك بالوجدان و على وجه الحقيقة فمنذ أن يسقط الجنين إلى الأرض و يستقبل الحياة تبدأ المعاناة و يبدأ العذاب ففي كل يوم آفة تصيبه و ألم يلم به فالهواء يؤذيه و المناخ الحار يضره و البرد يمرضه و هكذا تستمر المعاناة حتى إذا بلغ و أدرك مدرك الرجال تأتيه هموم الدنيا و متطلباتها من بناء مستقبل و سعي وراء رزق حتى إذا بلغ مبلغ الكهولة ضعف جسده و انحلت بنيته و غزته الآفات فأصبحت همته عاجزة و قوته ضعيفة و لم يعد يقوى على القيام منفردا فيستعين بغيره و قد يعجز و هكذا يستمر الوهن في بدنه حتى تأتي منيته...

ثم وصف آخر هذه الدار الدنيا بأن آخرها فناء و هو الموت الذي يأتي على هذا الإنسان و هذه حقيقة تتجسد أمامنا في كل يوم فهناك أموات نقلهم إلى مثواهم الأخير و عما قليل سينقلنا من يأتي بعدنا و هكذا...

قال تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» و قال تعالى: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَ يَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ» ...

- ذكر أن في حلالها حساب فلا بد من عرض الأعمال و نشر الصحف قال تعالى:

«إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ» و قال تعالى: «وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَ كَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ» ...

- و في حرامها عقاب و إذا كان لا-بد في الحرام عقاب و قصاص فمن يقوى على ذلك العقاب و من يقدر أن يطيقه و هو عقاب الله الشديد...

(من استغنى فيها فتن و من افتقر فيها حزن) و هذه علاات الدنيا و قبائحها بل هذه فجائع أهلها و مصائبهم أن من اغتنى فيها و أصبح غنيا في ماله أو صحته أو جاهه أو في أي ميدان من ميادين الحياة تراه يضل و ينحرف و يسعى في الفساد فإذا أعطى فكرا يحول فكره إلى إضلال الناس و الانحراف بهم و إذا أعطى قوة تأخذه قوته إلى الاعتداء على الضعفاء و إذا كان صاحب مال تراه يستعمل أمواله فيما لا يجوز و يصرفه فيما هو محرم و هكذا قال تعالى و هو أصدق القائلين «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ»...

و أما من افتقر و أصابته الحاجة فهناك قلة الصبر الذي يعقبه الهلاك فقد يحتج على ربه و قد يخرج عن طاعته فيجمع الفقر و الكفر و هما شر الحياة و أفبح ما فيها.. إنه يحزن لفقره و تدخل قلبه الكآبة...

(و من ساعاها فاتته و من قعد عنها واتته) من أراد مغالبتها فهي غالبه له لأنه لا يطلب شيئا إلا و قد فاتته أشياء و لا يحصل على أمر إلا و قد اتضح أمامه ألف أمر لا يدركه و لا يحصل عليه...

أما من قعد عنها و لم يطلبها فإنها آتية إليه قادمة عليه لا محالة فإن حاجته واصله إليه و هذا تزهيد فيها و ترغيب في تركها...

(و من أبصر بها بصرتة و من أبصر إليها أعمته) من أبصر فيها و ما هي عليه و كيف تتحول بأهلها من حال إلى حال؟ و ما مر عليها من أجيال فراعنة طغاة و أولياء أتقياء..

كيف عاش فيها الأنبياء و كيف مارس الظلم عليها الأتقياء.. كيف تزول و لا تدوم؟ إن من نظر بها استبصر و اهتدى و عاد إلى الله و سعى إلى الجنة و نعيمها...

و أما من أبصر إليها بحيث اتخذها هدفا و تطلعت أنظاره إليها و عكف عليها و على النيل منها فلا محالة أنها تشغله عن الله و تصرفه عن عبادته و تعميمه عن رؤية الحق و العدل و عن طريق الجنة..

ص: 457

إشارة

و هي الخطبة العجيبة و تسمى «الغراء» و فيها نعت الله جل شأنه، ثم الوصية بتقواه ثم التنفير من الدنيا، ثم ما يلحق من دخول القيامة، ثم تنبيه الخلق إلى ما هم فيه من الإعراض، ثم فضله عليه السلام في التذكير

صفته جل شأنه

إشارة

الحمد لله الذي علا بحوله (1)، و دنا (2) بطوله (3)، مانح (4) كلّ غنيمة (5) و فضل و كاشف كلّ عزيمة و أزل (6). أحمده على عواطف (7) كرمه، و سوابغ (8) نعمه (9)، و أو من به أولاً باديا (10)، و أستهديه قريبا هاديا، و أستعينه قاهرا (11) قادرا، و أتوكل عليه كافيا ناصرا، و أشهد أنّ محمّدا - صلّى الله عليه و آله - عبده و رسوله، أرسله لإنفاذ أمره (12)، و إنهاء عذره (14) و تقديم نذره (15).

اللغة

1 - الحول: القوة.

2 - دنا: قرب.

3 - الطول: الفضل و السعة.

4 - مانح: معطي.

5 - غنيمة: فائدة، ما يستفيده الإنسان.

6 - الأزل: الشدة و الضيق.

ص: 458

7 - العواطف: جمع عاطفة و هي ما يعطفك على الغير و يدنيه من معروفك.

8 - السوايغ: الكوامل من سبغ الظل إذا عم و شمل.

9 - النعم: العطايا.

10 - باديا: ظاهرا.

11 - القاهر: الغالب.

12 - أنفذ الأمر: أمضاه و أجراه.

13 - الإنهاء: الإبلاغ.

14 - عذره: ما يقدمه الإنسان حجة له إذا ليم على شيء.

15 - النذر: جمع نذير الأخبار الإلهية المنذرة بالعقاب على سوء الأفعال.

## الشرح

(الحمد لله الذي علا بحوله) ابتدأ صلوات الله عليه بذكر أوصاف الله الكمالية و الجلالية و قد وصفه بالعلو و الرفعة و لكن علوه بقوته و قدرته و ليس بمكانه لأن المكان من حاجات الإمكان و هو واجب الوجود الغني عن كل موجود...

(و دنا بطوله) فهو قريب منا ليس بالمكان و إنما بالفضل و الإحسان فنعمه قبل وجودنا و بعده و إلى آخر انقضاء حياتنا...

(مانح كل غنيمة و فضل) فما من نعمة أو عطية أو فائدة أو منحة إلا و هي فضل كرمه و عطاء يده قال تعالى: «وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ» ...

(و كاشف كل عزيمة و أزل) فكما أنه مبدأ الكرم في العطاء كذلك هو أساس إزالة البلايا و المصائب الكبار و الشدائد العظام فهو يعطي بكرمه و يرفع البلاء بفضلته قال تعالى: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَ يُكْشِفُ السُّوءَ وَ يُجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ» ...

(أحمدته على عواطف كرمه و سوايغ نعمه) بين سبب حمدته لله و إنه على كرمه المتواصل المترادف و نعمه الواسعة الكبيرة النبي تزيد على حاجة الإنسان و متطلباته و هي نعم ظاهرة و باطنة، يمكن للإنسان إدراكها و قد تخفى عليه...

(و أومن به أولا باديا) اعتقد به أنه الأول الذي منه صورت الكائنات و إنه الظاهر للعيان بمشاهدة القلوب و البصائر و في كل شيء له آية تدل على أنه واحد...

(و استهديه قريبا هاديا) أطلب منه الهداية و الرشاد لقربه منا بفضلته وجوده و هو

المتصف بالهداية و واضعها فيرجع إليه فيها «اهدنا الصراط المستقيم»...

(و استعينه قاهرا قادرا) فهو القادر المطلق فمنه نطلب الاستعانة على أمورنا كلها و هو الغالب لكل أحد، و كل شيء مسخر له مأمور بأمره و من هنا نطلب منه الاستعانة...

(و أتوكل عليه كافيا نصرا) و الكافي هو الذي لا يحتاج معه إلى أحد فيقوم بكفايته بكل أمر يحتاج و الناصر هو الدافع للأعداء و المقوي لأصحابه و معطيهم النصر و ين الأمرين كان الله و كان عليه التوكل...

(و أشهد أن محمدا عبده و رسوله أرسله لإنفاذ أمره و إنهاء عذره و تقديم نذره) إقرار للنبي محمد بالعبودية و الرسالة فهو عبد الله و رسوله عن يديه تؤخذ التشريعات و إليه ينتهي الإنسان في أخذ ما يريد الله و ما يحب.

ثم بين أغراض الرسالة التي من أجلها كانت بعثته و قد بين أموراً ثلاثة...

1 - أرسله ليبلغ الناس رسالة الله و ينفذها في حياتهم و يطبقها عليهم...

2 - أرسله لئلا يعذبهم بدون أن يبين لهم فيكون عذابهم مع بيانه عذرا له فلا يلام كما يكون لهم الحجة قبل البعثة و إيصال التكليف إليهم و تكون الحجة عليهم فيما لو قصرُوا و تهاونوا و لم يؤدوا المفروض عليهم...

3 - أرسله ليتقدم لهم بالإنذار الذي هو تبليغ الأحكام مع التخويف من عذاب الله و عقابه و إن هناك من العذاب ما لا يقوى عليه بشر...

## الوصية بالتقوى

### إشارة

أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب الأمثال (1)، و وقت (2) لكم الآجال (3)، و ألبسكم الرّياش (4)، و أرفع (5) لكم المعاش (6)، و أحاط (7) بكم الإحصاء (8)، و أرصد (9) لكم الجزاء (10)، و آثركم (11) بالتّعم (12) السّوايغ (13)، و الرّفد (14) الرّوافغ (15)، و أنذركم بالحجج البوالغ (16)، (17)،



فأحصاكم عددا، ووظف لكم مددا (18)، في قرار خبرة (19)، ودار عبرة (20)، أنتم مختبرون فيها، و محاسبون عليها.

## اللغة

1 - الأمثال: جمع المثل الشبيه و النظر.

2 - وقت: ضرب له وقتا أي مدة و زمنا.

3 - الآجال: الأعمار.

4 - الرياش: الثياب و قيل الفاخر منها.

5 - أرفع: العيش اتسع.

6 - المعاش: جمعه معايش ما يعاش به من المطعم و المشرب، ما تكون به الحياة.

7 - أحاط: بالشيء أحدق به من جوانبه.

8 - الإحصاء: هو عدّ الشيء و ضبطه...

9 - أرصد: أعد.

10 - الجزاء: المكافأة.

11 - آثركم: من الإيثار و هو تقديم الغير على النفس.

12 - النعم: العطايا.

13 - السوايغ: جمع سايغة و هي الواسعة.

14 - الرغد: جمع رغبة العطية و الصلة.

15 - الروافع: الواسعة.

16 - الحجج: البراهين و الأدلة.

17 - البوالغ: الظاهرة القوية.

18 - المدد: جمع مدة و هو الوقت و الزمن.

19 - قرار خبرة: دار بلاء و اختبار.

## الشرح

(أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب الأمثال) في هذا الفصل الوصية بتقوى الله التي تعني اجتناب محارمه و القيام بواجباته و قد وصفه بأنه ضرب الأمثال من أجل تقريبها

ص: 461

إلى الأذهان و جعل الأمور المعنوية بصور حسية من أجل أن يسهل إدراكها و تصورها...

وقد ضرب الله الأمثال في القرآن قال تعالى: «وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا» .

إلى غير ذلك من عشرات الأمثال...

(و وقت لكم الآجال) أي ضرب لأعماركم أوقاتا محدودة تنتهي عندها لا يمكن تجاوزها أو التعدي عنها كما قال تعالى: «وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ» و إذا كانت آجالنا مؤقتة يجب أن نستعد لها و نهيبىء لها أسباب النجاة...

(و ألبسكم الرياش) فإنه سبحانه ألبس العباد الثياب فهداهم إلى حياكتها و لبسها منة منه عليهم ليحفظوا عهده و يسترُوا عوراتهم فلا يعصوه...

(و أرفع لكم المعاش) رزقكم من الطيبات و وسع عليكم في الأرزاق فإنه سبحانه أغدق على الناس أكثر من حاجاتهم و مما يستحقون...

(و أحاط بكم الإحصاء) فهو يعلم عدد الخلائق لقد أحصاهم و عداهم عدا فلا يشذ عن علمه أحد، يعلم الصالح و الطالح و الشقي و التقى...

(و أرسد لكم الجزاء) قد أعد لكل واحد جزء عمله فالشقي إلى النار و التقى إلى الجنة قال تعالى: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَ هُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» ...

(و أترككم بالنعم السوابغ) أعطاكم العطايا الفائضة الواسعة الظاهرة و الباطنة فتحتاج إلى شكر...

(و الرفد الروافع) العطايا الواسعة الكثيرة.

(و أنذركم بالحجج البوالغ) فقد جاء الأنبياء و الرسل بأظهر الحجج و أقوىها و قدموا بين أيدي الناس ما يرقق قلوبهم و يكون حجة عليهم يوم القيامة...

(فأحصاكم عددا) فهو الذي يعرف عدد الخلق من مضي منهم و من هو قائم و من سيأتي بعد هذا.

(و وظيف لكم مددا) أي قدر لكم مدة حياتكم في هذه الأرض و إذا كانت مدة حياتنا

معدودة مقدرة يجب أن نحولها كلها إلى طاعة الله ومرضاته...

(في قرار خبرة ودار عبرة) في دار اختبار وابتلاء، فيها يمتحن الإنسان ليظهر كفره من إيمانه وطاعته من عصيانه وهي دار عظة فيها يعتبر الإنسان عند ما يراجع مسيرة الناس منذ القديم وإلى الآن فيرى الفراعنة والظالمين فيجتنب طريقتهن ويرى الأنبياء والمرسلين فيتبع طريقتهن...

(أنتم مختبرون فيها ومحاسبون عليها) ففي الدنيا يكون الاختبار وفيها يكون الامتحان.. في دار الدنيا يتميز المطيع من العاصي والشقي من التقي كما أن الحساب عليها فإن كانت حلالا جرى عليها الحساب وإن كانت حراما جرى عليها العقاب.

## التنفير من الدنيا

### اشارة

فإنّ الدّنيا رنق (1) مشربها (2)، ردغ (3) مشرعها (4)، يونق (5) منظرها، ويوبق (6) مخبرها (7). غرور (8) حائل (9)، وضوء آفل (10)، وظلّ زائل، وسناد (11) مائل (12)، حتّى إذا أنس (13) نافرها (14)، واطمأنّ ناکرها (15)، قمصت (16) بأرجلها، وقنصت (17) بأحبلها (18)، وأقصدت (19) بأسهمها، وأعلقت (20) المرء أوهاق (21) المنية (22) قائدة له إلى ضنك (23) المضجع (24)، ووحشة المرجع (25)، و معاينة (26) المحلّ وثواب العمل، وكذلك الخلف بعقب السلف (28)، لا تقلع (29) المنية اختراما (30)، و لا يرعوي (31) الباقرن اجتراما (32)، يحتذون (33) مثالا، ويمضون أرسالا (34)، إلى غاية الانتهاء، و صيور (35) الفناء.

### اللغة

1 - الرنق: الكدر.

2 - المشرب: مورد الماء.

3 - الردغ: الوحل والطين المختلط بالماء.

ص: 463

- 4 - المشرع: مورد الشرب.
- 5 - يونق: يعجب.
- 6 - يوبق: يهلك.
- 7 - المخبر: المنظر.
- 8 - الغرور: من غره إذا خدعه.
- 9 - الحائل: المتغير اللون.
- 10 - الآفل: الغائب.
- 11 - السناد: ما يستند ويعتمد عليه.
- 12 - المائل: من الحيطان أي غير المستوي.
- 13 - أنس: ضد استوحش و هو سكن القلب و عدم النفور.
- 14 - النافر: المتباعد.
- 15 - الناكر: المنكر للأمر.
- 16 - قمصت: الدابة إذا رفعت يديها و طرحتها معا.
- 17 - قنصت: اصطادت.
- 18 - الأحبل: الحبال و الشباك.
- 19 - أقصدت: أصابت القصد.
- 20 - أعلقت به: ربطت بعنقه.
- 21 - الأوهاق: جمع وهق بالفتح و هو الحبل.
- 22 - المنية: الموت.
- 23 - الضنك: الضيق.
- 24 - المضجع: موضع الضجع و هو إلقاء الإنسان جنبه بالأرض، القبر.

25 - المرجع: محل الرجوع و العود.

26 - المعاينة: المشاهدة بالعين.

27 - الخلف: المتأخرون.

28 - السلف: المتقدمون.

29 - أقلع: كف.

30 - الاخترام: الاستئصال.

31 - لا يرعوي: لا يرتدع.

32 - الاجترام: ارتكاب الجرائم.

33 - يحتذون: يقتدون.

34 - الارسال: القطيع من الإبل.

35 - صيور الأمر: مصيره و ما يؤول إليه.

ص: 464

(فإن الدنيا رنق مشربها) وصف الدنيا بعدة أوصاف كلها لتبين حقيقتها والتحذير منها فأولى أوصافها أن لذاتها مشوبة بالمنغصات والآلام و كما يقول الحكماء ليس هناك لذة كاملة أو كما يقول بعضهم الملذات رفع للحاجات...

(ردغ مشرعها) شبه متناول الدنيا و طالبها برجل دخل في أرض موحلة فكما أن هذا تزل قدمه و يسقط و لا يتخلص إلا و عليه آثار الوحل كذلك الدنيا تزل أقدام طلابها و متناولها إلا من كان له القدرة القوية على تجاوزها بفكره و فهمه...

(يونق منظرها و يوبق مخبرها) فالدنيا جميلة إذا نظر إليها الإنسان بمنظار ما يظهر منها فهناك أموال و جمال و عقارات و ملاهي و ملاذ.. هناك جنات و طبيبات هذا ما يظهر من الدنيا و لكن لو نظر الإنسان إلى حقيقتها رأى هلاكه في هذه الأشياء.. رأى أن المال إذا أخذ من غير طريقه المشروع جريمة كما إنه إذا صرف في غير مورده جريمة..

و الحكم إذا لم يكن لله فهو جريمة.. و هكذا حال الدنيا كلها إذا لم تكن لله كانت مصيبة على أصحابها فهي تهلك هذا الإنسان دون أن يعرف...

(غرور حائل) إنها تغرّ الإنسان و تضعه في أجواء السعادة ثم لا تلبث أن ترميه بالبلاء و المصائب فكم من سامر عاش لذة سمره مع أحبائه و أقرانه لم يطلع الفجر عليه إلا في مساءة و حزن و ألم...

(وضوء آفل) فهي كالضوء الذي يؤنس الإنسان و يريه الدرب ثم لم يلبث أن يتحرك حتى ينطفئ فيتحير الإنسان و لا يقدر على الحركة...

(و ظل زائل) فلا يكاد يستريح الإنسان إليها حتى تخرج من يده و لا تعود إليه...

(و سناد مائل) لا يستطيع الإنسان أن يستند إليها و يعتمد عليها لأنها تتركه يسقط بمجرد أن يطمئن إليها لأنها لا تدوم لأحد...

(حتى إذا أنس نافرها و أطمأن ناكرها) هذه هي حال الدنيا تجذب إليها من كان هاربا منها نافر عنها و كذلك من كان منكرا لها و عليها تجعله بلذاتها مطمئنا إليها حتى إذا أنس النافر و اطمأن الناكِر لم تدعهم بأنسهم و اطمئنانهم بل...

(قمصت بأرجلها) فاجأتهم بهذه الوحشة المرة دفعتهم عنها فاستبدلت أنسهم بالوحشة...

(وقنصت بأجلها) اصطادتهم بحبالها و شراكها التي نصبتها لهم من حب الدنيا و الانحراف و التطلع إلى ما فيه الهلاك...

(و أقصدت بأسهمها) رمتهم بأسهمها التي هي الأمراض و الآفات فأصابت مقصدها و ما هدفت إليه...

(و أعلقت المرء أوهاق المنية) ربطت هذا الإنسان بحبال الموت التي هي الأمراض و الآفات التي تزوره بين الحين و الآخر و قد تحل به و لا تخرج منه إلا بخروج روحه...

(قائدة له إلى صنك المضجع) فهذه الأمراض تقود هذا الإنسان إلى ضيق القبر و شدته و يالها من قائدة ما أقساها و أقواها...

(و وحشة المرجع) فإن المرجع إلى القبر و هو بيت الوحشة و بيت الغربة و بيت الوحدة حيث لا أهل و لا أحباب و لا أصدقاء... تخلى الجميع عنه و تركوه في حفرته و حيدا غريبا...

(و معاينة المحل) إنه سيرى موقعه و محله الذي سيصل إليه، لقد انكشف الغطاء.. فإن القبر إما روضة من رياض الجنان أو حفرة من حفر النيران.. أو كما يقول الحديث الآخر يفتح في القبر فتحة يرى موقعه في الجنة فيتنعم أو يرى موقعه في النار فيتألم...

(و ثواب العمل) فما كان يعمل في دار الدنيا من الخيرات و الأعمال الصالحة سينال جزاءه و ثوابه بعد الموت.

(و كذلك الخلف بعقب السلف) فيموت الأولون من الآباء و الأجداد و يأتي الأبناء و الحفدة و لا يعتبرون بما فعلت الدنيا بمن تقدم عليهم من أسلافهم و من تقدم عليهم...

(لا تغلغ المنية اختراما) لا تخطيء المنية إصابتهم بل إصابتها في الصميم و لكل فرد فرد و هي لا ترتدع عن أخذهم أو الكف عن تناولهم و شاهد الحال ما نراه من عدم بقاء أحد ممن تقدم علينا...

(و لا يرعوي الباقرن اجتراما) فبالرغم من مشاهدتهم للمنية و ما فعلت بمن تقدم عليهم فإن هؤلاء السلف الباقرن لا يرتدعون أو يكفون عما يعملون من المعاصي و الآثام و ما فيه غضب الرحمن...

(يحتذون مثالا) إنهم يسرون بسيرة من تقدمهم و يقتفون أثرهم دون أن يعتبروا بما



حل بهم و ما أهلكهم.. إنهم مثلهم و على طريقتهم...

(و يمضون أرسالا) يمضون متتابعين مترسلين نحو هدفهم المرسوم لهم من لقاء الله و نيل جزائه...

(إلى غاية الانتهاء و صيور الفناء) و هذه هي غاية و نهاية مسيرتهم إنها إلى الفناء و الهلاك و بعده يأتي الحساب فيعطي للمطيع الثواب و للعاصي العقاب..

## بعد الموت البعث

### إشارة

حتى إذا تصرّمت (1) الأمور، و تقصّنت (2) الدهور (3)، و أزف (4) الشّور (5)، أخرجهم من ضرائح (6) القبور، و أوكار (7) الطّيور، و أوجرة (8) السّباع، و مطارح (9) المهالك، سراعاً إلى أمره، مهطعين (10) إلى معاده، رعيلاً (11) صموتا (12)، قياماً صفوفاً، ينفذهم البصر، و يسمعهم الدّاعي، عليهم لبوس (13) الاستكانة (14)، و ضرع (15) الاستسلام و الذّلة (16). قد ضلّت الحيل (17)، و انقطع الأمل، و هوت (18) الأفتدة (19) كاظمة (20)، و خشعت (21) الأصوات مهيمنة (22)، و أجم (23) العرق (24)، و عظم الشّفق (25)، و أرعدت (26) الأسماع لزبرة (27) الدّاعي إلى فصل الخطاب، و مقايضة (28) الجزاء، و نكال (29) العقاب، و نوال (30) الثّواب.

### اللغة

1 - تصرمت: انقطعت و ذهبت.

2 - تقصّنت: تصرمت.

3 - الدهور: الأزمان.

4 - أزف: دنا و قرب.

ص: 467

5 - النشور: البعث و الحياة بعد الموت.

6 - الضرائح: جمع ضريح الشق في وسط اللحد.

7 - الأوكار: جمع وكر و هو عش الطائر.

8 - الأوجرة: جمع وجر و هو بيت السباع و الضباع و نحوها.

9 - مطارح: أماكن الطرح و الإلقاء.

10 - مهطعين: مسرعين مع خوف.

11 - الرعيل: جماعة من الناس مجتمعين.

12 - الصموت: السكوت.

13 - اللبوس: بالفتح ما يلبس.

14 - الاستكانة: الخضوع.

15 - ضرع: بالتحريك الوهن و الضعف.

16 - الذلة: الإهانة.

17 - ضلت الحيل: بطلت و تعطلت.

18 - هوت: سقطت.

19 - الأفئدة: القلوب.

20 - كاظمة: مكروية.

21 - خشعت: ذلت و خضعت.

22 - الهيمنة: الصوت الخفي.

23 - اللجام: حديدة توضع في فم الفرس.

24 - العرق: ما يترشح من بدن الإنسان من الماء.

25 - الشفق: محرقة الخوف.

26 - أرعدت: عرتها الرعدة.

27 - الزبرة: من زبره إذا نهره وزجره.

28 - المقايضة: المعاوضة.

29 - النكال: العقوبة.

30 - النوال: العطاء.

## الشرح

(حتى إذا تصرمت الأمور و تقضت الدهور و أزف النشور) بعد أن ذكر صلوات الله عليه مآل الإنسان و مصيره و إنه سيرجع إلى القبور أراد أن يبين ما يلحقه بعد ذلك... إنه سيبقى فيها رهينة إلى أن تنقضي الأيام و الأزمنة المقدره لهذه الدنيا و يقترب وقت

ص: 468

الحساب و خروج الناس من قبورهم للوقوف بين يدي الله عندها...

(أخرجهم من ضرائح القبور و أوكار الطيور و أوجرة السباع و مطارح المهالك) أمرهم بالخروج من مواضعهم و أماكنهم فمن توفر له قبر أخرج منه و من أكلته الطيور أعاده من لحومها و من افترسته السباع عاد بقدرة الله من بطونها و من بقي في العراء طريحا حللته عوامل الأيام فتحول إلى تراب سيعود من مكان موته و هكذا سيجمع الله الجميع و إن تعددت أماكن قبورهم و مواضع القضاء عليهم...

(سراعا إلى أمره) و قد وصف حالهم حين صدور أمره لهم بالنشور و الخروج بأوصاف يرق لها القلب القاسي الشديد و أول أوصاف خروجهم أنهم يخرجون مسرعين إلى تنفيذ أمره بالخروج فلا تباطؤ و لا تأخير...

(مهطعين إلى معاده) مسرعين إلى الوقت الذي واعدهم فيه أن يعيدهم.

(رعيلًا صموتا) مجتمعين في سكوت و خشوع ينتظرون ثوابه أو عقابه...

(قيامًا صفوفًا ينفذهم البصر) إنهم قائمون في صفوف منتظمة تحت رقابة الله و نظره لا يفوته منهم أحد و لا يخرج عن إحصائه لهم كثرة عدد...

(و يسمعهم الداعي) تصل أصوات الداعي الذي يبلغهم ذلك عن الله إلى الجميع إنه قد أعطاه الله القدرة على إيصال صوته إلى كل أذن في ذلك المحشر العام...

(عليهم لبوس الاستكانة) و هذا وصف لهم في تلك الحالات الصعبة في المحشر إنهم في صورة المسكنة و الخضوع قولًا و حركة و مظهرًا و مخبرًا...

(و ضرع الاستسلام و الذلة) بادية عليهم الذلة في استسلام للأمر الواقع بهم فلا يرفضون و لا يعاندون، إنه لهول ذلك اليوم ينقاد كل شيء و يستسلم و يذل...

(قد ضلت الحيل) بطلت وسائل التخلص المختلفة التي كان يستعملها الإنسان في دار الدنيا و لم يعد لها وجود أو دور...

(و انقطع الأمل) فلا أمل في الدنيا بعد اليوم لأنهم لن يعودوا إليها...

(و هوت الأفئدة كاظمة) سقطت القلوب عن أماكنها في كرب و حزن و ألم خالية من كل فرح و سرور فإن ذلك الوقت لهوله و شدته لم يملك الإنسان قلبه و لم يملك شجاعته بل يتهاوى و يتساقط...

(و خشعت الأصوات مهيمنة) انخفضت تلك الأصوات التي كانت عالية فلا تسمع

إلا همسا كما قال تعالى: «وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا» .

(و أجم العرق) و لشدة يوم القيامة يصل العرق الذي يرشح من بدن الناس إلى أفواههم فيلجمهم عن الكلام و يمنعهم عن النطق...

(و عظم الشفق) اشتد الخوف و الفزع و كيف لا يخشى من ذلك اليوم و يخاف منه و فيه هذه الأهوال و الشدائد؟!...

(و أرعدت الأسماع لزبرة الداعي إلى فصل الخطاب و مقايضة الجزاء و نكال العقاب و نوال الثواب) اضطربت أسماع البشر و اهتزت لصوت الداعي الذي يدعوها إلى الحساب العادل و التام، إنها زجرة و صيحة من أجل أن يرفع كل حسابه و ينال جزاءه فما عمله في الدنيا له جزاء الآن و نتيجته ستظهر في هذا الموقف فمن عمل خيرا كان له الثواب عطاء من الله و من عمل الشر نال العقوبة و العذاب، إنه موقف رهيب يأخذ الإنسان فيه نتيجة عمله و يحصد ما زرع و يقطف ثمرة ما غرس..

## تنبيه الخلق

### إشارة

عباد مخلوقون اقتدارا (1)، و مريبون اقتسارا (2)، و مقبوضون احتضارا (3)، و مضمّنون أجداتا (4)، و كائنون رفاتا (5)، و مبعوثون أفرادا، و مدنيون (6) جزاء (7)، و مميّزون (8) حسابا. قد أمهلوا (9) في طلب المخرج، و هدوا سبيل المنهج (10)؛ و عمّروا (11) مهل المستعيب (12)، و كشفت عنهم سدف (13) الرّيب (14)، و خلّوا (15) لمضمار (16) الجياد (17)، و رويّة (18) الارتباد (19)، و أناة (20) المقتبس (21) المرتاد (22)، في مدّة الأجل (23)، و مضطرب (24) المهل.

### اللغة

1 - الاقتدار: القدرة.

2 - الاقتسار: من القسر و هو القهر.

ص: 470

- 3 - الاحتضار: حضور الموت.
- 4 - الأجداث: القبور.
- 5 - الرفات: بضم الراء الحطام و الفتات.
- 6 - مدينون: مجزيون من الدين و هو الجزاء.
- 7 - الجزاء: المكافأة.
- 8 - مميزون: من التمييز و هو الفصل و التبيين.
- 9 - أمهلوا: من الإمهال و هو التأخير.
- 10 - المنهج: الطريق الواضح.
- 11 - أعمروا: عاشوا حياة طويلة.
- 12 - مهل المستعتب: المهل هو الإمهال و المستعتب هو المسترضي.
- 13 - السدف: جمع سدفة و هي الظلمة.
- 14 - الريب: جمع ريبة و هي الشبهة و ابهام الأمر.
- 15 - خلوا: تركوا.
- 16 - المضممار: الزمان أو المكان الذي تضمّر فيه الخيل.
- 17 - الجياد: كرام الخيل.
- 18 - الروية: التدبر و التفكير.
- 19 - الارتياذ: طلب ما يراد.
- 20 - الأناة: التأخير و الانتظار.
- 21 - المقتبس: طالب العلم و النار.
- 22 - المرتاد: الطالب.
- 23 - الأجل: الوقت، مدة العمر.

## الشرح

(عباد مخلوقون اقتدارا) ذكر الإمام أناسا مرت أوصافهم فيما تقدم و ذكر ما ينتابهم في يوم الحشر و النشر و ذكر هنا لاؤلئك أوصافا تحملهم على خط الطاعة و الإيمان و تبعدهم عن طريق التمرد و العصيان و ينبه بهذا الكلام على ما خلقوا من أجله و ما يصير أمرهم إليه...

فأولئك الناس الذين تقدم ذكرهم مخلوقون بقدرة الله القادر القوي و ليس بقدرتهم

ص: 471

و من كان مخلوقا لله و بقدرته لا يجوز أن يخالف أمره و يعصيه...

(و مربوبون اقتسارا) و هم مملوكون لخالقهم قهرا عنهم و ليس بقدرتهم و من كان مملوكا و جب عليه الطاعة لمالكه...

(و مقبوضون احتضارا) الله سبحانه يقبضهم إليه و يحضرهم بالموت إلى جنابه، فإذا حضر الموت فارقت نفس هذا الإنسان الحياة و وقع حسابه على الله...

(و مضمنون أجداثا) و بعد القصور مصيرهم إلى القبور حيث تضمهم إلى البعث و النشور...

(و كائون رفاتا) و هذا ما نراه بالعيان فعند ما يفتح بعض القبور القديمة لا نرى إلا عظاما تحولت إلى تراب قد أكلها الزمن و فتتها و فرقها...

(و مبعوثون أفرادا) كل إنسان يأتي وحده قد تخلى عنه أهله و أولاده و أصحابه و ترك أمواله و أرزاقه كما قال تعالى: «وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ تَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ» أو قوله تعالى: «وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا» ...

(و مدينون جزاء) تجزون بما كنتم تعملون فمن عمل خيرا يجزى بالجنة و من عمل شرا يجزى بالنار كما قال تعالى: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ» .

(و مميزون حسابا) و لا- بد أن يميزوا بحسب الجزاء فالمحسنون سينفردون طائفة خاصة يتحركون نحو الجنة و المسيئون سينفردون بأوصافهم طائفة أخرى يتحركون إلى النار...

(قد أمهلوا في طلب المخرج) أخرهم الله في الدنيا من أجل أن يدركوا طريق الخير و الرشاد فيعودوا إلى الطاعة و يتركوا المعصية ففي الدنيا سعة من أجل رجوعهم إلى الله...

(و هدوا سبيل المنهج) وضعهم الله على الطريق السليم حيث و فرّ لهم سبل الهداية بما زودهم به من العقول و ما بعث لهم من الرسل و الأنبياء و المبشرين...

(و عمّروا مهل المستعيب) مد الله في أعمارهم طويلا و أمهلهم في دار الدنيا كي يرجعوا إلى أنفسهم و يتوبوا إلى ربهم كما يمهل من أريد استعبابه و رجوعه فإنه يعطي من الوقت ما به تكون عودته و الله أعطانا أعمارا طويلة لنعود إليه و نرجع إلى رحابه...



(و كشفت عنهم سدف الريب) كشف الله عن بصائرهم ظلمات الشك و التردد بما أرسل إليهم من الرسل و زودهم به من العقول لإزاحة الشبه و الظنون و إدخالهم في عالم العلم و اليقين...

(و خلوا لمضمار الجياد) فقد تركهم الله في الدنيا كي يستعدوا للفوز في الآخرة كما ترك كرائم الخيل في محل تضميرها أو زمانه من أجل السباق و الفوز بالجائزة...

(و روية الارتياح) أمهلهم من أجل طلب الحق و الوقوف على العلم الصحيح الموصل إلى اليقين...

(و أناة المقتبس المرتاد في مدة الأجل و مضطرب المهمل) فكما يتأنى المقتبس لجذوة النار كي يبصر أمامه و يرتاد مقصده كذلك الله أمهلهم في الدنيا مدة أجلهم فيها و أعمارهم التي أعطاهم حتى يتحركوا نحو سعادتهم و يمشوا إلى نعيمهم...

## فضل التذكير

### إشارة

فيا لها أمثالا صائبة (1)، و مواعظ (2) شافية (3)، لو صادفت (4) قلوبا زاكية (5)، و أسماعا واعية (6)، و آراء (7) عازمة (8)، و ألبابا (9) حازمة (10)! فاتقوا الله تقيّة من سمع فخشع (11)، و اقرتف (12) فاعترف، و وجل (13) فعمل، و حاذر (14) فبادر (15)، و أيقن فأحسن، و عبّر فاعتبر (16)، و حدّر فحذر، و زجر فازدجر (17)، و أجاب فأناب (18)، و راجع فتاب، و اقتدى (19) فاحتذى (20)، و أرى فرأى، فأسرع طالبا، و نجا هاربا، فأفاد (21) ذخيرة (22)، و أطاب (23) سريرة (24)، و عمّر معادا، و استظهر زادا (25)، ليوم رحيله و وجه سبيله (26)، و حال حاجته، و موطن فاقتته (27)، و قدّم أمامه لدار مقامه. فاتقوا الله عباد الله جهة ما خلقكم له، و احذروا منه كنه (28) ما حدركم من نفسه، و استحقّوا منه ما أعدّ لكم بالتّنجّز (29) لصدق ميعاده (30)، و الحذر من هول معاده (31).

- 1 - صائبة: غير عادلة عن الصواب، أدركه وأصابه.
- 2 - المواعظ: النصائح وكل كلام يعيد الإنسان إلى الله.
- 3 - الشافية: البريئة من المرض ونحوه.
- 4 - صادفت: لاقت.
- 5 - الزاكية: الطاهرة.
- 6 - الواعية: الحافظة.
- 7 - الآراء: المعتقدات وما يراه الإنسان.
- 8 - العازمة: ذات العزم.
- 9 - الألباب: العقول.
- 10 - الحازمة: ذات الحزم والحزم ضبط الرجل أمره.
- 11 - خشع: خضع.
- 12 - اقترب: اكتسب.
- 13 - الوجل: الخوف.
- 14 - حاذر: من حذر الشيء إذا خافه.
- 15 - بادر: سارع.
- 16 - اعتبر: اتعظ.
- 17 - الزجر: المنع.
- 18 - اناب: رجع وتاب.
- 19 - اقتدى به: فعل مثل فعله.
- 20 - احتذى: شاكل بين عمله وعمل مقتداه فأحسن القدوة.

21 - أفاد: استفاد.

22 - الذخيرة: ما يدخره الإنسان ويجمعه لوقت الحاجة.

23 - أطاب: جعلها طيبة أي غير خبيثة.

24 - السريرة: الدخيلة، ضد العلانية.

25 - استظهر زادا: أعده.

26 - السبيل: الطريق.

27 - الفاقة: الحاجة.

28 - الكفة: حقيقة الشيء ونهايته وغايته.

29 - التنجز: الاستعجال وعدم التأخير.

ص: 474

## الشرح

(فيا لها أمثالا صائبة و مواعظ شافية) أشار هنا إلى ما قدمه من الكلام، أراد أن يرغبهم فيه و يدفعهم للتأثر بمضمونه فيقول يا لها و ما أعظمها أمثالا- أدركت مرادها و حققت مطلوبها و مواعظ تبرئ العليل و تشفي المريض و ليس العجز في البيان وإنما العجز في هذا الإنسان و المعترف قليل و من أراد أدرك فهذا همام الذي وعظه الإمام في خطبة المتقين تفارق روحه الحياة لتأثره بالموعظة بينما غيره يقابلها بالجفاء و الخشونة و لا يتأثر بها من قريب او بعيد...

(لو صادفت قلوبا زاكية و أسماعا واعية و أراء عازمة و ألبابا حازمة) فهذه الأمثال تدرك مقصودها و هذه المواعظ تشفي المرضى إذا كان السامع قابلا لذلك و هذا لا يتحقق إلا إذا التقت هذه الكلمات مع القلوب الطاهرة التي لم تتكدر بأوساخ الحقد و الأنانية و الحسد و الأمراض الأخرى و كذلك كانت الأسماع واعية أي حافظة متأثرة بالكلام و كذلك يشترط أن تكون الآراء قاصدة للرشد و الهداية و كانت العقول قابلة للأخذ بالحزم و القوة و اليقين...

(فاتقوا الله تقيه من سمع فخشع) أمرهم بتقوى الله التي تكون مثل تقوى من استجمع هذه الأوصاف و هي في مقام عظيم...

تقوى من سمع للحق و صوت العدل فخشع له و التزمه...

(واقترف فاعترف) و تقوى من اكتسب إثما و عصى ربه فاحترق قلبه بنار المعصية فبادر إلى الاعتراف و الإقرار بمعصيته و من ثم إلى التوبة و محو الحوبة...

(و وجل فعمل) تقوى من خاف ربه فعمل لرضاه بترك معاصيه و القيام بأوامره فإن من خاف أمرا هرب منه و من أراد أمرا طلبه...

(و حاذر فبادر) تقوى من خاف عقوبة ربه فبادر إلى العمل بما يرضاه و من خاف أحدا عمل بأمره و لم يتعرض لسخطه...

(و أيقن فأحسن) تقوى من أيقن بالجزاء و الثواب و العقاب فأحسن عمله لينال أجره و يدرك ثوابه...

(و عبر فاعتبر) تقوى من رأى مواعظ الله في خلقه مرارا بل قد تكون في نفسه فاتعظ بها و أخذ الدرس ليفوز بالسعادة التي هي نتيجة العمل بما رأى من الموعظة...

(و حذر فحذر) تقوى من خوف من عقاب الله و عذابه فخاف منه و ارتدع عن كل ما يسخطه...

(و زجر فزجر) تقوى من منع تكليفا عن المحرمات و كل ما يضر فامتنع عنها و توقف عن ممارستها...

(و أجاب فأجاب) سمع كلام الله فأجابه و لبي نداءه ثم رجع إليه و عاد إلى رحابه و ما يحب و يرضى...

(و راجع فتاب) تقوى من راجع ذنبه و التفت إليه و أدرك أثره و قبحه فتاب إلى الله منه و امتنع عن العودة إليه...

(و اقتدى فاحتذى) تقوى من اقتدى بالأنبياء و رآهم المثل الأعلى له فاحتذى حذوهم و سار بطريقتهم و على نهجهم و ما رسموه و شرعوه...

(و أرى فرأى) أرى الدلالات و العلامات الموصلة إلى الله فرأها حقيقة و أدركها بعين العقل و الفهم فكانت نتيجة رؤيته و وقوفه أنه...

(فأسرع طالبا و نجا هاربا) أسرع طالبا للجنة و مريدا لها يعمل من أجل الوصول إليها كما إنه هرب من النار فنجنا من ألمها و شدة حرارتها و أيضا...

(فأفاد ذخيرة) اكتسب أعمالا صالحة يعدها لهول يوم الحساب و الوقوف بين يدي الرحمن...

(و أطاب سريرة) عمل على ما يصلح نفسه و يجعل سره و ما في قلبه طيبا بأن ينوي الخير للناس و كل ما ينفعهم و يبادر إلى ذلك و لا ينوي لأحد سوءا...

(و عمّر معادا) جعل يوم حسابه عامرا بالخيرات و الأعمال الصالحة و من كان يوم حسابه مملؤا بالطاعات نجاء...

(و استظهر زادا) أي حمل على ظهره زادا من الخيرات و الأعمال الصالحة أي عمل الأعمال الطيبة الصالحة التي تنفعه في ساعات الحاجة و أوقات الاضطرار...

(ليوم رحيله و وجه سبيله و حال حاجته و موطن فاقته) فهذا الزاد الذي يحمله و يعمل له إنما هو ليوم الآخرة حيث يرحل من الدنيا و يقصد الوقوف بين يدي الله

للحساب و الجزاء و في تلك الحال فهو من أشد الناس حاجة، إنه مقام الفاقة و الفقر يحتاج الإنسان فيه إلى صغير العمل الصالح فضلا عن كبيره...

(و قدم أمامه لدار مقامه) أي قدم التقوى و العمل الصالح أمامه إلى دار الإقامة و الدوام فلا يتحول عنها و كيف يتحول و قد اختارها بأعماله و سلوكه...

(فاتقوا الله عباد الله جهة ما خلقكم له) أمرهم بتقوى الله التي تعني العمل بأوامره و الامتناع عن نواهيه و لكن التقوى التي لأجلها خلقهم الله و هي الوصول إلى معرفته و إدراك مقاصده بدون رياء و لا سمعة و لا غرض من أغراض الدنيا فإننا خلقنا لأجل معرفته و عبادته فيجب أن نتوجه إلى هذا الهدف دون غيره مما لا يوصل إليه...

(و احذروا منه كنه ما حذركم من نفسه) احذروا من الله حقيقة تحذيره الذي قطعه على نفسه فإنه أخذ عليها عقاب من عصاه و تمرد على رأيه و لم يعمل بأمره قال تعالى:

«فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» ...

(و استحقوا منه ما أعد لكم بالتنجز لصدق ميعاده و الحذر من هول معاده) اجعلوا أنفسكم مستحقة لما أعد له لكم و قد أعد جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها لا يستحقها إلا من عمل لها و ذلك بالمبادرة إلى فعل ما أمر و الصدق في طلب ما أراد و إن وراء هذه الدنيا حساب و عقاب و كذلك بالخوف و الحذر من شدائد الحساب و العقاب، فنصدق ما وعدنا به بالعمل له و نخاف من شدائد الحساب فنستعد له..

## التذكير بضروب النعم

### إشارة

و منها: جعل لكم أسماعا لتعي (1) ما عناها (2)، و أبصارا لتجلو (3) عن عشاها (4)، و أشلاء (5) جامعة لأعضائها، ملائمة (6) لأحنائها (7)، في تركيب صورها، و مدد عمرها، بأبدان (8) قائمة بأرفاقها (9)، و قلوب رائدة (10) لأرزاقها، في مجللات (11)، نعمه (12)، و موجبات (13) منته (11)، و حواجز (15) عافيته. و قدّر (16) لكم أعمارا سترها عنكم، و خلّف (27) لكم عبرا (18) من آثار الماضين قبلكم، من مستمتع خلاقهم (19)، و مستفسح (20)

خناقهم (21). أرهقتهم (22) المنايا (23) دون الآمال، وشدّ بهم (24) عنها تخرّم (25) الآجال (26). لم يمهّدوا (27) في سلامة الأبدان، ولم يعتبروا في أنف (28) الأوان (29). فهل ينتظر أهل بضاضة (30) السّباب إلّا حواني (31) الهرم (32)؟ وأهل غضارة (33) الصّحة إلّا نوازل (34) السّقم (35)؟ وأهل مدّة البقاء إلّا آونة (36) الفناء؟ مع قرب الزّيال (37)، وأزوف (38) الانتقال، وعلز (39) القلق وألم المضض (40)، و غصص (41) الجرض (42)، وتلّفت (43) الاستغاثة (44) بنصرة الحفدة (45) والأقرباء، والأعزة والأعزة و القرناء (46)! فهل دفعت الأقارب، أو نفعت التّواحب (47)، وقد غودر (48) في محلّة الأموات رهينا (49)، وفي ضيق المضجع (50) وحيدا، قد هتكت (51) الهوامّ (52) جلده، وأبلت (53) النّواهك (54) جدّته (55) وعفت (56) العواصف (57) آثاره، ومحا (58) الحدّثان (59) معالمه (60)، وصارت الأجساد شحبة (61) بعد بضّتها، والعظام نخرة (62) بعد قوتها، والأرواح مرتهنة بثقل أعبائها (63)، موقنة (64) بغيب أنبائها (65)، لا تستزاد (66) من صالح عملها، ولا تستعتب (67) من سيّء زللها (68)! أو لستم أبناء القوم والآباء، وإخوانهم والأقرباء؟ تحتذون (69) أمثلتهم، وتركبون قدّتهم (70)، وتطّون (71) جادّتهم (72)؟! فالقلوب قاسية عن حظّها، لاهية عن رشدّها، سالكة في غير مضمارها! كأنّ المعنيّ (73) سواها، وكأنّ الرّشد في إحراز (74) دنياها.

## اللغة

1 - وعى: حفظ وفهم.

2 - ما عنها: ما أهمها.

3 - تجلو: تكشف.

ص: 478

4 - العشا: مرض في العين يرى فيها نهارا و لا يرى ليلا.

5 - الأشلاء: جمع شلو و هو العضو.

6 - الملائمة: الموافقة.

7 - الأحناء: جمع حنو ما أعوج من البدن، الجوانب و الجهات.

8 - الأبدان: جمع بدن و هو جسد الإنسان.

9 - الأرفاق: جمع رفق بكسر الراء المنفعة أو ما يستعان به عليها.

10 - رائدة: طالبة.

11 - مجللات: من جلله إذا غطاه و غمره.

12 - النعم: العطايا.

13 - الموجبات: الدواعي و البواعث و الموجبة الكبيرة من السيئات أو الحسنات.

14 - المنن: جمع المنة و هو الإحسان.

15 - الحواجز: الموانع.

16 - قَدْر: حدده في قدر معين لا يزيد و لا ينقص.

17 - خلفّ : ترك.

18 - العبر: العظات، ما يعتبر به الإنسان و يتعظ.

19 - الخلاق: النصيب.

20 - المستفسح: السعة.

21 - الخناق: ما يشد على الحلق فيميت كالحبل و شبهه.

22 - أرهقتهم: أعجلتهم و أدركتهم.

23 - المنايا: جمع المنية الموت.

24 - شذّبهم: قطعهم و مزقهم من شذب الشجرة إذا قشرها.



25 - تخرمته: استأصلته و اقتطعته.

26 - الآجال: جمع الأجل وقت الموت.

27 - لم يمهدوا: لم يهيئوا و يصلحوا.

28 - أنف: أول.

29 - الأوان: الأوقات.

30 - البضاضة: النعومة، رقة الجلد و امتلاء البدن.

31 - الحواني: جمع الحنو و هو ضد الاستقامة.

32 - الهرم: الكبير، أو أقصى الكبير.

33 - الغضارة: النعمة و السعة و الخصب.

34 - النوازل: المصائب الشديدة.

35 - السقم: المرض.

ص: 479

- 36 - الآونة: جمع أوان الزمان.
- 37 - الزيال: من زايله إذا فارقه.
- 38 - الأزوف: الدنو والقرب.
- 39 - العلز: قلق واضطراب وهلع يصيب المريض المحتضر.
- 40 - المضض: الوجع، وبلوغ الحزن من القلب.
- 41 - الغصص: جمع غصة وهي الشجا.
- 42 - الجرض: هو ابتلاع الريق على هم.
- 43 - التلفت: صرف الوجه نحو الشيء والنظر إليه.
- 44 - الاستغاثة: الاستعانة.
- 45 - الحفدة: أولاد الأولاد.
- 46 - القرناء: الأصحاب.
- 47 - النواحب: جمع ناحية التي ترفع صوتها بالبكاء.
- 48 - غودر: ترك وبقي.
- 49 - رهينا: حيسا.
- 50 - المضجع: مكان الاضطجاع، القبر.
- 51 - هتكت: جذبت وقطعت وانتزعت.
- 52 - الهوام: الحيات وكل ذي سم يقتل.
- 53 - أبلت: من بلي الثوب إذا رث، فني.
- 54 - النواهك: جمع ناهكة وهي ما ينهك البدن أي يبليه.
- 55 - الجدة: الجديد ضد البالي والقديم.
- 56 - عفت: درست.

57 - العواصف: الرياح الشديدة.

58 - محا: الشيء أزاله و أذهب أثره.

59 - الحدثان: النوائب.

60 - المعالم: جمع معلم و هو ما يستدل به، و هنا يقصد به الآثار.

61 - شحبة: هالكة.

62 - نخرة: بالية.

63 - الأعباء: الأثقال.

64 - الايقان: الاعتقاد و العلم.

65 - الأنباء: الأخبار.

66 - لا تستزاد: لا يطلب منها الزيادة.

67 - لا تستعتب: لا يطلب منها تقديم العتبي أي التوبة من العمل القبيح.

ص: 480

68 - الزلل: الخطأ.

69 - تحتذون: تقتدون.

70 - القدة: بالكسر الطريقة.

71 - تطئون: تدوسون.

72 - جادتهم: طريقهم.

73 - المعني: المقصود.

74 - أحرز الشيء: حازه وصانه وأذخره.

## الشرح

(جعل لكم أسماعا لتعي ما عنانها) في هذا الفصل تذكير للعباد بنعم الله و تنبيه لهم إلى الغاية من تلك النعم كما فيه موعظة أن يعتبروا بمن سلف من الآباء والأجداد...

فمن النعم العظام الجسم ما جعله لنا من أدوات السمع وهي الآذان التي تلتقط ما يهمها ويخصها ونعمة السمع عظيمة و جلييلة بها يدرك الإنسان مطلوبه و يقف على جمال الألحان و الأصوات و بها يدرك مراد الآخرين و يفهم ما يقصدون و هذه الآذان عليها حقوق أن لا تسمع الباطل و لا يعصى الله من خلالها...

قال الإمام زين العابدين في رسالة الحقوق:

و أما حق السمع فتنزيهه عن أن تجعله طريقا إلى قلبك إلا لفوهة كريمة تحدث في قلبك خيرا أو تكسب خلقا كريما فإنه باب الكلام إلى القلب يأوي إليه ضروب المعاني على ما فيها من خير أو شر و لا قوة إلا بالله...

(و أبصارا لتجلو عن عشاها) و هذه من نعم الله العظمى أن خلق لنا أبصارا تكشف الأشياء و ترفع ما يمنعها من الرؤية و الوصول إلى كشف الأمور و هذه الأبصار يجب أن تستعمل فيما وجدت من أجله و شكرها يكون بذلك قال الإمام زين العابدين في رسالة الحقوق...

و أما حق بصرك فغضه عما لا يحل لك و ترك ابتذاله إلا لموضع عبرة تستقبل بها بصرا أو تستفيد بها علما فإن البصر باب الاعتبار...

(و أشلاء جامعة لأعضائها ملائمة لأحنائها) فهذه الأعضاء التي تتوزع في البدن يضمها الهيكل الكبير و يجمعها البدن بأسره و هي موافقة للجهات التي من أجلها وجدت و كانت تناسبها و توافقها...

(في تركيب صورها) فوضع كل عضو في مكانه المناسب له بحيث يؤدي دوره و يضيف على هذا الإنسان الجمال و الكمال قال تعالى: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ» ، فالعين في موقعها و الفم كذلك و هكذا سائر الأعضاء إبداع إلهي عظيم من حكيم عليم...

(و مدد عمرها) فجعل لكل عضو عمرا يناسب أعمار الأعضاء الأخرى فلا يموت قبلها أو يصاب دونها...

(بأبدان قائمة بأرفاقها) فإن هذه الأبدان قائمة بمصالحها و منافعها فتدفع ما يضرها و تجري نحو ما ينفعها و فيها قوة ذاتية لمحاربة من يقصدها بسوء و فيها قوة دفاع عن كل مكروه يمكن أن يفسدها...

(و قلوب رائدة لأرزاقتها) فالقلوب تطلب أرزاق هذه الأبدان و ما يديمها و يقويها،...

(في مجالات نعمه) نعم الله عامة و شاملة لكل المخلوقات و أيضا تامة منذ انعدت النطفة و إلى أن تنتهي مدة إقامته على هذه الأرض من أصغر أموره و أحقرها إلى أعظمها و أجلها...

(و موجبات مننه) فإن عطايه الكثيرة تستحق أن يشكروه عليها و تمنعهم من اقتحام معاصيه...

(و حواجز عافيته) فإنه سبحانه جعل لهذا الإنسان عافية تحجزه عن المرض و تمنع سقوطه في أيدي العلل و هذه نعمة تستحق الشكر...

(و قدّر لكم أعمارا سترها عنكم) و هذه من النعم إنه سبحانه جعل لكل فرد عمرا معيناً يعيش فيه في الدنيا و عند ما ينتهي يموت، يعلم الله مقداره طولاً و قصراً سعادة و شقاء ستره سبحانه عن أصحابه لما في ذلك من المصلحة حيث أنه لو اطلع الإنسان على مقدار عمره على وجه اليقين اضطرب حاله و أصيب بالقلق و الهم...

(و خلّف لكم عبرا من آثار الماضين قبلكم) و هذه رحمة إلهية تصيب هذا الإنسان و تدركه نتيجة ما تركه من كان قبلهم من الأمم الماضية و الشعوب السابقة فإن فيها من العبر و العظات ما لا يمكن إحصاؤه أو عدّه... تمر على الآثار و الأطلال فتتذكر كيف كانوا و كيف عاشوا و كيف عمروا و بنوا و بعد ذلك كيف ارتحلوا و أنت و أنا على نفس الطريق و في نفس النهج...

(من مستمتع خلاقهم و مستفسح خناقهم) هذه بعض ما كانوا يتمتعون به من الدنيا كانوا يأخذون نصيبهم منها و يتمتعون بطيباتها و ينالون حظوظهم منها و كانوا في فسحة من الموت الذي يأخذ بأخناقهم فيمنعهم من الحياة.. لقد أخذوا حظهم في مدة حياتهم و طول بقائهم في الدنيا..

(أرهقتهم المنايا دون الآمال) لقد كانوا عقدوا الآمال العريضة على حياتهم و راحوا يرسمون مستقبلهم و ما سيصير أمرهم إليه في الدنيا و لكن كل هذا قضى عليه الموت فأهلكهم و سقطت آمالهم دون أن يتحقق منها شيء...

(و شذ بهم عنها تخرم الآجال) قطعهم الموت عن الدنيا بحلوله فيهم و أخذهم بدون إذن منهم، و من كانت هذه سيرته يجب أن يعود إلى الله و يرجع إلى طاعته...

(لم يمهّدوا في سلامة الأبدان) لم يعملوا لآخرتهم و يستعدوا للقاء الله في حال الصحة و السلامة و هذه سيئة لا يتنبه لها الإنسان إلا بعد فوات الأوان، بعد أن يسقط في المرض و يشل قدرته يندم و يأسف...

(و لم يعتبروا في أنف الأوان) لم يتعظوا و يعملوا بما ينفع و يفيد في أوائل أمورهم و مبدأ حياتهم.. في حياتهم لم يستفيدوا ما ينفعهم في رحيلهم...

(فهل ينتظر أهل بضاضة الشباب إلا حواني الهرم) و هذا استفهام استنكاري - للغافلين منا.. إنه تنبيه لنا بأن نعومة الشباب و رقة الجلود و استقامة الأجساد لا تبقى هكذا بل سيأتي عليها الزمن فتكبر فتتحنى القامات المستقيمة و يذبل الشباب و يذوي...

(و أهل غضارة الصحة إلا نوازل السقم؟) و هذه الصحة العامرة و التي لم يمر في ذهن أصحابها أنها تمرض هذه سينزل بها المرض الشديد فيقعدها عن الحركة و يمنعها من الرقاد و يجعلها تأنّ و تتألم...

(و أهل مدة البقاء إلا أونة الفناء؟) و هؤلاء الذين كانوا من أهل البقاء حيث كانت تدفعهم أحوالهم الجيدة إلى ذلك هؤلاء ينتظرهم الموت الذي ينقلهم من دارهم فيها إلى آخرة لم يعرفوها...

(مع قرب الزيال) فالمفارقة قريبة جدا و كل منا ما أسرع خطاه نحو الآخرة و مفارقة الأحبة...

(و أزوف الانتقال) قرب الانتقال عن هذه الدار إلى الدار الآخرة...

(وعلز القلق) فإن هناك هموما و هلعا و خوفا و ارتجافا لما يقدم عليه الإنسان و ما ينتظره...

(و ألم المصنص) فالقلب يتوجع لما يصيب هذا الإنسان و يلم به...

(و غصص الجرض) و من شدة ذلك الوقت أن الإنسان يغصص بريقه و لا يكاد يبلغه...

(و تلفت الاستغاثة بنصرة الحفدة و الأقرباء و الأعزة و القرناء) فهذا الإنسان المسكين عند ما تحضره منيته و يقترب أجله يأخذ في النظر تارة إلى اليمين و أخرى إلى اليسار يستنجد و يستعين بذريته و أقربائه من أعمامه و أخواله و من هم أعزة لديه و أحباب له يتوجه إلى الجميع يستغيث بهم أن يعينوه أو ينصروه أو يخففوا عنه من سكرات الموت و آلامه فلا يجد من يقدر على إزالة ذلك أو يملك تخفيف ما نزل به و حل بساحته، لقد تخلى عنه الأهل و تركه الأصدقاء و عجز عنه من أحبه.. إنه وحده المصاب دونهم و هو المبتلى لا سواه...

(فهل دفعت الأقارب أو نفعت النواحب) استفهام استنكاري أي لم تدفع أقاربه عنه الموت بل حل بساحته و لم تنفعه الباقيات عليه مهما ندبته و بكين عليه فلا القرابة تنفع و لا البكاء يرد القضاء...

(و قد غودر في محلة الأموات رهينا و في ضيق المضجع وحيدا) قام أهله بتجهيزه و دفنه و ترك في المقابر مع من تقدمه من الموتى سجيناً في قبره و يا له من محل ما أضيقه و أصغره، حفرة صغيرة يتمدد فيها البطل لا يقدر على الخروج و لا على الحركة أعاننا الله عليها و فيها...

(قد هتكت الهوام جلده) فالحشرات تولت أكله فمزقت جلده الناعم و أخذت لحمه الطري...

(و أبلت النواهك جدته) فإن ذلك الجسد الغض الطري الناعم الممتلى قد أتت عليه الرطوبة فتعضن و بلي و تمزق فإن نواهك البدن و ممزقاته كثيرة في ذلك القبر الصغير...

(و عفت العواصف آثاره) درست رياح الزمان و ما حل به كل أثر له، فلم يبق شيء يدل عليه أو يحكي عن وجوده و إنه كان...

(و محا الحدثان معالمه) لقد أزلت الأحداث و عوامل الزمان كل ما كان يدل عليه

أو ينبىء عن وجوده، فالبيت الذي شاده و سكنه تهدم و الشجرة التي غرسها قلعت و كل أمر يحكي عنه قد زال و قضى...

(و صارت الأجساد شحبة بعد بؤتها) فبعد امتلاء الأجساد و نعومتها أضحت بعد الموت سوداء متغيرة هالكة فانية...

(و العظام نخرة بعد قوتها) و هذه العظام التي كانت قوية في وجه الصدمات يتحرك بها الإنسان و يشتد لقد أضحت بعد قوتها بالية فانية فإنك تفتح بعض القبور تجد العظام قد تحولت إلى تراب...

(و الأرواح مرتهنة بثقل أعبائها) ما سلف و تقدم كان بالنسبة إلى هذا الجسد الترابي أما الأرواح فلها نصيبها و عليها يقع الحمل الثقيل إنها مأخوذة بأوزار ما قدمت من المعاصي و الآثام قال تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» ...

(موقنة بغيب أنبائها) لقد وصلتها أخبارها و ما سينالها و يصيبها بعد الموت على السنة الرسل و الأنبياء و تيقنت بذلك و صدقته لأنهم السنة الله إلى الخلق...

(لا تستزاد من صالح عملها و لا تستعقب من سيئ زللها) بالموت انقطع العمل الصالح فلا تستطيع نفس أن تزيد فيه أو تكثر منه كما أن بالموت ترتفع أوقات التوبة و لم يعد لها مكان فقد لزمته السيئات و كل معصية فعلها لا يمكنه التحلل منها...

(أو لستم أبناء القوم و الآباء و إخوانهم و الأقرباء) بعد أن وصف حال الآباء و ما مر عليهم في الدنيا و ما يمر عليهم أثناء الموت و بعده التفت إلى الحضور يذكرهم بحالهم و يردهم إلى أصلهم فيستفهم مستنكرا أنكم أنتم أبناء القوم الذين شرحنا حالهم و وصفنا أفعالهم، إنهم الآباء و أنتم الأبناء.. إنهم الإخوان و الأقرباء الذين سيصيبكم ما يصيبهم...

(تحتدون أمثلتهم) تفعلون كما يفعلون، تقتدون بهم...

(و تركبون قدتهم) تمشون على طريقتهم التي ساروا عليها فكأنكم هم...

(و تطؤون جادتهم) تسيرون على نفس الطريق الذي ساروا عليها و يصيبكم ما أصابهم تماما...

(فالقلوب قاسية عن حظها) القلوب بعيدة عن إدراك ما يصلحها و ينفعها و لا تتعظ بما مرّ على غيرها...



(لا هية عن رشدها) غافلة عن طلب الهداية لها و ما يوصلها إلى الحق و العدل و ما فيه نجاتها...

(سالكة في غير مضمارها) تسير في غير طريقها المعد لها و ما هو من شأنها و محلها فحقها أن تكون في موكب المستسلمين لله الملتزمين بأمره فإذا بها في قائمة الرافضين لحكم الله المتحللين من كل التزام...

(كأن المعنى سواها و كأن الرشد في إحراز دنياها) كأن ما ورد من الوصايا و الأحكام و التشريع و التقنين يقصد به غير هؤلاء المخاطبين و كأن الرشد في تناول الدنيا و الحصول عليها فحسب دون أن تمتد أنظارهم إلى الآخرة و الاهتمام بها..

## التحذير من هول الصراط

### إشارة

و اعلموا أن مجازكم (1) على الصراط (2) و مزلق دحضه (4)، و أهويل (5) زلله (6)، و تارات (7) أهواله؛ فاتقوا الله عباد الله تقيّة ذي لبّ (8) شغل التّفكّر قلبه، و أنصب (9) الخوف (10) بدنه (11)، و أسهر (12) التّهجد (13) غرار (12) نومه، و أظمأ (15) الرّجاء هواجر (16) يومه، و ظلف (17) الرّهد شهواته، و أوجف (18) الذّكر بلسانه، و قدّم الخوف لأمانه (20)، و تنكّب (21) المخالجات (22) عن وضح السّيبيل (23)، و سلك أقصد المسالك (14) إلى التّهج المطلوب؛ و لم تقتله (26) فاتالات الغرور، و لم نعم (27) عليه مشتهيات (28) الأمور، ظافرا (29) بفرحة البشري (30)، و راحة النّعمى (31)، في أنعم نومه، و آمن يومه. و قد عبر (32) معبر العاجلة (33) حميدا، و قدّم زاد الآجلة (34) سعيدا، و بادر (35) من وجل (36)، و أكمش (37) في مهل (38)، و رغب في طلب، و ذهب عن هرب، و راقب في يومه غده، و نظر قدما (39) أمامه. فكفى بالجنّة ثوابا و نوالا (40)، و كفى بالنّار عقابا و وبالا (41)! و كفى بالله منتقما و نصيرا! و كفى بالكتاب حجيجا (42) و خصيما (43)!

- 1 - مجازكم: سيركم و ممركم.
- 2 - الصراط: هو الطريق الموصل إلى الجنة أو إلى النار.
- 3 - المزالق: جمع مزلق الموضع الذي لا تثبت عليه قدم.
- 4 - الدحض: انقلاب الرجل بغتة فيسقط المار.
- 5 - الأهاويل: الأمور المفزعة.
- 6 - الزلل: المزالق، و تطلق على المعاصي و الانحرافات.
- 7 - التارات: جمع تارة و هي المرة و الحين، الدفعات.
- 8 - اللب: العقل.
- 9 - أنصب: أتعب.
- 10 - الخوف: الفزع.
- 11 - البدن: الجسد.
- 12 - أسهر: من السهر و هو عدم النوم.
- 13 - التهجد: أصله السهر و يأتي بمعنى النوم فهو من الأضداد و هو هنا العبادة ليلاً.
- 14 - الغرار: قلة النوم و أصله قلة لبن الناقة.
- 15 - أظماً: من الظماً و هو العطش.
- 16 - الهواجر: جمع هاجرة و هي نصف النهار عند اشتداد الحر.
- 17 - ظلف: منع.
- 18 - أوجف: أسرع و الوجيف ضرب من السير.
- 19 - الذكر: تسييح الله و تحميده و ما أشبه ذلك.
- 20 - الأمان: الاطمئنان، السلامة.

21 - تنكّب: عن الشيء مال عنه.

22 - المخالج: المشاغل.

23 - وضح السبيل: الوضح محرّكة الجادة والسبيل هو الطريق.

24 - أقصد المسالك: أقوم الطرق.

25 - النهج: الطريق الواضح.

26 - فتله: صرفه ورده.

27 - لم تعم: من العمى ولم تعم عليه لم تخف عليه.

28 - المشتبهات: من الأمور هي المشكلة، ما لم يتضح ويظهر معناه...

29 - الظافر: الغالب والفائز فيما يريد، المنتصر.

ص: 487

30 - البشرى: الخبر المفرح.

31 - النعمى: بضم النون سعة العيش و نعيمه.

32 - عبر: جاز و عبر الطريق إذا قطعه.

33 - العاجلة: الدنيا.

34 - الآجلة: الآخرة.

35 - بادر: سارع.

36 - الوجل: الخوف.

37 - أكمش: أسرع.

38 - المهل: الرفق و التؤدة.

39 - القدم: بضم التين المضني إلى أمام.

40 - النوال: العطاء.

41 - الوبال: الوحامة، سوء العاقبة، الشدة.

42 - الحجيج: المغالب يظهار الحججة.

43 - الخصيم: المخاصم المجادل و المنازع.

## الشرح

(و اعلموا أن مجازكم على الصراط و مزالق دحضه) كل إنسان لا بد و ان يمر على الصراط و هو الطريق إلى الجنة و مكانه فوق النار أدق من الشعرة أو حد السيف فمن اجتازه فيآلى الجنة و من هوى عنه فيآلى النار و بهذا جاءت الأخبار و يجب الاعتقاد به على إجماله دون تفصيلاته.. إنه طريق دقيق لا تستقر عليه إلا أقدام المطيعين.. أما العصيين فتزل أقدامهم و يسقطون بغتة في جهنم.. إنه طريق يحتاج إلى تقوى و إيمان و التزام...

(و أهويل زلله، و تارات أهواله) يتذكر الإنسان تلك الحالات الصعبة المرعبة التي تهدده بالسقوط في النار و تلك الأوقات التي تأتي بين الحين و الآخر بما يفزع و يربع و من كان في معرض الوصول إلى هذه الحالات و جب عليه أن يستدركها بالعمل الصالح ليتخلص منها و ينجو من أهوالها و من المعلوم أن الطريق الذي يؤمن العبد من هذه الأمور ينحصر بطاعة الله و القيام بكل ما أمر و الانتهاء عن كل ما نهى...

(فاتقوا الله عباد الله تقيية ذي لب شغل التفكير قلبه) أمرهم عليه السلام أن يكونوا على تقوى الله، التقوى التي تحرك العقل و تستشيريه في قضايا الآخرة و ما فيها و ما ينفع لإدراكها و الحصول عليها... و من لم يفكر في الآخرة لا يقدر على العمل لها؟. و من لا

ص: 488

يعلم حسننها ووجوب السعي لها لا يطلب الطريق إليها ولا يسعى لإدراكها...؟ فالتقوى المنبعثة عن فكر وإدراك هي المنطلق لحسن العمل وتمامه...

(وأنصب الخوف بدنه) أتعب الخوف بدنه فهو يشعر بالعذاب والعقاب فيتعب بدنه بالعبادات ووسائل تحصيل الخيرات، و المنافع العائدات...

(وأسهر التهجد غرار نومه) أذهبت العبادات في الليل كل نومه ومنعته حتى من القليل منه وهذا دأب الصالحين حلفاء المحراب، و رهبان الليل الذين لا تغمض لهم عين ولا تأخذهم سنة بل منعهم ذكر الميعاد لذة النوم...

(وأظماً الرجاء هواجر يومه) ورجاؤه بما أعده الله لعباده المطيعين جعله يتشوق إلى ذلك فيصوم في شدة الحر و ما أطيّب الظمأ وأحسنه في تموز و آب عند ما تفتح الرياح الحارة وجه الصائم فيشعر أنه في عبادة ويشعر بلذة الألم في طاعة الله، و الله إنها لذة عظيمة يدركها الصائم في تلك اللحظات...

(وظلف الزهد شهواته) و شهوات النفس كثيرة تدفع بهذا الإنسان إلى ارتكاب الحرام ولكن هذا الإنسان لزهده بالدنيا فقد امتنع عن الشهوات و متطلبات النفس و مشتبهاتها...

(و أوجف الذكر بلسانه) و لسانه دائماً في تمتمة تسيبها و تحميدها و تهليلاً، إن هذا اللسان في سرعة دائمة إلى ذكر الله و الثناء عليه و تعداد نعمه و شكره عليها...

(و قدم الخوف لأمانه) خاف في الدنيا من ارتكاب المعاصي فامتنع عنها فأدرك بذلك الأمان في الآخرة و كل من خاف الله في الدنيا امتنع عن ارتكاب المحارم فكان حقاً على الله أن لا يجمع له خوف الدنيا و خوف الآخرة...

(و تنكّب المخالغ عن وضع السبيل) لم تشغله الشواغل و لم تصرفه الصوارف عن الطريق المستقيم و السبيل القويم فترك الملذات المباحة و هجر الأمور الجائزة و اشتغل فيما يرضى الله و يوصل إلى رضوانه...

(و سلك أقصد المسالك إلى النهج المطلوب) و سار على أعدل الطرق إلى ما أراد الله و أحب، فإن الاستقامة و الطهارة و النزاهة هي أقرب الطرق إلى مراد الله و من أحب الله قصد إليه من أحب الطرق إليه و أشدها اعتدالاً و استقامة...

(و لم تقتله فاتلات الغرور) لم تصرفه عن الطاعات و الأعمال الخيرة صارفات الشهوات التي تخدع المرء و تصرفه عن الصالحات فإن صوارف الدنيا كثيرة كلها تأخذ

بعنان هذا الإنسان و تصرفه إلى ما يضره فهذا الإنسان لا ينقاد إليها و لا يسلم عنانه بيدها...

(و لم تعم عليه مشتبهات الأمور) و الأمور المشتبهة التي لا يعلم وجهها لا يرتكبها أو يمارسها بل يفحصها و يدقق فيها حتى يحصل منها على اليقين فيما طاب منها تناوله و ما خبت اجتنبه...

(ظافرا بفرحة البشرى و راحة النعمى) لقد ظفر بالفرحة الكبرى حيث بشرته الملائكة بالفوز و السعادة إنها تتلقاه بقولها: «بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار» و هناك النعيم و السعادة و الراحة الأبدية التي لا يعكر صفوها شيء...

(في أنعم نومه و آمن يومه) في أحسن راحة و أنعمها و آمن أيامه و أسلمها حيث لا فزع و لا تعب فقد عمل في أيام الفناء لأيام البقاء...

(و قد عبر معبر العاجلة حميدا و قدم زاد الآجلة سعيدا) قد اجتاز طريق الدنيا محمود السيرة فهو كان ذا سلوك جيد يعمل في سبيل الله و من أجل مرضاته يروض نفسه بالتقوى و يعمل للآخرة.. كان الناس ينظرون إليه فيحمدون أفعاله...

لقد قدم زاد الآخرة الذي هو الإيمان و العمل الصالح حالة كونه سعيدا في إيمانه و عمله...

(و بادر في وجل) أسرع إلى العمل في دار الدنيا خوفا من عقاب الله و عذابه أو مع الخوف من قبول العمل و رده...

(و أكمش في مهل) أسرع إلى الأعمال الصالحة في فسحة العمر التي أعطاها الله له فإن عمر الإنسان هو الذي يحدد له مستقبله فإن أسرع إلى الطاعات فيه و عمل الصالحات فاز و إذا أخرّ و سوفّ أو عصى و تمرد خسر و ندم...

(و رغب في طلب) رغب في الحق فطلبه و سعى للحصول عليه و كما قال الإمام في بعض كلمات من رغب في أمر طلبه أو إنه رغب فيما طلب الله منه من الأمور...

(و ذهب عن هرب) ذهب عن الباطل هربا منه و من تبعاته و ما يلحق فاعله من العقاب و الندم...

(و راقب في يومه غده) فهو في دار الدنيا و على قيد الحياة يعمل ناظرا إلى الآخرة فكل ما ينفعه هناك سعى له في الدنيا و أجاده و أبدع فيه...

(و نظر قدما أمامه) نظر إلى ما يرضي الله فسعى إليه دون أن يلتفت إلى غيره...

(فكفى بالجنة ثوابا ونوالا وكفى بالنار عقابا وبالا) هذا ترغيب في الجنة و ترهيب من النار.. ترغيب فيما يوصل إلى الجنة وإن من أدرك هذه الغاية فقد أدرك أقصى المنى وأعلى الأشياء كما أنّ من دخل النار كان في أقصى الشقاء والعذاب وشتان بين الجنة و ثوابها وبين النار و عقابها فكل واحدة منهما هي منتهى ما يصل إليه الأتقياء والأشقياء...

(و كفى بالله منتقما و نصيرا) و في الله وحده كفاية فهو الكافي للانتقام من الظالمين و هو الكافي لنصرة المستضعفين...

(و كفى بالكتاب حجيجا و خصيما) في الكتاب الكريم حججا قوية واضحة و براهين ساطعة نيرة لا يستطيع أن يقف أمامها عاقل أو يرفضها مفكر فهي الحجج التي تفحم اللبيب و تلزمه الحجة و هي تخصصه و تنتصر عليه..

## الوصية بالتقوى و ذكر خلق الإنسان

### إشارة

أوصيكم بتقوى الله الذي أعذر (1) بما أنذر (2)، و احتجّ بما نهج (4)، و حذركم عدوّا نفذ (5) في الصدور خفيّا، و نفث (6) في الأذان نجيا (7)، فأضلّ و أردى (8)، و وعد فمّنّى (9)، و زيّن (10) سيئات الجرائم (11)، و هوّن موبقات (13) العظائم، حتّى إذا استدرج (14) قرينته (15)، و استغلق رهينته (16)، أنكر ما زيّن، و استعظم ما هوّن، و حذّر ما أمّن.

و منها في صفة خلق الإنسان أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام (17)، و شغف (18) الأستار، نطفة (19) دهاقا (20)، و علقة (21) محاقا (22)، و جنينا (23) و راضعا، و وليدا



و يافعا (24)، ثم منحه قلبا حافظا، ولسانا لافظا، وبصرا لاحظا، ليفهم معتبرا، و يقصّر مزدجرا؛ حتى إذا قام اعتداله (25)، و استوى مثاله (26)، نفر (27) مستكبرا، و خبط (28) سادرا (29)، ماتحا (30) في غرب (31) هواه، كادحا (32) سعيا لدنياه، في لذات طربه (33)، و بدوات (34) أربه (35)؛ ثم لا يحتسب رزية (36)، و لا يخشع (37) تقية؛ فمات في فتنته غريرا (38)، و عاش في هفوته (39) يسيرا، لم يفد (40) عوضا، و لم يقض (41) مفترضا (42) دهمته (43) فجعات (44) المنية (45) في غبر (46) جماحه (47)، و سنن (48) مراحه (49)، فظلّ سادرا، و بات ساهرا، في غمرات (50) الآلام، و طوارق (51) الأوجاع و الأسقام (52)، بين أخ شقيق، و والد شقيق، و داعية بالويل (53) جزعا (54)، و لا دمة (55) للصددر قلقا؛ و المرء في سكرة ملهثة (56) و غمرة كارثة (57)، و أنة (58) موجعة، و جذبة (59) مكربة (60)، و سوقة (61) متعبة. ثم أدرج في أكفانه مبلسا (63)، و جذب منقادا (64) سلسا (65)، ثم ألقى على الأعواد رجيع (66) و صب (67)، و نضو (68) سقم، تحمله حفدة (69) الولدان، و حشدة (70) الإخوان، إلى دار غربته، و منقطع زورته (71)، و مفرد و حشته؛ حتى إذا انصرف المشيع (72)، و رجع المتفجع (73)، أقعد في حفرة نجيا لبهتة (74) السؤال، و عثرة (75) الامتحان. و أعظم ما هنا لك بليّة (76) نزول الحميم (77)، و تصلية (78) الجحيم (79)، و فورات (80) السعير (81)، و سورات (82) الزفير (83)، لا فترة (84) مريحة، و لا دعة (85) مزيحة (86)، و لا قوّة حاجزة، و لا موة ناجزة (87)، و لا سنة (88) مسلّية، بين أطوار الموتات (90)، و عذاب الساعات! إنا باللّه عانذون (91)!.  
عباد الله، أين الذين عمّروا فنعموا (92)، و علّموا ففهموا، و أنظروا (93)

فلهوا (94)، و سلّموا فنسوا! أمهلوا طويلا و منحوا (95) جميلا، و حدّروا أليما، و وعدوا جسيما! احذروا الذنوب المورّطة (96)، و العيوب المسخطة (97).

أولي الأبصار و الأسماع، و العافية و المتاع (98)، هل من مناص (99) أو خلاص، أو معاذ (100) أو ملاذ (101)، أو فرار أو محار (103)! أم لا؟! «فأنتى توفكون (104)!» أم أين تصرفون (105)! أم بماذا تغتزون (106)! و إنّما حظّ أحدكم (107) من الأرض، ذات الطّول و العرض، قيد (108) قدّه (109)، متعقرا (110) على خدّه! الآن عباد الله و الخناق (111) مهمل، و الرّوح مرسل (112)، في فينة (113) الإرشاد، و راحة الأجساد، و باحة (114) الاحتشاد (115)، و مهل البقيّة، و أنف (116) المشيّة (117)، و إنظار التّوبة، و انفساح (118) الحوبة (120)، قبل الضّنك (121) و المضيق، و الرّوع (122) و الزّهوق (123)، و قبل قدوم الغائب المنتظر و إخذة العزيز المقتدر.

قال الشريف: و في الخير: أنه لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود، و بكت العيون، و رجفت القلوب. و من الناس من يسمي هذه الخطبة: «الغراء».

## اللغة

1 - أعذر: أتى بما يعذر، صار معذورا.

2 - أنذر: بالأمر أعلمه و حذره من عواقبه.

3 - احتج: ادعى و أتى بالحجة و احتج بالشيء جعله حجة و عذرا له.

4 - نهج: الأمر أبانه و أوضحه.

5 - نفذ: دخل.

6 - نفث: نفخ.

7 - النجى: من تحدّثه سرا.

8 - أردى: أسقط و أرداه في البئر أسقطه فيها.

ص: 493

- 9 - منى: الأمانة الكذب.
- 10 - زين: حسن وزخرف.
- 11 - الجرائم: الذنوب و كأنها الكبيرة منها.
- 12 - هون: الأمر عليه سهله و خففه.
- 13 - الموبقات: المعاصي، و الموبق المهلك.
- 14 - استدرج: فلان إذا خدعه في أمر ليدخل في غيره.
- 15 - القرينة: التابعة.
- 16 - الرهينة: المرهونة و هي المحبوسة و استغلق رهينته جعله بحيث لا يمكن تخليصه.
- 17 - الأرحام: أماكن تكوّن الجنين في بطن الأم.
- 18 - شغف: جمع شغاف و هو في الأصل غلاف القلب استعاره هنا للمشيمة.
- 19 - النطفة: ماء الرجل أو ماء المرأة.
- 20 - الدهاق: المملوءة أو المتتابعة.
- 21 - العلقة: الدم المتجمد.
- 22 - المحاق: ثلاثة ليال من آخر الشهر سميت محاقا لأن القمر يخفى فيها.
- 23 - الجنين: الولد ما دام في رحم الأم.
- 24 - اليافع: هو الغلام الذي شارف البلوغ.
- 25 - قام اعتداله: الاعتدال هو التساوي و منه الاعتدال الربيعي إذا تساوى الليل و النهار.
- 26 - استوى مثاله: بلغت قامته حد ما قدر لها من النمو.
- 27 - نفر: جزع و تباعد، شرد.
- 28 - خبط: البعير إذا ضرب بيديه إلى الأرض و مشى لا يتوقى شيئا.
- 29 - السادر: المتحير و أيضا الذي لا يبالي و لا يهتم بما صنع.

30 - الماتح: الذي يستقى من البئر و هو على رأسه.

31 - الغرب: الدلو العظيم.

32 - الكدح: شدة السعي، الجد.

33 - الطرب: الاهتزاز و الاضطراب فرحا.

34 - البدوات: من بدأ إذا ظهر.

35 - الإرب: الحاجة.

36 - الرزية: المصيبة.

37 - خشع: خضع و ذل.

38 - الغرير: الشاب، أو المغرور.

39 - الهفوة: الزلة.

ص: 494

- 40 - لم يفد: لم يكتسب و لم يستفد.
- 41 - لم يقض: لم يؤد و يفعل.
- 42 - المفترض: الواجب.
- 43 - دهمته: غشيته.
- 44 - فجعات: الرزايا.
- 45 - المنية: الموت.
- 46 - غبر الشيء: بضم الغين و تشديد الباء بقايا.
- 47 - جماحه: يقال جمع الفرس إذا غلب فارسه و جمع الرجل إذا ركب هواه.
- 48 - السنن: الطريقة.
- 49 - مراحه: من المراح شدة الفرح و النشاط.
- 50 - غمرات: جمع غمرة و غمرة الشيء شدته و مزدحمه.
- 51 - طوارق: الدواهي.
- 52 - الأسقام: جمع السقم و هو المرض.
- 53 - الويل: الهلاك، و الشر.
- 54 - الجزع: عدم الصبر بالحزن و الكآبة.
- 55 - اللدم: ضرب الصدر.
- 56 - ملهثة: من لهث إذا أخرج لسانه عطشا و تعباً أو إعياء.
- 57 - كارثة: من كرثه الغم إذا اشتد عليه الغم و بلغ المشقة.
- 58 - أنة: من الأنين و هو التأوه.
- 59 - جذبه: من الجذب الذي هو ضد الدفع عنه و أصبح علم للمنية لأنها تجذب النفوس.
- 60 - مكربة: من الكرب و هو الشدة و الغم.

61 - السوقة: من ساق المريض نفسه عند الموت و سيق أسرع في نزع الروح.

62 - أدرج: الشيء في الشيء أدخله و ضمنه.

63 - مبلسا: متحيرا يائسا.

64 - منقادا: لفلان إذا أطاعه و أذعن له و خضع.

65 - السلس: السهل الانقياد.

66 - الرجيع: الكالّ و أصله أنه يرجع مرارا حتى يكلّ .

67 - الوصب: محرّكة المرض و الوجع.

68 - النضو: بالكسر المهزول من الإبل و غيره.

69 - الحفدة: مفردها الحافد، ابن الابن، الخادم، التابع، الناصر.

70 - الحشدة: الجمع و الحشود الجموع.

ص: 495

71 - الزورة: المرة من زار و الزيارة هي الإتيان بقصد الالتقاء بمن تريد.

72 - المشيع: الذي يخرج معك ليودعك.

73 - المتفجع: المتوجع.

74 - البهتة: الحيرة.

75 - العثرة: السقطة.

76 - البلية: المصيبة.

77 - الحميم: الماء الحار.

78 - التصلية: الاحراق و المراد هنا دخول جهنم.

79 - الجحيم: جهنم، النار.

80 - فورات: من فار القدر إذا غلت و ارتفع ما فيها.

81 - السعير: جمعه شعر لهب النار.

82 - سورات: جمع سورة الحدة و الشدة.

83 - الزفير: صوت النار عند توقدها.

84 - الفترة: الهدنة و الانكسار و الضعف.

85 - الدعة: السعة في العيش و السكون.

86 - مزيحة: مزيلة، و الإزاحة هي الإزالة.

87 - ناجزة: حاضرة.

88 - السنة: أوائل النوم.

89 - مسلية: ملهية.

90 - أطوار الموتات: أشكالها و أنواعها.

91 - عانذون: مستجيرون لآئذون.

92 - نعموا: تنعموا.

93 - أنظروا: أمهلوا.

94 - لهوا: من اللهو و هو الاشتغال و التسلية بما لا يفيد.

95 - منحوا: أعطوا.

96 - المورطة: المهلكة.

97 - المسخطة: المغضبة.

98 - المتاع: كل ما ينتفع به انتفاعا قليلا غير باق.

99 - المناص: الملجأ و المفر.

100 - المعاذ: الملجأ.

101 - الملاذ: الحصن و الملجأ.

102 - الفرار: الهروب.

ص: 496



- 103 - المحار: المرجع.
- 104 - توفكون: تقلبون و تصرفون.
- 105 - تصرفون: توفكون و تقلبون.
- 106 - تغترون: تخدعون.
- 107 - خط أحدكم: نصيبه و سهمه.
- 108 - القيد: بكسر القاف معناه المقدار و بكسرها و فتحها القامة.
- 109 - القد: مقدار القامة.
- 110 - المتعفر: الذي أصابه العفر و هو التراب.
- 111 - الخناق: الحبل الذي يخنق به.
- 112 - مرسل: غير مقيد، مطلق الحرية.
- 113 - الفينة: بالفتح الحال و الساعة و الوقت.
- 114 - الباحة: الساحة و باحة الدار ساحتها.
- 115 - الاحتشاد: الاجتماع.
- 116 - أنف: بضمين أول الشيء.
- 117 - المشية: الإرادة.
- 118 - الانظار: الإمهال، و التأخير.
- 119 - الانفساح: السعة.
- 120 - الحوبة: الحاجة و الأرب.
- 121 - الضنك: الضيق.
- 122 - الروع: الفرع.
- 123 - الزهوق: للنفس معناه خروجها و زهق الشيء بطل و هلك.

(أوصيكم بتقوى الله الذي أعذر بما أنذر) حثهم عليه السلام على تقوى الله باعتبار أمور ثلاثة الأول أنه أعذر بما أنذر أي جعل لنفسه العذر أن يعاقب من وصله الإنذار وهو بيان الحكم مع التخويف من عاقبة تركه...

(واحتج بما نهج) وهذا ثاني الأمور الملزمة بالتقوى وهي أنه سبحانه جعل لنفسه الحجة في عقاب المتمردين بما بيّنه لهم من طرق الهدى وسبل النجاة من حيث شرّح لهم التكليف وأوضح أمامهم السبل...

(و حذرکم عدوا نفذ في الصدور خفيا) و هذا ثالث الأمور الموجبة للتقوى فإنه سبحانه حذرنا من إبليس حيث قال: «وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ » « فإنه عدو يجري منا مجرى الدم في العروق و يسري في الصدور مختفيا لا تراه و إنما ترى آثاره السيئة و قبائحه المشينة قال تعالى: «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ » ...

(و نفث في الآذان نجيا) و هذا أسلوب من أساليب الشيطان و طريق من طرقه الملتوية إنه يلقي في آذان الناس ما يضلهم به و يحرفهم عن مستقيم السبيل...

(فأضل و أردى) إنها صفة من صفات الشيطان يضل الإنسان بما يوسوس به إليه فيحرفه عن العدل و الحق و يهلكه بسبب هذا الانحراف...

(و وعد فمنى) إنه يعد الإنسان بأمور كاذبة لا يفي بها يعده بطول البقاء و دوام النعيم و استمرار الحياة ليعصي و يسوف التوبة و لا يشكر المنعم فيقع فجأة فريسة الموت و تضيع الآمال و يتبين كذب ما قطعته الشيطان على نفسه و ما أعطاه لهذا الإنسان من الأمان و قدمه له من الآمال...

(و زين سينات الجرائم) حسن للإنسان المعاصي القبيحة فجعله يراها حسنة إنه يأتي عن طريق الشهوات و الشباب و القوة يقول للشباب إنك في مقتبل العمر و زهرة الشباب فلو نلت حظك من هذا المحرم و بعد ذلك تتوب أو أن هذه معصية صغيرة تمحوها بحسنة و هكذا دواليك...

(و هون موبقات العظام) جعل المهلكات العظيمة من الذنوب سهلة خفيفة على النفس و تهوينها باعتبار تداركها بالتوبة فيما بعد أو لأنها معصية مارسها غيره من الكبار فجعلهم له قدوة أو يانكار أصل الإيمان أو بغير ذلك من وسائل المضلة و طرق انحرافاته الخطيرة و إن عصر الشباب و أيام الفتوة أكثر الأوقات خطرا و أكثرها تعرضا لتهوين المعصية و تصغيرها...

(حتى إذا استدرج قرينته و استغلق رهينته) حتى إذا دفع بتابعه من الناس إلى المعصية و الانحراف و استحکم الطوق عليه و صعب تخلصه منه و من الحرام عندها يصرخ في وجه تابعه بما يقول عنه الإمام و يحكي...

(أنكر ما زين و استعظم ما هون و حذر ما أمن) و هذه صورة للشيطان و عاقبة أمره مع هذا الإنسان، إن المذنب بعد اقترافه الإثم بتزيين الشيطان له يتنكر الشيطان له و ينكر عليه

ما زين، يريد به زيادة النكاية و الشماتة، يريد أن يجعلها حسرة في قلبه فينكر تزيينه للمعصية و تحسينه لها في عين الإنسان ثم لا يقتصر على ذلك بل يروح يعظم عليه المعصية و يقول له إن الله لا يغفرها لك و ليس لك توبة منها حتى تزداد حسرته و يقوى كمدته إنه يقوم اليوم بعد وقوعها منه بدور المحذّر و المخوف من عاقبتها بعد أن سبق منه الأمان من عقابها و النجاة من عذابها و هذا كما قال تعالى: «وَإِذْ زَيَّنَّا لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَنْ أَعْمَدَ لَهُمْ وَقَالَ لَّا- غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بريءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أرى ما لا ترونَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ...»

(أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام و شغف الأستار) ذكر عليه السلام حال الإنسان و تقلباته و أطوار حياته و عقبه بذكر نعمه عليه و ما أعطاه له و بيّن كفره بالنعم و إنكاره للجميل و تنكبه عن الطريق ثم كيف أدركه الموت في تلك الحالات و فصل ما يلاقه و ما يمر عليه و اذكر هذا الإنسان الذي أنشأه الله و كونه في ظلمات الأرحام حيث ينعدم النور و يدوم الديجور و هناك ظلمة الرحم و ظلمة المشيمة التي تلف الجنين قال تعالى: «يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ» و هي ظلمة الرحم و البطن و المشيمة...

(نطفة دهاقا و علقة محاقا و جنينا) بيّن عليه السلام المرحلة الأولى من مراحل تكوين هذا الإنسان إنه ابتداءً من نطفة حقيرة اندفعت من الرجل إلى رحم المرأة و بعد استقرارها و نموها تحولت إلى علقة أي قطعة من الدم لم ترتسم ملامحها و لم تستبين معالمها ثم بعد ذلك تكتمل الصورة و تصبح جنينا في صورة آدمي كامل التكوين...

قال سبحانه و تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ...»

(وراضعا و وليدا و يافعا) و هذه مرحلة أخرى من مراحل حياة الإنسان، مرحلة نزوله إلى الدنيا حيث يسقط طالبا الرضاع مستصرخا ندي أمه يلتقطه راضعا حليبها و بعد ذلك يفطم عنه فيصبح وليدا يدرج بمفرده و يستقل في مشيته ثم بعد ذلك يصبح يافعا إذا بلغ الحلم أو كاد لأنه يرتفع عن أحواله السابقة، و هذه حالات يمر فيها الإنسان تحتاج إلى عناية و كلفة و إلى تربية و تهذيب...

و هذه كلها حسب حالاته المادية و نشأته التكوينية أما حالاته المعنوية فقد أشار إليها بقوله...

(ثم منحه قلبا حافظا) يفهم الأمور ويحللها ويقف على كل شاردة وواردة ويعرف مصادر الأمور ومخارجها، بهذا القلب يجمع الحب و  
البغض، والإقبال والإدبار به يستطيع أن يدرس الماضي ويعرف الحاضر ويطل على المستقبل...

(ولسانا لافظا) هذه الكتلة اللحمية بها عرف هذا الإنسان وعن طريقها استطاع أن يوصل ما بيده وما عنده إلى الآخرين.. الكلام الذي  
تستطيع أن تحوّل به أمة إلى الإيمان كما تستطيع أن تخرجها منه،.. بهذا اللسان تجرح عظيما وتسقطه عن مكانته وبه ترفع خاملا وتجعله  
سيد المواقف وزعيم العالم... بهذا اللسان تعلن الحرب على البشرية فتدمر كل ما قدمته حضارة الإنسان وتنسف له كل جهوده وبه  
تستطيع أن توقف حمامات الدم وتحول العالم إلى واحة سلام ومنطقة أمان وتبني الحضارات وتؤسس المؤسسات...

(وبصرا لاحظا) بصرا يدرك الأمور وما يقع عليها.. بهذا البصر تكتشف طريق الحياة وتحدد الأمور وتشخصها وقد أعطى الإمام زين  
العابدين في رسالة الحقوق حق البصر وبين ما يجب له وما عليه وقد شرحنا هذه الرسالة المباركة وطبعت للمرة الخامسة...

(ليفهم معتبرا ويقصر مزدجرا) أعطاه الله هذه الأمور من أجل أن يفهم بها الحياة ويعتبر من خلالها بما جرى وما يجري.. يتعظ بهذا  
العقل الذي يدرك الأمور ويحللها ويعتبر من خلال مشاهداته بهذا البصر وما يقع عليه من عجائب الصنع وغريب الأحداث، يعتبر بما  
صدر عن العظماء من كلام وبما جرى على ألسنتهم من تعاليم وتشريع وعظات.. إنه أعطى ما أعطى من أجل أن يفهم الأمور ويعتبر بها  
ويمتنع عن القبائح ويكف عن ممارستها ويهجر المنكر ولا يقترب منه فعلا كان أم قولاً أم موقفاً وسلوكاً...

(حتى إذا قام اعتداله واستوى مثاله) أعطى الله هذا الإنسان ما أعطاه حتى إذا اكتملت فيه القوى وتناسبت مع بعضها وتساوت مع أجزائها  
فتمت خلقته بدون زيادة أو نقصان بأن بلغت الحد الأعلى من النمو الذي يجب أن تبلغه عندئذ كانت منه هذه الهفوات والانحرافات التي  
سيذكرها صلوات الله عليه وكأنه عليه السلام يريد مضمون وفحوى قوله تعالى: «كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ» الدالة على إن هذا  
الإنسان عند ما اغتنى بقوته المادية بأن اكتمل في الجسم والقوة فيحاول أن يبرز عضلاته ويطغى على أقرانه، وكذلك إذا استغنى بالمال  
يحاول أن يصرفه في معصية الله..، وإذا استغنى

بالجاه و السلطان يحاول أن يستغله في ظلم العباد و هكذا فإن هذا الإنسان عند ما تكتمل قوته و يعتدل مزاجه و تتناسب أحواله يتحول إلى هذه الرذائل ليمارسها يقول عليه السلام...

(نفر مستكبرا) ابتعد عن أحكام الله و تعاليمه.. يرى نفسه أعظم من أن يمارسها أو يقوم بها كما قال تعالى(1): «وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَوَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بَعْدَآبِ أَلِيمٍ» ...

(و خبط سادرا) مارس الأمور دون دراية لها أو معرفة بها لا يبالي بما وقع منه أو صدر عنه، لا يفرق بين ما يجب عليه و ما يجب له إنه في أبان مراهقة يغلب عليه الطيش و عدم الاتزان و الرصانة...

(ماتحا في غرب هواه) فكما إن الدلو العظيم ينزح به الماء من أجل الإرواء و رفع الظمأ فقد شبه عليه السلام هوى هذا الإنسان بالدلو الكبير فهو يأخذ بكل ما يمليه عليه هواه و يستوعب به مشتهاه دون مراجعة لدين أو أمر من أمور العقل أو الشرع المبين..

فهو لجهله يستعمل هواه و يستوفي به كل ما يريد...

(كادحا سعيًا لديناه) إنه يجد و يجتهد و يبذل قصارى جهده في سبيل الدنيا و من أجلها و يقصر النظر عليها غافلا عن آخرته ناسيا ذكر ربه، و من كان سعيه لديناه فحسب بالطبع تكون خسارته كبرى و مصيبته عظيمة و يكون مبلغ عمله حقيرا و قليلا...

(في لذات طربه) إنه يسعى من أجل الحصول على لذاته و مرحة و فرحه فهو مغمور فيها...

(و بدوات أربه) فكل أمر يخطر بباله أو يبدو له من لذة أو فرح بادر إليه و سعى لاقتناصه دون النظر إلى عواقبه و ما يترتب عليه...

(ثم لا يحتسب رزية و لا يخشع تقيية) لا يحسب للمصائب حسابا و هذا حال الجاهل الغافل و الشاب المعتد بقوته ينسى المصائب و العلل و حوادث الدهر و لا يخاف من الله فيرتدع عن معصيته، إنه لا يخشع قلبه و لا يخاف الله في معصية...

(فمات في فتنته غريرا) مات في ضلاله شابا بعد لم يستوف أيامه و لم يكمل عمره أو مات مغرورا قبل أن يستيقظ من غفلته و يستفيق من غفوته...7.

ص: 501

(وعاش في هفوته يسيرا) عاش مع أخطائه وزلاته و معاصيه هذا العمر القصير و ليس كله بطبع الحال بل تلك المدة التي استوفى فيها قوته و استطاع أن ينال لذته و ما أفصرها من مدة و ما أسرع سيرها في الحياة...

(لم يفد عوضا و لم يقض مفترضا) لم يستفد أمرا من أمور الكمال يعوّض به ما فاتته من أيام عمره فلم يسعى من أجل تهذيب نفسه و ترويضها على التقوى و خدمة العباد كما و إنه لم يتم بواجب فرضه الله عليه فيؤدي بذلك حق الله و يسقط تكليفه الملقى عليه...

(دهمته فجعات المنية في غبرّ جماحه و سنن مراحه) بينما هو في تلك الحالات اللاهية و إذا بمصائب المنية تفجّأ و دواهيها تحل بساحته إنه و في نفسه بقايا قوة و هو في أحوال لهوه و فرحه و إذا بسهام المنية و رسل الموت يأتونه يروعون و يدعون أيامه سوداء...

(فظل سادرا و بات ساهرا) بعد أن فاجأته مصائب الموت و لم يكن يحسب لها حسابا وقع متحيرا لا يدري ما ذا يفعل لقد أسقط ما في يده و عجز عن تلافي ما قصر و بات ساهرا من الألم و الوجع...

(في غمرات الآلام و طوارق الأوجاع و الأسقام) إنه يمر في أصعب حالات الألم قد حلت به الأوجاع و الأمراض لا يستطيع التخلص منها أو الهروب من وجهها، فنفسه تنقبض و أنفاسه تتعثر و أوجاعه تشتد و لا يقوى على حركة و يفقد كل نشاط و من رأى مسجى يحتضر أدرك بأم عينه ما يعانیه المحتضر...

(بين أخ شقيق و والد شقيق) إنه مسجى يحيط به أعز الناس عليه و أقربهم إليه فهنا أخ قريب يعيش معه أمه و أساه و هناك والد شقيق التوى قلبه عليه رقة و عطفًا...

(و داعية بالويل جزعا و لا دمة للصدر قلقا) و انتشرت حوله أم و أخت و بنت و كل واحدة قد قل صبرها و فقدت عزمها فراحت تصرخ على نفسها بالهلاك لفقد العزيز و الحبيب و الكفيل أو تضرب صدرها متأثرة بكبر المصاب لفقد الأعزة و الأحباب...

و هذه صورة حقيقية ينقلها الإمام و تجري عند كل حالة موت حيث يجتمع الأقارب رجالا و نساء و لكل دوره في توديع المسجى بين أيديهم هذا هو حالهم أما حاله في تلك الساعات الصعبة فيصورها الإمام بقوله...

(و المرء في سكرة ملهثة و غمرة كارثة) إنها آخر ساعات الدنيا و أصعبها عليه، إنها شديدة الوطء على قلب هذا الإنسان المسجى الذي قد ماتت فيه القوة و انعدمت من

أعضائه الحياة، إنه في غيبوبة قد فقد الوعي وضاقت أنفاسه فراح يلهث من التعب قد أعياه المرض وشدته وقد بلغ به الغم إلى أعلى درجاته وأصعب حالاته هذا إذا كانت العبارة «ملهثة»...

أما إذا كانت ملهية فواضح أن معناها أنه قد اشتغل بنفسه عن النظر إلى من حوله...

(وأنه موجعة وجذبة مكربة) إنه في أنين مستمر من الوجع.. يتأوه بحزن وألم وملك الموت يستل الروح فيصيب الميت حالة شديدة عليه لا يقدر من شدتها على وصفها إلا أنها مؤلمة...

(وسوقة متعبة) حيث الملائكة تخرج الروح من البدن وتسوقها عارية عنه فتجد في تجردها تعباً وشدة لفراقه وبعدها عنه...

(ثم أدرج في أكفانه ملبسا) وبعد اجتماع الأحبة حوله واسترجاعهم وضرب صدورهم وبعد معاناته الشدائد والصعاب ومفارقة نفسه لبدنه فقد مات.. إنها مرحلة جديدة من الحياة بالنسبة إليه ولكن هناك تكاليف مطلوبة من الأحياء واجبات لا يجوز التفريط بها... ومهما كان الفقيد عزيزاً وحبیباً فلا بد من تغسيله وتكفينه.. إنها ثلاث خرق يعبر عنها بلسان الشرع الكفن...

1 - المئزر ويجب أن يكون ساتراً ما بين السرة والركبة.

2 - القميص يجب أن يكون ساتراً ما بين المنكبين إلى نصف الساقين.

3 - الإزار يجب أن يغطي تمام البدن...

إنه يلفّ بهذه الأثواب عديم الحركة تلفه أيدي أحبته لا يملكون له من أمره شيئاً..

هذا هو كل ما يصيبه من أمواله وتراثه لا يقدر على الزيادة ولا يسمح بها إن طلبها..

(و جذب منقاداً سلساً) أخذ عن داره و منازل أحبته لم يمانع أو يعاند بل خاضعاً بلسان الحال لا يقدر على شيء...  
...  
(ثم ألقى على الأعواد رجيع و صب و نضو سقم) بعد أن تم تجهيزه طرح على النعش «المحمل» الذي يحمل عليه الميت كليلاً متعباً هزياً سقيماً قد أخذ منه المرض مأخذة فصيرته رمة بالية و هيكلًا خاوياً..

(تحمله حفدة الولدان و حشدة الإخوان) لقد تعاون على حمله أولاده وأولادهم و من أجمع لتشييعه من المؤمنين... إنهم يحملونه إلى

مشواه الأخير و هذا كل ما له عند



أولاده و أحفاده و أقربائه.. إنهم يوصلونه إلى حفرة تتناقله أيديهم.. فيوجرون و يؤدون الواجب عليهم...

(إلى دار غربته و منقطع زورته و مفرد وحشته) إنهم يحملونه إلى دار الغربة الحقيقية حيث ينقطع في قبره عن كل مخلوق.. يفقد الأحبة.. و الأولاد.. و الأصدقاء و رفقاء الصبا.. إنه لا يزار بعد اليوم كما كان يزار.. إنه وحده في وحشة لا أنيس و لا حبيب و لا عشير... غربة حقيقية عن الأهل و الوطن و الأعزة...

(حتى إذا انصرف المشيع و رجع المتفجع) فلا بد لمن شيّعه إلى مثواه الأخير من الحفدة و الإخوان أن يرجع عن قبره و لا بد لكل متوجع عليه حزين لا بد أن يعود من توديعه تاركاً له في حفرة و حيدا فريدا و عندها تبدأ مصيبتة العظمى و تقوم قيامته الكبرى... عندها يأتي دور الحساب يقول الإمام فبعد رجوع الحفدة و الإخوان...

### القبر و سؤاله:

(أقعد في حفرة نجيا لبهتة السؤال و عثرة الامتحان) بعد أن يصبح و حيدا في قبره و قد انصرف عنه الأحبة و المشيعون يأتي دور الحساب له و هو المعبر عنه بحساب القبر حيث يفجأ السؤال عن حياته و إيمانه و مقدار التزامه إنه امتحان صعب يسقط فيه المنحرفون و أصحاب الأهواء و الشهوات... يسقط فيه أهل الدنيا الذين انصرفوا إليها و رضعوا من ثديها و لم يتجنبوا حرامها... و مسألة القبر مما تسالم عليها المسلمون بل انعقد عليها الإجماع إلا ممن لا يعتد بخلافه و قد وردت بها الأخبار ففي الكافي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن المؤمن إذا خرج من بيته شيّعه الملائكة إلى قبره و يزدحمون عليه حتى إذا انتهى به إلى قبره قالت له الأرض: مرحبا بك و أهلا، أما و الله لقد كنت أحب أن يمشي عليّ مثلك لترين ما أصنع بك فيوسع له مد بصره.

و يدخل عليه ملكا القبر و هما قعيدا القبر منكر و نكير فيلقيان فيه الروح إلى حقويه فيقعدانه و يسألانه فيقولان:

من ربك؟

فيقول: الله تعالى.

فيقولان: ما دينك؟

فيقول: الإسلام.

فيقولان: و من نبيك؟

ص: 504

فيقول: محمد (صلى الله عليه وآله).

فيقولان: ومن إمامك؟.

فيقول: فلان.

قال: فينادي مناد من السماء صدق عبدي افرشوا له في قبره من الجنة وافتحوا له في قبره بابا إلى الجنة وأبسوه من ثياب الجنة حتى يأتينا و ما عندنا خير له نم يقال له: نم نومة عروس، نم نومة لا حلم فيها قال عليه السلام: وإن كان كافرا خرجت الملائكة شيعته إلى قبره يلعنونه حتى إذا انتهى إلى قبره قالت له الأرض: لا مرحبا بك ولا أهلا، أما والله لقد كنت أبغض أن يمشي عليّ مثلك لا جرم لترين ما أصنع بك اليوم فتضيق عليه حتى يلتقي جوائحه.

قال عليه السلام: ثم يدخل عليه ملكا القبر وهما قعيدا القبر منكر و نكير.

قال أبو بصير: جعلت فداك يدخلان على المؤمن والكافر في صورة واحدة؟.

فقال عليه السلام: لا.

قال: فيقعدانه فيقليان فيه الروح إلى حقويه فيقولان: من ربك؟ فيتلجلج ويقول: قد سمعت الناس يقولون.

فيقولان: لا دريت.

ويقولان له: ما دينك؟.

فيتلجلج.

فيقولان له: لا دريت.

ويقولان له: من نبيك؟.

فيقول: قد سمعت الناس يقولون.

فيقولان له: لا دريت ويسأل عن إمام زمانه.

قال عليه السلام: وينادي مناد من السماء كذب عبدي افرشوا له في قبره من النار وافتحوا له بابا إلى النار حتى يأتينا و ما عندنا شر له فيضربانه بمرزبة ثلاث ضربات ليس منها ضربة إلا و يتطير منها قبره نارا لو ضرب بتلك المرزبة جبال تهامة لكانت رميما وقال أبو عبد الله عليه السلام: ويسلط الله عليه في قبره الحيات تنهشه نهشا و الشيطان يغمّه غما.

قال: و يسمع عذابه من خلق الله إلا الجن و الإنس.

وقال عليه السلام: إنه ليسمع خفق نعالهم و نفض أيديهم و هو قول الله عز و جل



«يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ» ...

(و أعظم ما هنا لك بلية نزول الحميم و تصلية الجحيم) و هذه هي أعظم مصيبة و أفدحها تصغر عندها موتات الدنيا إنها أعظم ما يلاقيه الإنسان المجرم المنحرف نزول الحميم عليه و هو الماء الحار الذي يصب عليه و النار التي تلفه و تصيبه.. نار حامية و ماء حار يغلي و هل يقدر هذا الإنسان الضعيف على تحمّل هذا العذاب و هو لا يقدر أن يحتمل حرارة عود من الثقاب...

(و فورات السعير و سورات الزفير) و هناك غليان النار و اشتدادها و أصواتها العالية التي لشدتها تبعث هذه الأصوات.. إنها نار سجرتها جبارها لغضبه كما يقول الإمام في بعض خطبه.. اللهم أجزنا منها و من عذابها...

(لا فترة مريحة و لادعة مريحة) عذاب دائم مستمر ليس هناك وقت يستريح فيه هذا الإنسان من العذاب كما إنه ليس هناك وقت هدوء و استراحة تزيل هذا العذاب و تريح صاحبه...

(و لا قوة حاجزة و لا موتة ناجزة) فليس في المقام قوة تمنع هذا العذاب و تحجبه كما إنه ليس في المقام موت عاجل يحقق بهذا الإنسان و ينهي وجوده و ينتهي.. إنه عذاب متصل مستمر...

(و لا سنة مسلية بين أطوار الموتات و عذاب الساعات إنا بالله عائذون) فليس من نوم و لو كان قليلا و غير مستقر يلهي هذا الإنسان عن عذابه و يشغله عن هذه الآلام المختلفة و المتنوعة، بل إنها عذابات متصلة ليس بينها فرجة يتلهى بها الإنسان أو يستريح...

(عباد الله أين الذين عمروا فنعموا) ذكّر عليه السلام بجملة من نعم الله التي يجب أن تقابل بالشكر فقبولت بالإساءة و هؤلاء هم الذين طالت أعمارهم في الدنيا و امتدت كثيرا و كانوا في سعة من العيش و رغد في الحياة.. هؤلاء الذين أعطوا هذه الأعمار الطويلة و الحياة الطيبة الناعمة المرفهة يجب أن يؤديوا شكر هذه النعمة و يقوموا بمستلزمات استمرارها و ثواب أجرها...

(و علّموا ففهموا) توضحت الأمور أمامهم و ارتفعت الغشاوة عن عيونهم فوقفوا على الحقيقة و عرفوا أحكام الشريعة و ما ينفع و يفيد في الدنيا و الآخرة فلا عذر لهم بعد هذا إذا انحرفوا و لا حجة لهم على ما ذهبوا إليه و نهجوا نحوه...

(وأنظروا فلها) أخرهم الله فلم يأخذهم بالعذاب و لم يستعجل عليهم بالعقاب..

و هذا التأخير لمصلحتهم لعلهم يرجعون و يتنبهون و لكنهم اشتغلوا بما لا ينفع و قضوا أوقاتهم بما لا يفيد...

(و سلموا فانسوا) حفظوا من الآفات و العاهات فأبدانهم سالمة و أجسادهم صحيحة و لكنهم نسوا الآخرة و لم يعملوا لها كما نسوا مخيئات الدهر و مفاجات الحياة...

(أمهلوا طويلا و منحوا جميلا) أخرهم الله مدة هذا العمر و هو طويل بالنسبة لمن أراد أن يتوب و يعود و أعطاهم الله من منحه و عطياه كل جميل و نافع و مفيد و هل هناك أجمل من هذه النعم و أوفر منها...

(و حذروا أليماً و وعدوا جسيماً) خوفهم الله عذاباً شديداً أليماً و هو النار فقال تعالى: «فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ» ...

و وعدوا بالعطاء الكبير الذي يصغر عنه كل عطاء و عدهم الله بالجنة و ما فيها من نعيم و حور عين فقال تعالى: (1) «وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» ...

(احذروا الذنوب المورطة و العيوب المسخطة) احذروا الذنوب و هي المعاصي المهلكة التي تورد مرتكبها إلى الجحيم و العيوب التي توجب غضب الله و عذابه...

(أولي الأبصار و الأسماع و العافية و المتاع) نادى عليه السلام على هؤلاء و صرخ بهم أن يتنبهوا و يستيقظوا نادى أصحاب الأبصار الذين يرون الحق و الباطل و يقدرون على التمييز بينهما و كذلك أصحاب الأسماع الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه..

نادى أصحاب العافية في الأبدان و الأديان و أصحاب الأموال و المقتنيات فإن هؤلاء أحق من يتنبه و يستمع و يعتبر...

(هل من مناص أو خلاص) فلا ملجأ من عذاب الله و لا خلاص من عقابه إذا خالف الإنسان أمره و عصى حكمه.. تحذير و تخويف لهذا الإنسان و إن الأسباب تنقطع و الشفاعات تتوقف إذا تمرد الإنسان على إرادة الله...

(أو معاذ أو ملاذ) لا ملجأ و لا حصن يحمي الإنسان من عذاب الله و عقابه و إذا تساقطت الحصون و الملاجىء و عجزت عن حماية هذا الإنسان و جب أن يستعد بوسائله 2.

ص: 507

أخرى وليست هي إلا الطاعة لله والالتزام بأمره...

(أو فرار أو محار أم لا؟) فلا هروب من عذاب الله إذا أحاط بهذا الإنسان ولا رجوع إلى الدنيا إذا طلب العودة. نعم لا فرار ولا رجوع بل شقوة لازمة دائمة...

(فإني توفكون) إلى أي شيء ترجعون وتعودون ولا رجوع ولا عودة...

(أم أين تصرفون) في أي مكان ترجعون ولا رجوع...

(أم بماذا تغترون) كيف تخذعون بما لا طائل تحته ولا شيء ينفع فيه ثم بين فشل خدعهم بهذه النهاية لهم...

(وإنما حظ أحدكم من الأرض ذات الطول والعرض قيد قدمه متعفرا على خده) هذا هو نصيب الإنسان لا يقدر على أخذ الزيادة ولا يسمح له بذلك... نصيبه من هذه الأرض الواسعة الممتدة طولا وعرضا مقدار قامته طولا ومقدارها عرضا يطرح فيها وعلى أرضها بدون فراش ولا لحاف بل مفترشا التراب قد وضعوا خده الناعم الطري على تراب القبر قد أصابه منه ما كان يأنف منه في حياته، ورحم الله أمي لقد كانت تتذكر تلك الحفرة باستمرار، وتقول دائما: أعاننا الله على تلك الحفرة تعني القبر...

(الآن عباد الله والخناق مهممل والروح مرسل) يا عباد الله اعملوا الآن وأنتم في دار الدنيا لم يأخذكم الموت ويضيق عليكم به وأنفسكم حرة طليقة لم يقيدها الموت أو يمنع حركتها وبعبارة أخرى اعملوا اليوم فأنتم قادرون...

(في فينة الإرشاد) فأنتم الآن في أوقات تستطيعون فيها ارتياد الحق والعمل بالواجب والقيام بأوامر الله ولا بد وأن يأتي الوقت الذي تعجزون فيه عن العمل وتتوقف فيه الحركة...

(وراحة الأجساد) فأنتم في راحة بدنية فلا عذاب يصيبكم ولا ألم يحل بكم...

(وباحة الاحتشاد) فأنتم مجتمعون في دار الدنيا مع الأهل والأحباب والأقارب والأصدقاء وهذا يسهل العمل ويرغب فيه...

(ومهل البقية) فهناك متسع باق من العمر تستطيعون استغلاله في طاعة الله وما يقربكم منه سبحانه وتعالى...

(وأنف المشيئة) أي أوائل الإرادة حيث يجب على الإنسان أن تبدأ إرادته بالطاعة والالتزام حتى تضع أول أقدامها على الصراط المستقيم فلا تنحرف أو تضل...

(وإنظار التوبة) فاللّهُ سبحانه أمهلنا و أجل أخذنا ليفسح لنا في التوبة كي نرجع إليه و نعود إلى رحابه و نتوب عما صدر منا من سيئات و قبائح و هذه رحمة اللّهُ بعباده يحب لهم أن يكونوا من أهل الجنة و يفتح لهم الأبواب لدخولها و كلما أقفلوا بابا فتح لهم أبوابا...

(وإنفساح الحوبة) فأنتم في سعة تستطيعون العمل لحاجتكم في آخرتكم فكل أمر تحتاجونه في الآخرة فأنتم الآن تقدرون على القيام به لسعة الوقت...

(قبل الضنك و المضيق) ابتداءوا بالعمل قبل ضيق الزمان و ضيق المكان...

(و الروح و الزهوق) و قبل الخوف من أهوال الموت و يوم القيامة و قبل خروج الروح من البدن...

(و قبل قدوم الغائب المنتظر) قبل أن يأتي الموت الذي هو غائب عنا منتظرون لقدومه علينا...

(و إخذة العزيز المقتدر) أي سلب الأرواح بقدره اللّهُ التي لا يقدر على الوقوف بوجهها أحد و لا يقدر على منعها بشر..

## إشارة

في ذكر عمرو بن العاص عجا لابن التّابغة (1)! يزعم (2) لأهل الشّام أنّ فيّ دعابة (3)، و أنّي امرؤ تلعباة (4): أعافس (5) و أمارس (6)! لقد قال باطلا، و نطق آثما (7). أما - و شرّ القول الكذب - إنّه ليقول فيكذب، و يعد (8) فيخلف (9)، و يسأل فييخل (10)، و يسأل فيلحف (11)، و يخون العهد، و يقطع الإلّ (12)، فإذا كان عند الحرب فأيّ زاجر (13) و أمر هو! ما لم تأخذ السّيوف مآخذها، فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته (14) أن يمنح (15) القرم (16) سبّة (17). أما و الله إنّي ليمنعني من اللّعب ذكر الموت، و إنّه ليمنعه من قول الحقّ نسيان الآخرة، إنّه لم يبايع معاوية حتّى شرط أن يؤتية أتيّة (18)، و يرضخ له (19) على ترك الدّين رضىخة.

## اللغة

1 - التابغة: سميت بذلك أم عمرو بن العاص لشهرتها بالفجور و تظاهرها به.

2 - يزعم: يقول، و الزعم مبني على الباطل أو ما فيه ارتياب.

3 - الدعابة: المزاح.

4 - تلعباة: كثير اللعب و التاء للمبالغة.

5 - أعافس: أعالج و أصارع.

6 - أمارس: أعالج و أصارع بالقرص.

7 - الآثم: العاصي و الإثم المعصية.

8 - يعد: من وعد و هو ما يقطعه الإنسان على نفسه من الأمور.

9 - يخلف: من أخلف إذا حث و لم يف بما قطعه على نفسه.

ص: 510



10 - يبخل: يشحّ .

11 - يلحف: يلحّ .

12 - الإل: العهد، والقراية.

13 - زاجر: مانع وناه.

14 - المكيدة: الخديعة، المكر.

15 - يمنح: يعطي.

16 - القرم: في الأصل الفحل إذا ترك عن الركوب والعمل ويستعمل للسيد تشبيها به - العظيم.

17 - السبة: الاست، العورة.

18 - الأتية: العطية.

19 - رضخ له: أعطاه شيئا قليلا و الرضيخة الرشوة.

## الشرح

### إشارة

(عجبا لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن فيّ دعابة و أني امرؤ تلعباة أعافس و أمارس) أراد عمرو أن يفتش عن عيب في الإمام علي و هو خصمه اللدود يظهره لأهل الشام و يسقطه من أعينهم و يبين لهم عدم أهليته للخلافة فلم يجد إلا هذه التهمة الساقطة التي سمع بها الإمام فبين كذب مدّعيتها و رد عليه بهذا الردّ المفحم الذي ذكر فيه بعض عيوب ابن العاص...

عجبا لابن النابغة و أي شيء أعجب من إنسان لا يستحي و لا يخجل.. إنه و الله مما يثير العجب أن ابن النابغة و هو عمرو و نسبه إلى أمه لخستها و دناءة أصلها و من عادة العرب أنها تنسب الشخص إلى أمه إما لشرفها كما يقال ابن الزهراء و أما لخستها كما يقال ابن النابغة و سميت بذلك لشهرتها بالفجور و تظاهرها به يزعم و الزعم مبني على الباطل و لا أساس فيه من الحق يزعم كذبا و زورا إن فيّ دعابة مزاحا و إنني أضاحك الناس مما هو خارج عن حدّ الاعتدال و أعيش في حالة لاهية من اللعب و مداعبة النساء و من كان هذا شأنه لا يصلح للخلافة...

(لقد قال باطلا و نطق آثما) فما ادعاه عمرو و قاله في حق الإمام باطل لا أساس له و نطق عاصيا لله مخالفا لأمره حيث نهى عن الكذب و هو يمارسه...

(أما و شر القول الكذب) فهناك شرور كثيرة في القول و لكن أشهرها قول الكذب



فقد جاء في الحديث عن الصادق عليه السلام قوله: إن الله عز وجل جعل للشرا أفعالا وجعل مفاتيح تلك الأفعال الشراب وأشر من الشراب الكذب...

(إنه ليقول فيكذب) هذه بعض صفات عمرو بن العاص وأولها: إنه إذا قال كذب على خلاف أهل الإيمان وعاداتهم فقد ارتكب أشر خصلة وأقبحها ومن لا يرتدع عن الكذب كيف يصدق في حديثه وكيف يقبل قوله.. إنه فاسق والله نهى عن قبول قوله بقوله: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا»...

(ويعد فيخلف) هذه ثانية صفات عمرو القبيحة إنه إذا وعد أخلف ولم يف وهي أيضا خلاف صفات المؤمنين ففي الحديث: المؤمن إذا وعد وفى...

(ويسأل فيبخل) وهذه الثالثة صفات عمرو القبيحة إنه لا يرفد سائلا ولا يعطي محتاجا بل يشح ويبخل ويمسك يده على خلاف ما في المؤمنين...

(ويسأل فيلحف) عند ما يسأل يلح ويلج في سؤاله كأن له الحق على الناس وهذه صفة الأراذل، وأما الشرفاء فإنهم إذا سألوا كفوا وخجلوا واستحيوا ولذا قال تعالى مادحا قوما بقوله تعالى: (1) «لأيسئلون الناس إلحافاً»...

(ويخون العهد) إذا عاهد الله أو أحد عباده يخونهم ولا- يفى بما قطع على نفسه وعاهد غيره عليه وهذه رذيلة تضاف إلى رذائل ابن العاص...

(ويقطع الإل) إن كان المقصود بالإل هو العهد فيكون عطف تفسير على ما تقدم وإن كان المقصود به الرحم فتكون رذيلة جديدة من صفات ابن العاص إنه يعمل بخلاف ما أمر الله حيث أمر بصلة الرحم والتراحم فيما بين الأرحام فهو يقطع الرحم ولا يصلها...

(فإذا كان عند الحرب فأى زاجر وأمر هو ما لم تأخذ السيوف مأخذها فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القرم سبته) وهذه رذيلة من رذائل ابن العاص وإحدى سيئاته بل هذه إحدى عوراته التي علم الناس كيف يحتمي فيها يذكر عليه السلام أن ابن العاص قبل أن تقوم الحرب فهو الناهي والأمر يوزع تعاليمه وينشر أراءه...

يصدر الأوامر وكأنه الشجاع الذي لا يفر أو ينهزم ولكن عند ما تقع الحرب وتحتدم وعند ما تشتبك السيوف وتلتحم عندها لا تجد لابن العاص مغيث أو معين إلا أن يكشفه3.

ص: 512

عورته و يحتمي بها كما فعل عند ما نزل إلى قتال الإمام حيث كشف عن عورته فأغضى عنه الإمام و انصرف و أضحى فعله يضرب به المثل لمن دفع المكروه عن نفسه بعورته...

(أما والله إنني ليمنعني من اللعب ذكر الموت) بعد أن بين كذب ابن العاص و بعض سيئاته و قبائحه و سوء خصاله عاد ليبين وجه ما يمنعه عن اللعب إنه ذكر الموت و ما بعده فإن من عرف أنه يموت و يحاسب و ينقطع عن العمل و جب عليه أن يستغل أوقاته فيما ينفع ليوم مياعده و لا يضيعها فيما لا ينفع و لا يفيد.. أصحاب العقول السليمة يفكرون فيما يعود عليهم في آخرتهم بالنفع و علو الدرجات فكيف يقتلون أوقاتهم في اللعب و فيما لا ينفع...

(وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة) و هذه رذيلة ابن العاص بل أم الرذائل التي قادتته إلى ارتكاب ما ارتكب و فعل ما فعل، فما غيرها من الرذائل إلا متولدة عنها و خارجة من رحمها.. عند ما ينسى الإنسان الآخرة و لا يؤمن بها يأتي بكل قول زور و بهتان و لا يرتدع عن ارتكاب أي عيب أو حرام، عندها تباح له المحرمات و يرتكب الكبائر و الآثام، من لا يفكر في الآخرة و لا يحسب لها حسابها يفعل ما يريد و يقول كل ما يريد مما هو حرام و ممنوع و ابن العاص أحد رواد الكفار بالآخرة...

(إنه لم يبايع معاوية حتى شرط أن يؤتبه أتية و يرضخ له على ترك الدين رضىخة) و ذكر الإمام حساسة ابن العاص فيما عقده مع معاوية من ترك دينه و أن يكون في صفه ينصره و له مصر طعمة في مقابل ذلك و هذا مذكور في كتب التاريخ و كل من تعرض لسيرة عمرو و ذكر هذه الصفة الخائبة التي باع فيها عمرو دينه مقابل مصر و حكمها...

## ترجمة عمرو بن العاص:

### إشارة

عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر. يكنى أبا عبد الله و يقال أبو محمد.

أبوه: العاص بن وائل أحد المستهزئين برسول الله و سماه الله بالأبتر لأنه قال لقريش: سيموت هذا الأبتر غدا فينقطع ذكره يعني رسول الله لأنه لم يكن له صلى الله عليه و آله ولد ذكر يعقب منه.

أمه: النابغة فقد ذكر الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار قال: كانت النابغة أم

عمرو بن العاص أمة لرجل من عنزة فسبيت فاشتراها عبد الله بن جدعان التيمي بمكة فكانت بغيا ثم أعتقها فوقع عليها أبو لهب بن عبد المطلب، وأميه بن خلف الجمحي و هشام بن المغيرة المخزومي و أبو سفيان بن حرب و العاص بن وائل السهمي في طهر واحد فولدت عمرا فادعاه كلهم فحكمت أمه فيه.

فقالت: هو من العاص بن وائل و ذلك لأن العاص بن وائل كان ينفق عليها كثيرا قالوا: و كان أشبه بأبي سفيان و في ذلك يقول أبو سفيان في عمرو بن العاص:

أبوك أبو سفيان لا شك قد بدت \*\*\* لنا فيك منه بينات الشمائل

و روى أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب الأنساب أن عمرا اختصم فيه بولادته رجلا ن: أبو سفيان بن حرب و العاص بن وائل فقبل لتحكم أمه فقالت أمه: إنه من العاص بن وائل السهمي.

فقال أبو سفيان: أما إني لا أشك أني وضعت في رحم أمه فأبت إلا العاص.

فقبل لها: أبو سفيان أشرف نسبا.

فقالت: إن العاص بن وائل كثير النفقة عليّ و أبو سفيان شحيح..

بهذا النسب الوضع و بهذه الولادة القذرة كان عمرو بن العاص..

## إسلامه:

أسلم عمرو سنة ثمان للهجرة بعد أن رأى قوة الإسلام و عظمته و انتصاراته فخوفا من القتل و رغبة في المغانم كان إسلامه و لذا يقول أمير المؤمنين علي «و الذي فلق الحبة و برأ النسمة ما أسلموا و لكن استسلموا...».

في عهد عمر فتحت مصر على يد عمرو بن العاص و قد تولاهما من قبل عثمان مدة ثم عزله عنها فغضب و أخذ يؤلب الناس عليه و في لفظ البلاذري: و جعل يحرض الناس على عثمان حتى رعاة الغنم ثم خرج إلى قصره في فلسطين و عثمان محصور فلما وصل نبأ قتله قال: قتلته و أنا بوادي السباع.

ثم لما بلغه قتله تربص لينظر ما يصنع الناس فلما بويع الإمام علي و تمرد معاوية و لم يبايع طلبه معاوية فاشترط عليه أن تكون له مصر طعمة خالصة فاتقعا على ذلك و اشتركا في قتال إمام الحق و جرت أحداث مؤلمة.

1 - برز للإمام في صفين فلما أمكنت الفرصة منه و كاد أن يقتل سقط على الأرض و كشف عورته فأعرض الإمام عنه...

2 - أشار على معاوية أن يأمر أهل الشام برفع المصاحف في وجوه أهل العراق - عند ما انهزم أهل الشام - فرفعوا المصاحف و حدثت الفتنة في جيش الإمام.

3 - اختاره معاوية للتحكيم فخدع أبا موسى الأشعري و عاد أبو موسى يشتمه و يصفه بأنه كلب و هو يصف أبا موسى بأنه حمار...

توفي عمرو بن العاص سنة 43 على أصح الأقوال عاش تسعين سنة..

ص: 515

كلمة سريعة 5-7

1 - من خطبة له عليه السلام يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض وخلق آدم وفيها ذكر الحج 13

بحث مختصر في الملائكة 33

2- و من خطبة له عليه السلام بعد انصرافه من صفين وفيها حال الناس قبل البعثة و صفة آل النبي ثم صفة قوم آخرين 56

الحمد لله 58

كلمة لا إله إلا الله 64

3 - و من خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالشقشقية و تشتمل على الشكوى من أمر الخلافة ثم ترجيح صبره عنها ثم مبايعة الناس له

72

الخلافة أو السقيفة وبيعة أبي بكر 77

لأبدية الخلافة 77

علي هو الخليفة 77

النبي يهبيء الأجواء لعلي 78

وفاة رسول الله 80

حديث السقيفة 80

عمر و أبو بكر في السقيفة 81

ملاحظات 83

ترجمة أبي بكر 85

خلافة عمر 87

ملاحظات 88

ترجمة عمر بن الخطاب 89





المرشحون للخلافة في رأي عمر 100

مخالفات عثمان 103

آراء الصحابة في عثمان 107

مقتل عثمان 108

ترجمة عثمان 112

بيعة الإمام 115

4- و من خطبة له عليه السلام وهي من أفصح كلامه عليه السلام وفيها يعظ الناس ويهديهم من ضلالتهم ويقال:

إنه خطبها بعد قتل طلحة والزبير 119

ما العمرة تريدان 122

5- و من خطبة له عليه السلام لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاطبه العباس وأبو سفيان ابن حرب في أن يبايعا له بالخلافة وذلك بعد أن تمت البيعة لأبي بكر في السقيفة وفيها ينهى عن الفتنة ويبين عن خلقه وعلمه 125

6- و من كلام له عليه السلام لما أشير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير ولا يرسل لهما القتال وفيه يبين عن صفته بأنه عليه السلام لا يخدع  
131

7- و من خطبه له عليه السلام يذم فيها أتباع الشيطان 133

8- و من كلام له عليه السلام يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك ويدعوه للدخول في البيعة ثانية 135

ترجمة الزبير 136

9- و من كلام له عليه السلام في صفته و صفة خصومه و يقال إنها في أصحاب الجمل 137

10- و من خطبة له عليه السلام يريد الشيطان أو يكنى به عن قوم 138

11- و من كلام له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل 140

ترجمة محمد بن الحنفية 141



12 - و من كلام له عليه السلام لما أظفره الله بأصحاب الجمل وقد قال له بعض أصحابه و ددت أن أخي فلانا كان شاهدا ليرى ما نصرك الله به على أعدائك 143

إنما يجمع الناس السخط و الرضا 144

13 - و من كلام له عليه السلام في ذم أهل البصرة بعد وقعة الجمل 146

14 - و من كلام له عليه السلام في مثل ذلك 151

15 - و من كلام له عليه السلام فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان 153

16 - و من كلام له عليه السلام لما بويع في المدينة و فيها يخبر الناس بعلمه بما تؤول إليه أحوالهم و فيها يقسم إلى أقسام 155

17 - و من كلام له عليه السلام في صفة من يتصدى للحكم بين الأمة و ليس لذلك بأهل و فيها: أبغض الخلائق إلى الله صنفان 163

18 - و من كلام له عليه السلام في ذم اختلاف العلماء في الفتيا و فيه يذم أهل الرأي و يكل أمر الحكم في أمور الدين للقرآن 172

أصحاب الرأي 175

19 - و من كلام له عليه السلام قاله للأشعث بن قيس و هو على منبر الكوفة يخطب فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه فقال: يا أمير المؤمنين: هذه عليك لا لك فخفض عليه السلام إليه بصره ثم قال: 177

ترجمة الأشعث بن قيس 180

20 - و من كلام له عليه السلام و فيه ينفر من الغفلة و ينبه إلى الفرار لله 182

21 - و من خطبة له عليه السلام و هي كلمة جامعة للعظة و الحكمة 185

22 - و من خطبة له عليه السلام حين بلغه خبر الناكثين ببيعته و فيها يذم عملهم و يلزمهم دم عثمان و يتهددهم بالحرب 187

23 - و من خطبة له عليه السلام و تشتمل على تهذيب الفقراء بالزهد و تأديب الأغنياء بالشفقة 192

ص: 518

24 - و من خطبة له عليه السلام و هي كلمة جامعة له فيها تسويغ قتال المخالفين و الدعوة إلى طاعة الله و الترقى فيها لضمان الفوز 200

علي و قتال المخالفين 201

25 - و من خطبة له عليه السلام فيها ذكر الكوفة 203

من سنن التاريخ 207

ترجمة بسر بن أرطاة 209

26 - و من خطبة له عليه السلام و فيها يصف العرب قبل البعثة ثم يصف حاله قبل البيعة له 211

صفقة التجار بين معاوية و عمرو بن العاص 215

27 - و من خطبة له عليه السلام و قد قالها يستنهض بها الناس حين ورد خبر غزو الأنبار بجيش معاوية فلم ينهضوا و فيها يذكر فضل

الجهاد و يستنهض الناس و يذكر علمه بالحرب و يلقي عليهم التبعة لعدم طاعته 218

جولة سريعة في الجهاد 224

الجهاد في الكتاب 224

الجهاد في السنة 225

غاية الجهاد 225

الجهاد على أقسام 226

جهاد المشركين ابتداء 226

شروط المجاهد 227

الجهاد الدفاعي 227

جهاد البغاة 227

28 - و من خطبة له عليه السلام و هو فصل من الخطبة التي أولها «الحمد لله غير مقنوط من رحمته» و فيه أحد عشر تنبيها 234

الإيمان الصحيح 237

29 - و من خطبة له عليه السلام بعد غارة الضحاك بن قيس صاحب معاوية على الحاج بعد قصة الحكمين و فيها يستنهض أصحابه لما حدث في الأطراف 241

ص: 519

- 30 - و من كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان و هو حكم له على عثمان و عليه و على الناس بما فعلوا و براءة له من دمه 247
- 31 - و من كلام له عليه السلام لما أنفذ عبد الله بن عباس إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل 249
- 32 - و من خطبة له عليه السلام و فيها يصف زمانه بالجور و يقسم الناس فيه خمسة أصناف ثم يزهدهم في الدنيا 252
- 33 - و من خطبة له عليه السلام عند خروجه لقتال أهل البصرة و فيها حكمة مبعث الرسل ثم يذكر فضله و يذم الخارجين 261
- 34 - و من خطبة له عليه السلام في استنفار الناس إلى أهل الشام بعد فراغه من أمر الخوارج و فيها يتأفف بالناس و ينصح لهم بطريق السداد 266
- 35 - و من خطبة له عليه السلام بعد التحكيم و ما بلغه من أمر الحكمين و فيها حمد الله على بلائه ثم بيان سبب البلوى 273
- تاريخ و مواقف 276
- 36 - و من خطبة له عليه السلام في تخويف أهل النهروان 282
- الخوارج 284
- إخبار النبي عنهم 285
- قصة الخوارج 286
- اعتزال الخوارج عليا 287
- الخوارج و الإفساد في الأرض 290
- الخلاصة 293
- 37 - و من كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة و فيه يذكر فضائله عليه السلام قاله بعد وقعة النهروان 295
- 38 - و من كلام له عليه السلام و فيها علة تسمية الشبهة شبهة ثم بيان حال الناس فيها 300
- 39 - و من خطبة له عليه السلام خطبها عند علمه بغزوة النعمان بن بشير صاحب معاوية لعين التمر و فيها يبدي عذره و يستنهض الناس لنصرتة 303
- ترجمة النعمان بن بشير 306

40 - و من كلام له عليه السلام في الخوارج لما سمع قولهم «لا حكم إلا لله» 310

41 - و من خطبة له عليه السلام وفيها ينهى عن الغدر و يحذر منه 314

الوفاء 315

الحاجز هو تقوى الله 316

42 - و من كلام له عليه السلام وفيه يحذر من اتباع الهوى و طول الأمل في الدنيا 318

43 - و من كلام له عليه السلام و قد أشار عليه أصحابه بالاستعداد لحرب أهل الشام بعد إرساله جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية و لم ينزل معاوية على بيعته 322

ترجمة جرير بن عبد الله البجلي 325

44 - و من كلام له عليه السلام لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية و كان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام و اعتقهم فلما طالبه بالمال خاس به و هرب إلى الشام 326

ترجمة مصقلة بن هبيرة 328

45 - و من خطبة له عليه السلام و هو بعض خطبه يوم الفطر و فيها يحمد الله و يذم الدنيا 329

46 - و من كلام له عليه السلام عند عزمه على المسير إلى الشام و هو دعاء دعا به ربه عند وضع رجله في الركاب 333

47 - و من كلام له عليه السلام في ذكر الكوفة 335

الكوفة 336

48 - و من خطبة له عليه السلام عند المسير إلى الشام قيل: إنه خطب بها و هو بالنخيلة خارجا من الكوفة إلى صفين 338

49 - و من كلام له عليه السلام وفيه جملة من صفات الربوبية و العلم الإلهي 341

50 - و من كلام له عليه السلام وفيه بيان لما يخرب

ص: 521

العالم به من الفتن و بيان هذه الفتن 345

51 - و من خطبة له عليه السلام لما غلب أصحاب معاوية أصحابه عليه السلام على شريعة الفرات بصفين و منعوهم الماء 348

و هذا فارق آخر بين علي و معاوية 349

نشيد الأحرار 350

52 - و من خطبة له عليه السلام هي في التزهيد في الدنيا و ثواب الله للزاهد و نعم الله على الخلق 352

53 - و من خطبة له عليه السلام في ذكرى يوم النحر و صفة الأضحية 358

54 - و من خطبة له عليه السلام و فيها يصف أصحابه بصفين حين طال منعهم له من قتال أهل الشام 360

الناس و بيعة علي 361

55 - من كلام له عليه السلام و قد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين 363

56 - و من كلام له عليه السلام يصف أصحاب رسول الله و ذلك يوم صفين حين أمر الناس بالصلح 365

57 - و من كلام له عليه السلام في صفة رجل مذموم ثم في فضله هو عليه السلام 368

معاوية و دعاء النبي (صلى الله عليه و آله) عليه 369

58 - و من كلام له عليه السلام كلم به الخوارج حين اعتزلوا الحكومة و تنادوا: إن لا حكم إلا لله 371

59 - و قال عليه السلام لما عزم على حرب الخوارج و قيل له أن القوم عبروا جسر النهروان 374

إخبا علي بالغيب 374

60 - و قال عليه السلام لما قتل الخوارج فقيلاً له:

يا أمير المؤمنين هلك القوم بأجمعهم 376

61 - و قال عليه السلام: لا تقاتلوا الخوارج بعدي 378

62 - و من كلام له عليه السلام لما خوّف من الغيلة 380

63 - و من خطبة له عليه السلام يحذر من فتنة الدنيا 382



64 - و من خطبة له عليه السلام في المبادرة إلى صالح الأعمال 385

65 - و من خطبة له عليه السلام وفيها مباحث لطيفة من العلم الإلهي 391

66 - و من كلام له عليه السلام في تعليم الحرب و المقاتلة و المشهور أنه قاله لأصحابه ليلة الهرير أو أول اللقاء بصفين 397

67 - و من كلام له عليه السلام قالوا: لما انتهت إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عليه السلام:

ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت منا أمير و منكم أمير قال عليه السلام 402

68 - و من كلام له عليه السلام لما قلّد محمد بن أبي بكر مصر فملكته عليه و قتل 405

ترجمة محمد بن أبي بكر 406

ترجمة هاشم بن عتبة 408

69 - و من كلام له عليه السلام في توبيخ بعض أصحابه 409

علي عارف بما يصلح الناس 411

70 - و قال عليه السلام في سحرة اليوم الذي ضرب فيه 414

71 - و من خطبة له عليه السلام في ذم أهل العراق و فيها يوبخهم على ترك القتال و النصر يكاد يتم ثم تكذيبهم له 416

72 - و من خطبة له عليه السلام علم فيها الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم و فيها بيان صفات الله سبحانه و صفة النبي و الدعاء له 419

73 - و من كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم بالبصرة 427

ترجمة الحكم بن أبي العاص 429

ترجمة مروان بن الحكم 430

74 - و من خطبة له عليه السلام لما عزموا على بيعة عثمان 432

الوحدة قبل حق علي 432

75 - من كلام له عليه السلام لما بلغه اتهام بني أمية بالمشاركة في دم عثمان 435

76 - و من خطبة له عليه السلام في الحث على العمل الصالح 438

77 - و من كلام له عليه السلام و ذلك حين منعه سعيد بن العاص حقه 442

78 - و من دعاء له عليه السلام من كلمات كان عليه السلام يدعو بها 444

79 - و من كلام له عليه السلام قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج و قد قال له:

إن سرت يا أمير المؤمنين في هذا الوقت خشيت ألا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم 446

80 - و من خطبة له عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء ببيان نقصهن 450

81 - و من كلام له عليه السلام في الزهد 453

82 - و من كلام له عليه السلام في ذم صفة الدنيا 455

83 - و من خطبة له عليه السلام و هي الخطبة العجيبة و تسمى الغراء و فيها نعوت الله جل شأنه ثم الوصية بتقواه ثم التنفير من الدنيا ثم ما

يلحق من دخول القيامة ثم تنبيه الخلق إلى ما هم فيه من الأعراض ثم فضله عليه السلام في التذكير 458

84 - و من خطبة له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص 510

ترجمة عمرو بن العاص 513

ص: 524

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم  
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟  
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟  
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
اصبهان  
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

